

مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَشْرِقِ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »

جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ تموز « يوليو » ١٩٧٤ م

أفاق البحّري

الأستاذ شفيق جبري

تعوّدت أن أنصرف من حين إلى آخر عن ألم الحقيقة إلى لذّة الخيال ،
تعوّدت أن أرجع إلى ديوان من دواوين العرب هرباً من وحشة الدنيا
إلى أنسها ، حتى تستريح الأذن بمد أن ملأ العالم التهديد بالصواريخ ، وما
يفضي إليه هذا التهديد من فناء العالم ، فكأن الدنيا لم تخلق إلا للويلات ،
وكان الأرض لم تمتدّ مذاهبها إلا لتبسّط فيها آثار الخراب .

كان نصيبي هذه المرّة الرجوع إلى ديوان البحّري ، لقد عشت أياماً
قلاتل مع شاعر انفراد في حياته وشعره بأمور يضيق هذا المقال عن
تفصيلها ، عشت مع البحّري أياماً قلاتل نعمت في خلافاً بعبقريّة خالدة على

وجه الدهر ، لقد ضحكت الحياة في شعره فلم نر في أضعافه رسماً من رسوم عبوسها وتجهتها ، ضحكت في كل شيء ، في الطبيعة والحضارة والحب ، والتغني بالوطن والافتخار بالعرب .

لقد تغنى البحري بكل منظرٍ من مناظر الطبيعة على نحو ما ذكرته في مقال متقدم ، تغنى بالربيع وهو ينعم وشي حلتها الخضراء ، وبأخريف وهو ينسج لها حلتها الصفراء ، واستوفت عينه حظها من رباهها وقد صبغها الليل بلونه الأسود ، ومن آفاقها وقد اختضبت بالصباح الورد ، وتملأت أذنه قسمها من هديل حمامها ، وحفيف ورقها ، وضجيج بحرها ، وزجل رعداها ، وأخذ أنفه نصيبه من نرجسها ووردها وآسها وأقحوانها ، لقد ملأ نفسه من كل جزء من أجزاء الطبيعة ، من ذهب شمسها ، وفضة مائها ، واندفاق غيثها ، في غداةٍ مخضلةٍ أو عشيٍّ مبتلٍ .

إنّ هذا الأفق الذي عاش البحري في ظلاله إنما هو الأفق الإنساني ، فلم تخلق الطبيعة إلا لتبعد بالإنسان عن متاع الحياة ومضاجرها ، وإذا بعد الإنسان عن هذه المتاع والمضاجر صفا عقله ، ونقيت روحه ، ونبل ضميره ، وسلم وجدانه ، وما أشدّ حاجة البشرية في عصر مثل العصر الذي نعيش فيه ، في عصرٍ متريِّدٍ ، متلبِّدٍ ، إلى صفاء العقول ، وتقوية الأرواح ، ونبل الضمائر ، وسلامة الوجدانات .

لم تشع في شعر البحري ظلمة الحياة ، وإنما شاع فيه ضياؤها الساطع ، هذا الضياء الذي يبعث النشاط في النفوس ، ويدخل السرور على القلوب ، وينير للعيون ممالكها ، ويهدي العقول إلى مرادها .

ولم يقتصر البحري في شعره على إشاعة الضياء والبهجة ، ضياء الطبيعة وبهجتها ، وإنما دخل بنا قصور الخلفاء في عصره ، فنبش روائع الحضارة

التي نبتت أصولها في تلك القصور ، فألقى على هذه الحضارة روث الشعر ، فكان لا يرى حيطاناً من الزجاج في قصور بني العباس إلا مثلت له هذه الحيطان بلج البحر وهي تروج على الساحل ، وكان لا يرى تقويف الرخام ، إلا رأى في هذا التقويف حبك الغمام ، وقد رُصفن بين ألوان متفاوتة وأشكال متباينة ، وكان لا يرى الذهب الصقيل الذي لبسته السقوف إلا رأى نوراً يضيء في الظلام .

ولئن ضحكت الطبيعة والحضارة في هذا الشعر المتلألئ ، لقد ضحك فيه شيء آخر قد يكون أصل البقاء في البشرية وأعني به الحب ، فما فاته من هذا الحب سرٌّ من أسرارهِ أو لون من ألوانهِ ، ولا ضاقت عليه مذاهب لغته ، فلما نرى في غزله إلا ألفاظاً تبرق بريق العيون ، وترف رفيف الثغور ، وترق رقة الخصور .

ولقد دفعه ميله الى الطبيعة وابتسامها ، وإلى الحضارة وروعها ، وإلى الحب وصفاته ، لقد دفعه هذا كله الى التعلق بالحياة ، فلما نرى في ثنايا شعره روح التشاؤم ، روح هذه الحياة المظلمة الكثيبة التي تقعد بالإنسان عن كل همّة ، وتطرحه على هذا التراب المتعقد ، دون أن يطمع ببصره الى السماء وكواكبها ، فشعره ملأ من الحياة وفرحها ، مترع من الأمل وضيائه ، مزدحم بالقال ونشاطه ...

ولكن هذا النعيم الذي ذاقه في ظلال الخلفاء من بني العباس لم يُنسه شيئاً أسمى من المادّة ، وإذا كنتَ تعيش في عصرٍ اختمرت فيه الوطنية والقومية ، فقد كان البحري عندياً من عنادل هذا النغم الرخيم ، كانت له نفس تبسّع أوطانها ، وشعره في نزعة الوطنية نغير اللون لأن صاحبه ربيب الحضارة والحدائق والقصور ، لقد فتح عينيه في صباه فوآى مدينة منبج ، فتمتع من طيب هوائها وعذوبة مائها ورقة نسيمها وصحة تربتها ،

وما نشأ وترعرع حتى سرح خياله في أهاضيـب لبنان ، وغوطة دمشق ،
وبساتين حلب ، وجنات الساجور ، ونخيل العراق ، فإذا حثت ركابه الى
الشام وهو في العراق ، فقد كانت تحن لأنها يشوقها برد الشام وريفه ،
ومدافع الساجور ، وتقابل تلاعه وكهوفه على ضفتيه ، فكم هاجه خيال
زارد من هذه الأماكن ما يغيب عنه طيفه ، فلت أعلم شاعراً تغنى
بحاسن وطنه تغنى البحري حتى كادت هذه الحاسن تخرج بشعره ، وتلقي
عليه فتتها وسحرها :

فكم بالجزيرة من روضة	تفاحك دجلة ثعبانها
تريك اليواقيت مثورة	وقد جائل النور ظهرانها
غرائب تحطف لحظ العيون	إذا جلّت الشمس ألوانها
إذا غرّد الطير فيها ثت	إليك الأغاني ألحانها

.....

تسير العبارات أيسارها	ويعترض القصر أيمانها
وتحمل دجلة حمل الجمو	ح حتى تناطح أركانها
كان العذارى تمتشي بها	إذا هزمت الريح أفنانها

* * * *

وكما شغفه التعلق بوطنه فقد شغفه الولع بقومه والافتخار بمجدهم ،
وعلى الرغم من صلته ببعض الأعاجم ، ومن أماديجه فيهم لم يغفل عن مكارم
العرب الذين :

ملكوا الأرض قبل أن تملك الأر	فوقادوا في حافيتيا الجنودا
وجروا قبل مولد الشيخ إبرا	هم في المكرمات شأوا بعيدا
سائل الدهر مذ عرفناه هل يع	رف منا الاء الفعال الحميدا
قد لعمرى رزناه كعبلاً وشيخاً	ورأيناه ناشئاً ووليداً

وطوبنا أيامه وليالـ ه على الكرمات بيضاً وسودا
لم نزل قطّ منذ ترعرع نكسو ه ندى لينا وبأساً شديدا
نحن أبناء يعرب أعرب لنا س اساناً وأنضر الناس عودا
وكان الإله قال لنا في الـ عرب كونوا حجارةً أوحديدا

* * * *

ان شاعراً يجمع شعره هذه المحاسن ، ان شاعراً أتى عليه ما ينيف
على ألف سنة ، وكأنه لا يزال يعيش بين ظهرانينا ، يفكر تفكير هذا
العصر ، ويشعر شعور هذا الزمن ، وينطق لغة هذه الأيام ، لغة الحضارة
المحقولة ، والعاطفة الرقيقة ، والذوق المصقّى والفكر المضيء ، إن شاعراً
هذه خصائصه لجدير بأن يكون قدوة الشعراء في مهابة من الشعر ضلّ فيها
من ضلّ وغوى فيها من غوى .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ.ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٤ -

الدكتور حسني سبع

- ٩٤٧١ Ophthamologie , méthode تنظير العين، طريقة مباشرة
directe à image droite بصورة قائمة
- ٩٤٧٢ ophtalmoscopie , méthode تنظير العين، طريقة غير مباشرة
indirecte , à l' image renversée بالصورة المقلوبة
- وأفضل في اللفظة الأولى المباشر (بالصورة المنعكسة بالمرآة
بالوضع القائم بدون وساطة العدسة) ، وفي الثانية : تنظير العين
غير المباشر (بالصورة المنعكسة بوساطة عدسة محدبة بالوضع
المعكوس) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)
- ٩٤٩٦ Opiniâtre , intraitable مُستعص ، لا يُعالج ، غير
قابل المداواة
وأرجع عصي أو عقاقير^(٢)

(١) في الأولى : direct ophtalmoscopy (observation of
an upright mirrored image) .

في الثانية : indirect ophtalmoscopy (observation of
an inverted image) .

(٢) في تاج العروس : وداء عقاقير بالضم وعقاقير بالفتح لا يبرأ ولا يرجى البرء منه .

- ٩٤٧٧ *Opinion classique* رأيٌ مدْرَسِيٌّ ، فِكْرَةٌ دِرَاسِيَّةٌ
وأفضل رأي إِتباعي أو مَتَّبِعِي
- ٩٤٨٠ *Opothérapie* إِسْتِعْضَاءٌ (مداواةٌ بِالمُضَوِّ)
وأفضل المَعالِجَةُ بِالمُثِيلِ أو المِثْلِ
- ٩٤٨١ *Opposant* نَقِيضٌ ، مُقَابِلٌ
- ٩٤٨٢ *Opposition* تَنَاقُضٌ ، مُقَابَلَةٌ
وَمُعَارِضٌ فِي الْأَوَّلَى وَمُعَارَضَةٌ فِي الثَّانِيَةِ أَيْضاً
- ٩٤٨٦ *Opticien* مِثْظَارَاتِي ، نَظَّارَاتِي (صَانِعُ آلَاتِ الْبَصَرِ)
وَأَرْجَحُ نَظَّارَاتِي وَبَصَرِيَّاتِي
- ٩٤٨٧ *Optimal, le* مُلَائِمٌ ، مُوَافِقٌ
وأفضل أَمَثَلٌ ، مُلَائِمٌ
- ٩٤٩٣ *Orbiculaire* عَضَلَةُ الْمَلَاغِيمِ
وأفضل العَضَلَةُ الدَّائِرِيَّةُ الحَقْنِيَّةُ أو المُحِيطِيَّةُ بِالْجَفَتَيْنِ .
وسبقت الملاحظة على لفظة المَلَاغِيمِ (١)
- ٩٤٩٤ *Orbital, le* حِجَاجِيٌّ ، وَقْئِيٌّ
- ٩٤٩٥ *Orbite* حِجَاجٌ ، وَقْبُ الْعَيْنِ
وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة حِجَاجِيٌّ لِلأَوَّلَى وَحِجَاجٌ
لِلثَّانِيَةِ (بِالْفَتْحِ) لَا بِالْكَسْرِ
- ٩٤٩٦ *Orchialgie, névralgie testi-* أَلَمُ الْخِصْيَةِ ، وَجَعُ الْخِصْيَةِ -
وَأَرْجَحُ أَلَمَ الْخِصْيَةِ ، أَلَمَ الْخِصْيَةِ الْمَصْبِيَّ أَوْ
عُصَابُ الْخِصْيَةِ
- culaire
- ٩٤٩٧ *Orchite* ذَاتُ الْخِصْيَةِ ، إِلْتِبَابُ الْخِصْيَةِ
وأفضل التَّهَابُ الْخِصْيِيَّ

- ٩٤٩٨ وصف ، كتب وصفة دوائية 9468 Ordonner , prescrire
كتب وصفة طبية أو دوائية
- ٩٥٠١ الأذن (صلابة) ، وقر وأفضل الأذن (ثقل السمع أو الأذن) ، مصاب بالوقر 9501 Oreille (dur d')
- ٩٥٠٢ إذن خارجية وكذلك الأذن الظاهرة وقوف الأذن^(١) ، وأقر جمع اللفه المريية في القاهرة صماخ الأذن 9502 Oreille externe
- ٩٥٠٣ أذن داخلية ، تيه وكذلك الأذن الباطنة والتيه 9503 Oreille interne , labyrinthe
- (٦) خلايا كلودْيوس (6) celules de Claudius
والصحيح كلاوديوس كما يلفظ بالألمانية
- (٨) خلايا ديترس الدعامية (8) cellules de soutien
وأفضل خلايا ديترس الداعمة de Deiters
- (١٩) عضو كورتى (19) organe de Corti
وأرجح رسم اللفظة بالقاف (قورتى)
- (٢٠) حصىات الأذن ، غبارات أذنية (20) otolithes , otoconies
وأرجح حصىات الأذن ، غبار الأذن
- (٢١) عمود كورتى (21) piliers de Corti
عمود قورتى أيضاً
- (٢٤) كيس صغير (24) saccule
وأرجح كَيْشيس أو جُرَيْب
- (٢٥) أخذود وعائي (25) strie vasculaire

(١) - في لسان العرب : وقوف الأذن أعلاها وقيل مستدار سمها . والصماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضي إلى الرأس والسمخ لغة فيه ، ويقال إن الصماخ هو الأذن نفسها .

- ٩٥٠٥ نكاف، التهاب الغُدَّة النَكَفِيَّة 9509 Oreillons , parotidite
 الساري حمة مُكَافِيَّة ، نَكَف - épidémique , fièvre our
 lienne , ourles
 وأرجح نكاف، التهاب الغُدَّة النَكَفِيَّة الجائع (كما أقرها
 بجمع اللغة العربية في القاهرة (١)) أو الوافِد ، الحمى
 النُكَافِيَّة ، أما لفظة (ourles) فهي عاميَّة لم يرد ذكرها في
 أي معجم من المعاجم الفرنسيَّة ، كما أن الترجمة الانكليزية
 للمعجم الأصلي قد أهملتها . وسبق للجنة أن استعملت لفظة
 السَّارِي ترجمة لـ (contagieux) (اللفظة ٣١٤٦) .
- ٩٥٠٦ عُضْوُ 9506 Organe
 وأداة وجهاز في بعض الأحيان
- ٩٥٠٧ عُضْوُ إضافيٌّ ، تالٍ 9507 organe accessoire
 وأفضل عُضْوُ إضافيٌّ ، ثانوي
- ٧٥٠٩ عُضْوُ المُهْجُوم ، عُضْوُ الصَّوْلَةِ 9059 organe d'attaque
 وأفضل : أداة الهجوم أو جهازه
- ٩٥١٠ عُضْوُ عامِلٌ ، عُضْوُ مُنَقِّذٌ 9510 organe effecteur
 وأرجح أداة فَعَّالَةٌ أو مُجَبِّية
- ٩٥١٨ عُضْوِيَّةٌ ، بَدَنٌ 9518 Organisme
 وأفضل كائِنٌ حَيٌّ ، بَدَنٌ أو جِسْمٌ أو جملة أعضاء ، تاركاً لفظة عضويَّة
 ترجمة لـ (organique)
- ٩٥١٩ إِسْتِمْعَاءٌ (مُعَالَجَةٌ بالمضو) 9519 Organothérapie
 وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة المداواة المضوية شارحاً

(١) الصفحة ٥٦٢ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

اللفظة : وهي معالجة الأمراض بالأعضاء الحيوانية أو خلاصاتها . وأرجح المعالجة بمثل المصو لالتباس المداواة المصوية

بـ (traitement organique)^(١)

٩٥٢٠ 9520 Organotrope مُنَحَازٌ للأعضاء ، مُنَجِّدٌ للأعضاء

٩٥٢١ 9521 Organotropisme انحياز الأعضاء ، إنجاذ للأعضاء

وأفضل مُنَحَازٌ للمُصو في الأولى وإنحياز للمصو في الثانية ،
وسبق للجنة أن رجعت لفظة (centripète) بِجَبَذَان
(اللفظة ٣٧٧)

٩٥٢٢ 9525 Orgasme إشتِصاب ، نَعُوْظ ، شَبَق

والصحيح هِزَّةُ المجامعة ، وهي غاية اللذة التي يُشعر بها في
الجماع يصحبها الدفق . وسبق للجنة أن رجعت (érection) بنعوظ
(٥١٤٠) و (libido) يشَبَق (اللفظة ٨٧٦٠)

٩٥٢٧ 9527 Orgelet , orgeolet شُعيرة ، شُعيرة

وأرجح التَّطْبِطَاب والجُدْجُد^(٢) وَرَدَتْ شُعيرة في بعض
المعاجم الحديثة وأظنها دَخيلة

٩٥٢٩ 9529 orifice aortique فَتْحَة ، أو ثُقْبَة وتَبِينَة

٩٥٣٠ 9530 orifice aortique du diaphragme ثُقْبَة الحجاب الوَرْتِينِيَة

وفي المعجم الأصلي الفتحة الشريانية
اليسرى ، وقد أهملتها اللجنة . وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة

(١) سبق للجنة أن استعملت اللفظة ذاتها في ترجمة (opothérapie)

(اللفظة ٩٤٨٠) .

(٢) في لسان العرب ؛ والتططاب البثرة في جفن العين ، تدعى الجُدْجُد .

(٣) الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في دورة الجمع في بغداد سنة ١٩٦٧ .

- الأورطي والوتين ترجمة لـ (aorte)^(١) كما وأقر الأهرين
مصطلحات علم الأنسجة أيضاً^(١)
- ٩٥٣١ orifice de l'artère pulmonaire فتحة الشريان الرئوي
والفتحة الشريانية اليمنى (orifice artériel droit) كما جاء في
المعجم الأصلي .
- ٩٥٣٤ orifice externe ou mène de l'urèthre فتحة الإحليل
الخارجية أو صمخ الإحليل
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة تخصيص الإحليل^(٢) لمخرج
البول ، والمبال لما هو معروف بالإحليل (urèthre) .
- ٩٥٣٦ orifice interne du col de la matrice الفتحة الداخلية
وأرجع فتحة عنق الرحم الباطنة أو الداخلية أو الفتحة
الباطنة للرحم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي^(٣) وسبق الملاحظة على لفظة القُرنة^(٤)
- ٩٥٤٠ orifice uréthrales de la vessie فتحة المثانة الإحليلية
فتحة المثانة المبالية كما أقرها جمع اللغة العربية في القاهرة
- ٩٥٤٢ orifices postérieurs des fosses nasales , choanes فوهة المنخرين الخلفيتان
فمنا الفم
وأرجع ثقباً الأنف اختلافيان أو ثقباً المنخر^(٥) الخلفيان

(١) في دورة مؤتمر الجمع في بغداد سنة ١٩٦٧

(٢) في لسان العرب: الإحليل والتحليل مخرج البول من الانسان ومخرج اللبن من
الثدي والضرع. وإحليل الذكّر ثقبه الذي يخرج منه البول، وجمعه الأحاليل.

(٣) (internal os of the womb)

(٤) الصفحة ٤١٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في لسان العرب : والمتنخر والمنخر والمنخر والمنخر والمنخر :
الأنف ، والمنخر ثقب الأنف والمنخران أيضاً ثقباً الأنف .

وشرحت لفظة (choanes) في معجم لاوروس بفوهقي
الأنف الخلفيتين .

٩٥٤٣ دَرْدَار Orme 9546

بوقينصا ، شجرة البق ، دَرْدَار ، في معجم الألفاظ الزراعية
للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي

٩٥٤٦ قَمُّ بُلْعُومِي ، بُلْعُوم قَوْمي Oro-pharynx, pharynx 9546
وأرجح الحلقوم (١)
buccal

٩٥٤٨ أُصْبَعُ قَدَمٍ مِطْرَقِيَّة الشَّكْل orteil en marteau, en cou 9548
كعُنُق الأورزة ، أصابعٍ مَحْنَجِيَّة de cygne, gampsodactylic
وأقر بجميع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى
بالأبجيس (٢) المِطْرَقِي ، وجاء في الشرح : وفيه تنبسط
الأسلامى الأولى وتنشئ السلامة الثانية . وأرجح اللفظة الثانية
الأصبع الجيداء (٣) وهي ما تسمى اللفظة ، والأصبع المقوفة لثلاثة .

٩٥٥٠ صورة تعيين حجم العضو Orthodiagramme 9550
وأرجح المخطط المستقيم ، لأن ما يقصد من هذه اللفظة الخطوط
التي ترسم على الورق بنحو عمودي لأجل بيان حدود أحد
الأعضاء (ولا سيما القلب) أو الأورام والأجسام العنائية بما

- (١) في لسان العرب : الحلقوم : الحلق ، الحلقوم مجرى التنفس وانشعاع من
الجوف وهو أطباق غراضيف ، ليس دونه من ظاهر باطن العُنُق إلا جيلند ،
وطرفه الأسفل في الرئة ، وطرفه الأعلى في أصل عُنْكة اللسان ، ومنه
مخرج التنفس والرياح والبصاق والصوت وجمه حلاقيم وحلاقم .
- (٢) في لسان العرب : الأبجيس الأصابع ، وقيل ما بين الأصابع وأصولها .
- (٣) في لسان العرب : الجيد بالتحرير كطول العنق وحسنه وقيل دقتها مع طول .

لا يتيسر تحديده بالتصوير الشعاعي تحديداً صحيحاً . وعلى ذلك
يقال مخطط القلب المستقيم (orthocardiogramme) تميزاً
له من صورة القلب الشعاعية (radiographie du cœur)

٩٥٥١ تعيين أحجام الأعضاء بالرسم الشعاعي Orthodiagraphie 9551
وأرجح التخطيط المستقيم أو التخطيط المستقيم للمضو ، لما
تقدم شرحه آنفاً .

٩٥٥٢ تقويم الأعضاء ، تجبير Orthopédie 9552

٩٥٥٣ ما يتعلق بتقويم الأعضاء ، تجبيري Orthopédique 9553

٩٥٥٤ مقوم الأعضاء ، مُجَبِّر Orthopédiste 9554

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة بجراحة المظام ،
وتصبح الثانية خِراحي عظمي والثالثة جِراح المظام . وأفضل
تقويم الأعضاء دون التجبير في اللفظة الأولى ، وتقويبي في
الثانية ومقوم في الثالثة . لأن لفظة (orthopédie) في
الأصل مشتقة من اليونانية ، وكان يقصد منها تقويم تشوهات أعضاء
الأطفال ، ثم أصبحت تطلق على إحدى شعب الجراحة التي
تعنى بالمعالجة التصحيحية للتشوهات والأمراض والملل البادية
في الجهاز الحركي من البدن ، ولا سيما ما يتعلق منه بالأطراف
والمظام والمفاصل والمخصلات ، سواء تمت المعالجة بالطرق
اليدوية أو بالتوسط الجراحي^(١) وعليه تدخل جراحة المظام
في نطاق الأعمال التي تشمها ، ولا أرى حصرها فيها

(١) لفظة (Orthopedics) في معجم (Blakiston's new Gould)
(Medical Dictionary)

(جراحة العظام) كما أن لفظة التَجْبِير^(١) هي خاصة في
كسور العظام دون سواها .

٩٥٥٦ ارتِصَابُ التَّنَفُّسِ Orthopnée 9556

وأرجح التنفس الإلتصابي أو الجلومي ، وهو في الحقيقة
ضيق النفس الرقودي لأن الميل يضيق نفسه وهو في
الإستلقاء ويضيق النفس عند الجلوس .

٩٥٥٧ أنْجُرِيَّة ، مُتَمَلِّقٌ بِالْأَنْحِرَةِ Ortié, cé, urticarien, enne 9557
(قُرْبَيْتَس)

وأفضل أنْجُرِيَّة وشرّوي (نسبة الى الشترى urticaire)

٩٥٥٨ عَظْمٌ Os 9558

(٣) جُذْعَةٌ عَظْمِيَّة Osteoblaste (3)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بانية العظم ، وجاء في
الشرح : الخلية المكوّنة لأرضية العظم الصلبة

(٤) كاسِيرة العظم Ostéoclaste (4)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ناقضة العظم ، وجاء
في الشرح : خلية متعددة النوى يظن أنها آكلة
لأرضية العظم .

٩٥٥٩ عَظْمٌ مُكَاسَسٌ os calciné 9559

والصحيح عَظْمٌ مَحْرُوقٌ ، أو رَمَادُ العَظْمِ ، ثَرَابُ العَظْمِ

(١) - في لسان العرب : والجَبْر خلاف الكسر ، جَبَرَ العظمَ والفقر واليتم
بجبره جَبْرًا وجُبُورًا وجِيارَةً وجَبْرَهُ ، الى أن قال جَبَرَ العظمَ جَبْرًا
وانحجر العظم ، والمُجَبَّر الذي يُجَبَّرُ العظامُ المكسورة .

وفُسفات العظم الترابية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الأصلي (١)

٩٥٦٠ عَظْم حَرَقَقِي 9560 os coxal

والوَرِكِ والعَظْمُ الفُئُل (الالامسى) والعَظْمُ الحَوْضِي ،

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

٩٥٦١ عَظْمٌ شِصِّي ، مُحَجَّتِي ، كَلَّابِي 9561 os crochu

وأرجع العظم الشِصِّي وحده

٩٥٦٢ عَظْمٌ نَرْدِي أَوْ مُكَعَّب 9562 os cuboïde

وأرجع العظم المُكَعَّبَانِي

٩٥٦٣ عَظْمٌ إِسْفِينِي 9563 os cunéiforme

وعَظْمُ المِعَصَمِ الإسفِينِي كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الأصلي (٣) .

٩٥٦٦ عَظْمُ الفَقَمِ (بَيْنَ الفَكِّ) أَوْ قَاطِعُ 9556 os intermaxill-

aire, ou incisif

وأفضل العَظْمِ بَيْنَ اللَحْيِي أَوْ الفَكِّ المَلَوِي ، عَظْمُ الثَنَائِيَا (٤)

(١) (bone ash, bone earth , earthy phosphates of bone)

(٢) (hip, innominate , pelvic bone)

(٣) (cuneiforme bone of the wrist)

(٤) لأن المقصود من هذا العظم ، العظام المزدوج الذي يشغل طرف قبة

الحنك بين العظامين الفكبين العلويين ، عند معظم الحيوانات اللبونة

(ويصادف في جنين الانسان إلا أنه يرى في الأطفال ملتصقاً بالفكين) وبلاحظ

في بعض التشوهات الخلقية بقاء فرجة إما بين الثنيتين العلويتين

وإما بين عظم إثنائيا والفك العلوي ومنه تكون الملمم المتوسط

(bec de lièvre médian) والملمم الجاني (bec de lièvre latéral)

(Grand Larousse Encyclopédique)

- 9568 os long عظم طويل ، أنبوبي
وأرجح النِقْو (١)
- 9570 os membraneux, os عظم غشائي ، عظم الإلباس
de revêtement وأفضل العظم الغشائي ، العظم الجلدي ، والعظم الساتر ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)
- 9565 os pyramidal عظم هرمي
والعظم المثلث الأركان أو الزوايا ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٣)
- 9578 os trapèze عظم شبه منحرف
- 9579 os trapézoïde عظم مربع منحنف
والعظم المتعدد الزوايا الكبير في الأولى والمتعدد الزوايا الصغير
في الثانية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)
- 9580 os Wormsiens عظام وُرمِيَّة
والعظام الدَرَّزِيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥)
- 9581 Oscillation, vibration نَوْسانٌ ، إرتجاج ، تذبذب

(١) في لسان العرب : النِقْو بالكسر كل عظم ذي مخ واجمع أنقاء .

(٢) (membrane , dermal covering bone)

(٣) (three corned bone)

(٤) (large multiangular bone , small multiangular bone)

(٥) لعله خطأ مطبعي ورد في المعجم الأصلي ونقلته اللجنة دون انتباه والصحيح (wormien) كما جاء في الترجمة الانكليزية .

(٦) (sutural bone)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بالذبذبة والثانية بالاهتزاز، وجاء في تعريف الأولى : هي المسافة التي يقطعها جسم يتحرك حركة تذبذبية من أقصى نقطة على أحد جانبي محور التماثل حتى يعود الى هذه النقطة الثانية .

وفي تعريف الثانية : حالة الجسم المتحرك حركة تذبذبية . هذا وسبق للجنة أن استعملت لفظة إرتجاج ترجمة لـ (commotion) (اللفظة ٢٩٣٠) وحركة تواسية لـ (mouvement pendulaire) (اللفظة ٨٧٠٥) .

٩٥٨٢ تذبذب ، تواسان مُحَقَّف Oscillation amortie 9582

وأرجع ذبذبة ضئيلة

٩٥٨٣ قراوُح ، تغير الجريان السلي Oscillation, variation 9583

تموج الجريان السلي - négative du courant, fluc -
tuation négative du courant

وأفضل ذبذبة التيار السلية والاهتزاز السلي للتيار ،
والتموج السلي للتيار وسبق للجنة أن ترجمت (courant)
بتيار ومجري (اللفظة ٣٤١٥) .

٩٥٨٤ مقياس التذبذب Oscillomètre 9584

ومقياس الذبذبة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٥٨٦ ناظم الشم Osmorégulateur, osmomètre 9586

٩٥٨٧ ناظم الشم لفييار Osmrégulateur de Villard 9587

والصحيح ناظم التناضح (osmose) ، إذ ليس ثمة ما ينظم
حاسة الشم في اللفظة الأولى ، ومقياس التناضح ومقياس
الشم لللفظة (Osmomètre) ، كما جاء في معجم ستيديان

الطبي^(١) . هذا وقد أقر جمع اللغة في القاهرة ترجمة ل-osmore-
gulation-) بمنظم أسموزي وجاء في الشرح : عملية لتنظيم
الضغط الأسموزي داخل الخلايا .

٩٥٨٨ تَحَالٍ 9588 Osmose

٩٥٨٩ تَحَالِي 9589 Osmotique

وأقر جمع اللغة العربية التناضح في الأولى وتناضحي في الثانية

٩٥٩٤ التهاب نواتئ العظم النموي داء لا تُلُغ - 6594 ostéite apophy-

داء أُسْفَرْدُ ، داء شلار - saire de croissance , mala-
die de Lannelongue, de Osgood , de Schlatter .

العظام الغضروفي ، تنكس العظام والغضروف خدبة

الظنبوب كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي^(٢)

٩٥٩٦ التهاب العظم الليفي الكيسي 9596 ostéite fibro-kystique, maladie

داء ركلينهورزن العظمي osseuse de Recklinghausen

وأرجع التهاب العظم الليفي الكيسي ، داء ركلينهورزن

(كما يلفظ بالامانية) العظمي . هذا وأقر جمع اللغة

المرية في القاهرة : مرض العظام الليفي الكيسي . وجاء في

التعريف : مرض عظمي سببه تفرز الغدة جنية الدرقية ، وفيه

تحدث زيادة الكلسيوم في الدم ونقص التوتر العضلي والضعف

والهزال ونقص تكلس العظام الذي ينتج عنه تشوه العظام وعشاشتها.

٩٥٩٧ التهاب العظم المنتمي المكثف 9597 ostéite productive , con-

dansante, restitutive .

(١) (osmometer) في معجم (Stedman's Medical Dicdionary)

(٢) (osteochondrosis of the tuberosity of the tibia) .

وأرجح التهاب العظم المُمَعَّر النُشْمِي والمتيج ، المكثف والمُرمَّم
ثم المصكوتن والمُصلَّب ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الاصيلي (١) .

٩٥٩٩ التهاب العظم الإفرنجي في الولدان osteíte syphilitique des
nouveau- nés, pseudoparalysie شللٌ مُوم، أو داء بارو
ou maladie de Parrot .

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة التهاب العظم الزُهري في
الولدان ، الشلل الكاذب (٢) في الولدان وداء بارلو ،
ويضاف الى ما تقدم التهاب العظم والغضروف للكردوس (٣)
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصيلي (٤) .

٩٦٠٠ داءٌ عَظْمِي مَقْصَلِي osteo - arthropathic
وأرجح إعتلال عظمي مفصلي

٩٦٠١ كَسْر العظم ostéoclasie

٩٦٠٢ كاسيرة العظم ostéoclaste

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة نقض العظم في الأولى
وناقضة العظم في الثانية (٥)

٩٦٠٥ رَخَوْدَة خَوَائِيَّة أو عَوَزِيَّة osteomalacie de famine ou

(١) (formative , sclerosing osteitis) .

(٢) الصفحة ٤٧١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) (osteochondritis of the epiphysis) .

(٥) الصفحة ٤٩٢

داء العظم الجُوعي أو العَوَزِي de carence , ostéopathie

de famine ou de carence

وأرجح رَخَوْدَة المجاعة أو العَوَز ، إعتلال العظم المجاعي أو
المخمصي أو العَوَزِي

٩٦٠٦ وَرَمٌ عَظْمِي (صَاخَةٌ) 9606 Ostéome

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة وَرَمٌ عَظْمِي فقط .
والصاخة (٢) وإن جاء في معجم اللغة أنها تدل على وَرَمُ
العظم ، فإن الأطباء الأقدمين كانوا يطلقون الـ وَرَمَ على التهاب ،
لذا أرى أن يقتصر على ورم العظم في ترجمتها دفعا للالتباس البادي
في اللفظتين التاليتين .

٩٦٠٧ صَاخَةُ العضلة ذات الرأسين ، التهاب 9607 ostéome musculaire de

عَضَلَةُ الرَّأْسَيْنِ المتعظم biceps, myosite ossifiante du biceps
وأفضل التهاب العَضَلَةُ الْمُعْظِمِ (أو التمعظمي) المنحصر
في ذات الرأسين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (٣) ولأن ما تدل عليه اللفظة ، هو ترسب عظمي
موضعي في العضلة إثر رض مديد (٤)

٩٦٠٨ صَاخَةُ عضلات القرمسان 9608 ostéome musculaire des cavaliers

(١) في لسان العرب: والصاخة خفيفٌ وَرَمٌ يكون في العظام من صَدْمَةٍ أو
كَدْمَةٍ يبقى أثرها كالشش ، والجمع صاخات وصاخ .

(٢) (myositis ossificans circumscripta in the biceps)

(٣) لفظة (myositis) في معجم ستديمان (Stedman's Medical Dictionary)

وأفضل ورَمَ الفُرسان العَضَلِي أو التهاب العضلة التَعْظمي
في الفرسان أو عَظَم الفُرسان ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)

٩٦٠٩ التهاب النقي Osteomyélite 9609

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة : التهاب عظمي نقي ،
وأرجح التهاب العظم والنقي ، كما جاء في شرح لفظة
(osteomyelitis) في معجم ستديمان : (التهاب نقي العظم
وما يجاوره من العظم وغضروف الكردوس)

٩٦١٠ تحجّر العظم ، عَظَمٌ رُخامي ، تحلب Osteopétrose, os de marbre 9610

العظم الشامل ، داء البرز - شبرغ - ostéo - sclérose générale -
ralisée, maladie d' Albers - Schönberg
ويضاف الى ما تقدم اعتلال العظم المُكثِف المنتشر ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

٩٦١١ زائدة عظمية Osteophyte 6611

وأرجح نابتة عظمية وجمعها نَوَابِت ، تاركاً لفظة زائدة
ترجمة ل (appendice) شأن ما فعلته اللجنة في الألفاظ
(٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ وغيرها)

٩٦١٢ ترقق العظام Osteoporose 9612

وأقر اللفظة بجمع اللغة العربية في القاهرة ، وسبق له ان أقر
متسامية العظام (٣) وأرجح تخلخل العظام (٣) « للبحث صلة ،

(١) (rider's bone و rider's cavalry bone) في معجم ستديمان

(٢) (disseminated condensing osteopathy)

(٣) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

في الدراسات المغربية
من خلال رواياته الأولين ، ورواياته ، وأصوله

الأستاذ محمد المنوني

مقدمة:

روىَ الجامعُ الصحيح - مباشرة - عن مؤلفه محمد بن إسماعيل البخاري
جُمُ غفير من الرواة ، وكان الذي وصل الى الغرب الإسلامي طريقان اثنان
آ - طريق النَّسَفي : إبراهيم بن معقل بن الحجاج ، المتوفى عام
٢٩٥ هـ = ٩٠٨ م .

ب - طريق الفِرَبري : محمد بن يوسف بن مطر بن صالح ، المتوفى
عام ٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م ، وأكثر الروايات من طريقه .

قال عياض^(١) : ولم يصل إلينا - من غير هذين الطريقين - عنه ،
ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنها ، على كثرة رواة البخاري عنه لكتابته .
وكانت طريق الفربري هي التي اشتهرت - أكثر - في العالم الإسلامي ،
وفي هذا يقول ابن حجر المصقلاني^(٢) : « والرواية التي اتصلت - بالسمع - في
في هذه الأعصار وما قبلها ، هي رواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح
ابن بشر الفربري » .

وقد دخلت هذه الطريق الأخيرة - الى الغرب الإسلامي - في وقت
مبكر ، وانتقلت إليه بواسطة روايات اشتهر منها ستة يتصل أصحابها
بالفربري مباشرة :

- ١ - رواية أبي علي بن السكن : سعيد بن عثمان بن سعيد المصري المتوفى عام ٣٥٣هـ (٣) = ٩٥٤ م .
 - ٢ - رواية أبي زيد المرؤزي : محمد بن أحمد بن عبد الله ، المتوفى عام ٣٧١هـ (٤) = ٩٨٢ م .
 - ٣ - رواية أبي أحمد الجرجاني : محمد بن محمد بن يوسف ، المتوفى عام ٣٧٣هـ (٥) = ٩٨٣ - ٨٤ م .
 - ٤ - رواية أبي إسحاق السَّمَلِي : إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البلخي المتوفى عام ٣٧٦هـ (٦) = ٩٨٦ - ٨٧ م .
 - ٥ - رواية الشرخسي : عبد الله بن أحمد بن حنوية الحموي ، المتوفى عام ٣٨١هـ (٧) = ٩٩٢ م .
 - ٦ - رواية أبي الهيثم الكشميهني : محمد بن مكّي بن زُرّاع ، المتوفى عام ٣٨٩هـ (٨) = ٩٩٩ م وليان قرعات هذه الروايات بالآندلس وشمال افريقية نذكر :
- أولاً : رواية ابن السكن ، وقد روى عنه من الاندلسيين : عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسد الجبني الطَّلَيْطَلِي ساكن قرطبة ، المتوفى عام ٣٩٥هـ - ١٠٠٥ م ، جاء في ترجمته (٩) : « ورحل الى الشرق سنة اثنين وأربعين وثلاثائة ، فسمع من أبي علي بن السكن بمصر ... وكانت رحلته وسماعه مع أبي جعفر بن عون الله ، وأبي عبد الله بن مفرج ، » .
- ومن طريق هذا الأخير يسند ابن حزم رواية ابن السكن في كتابه « المحلّي » (١٠) ، كما أن القاضي عياض يتصل بنفس الرواية بواسطة كل من ابن عون وابن مفرج (١١) .
- ثانياً : رواية المروزي .
- ثالثاً : رواية الجرجاني .

وروى عنها - معاً - عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ، المتوفى عام ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م ، وهما عمدته في مسنده الى الجامع الصحيح ، ويقول عنه عياض (١٢) : ... وحج سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، ، فلقني بمكة أبا زيد المروزي : سمع منه البخاري ... وسمع بغداد عرضته الثانية من أبي زيد وسمعه - أيضاً - من أبي أحمد الجرجاني ، وهما شيخاه في البخاري ، وعليها يعتمد .

وقد رافق الأصيلي في رحلته هذه أبو الحسن ابن القابي : علي بن محمد بن خلف المماصري القيرواني الضرير ، المتوفى عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ - ١٣ م غير أن هذا إنما روى عن خصوص المروزي ، وكان الأصيلي هو الذي ضبط له سماعه على هذا الأخير للجامع الصحيح (١٣) .

وقد كان القابي أول من أدخل صحيح البخاري الى القيروان (١٤) ، كما يعتبر الأصيلي أول من روى عنه نفس الكتاب من طرف بعض المغاربة ، حيث رواه عنه وعن القابي أبو عمران الفاسي : موسى بن عيسى بن أبي حاج الففجومي زيل القيروان ، والمتوفى بها عام ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ - ٣٩ م ، ومن جهة أبي عمران الفاسي يتصل عياض بالقابي (١٥) ، ومن جهته أيضاً يتصل ابن عطية بالأصيلي (١٦) .

وبالاندلس روى صحيح البخاري عن الاصيلي جمع من المحدثين ، وهكذا يقول عنه ابن الفرضي (١٧) : ... ثم وصل الى الاندلس في آخر أيام المستنصر فتشور ، وقرأ عليه الناس كتاب البخاري رواية أبي زيد المروزي ، وغير ذلك .

وكان من كبار أصحاب الأصيلي بالاندلس المهلب بن أبي صفرة : أبو القاسم بن أحمد بن أسيد التميمي المرّي ، المتوفى عام ٤٣٥ هـ / ١٠٤٤ م ، قال عنه عياض (١٨) :

« وبأبي القاسم (يعني الملب) حيا كتاب البخاري بالأندلس ، لأنه قرى عليه تفقها أيام حياته ، وشرحه واختصره .

وبعد الأصيلي والقاسي ، نخص بالذكر رواية أندلسياً عن المروزي ، وهو عبدوس بن محمد الطليطلي ، المتوفى عام ٥٣٩٠^(١٩) = ٩٩٩ - ١٠٠٠ م .
رابعاً : رواية المستملي .

خامساً : رواية السرخسي .

سادساً : رواية الكشميني .

ومن الرواة عن الأخير : كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي ، المتوفاة عام ٥٤٦٣ = ١٠٧٠ - ٧١ م ، وقد روى الصحيح عنها في المغرب الاسلامي : أحمد ابن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارفي الأندلسي ، تزيل قاس ، المتوفى قريباً من عام ٥٥٠٠ = ١١٠٦ - ٠٧ م ، ويقول عنه عياض^(٢٠) : « وله رحلة حج فيها ، وسمع من كريمة كتاب البخاري ، كما رواه عنها - مكانة - أبو علي الجبائي : حسين بن محمد بن أحمد النسائي القرطبي ، المتوفى عام ٥٤٩٨^(٢١) = ١١٠٥ م .

وبعد كريمة تنتقل الى أبي نر : عبد بن أحمد الأنصاري الخزرجي ، الهروي ثم المكي : المتوفى عام ٥٤٣٤ = ١٠٤٢ - ٤٣ م ، وإنما قدم عليه ذكر كريمة لارتباط سنده بما بعد .

ويروي أبو نر عن الشيوخ الثلاثة : المستملي ، والسرخسي ، والكشميني ، وقد صارت روايته - مع مر الزمن - هي المعتمدة ، قال ابن حجر المسقلاني^(٢٢) : « اتقن الروايات عندنا هي رواية أبي نر عن مشايخه الثلاثة ، لضبطه لها ، وتمييزه لاختلاف سياقها » ، وعن انتشار روايته يقول عياض^(٢٣) : « وسمع منه عالم لا يحصى من أهل الاقطار من شيوخ شيوخنا . . » وآخر من حدث عنه بالإجازة : أحمد بن محمد الإشبيلي بعد الجماعة .

ومن بين جماعات الرواة عنه بالأتدلس نخص بالذكر خمسة : أبا القاسم
أصبح بن راشد بن أصبح اللخمي الإشبيلي المتوفى قريباً من عام ٤٤٠هـ^(٢٤)
= ١٠٠٩ - ١٠ م ثم محمد بن أحمد بن منظور القيسي الإشبيلي ، المتوفى
عام ٤٦٩هـ^(٢٥) = ١٠٧٧ م ، وثالثاً : أبا الوليد سليمان بن خلف الباجي
المتوفى عام ٤٧٤هـ^(٢٦) = ١٠٨٢ م ، ورابعاً : ابن شريح محمد بن شريح بن
أحمد الرعيني الإشبيلي ، المتوفى عام ٤٧٦هـ^(٢٧) = ١٠٨٤ م ، وخامساً :
ابن الدلاي أحمد بن عمر بن أنس المذري المري ، المتوفى عام ٤٧٨هـ^(٢٨)
= ١٠٨٥ م .

ومن الرواة عن أبي ذر بالقيروان : أبو القاسم : مضر بن الحباب
النفزاوي ، وسمع عنه عام ٤١٣هـ = ١٠٢٢ - ٢٣ م .
ومن صقلية : أبو الحسن علي بن المفرج الصقلي ، وكان بقيد الحياة
عام ٤٦٥هـ = ١٠٧٢ - ٧٣ م .

الرواة المغاربة الأولون للجامع الصحيح

والآن نصل الى المغرب الأقصى ، وتقدم أربعة من الرواة عن أبي ذر :
١ - أبو بكر بن محرز السجلماسي ، سمع منه عام ٤١٣هـ^(٢٩) =
١٠٢٢ - ٢٣ م .

٢ - يوسف بن حمود خلف الصدي السبتي المتوفى عام ٤٢٨هـ^(٣٠) =
١٠٣٦ - ٣٧ م .

٣ - أبو عمران الفاسي^(٣١) سابق الذكر .

٤ - ابن الفرديس : بكار بن برهوت بن عيسى التخلي الفاسي ثم
السجلماسي ، كان بقيد الحياة عام ٤٩٣هـ^(٣٢) = ١٠٩٩ - ١١٠٠ م .
وسيكون ابن الفرديس رابع المروفين من الرواة المناربة عن أبي ذر ،
ويقول عنه ابن الأبار^(٣٣) :

« وكان قد حج قديماً ، وسمع الكتاب : « صحيح البخاري » من أبي ذر

الهروي ، وعمر طويلاً حتى انفرد بروايته ، يقال : إنه بلغ المائة أو أربى عليها ، وبيته شهير بمدينة فاس ، ونزل هو سجداسة .

وعبارة المنجور^(٣٤) في هذا الصدد : « عمر طويل نحو مائة سنة ، وسمع في رحلته من أبي ذر الهروي ، فقصده للرواية كثير ، كأبي القاسم ابن ورد وغيره . »

وحسب النصوص الباقية يعتبر ابن الفريديس أول من اشتهر عنه صحيح البخاري بالغرب ، والمعروف - لحد الآن - سبعة من الرواة عنه بين مغاربة واندلسيين :

الأول : ابن الملجوم : يوسف بن عيسى بن علي الازدي القاسي ، المتوفى عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م ، رحل إليه إلى سجداسة وأخذ عنه بها ، وأجاز له عام ٤٨٦ هـ^(٣٥) = ١٠٩٣ - ٩٤ م .

الثاني : ابن الصيقل : محمد بن علي بن أحمد الانصاري الشاطبي مستوطن فاس ، والمتوفى بها عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ - ٠٧ م يسير ، سمع منه بسجداسة^(٣٦) .

الثالث : محمد بن إدريس الجذامي القرطابي ، المتوفى عام ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ - ٣٣ م ، قال ابن الأبار في ترجمته^(٣٧) « روى عن بكار بن الفريديس ، وحدث بصحيح البخاري عنه عن أبي ذر الهروي . . روى عنه أبو خالد ابن رفاعه وغيره . »

الرابع : ابن فرتون : إبراهيم بن أحمد بن خلف السلمي القاسي ، المتوفى بها عام ٤٣٨ هـ = ١١٤٣ م ، ويقول عنه ابن الأبار^(٣٨) : « ولقي بسجداسة بكار بن برهون بن الفريديس سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، فسمع عليه صحيح البخاري ، حدث عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منصور بن حمد وغيره . »

الخامس : أبو القاسم بن ورد : أحمد بن محمد بن عمر التميمي المري ، المتوفى عام ٥٤٠ هـ = ١١٤٦ م ، وكانت رحلته اليه لسجلاسة عام ٤٩٣ هـ أو نحوها ، حيث سمع عليه الجامع الصحيح (٣٩) .

السادس ابن المجوم : عيسى بن يوسف المذكور صدر هذه اللائحة ، توفي عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م ، وهو يروي عنه بطريق الإجازة له من سجلاسة (٤٠) .

السابع : ابن الطشتلير : علي بن محمد بن سعيد بن أبي الفتح القيسي الشاطبي ، من الرواة عنه بسجلاسة ، ولم يذكر تاريخ وفاته ولا روايته (٤١) ، وسيكون هذا آخر المروفين من الرواة عن ابن الفرديس .

ومن الجدير بالملاحظة أن رواية ابن الفرديس لبخاري عن أبي ذر لم تشتهر سوى من جهة أبي القاسم بن ورد ، وقد حافظ عليها مصدران : ابن رشيد السبتي (٤٢) ، وهو يسوقها عن أبي الربيع الكلاعي ، عن أبي القاسم بن حبش ، عن أبي القاسم بن ورد ، عن ابن الفرديس ، عن أبي ذر .

وفي (المنع البادية) (٤٣) في سياق أسانيد صحيح البخاري : ... ومن طريق ابن الأثير ، عن القاضي الحافظ أبي بكر محمد بن أحمد ابن عبد الملك . ابن أبي جرة المرسى ، عن أبي القاسم أحمد بن محمد ابن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي من أهل المرية ، وبها توفي سنة أربعين وخمسة ، ومن طريق ابن جماعة عن ابن التزير ، عن ابن السراج ، عن ابن خير ، عن ابن ورد ، عن الفقيه المحدث الحافظ ، بكار بن برهون بن الفرديس التليبي ، عن أبي ذر .

والغالب أن أصل أبي القاسم بن ورد من روايته هذه لبخاري ، قد استمر معروفاً بالغرب الى صدر المائة الهجرية السابعة ، ومستبين أنه كان

من بين الأصول التي يحضرها أبو الحسن الشاري ، الى مجلس أقرانه
لنفس الكتاب بالجامع الاعظم من سبعة .

غير أن هذا الأصل لم ينتشر بالمغرب ، واشتهرت روايات أخرى قبل
أن يجتمع المغاربة - من أيام السعديين - على نسخة أبي عمران موسى
ابن سعادة الأندلسي البلنسي ، وهو يروى بها صحيح البخاري عن أبي
علي الصدي ، عن الباجي ، عن أبي فر .

روايات الجامع الصحيح التي عرفها المغرب

وقد كانت الروايات التي عرفها المغرب قبل نسخة ابن سعادة متعددة
ومتنوعة ، فيها من جهة رواة آخرين عن أبي ذر أو الصدي ، وفيها
رواية الأصيلي أو القابسي ، وفيها روايات أخرى .

ونحاول هنا ان نعرض نماذج مما وصل الى المغرب من هذه
الروايات عبر خمسة قرون أو تزيد ، انطلاقاً من أواخر المائة الهجرية الخامسة،
حتى أوائل المائة الحادية عشرة .

ونذكر - أولاً - الأمير المرابطي : أبا عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي
المتوفى عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٦ م ، وستين - من بعد - أنه سمع
صحيح البخاري بمسكة المكرمة من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر عن
أبيه ، وابتاع منه أصل أبيه بخطه ، وسمع عليه فيه عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٤ م ،
ثم عاد بهذا الأصل الى المغرب .

وبعد هذا خلال أيام الموحدين والمرينيين ، عرف المغرب - في هذا الاتجاه -
مدرستين رئيسيتين تمثلها سبعة وفاس .

وفي سبعة نذكر إمامها القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، المتوفى
عام ٥٤٤ = ١١٤٩ م ، وقد كان صحح نسخته من صحيح البخاري على

أصل الأصيلي بخطه ، وعارضها به حرفاً حرفاً ، كما عارضها بأصل عبدوس الطليطي ، وقابل بها مواضع إشكال من نسخته (٤٤) ، وقد علمنا - سلفاً - أن هذا الأخير يروي - مباشرة - عن أبي زيد المروزي ، عن القبري ، عن البخاري ، أما نسخة عياض التي عارضها ، فالظاهر أنها كانت من روايته عن الصدي ، عن الباجي ، عن أبي ذر .

وبعد هذا سنتقي بأبي الحسن الشاري : علي بن محمد بن علي الناقبي السبي المتوفى عام ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م ، وكان يعقد مجلساً لأقراء صحيح البخاري بالجامع الأعظم من سبتة ، وبهذه المناسبة يتحدث أحد طلبته (٤٥) عن أصول هذا الكتاب التي شهدها درس أستاذه الشاري ، ويقول عنه : « قرأت عليه بالجامع الأعظم بسبتة كتاب الجامع الصحيح للبخاري ، في أصلي المتبق منه بخط أبي الوليد بن الدباغ (٤٦) ، وقراءته على الصدي وغيره ، وأمسك علي حين القراءة أصل أبي بكر بن خير ، رواية (ابن) أبي ذر الذي بخط أبيه رحمة الله ، وبمعاونة أبي بكر وتصحيحه ، وأحضر حين القراءة أصولاً عتيقة ، منها أصل الأصيلي ، وأصل أبي القاسم بن ورد ، والقاسبي ، وغيرها » .

ونذكر - ثالثاً - ابن أبي الربيع السبي : عبيد الله بن محمد بن عبيد الله القرشي ، المتوفى عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، وهو يسند نفس الكتاب إلى رواية كل من ابن منظور وابن شريح ، كلاهما عن أبي ذر (٤٧) .

الرابع : أبو علي بن أبي الشرف : الحسين بن طاهر بن رفيع الحسيني السبي ، المتوفى عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ - ٠٣ م ويتصل بالبخاري من طريق ابن منظور وابن شريح ، والعنودي : ثلاثهم عن أبي ذر ، كما يرويه من طريق أبي عبد الله الطبري : الحسين بن علي بن الحسين الشيباني المكي نزيلها ، عن عبد الغافر الفارسي بسنده (٤٨) .

الخامس : ابن رشيد السبتي : محمد بن عمر الفهري ، المتوفى عام ٥٧٢١ / ١٣٢١ م ، ومن طرقه إلى البخاري روايته له بتونس في أصل عتيق ، بخط اصبع بن راشد اللخمي ، كتبه بمكة المكرمة وسمع فيه على أبي ذر ، ثم صارت النسخة بعينها إلى ملكية ابن رشيد الذي يقول عنها : « وقد كان هذا الأصل صار للإمام المقرئ العالم ، أبي الحسن علي ابن عبد الله بن النعمة رحمه الله ، واعتنى به عناية جيدة ، وقد صار هذا الأصل إليّ في أصله والحمد لله »^(٤٩).

السادس : عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي نزيل فاس ، والمتوفى عام ٥٧٤٩ / ١٣٤٩ م بتونس ، وهو - بدوره - من رواة صحيح البخاري عن أبي علي بن أبي الشرف بأسانيد الآتقة الذكر^(٥٠) وإخافاً بسببته نجل ان أحمد البلوي يتحدث في فهرسته عن معارضة بأصل عتيق بخط الطنجي ، مقيداً برواية الأصيلي للبخاري^(٥١) .

* * *

والآن تنتقل الى روايات البخاري في مدينة فاس عبر نفس الفترة ، وستصل - أولاً - باليفرنّي الشير بالمكنامي : أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الفاسي ، وكان بقيد الحياة حوالي عام ٥٨٠٠ / ١٣٩٧ - ٩٨ م ، وهو مؤلف « شرح غريب البخاري »^(٥٢) ، حيث يذكر من مصادره تعاليق أبي علي الغساني على أصله من البخاري المكتوب بخطه^(٥٣) ، ومن المعروف أن هذا من الآخذين عن أبي علي الصدي المتكرر الذكر ، ولا يبعد أن أصل الغساني كان معتمداً في فاس قبل شيوع نسخة ابن سعادة .

وقد عرفت نفس المدينة رواية ابن منظور عن أبي ذر ، ومن طريقه ساق ابن غازي^(٥٤) ، روايته لصحيح البخاري من جهة أستاذه أبي عبد الله

السراج : محمد بن أبي القاسم محمد بن الرواية الشهير بحبي الخيري ، عن أبيه ، عن جده ..

ومن الجدير بالذكر أن سند ابن منظور للبخاري استمر معروفاً في فاس حتى صدر المائة الهجرية الحادية عشرة ، وبالضبط الى شهر ربيع الثاني من عام ١٠٢٩ هـ / ١٦٢٠ م ، وهو التاريخ الذي تمت فيه كتابة نسخة عشرينية من نفس الكتاب بمدينة فاس ، ومع تصديرها برواية ابن منظور عن أبي ذر (٥٥) .

وسيضاف الى روايات البخاري بنفس البلدة نسخة ابن سعادة ، من روايته عن الصدي بسنده ، ويرجع أول ذكر لها بعاصمة المغرب العلمية الى عام ٨٣٦ هـ ، وبعد هذا في صدر المائة الهجرية الثانية عشرة - دخل الى المغرب النسخة اليونانية من نفس الكتاب ، وسنخصص لكل من هذه وسابقتها دراسة على حدة .

غير أننا نختتم هذا العرض بذكر إشارتين الى تعدد روايات البخاري بالمغرب خلال أيام السعديين ، وهكذا يقول المقرئ (٥٦) : أكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب : إما من رواية الباجي عن أبي ذر ... وإما من رواية أبي علي الصدي .. بسنده .

وبعد المقرئ يتحدث أبو حامد الفاسي (٥٧) عن نسخة ابن سعادة ، ويسجل اشارته في نفس الاتجاه هكذا : « وهذا الأصل أجل الأصول الموجودة بالمغرب » .

الأصول الباقية بالمغرب من الجامع الصحيح

والآن يصل بنا المطاف الى استعراض المعروف من النسخ الباقية بالمغرب من روايات صحيح البخاري ، وتقديمها حسب التسلسل التاريخي للرواة المعنيين بالأمر .

١ - رواية ابن السكن :

ويوجد منها المجلد الأول بخط عبد الميمن بن علي بن علي بن حوز
الله التيمي عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ - ٩٩ م وهو منقول ومقابل بأصل أبي
الحسن بن مغيث ، المكتوب بخط أبي عمر الطلمنكي^(٥٨).

ويهمنا من هذا الوصف أن يكون المجلد المشار له يرجع الى أصل
أبي الحسن بن مغيث ، واسمه الكامل : يونس بن محمد بن مغيث ،
الأنصاري القرطبي المعروف بابن الصفار ، المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م
وقد جاء في ترجمته^(٥٩) انه يروي عن أبي عمر : أحمد بن محمد بن يحيى
ابن الحذاء ، سمع عليه الجامع الصحيح للبخاري رواية ابن السكن .

ومما يدل لاشتهار ابن مغيث بهذه الرواية ، ان ابن خير^(٦٠) انما
يسندها من جهته ، عن ابن الحذاء ، عن عبد الله بن محمد بن أسد الجيني ،
عن ابن السكن ، عن الفربري ، عن البخاري .

يوجد هذا المجلد الذي تناوله في الخزانة الوقفية بالجامع الأعظم من
مدينة تازا .

٢ - رواية الأصيلي :

وتحتفظ بها نسختان اثنتان :

أ - قطعة من صحيح البخاري تشتمل على أوراق من السـفرين :
الرابع والخامس ، بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم ٣٠١ ، بخط أندلسي ،
كتبه - لنفسه - علي بن غالب بن محمد بن حزمون الكلبي^(٦١) ، وفرغ منه
يوم الثلاثاء ١٢ شوال عام ٥٣٥ هـ / ١١٤١ م بمدينة باغة من الأندلس .

وانتسخه من أصل قبيل بأصل أبي عبد الله بن عتاب^(٦٢) ، الذي نقله
- بخطه - من نسخة الأصيلي من صحيح البخاري .

ب - السفر الأخير من صحيح البخاري ابتداء من أواخر كتاب الأدب ، بخزاة المهد الأصل بتارودانت ، وجاء في آخره :

تم الديوان بأمره ، بعون الله ويسره ... وذلك في غرة شهر رمضان المعظم من سنة تسعين وأربعمائة ، وانتسخه محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القاضي لنفسه ، نفعه الله به وأعانته على فهمه ودرسه ، من كتاب قوبل بكتاب الفقيه أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي رحمة الله عليه :

٣ - رواية ابن أبي محرز السجلماسي عن أبي ذر :

واسمه الكامل : أبو بكر بن أبي محرز السجلماسي ، وتحفظ بروايته المكتبة الملكية في نسخة من الجامع الصحيح تشتمل على الاسفار الثلاثة الأولى تحت رقم ٤٣٣٠ ، وقد كتب بهذه الاسفار - نقلا - عن الأصل المنتسخ منه - ما يلي :

ففي آخر السفر الأول : « كمل السفر الأول وهو آخر الحلة ... يتلوه ... في أول السفر الثاني أول كتاب الزكاة ، من مسند حديث رسول الله ﷺ ، عني بتصنيفه : أبو عبد الله : محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه ، سمعه أبو بكر بن أبي محرز السجلماسي من أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد الخافض الهروي المالكي رضي الله عنه ، بمكة في المسجد الحرام حرسه الله وعظم حرمة ، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة .

وكتب على أول السفر الثاني : « السفر الثاني من الجامع الصحيح ، من مسند حديث الرسول ﷺ تسليما ، بما عني بتصنيف أبوابه : أبو عبد الله : محمد بن اسماعيل البخاري رحمة الله عليه ومغفرته ، سمعته لأبي بكر بن أبي محرز السجلماسي ، عن (٦٣) أبي ذر عبد بن أحمد الهروي رضي الله عنه ، بمكة في المسجد حرسه الله آمين . »

وجاء أول السفر الثالث : « هذا السفر الثالث من الجامع الصحيح ، من مسند حديث الرسول عليه السلام ، عني بتبويبه أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ، سمع لأبي بكر بن أبي محرز السجلماسي ، من أبي ذر عبد ابن أحمد بن محمد الهروي رضي الله عنه بمكة في المسجد الحرام حرسه الله . »

٤ - رواية أبي القاسم مضر بن الحباب النفزاوي عن أبي ذر :

ويشتمل عليها السفر الرابع الذي يتبع الأسفار الثلاثة الأولى من نسخة رواية ابن أبي محرز السجلماسي المذكورة أخيراً ، والتي تحمل بالكتابة الملكية رقم ٤٣٣٠ ، وقد كتب على أول هذا السفر نقلاً عن النسخة الأصلية :

« هذا السفر السادس (وهو هنا الرابع) من الجامع الصحيح من حديث الرسول عليه السلام ، عني بتصنيفه وتبويبه أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخاري ، رحمه الله عليه ومغفرته ، سمع جميعه أبو القاسم مضر ابن الحباب النفزاوي ، من أبي ذر : عبد بن أحمد بن محمد الحافظ الهروي رضي الله عنه ، بمكة في المسجد الحرام عظم الله حرمة ، سمعه منه سنة ثلاث عشرة وأربعمئة ، وشار الجامع كله لأبي القاسم مضر بن الحباب على وجه الشراء ، نفعه الله به . »

٥ - رواية ابن منظور عن أبي ذر :

وجاء التنصيص عليها عند افتتاحية نسخة عشرينية من الجامع الصحيح كتب جميعها بفاس أحمد بن علي بن قاسم بن محمد بن سودة المري (٦٤) من انتاخبها في شهر ربيع الثاني عام ١٠٢٩ هـ / ١٦٢٠ م ، وهي بتدوين هكذا :

« حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي رضي الله عنه ، قال : أنا الشيخ أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي ، قراءة

عليه في المسجد الحرام عند باب الندوة بمكة ، سنة احدى وثلاثين وأربع مائة ... » .

ولا تزال هذه النسخة - بكاملها - محفوظة بخزانة تمكروت تحت رقم / ٣١٢ .

٦ - رواية ابن المقرج الصقلي عن أبي ذر :
ويوجد منها السفر الأول في نسختين بخط مغربي ، حيث يرد في طالعتهما :

« أخبرنا الشيخ القاضي أبو الحسن علي بن المقرج العقلي رضي الله عنه ، في المسجد الحرام بمكة ، سنة خمس وستين وأربعمائة ، قال : أنا أبو ذر ... » .

والنسختان - معاً - بخزانة تمكروت تحت رقمي : ١٤٣١ و ١٤٥١ .
٧ - رواية أبي علي الصديقي :

واسمه الكامل : حسين بن محمد بن فيارة بن حيون الصديقي السرقطي الأصل ، المعروف بابن مسكرة ، واستوفى عام ٥٥١٤ / ٢١٢٠ .
أما روايته هذه فتوجد نسخة مقابلة عليها بالمكتبة الملكية رقم ٥٠٥٣ وهي في مجلد ضخم ، بخط أندلسي دقيق مدموج مليح ، مكتوب بالمداد الباهت ، مع تلوين - عند الاقتضاء - بالأحمر والأزرق والذهب المصّور بالمداد ، على ورق متين عتيق .

ودون تحديد مكان الانتساخ . جاء في آخر المخطوط : « في الرابع من جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمائة » .

وفي هامش هذا الموضع وردت فقرة هكذا : « بلغت المقابلة على جهد الاستطاعة ، والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد ، من نسخة الصديقي

بخطه ، التي نسخ من نسخة القاضي الباجي بخطه ، وعلى الأول ... خطوط
الشيوخ نحو خمسين ... » .

وأسفل فقرة تاريخ الانتساخ ، يقع إطار مربع مزخرف ، غير أن
كتابة داخله اقتطع موضعها بالمرّة .

وسنستفيد من فقرة المقابلة الآتية الذكر ، أن الأصل الذي وقعت
المعارضة به هو بخط الصدي نفسه ، نقله — بدوره — من نسخة بخط
أبي الوليد الباجي .

وهنا ننتقل إلى أصل الجامع الصحيح المحفوظ في خزانة مدينة جغوب
بليبيا ، وسنجد — هو الآخر — بخط الصدي ، غير أنه — في هذه
المرّة — نقله من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود .

وهكذا نتبين أن الصدي كتب — بخطه — من صحيح البخاري
نسختين كانتا — معاً — معروفتين : إحداهما من أصل الباجي ، والأخرى
من أصل محمد بن علي بن محمود ، غير أن التي اشتهرت هي الثانية ، ولأسيا
بعد انتقالها إلى ليبيا ، بينما استمرت الأولى مجهولة حتى كشفت عنها نسخة
المكتبة الملكية المتفرعة عنها ، دون أن نعرف عن الأصل الصدي الأول
أية معلومات أخرى ، ونجهل مصيره بالمرّة (٦٥) .

كما لا نعرف — الآن على جهة التقطع — هل مرّ بالمغرب أحد الأصلين ،
غير أنه من المؤكد أن نسخة ليبيا كانت في حوزة ابن مرزوق الجند :
محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني ، حيث يوجد بأولها قراءته ،
لبعض الجامع الصحيح في هذا الأصل ذاته ، على أبي جعفر الطنجالي : أحمد
ابن محمد بن أحمد الهاشمي (المألقي (٦٦)) بسنده ، مع إجازته له ولبنه
الثلاثة ، وذلك بمدينة غرناطة ، بتاريخ ٨ جمادى الأولى ، عام ٧٥٤هـ (٦٧)

ومن المعروف أن ابن مرزوق استوطن مدينة فاس - بالخصوص - قبل هذا التاريخ وبعده مدة ليست بالقصيرة (٦٨) ، ومن هنا يترجح أن هذه النسخة الليبية كانت معه بالمغرب ، إن لم يكن اقتناها منه . ونضيف إلى هذا أنه من المتوقع أن يكون ابن مرزوق هو الذي نقل نفس النسخة إلى القاهرة ، لا استوطنها أخريات حياته حتى توفي بها عام ١٣٧٩/٥٧٨١ م .

٨ - أصل ابن ذر من الصحيح بخطه :

استجلبه إلى المغرب الأمير المرابطي السالف الذكر : ميمون ابن ياسين الصنهاجي اللمتوني ، عندما ذهب إلى الحج عام ٤٩٧ هـ (٦٩) ، ١١٠٤ م . وكان أول من أشار لهذه القصة السلفي في كتابه : « الوجيز » بمناسبة ذكر أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي ، وهو يقول في هذا : « كان ميمون بن ياسين من أمراء المرابطين رغب في السماع منه » أبي مكتوم ، بمكة ، واستقدمه من سراة بني شابة ، وبها كان سكناه وسكنى أبيه أبي ذر من قبل ، فاشترى منه صحيح البخاري - أصل أبيه الذي سمع فيه على أبي إسحاق المستملي وغيره - بجملة كبيرة ، وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج ، (٧٠) .

والغالب أن نفس هذا الأصل صار إلى أبي بكر بن خير الأموي الإشبيلي ، أحد الرواة عن الأمير المرابطي ، وبعده انتقل إلى أبي الحسن الشاري ، وقد جاء عند أبي الحسن الرعيني عند ذكر شيخه الشاري سابق الذكر (٧١) : « قرأت عليه بالجامع الأعظم بسبته كتاب الجامع الصحيح للبخاري ... وأمسك على حين القراءة أصل أبي بكر بن خير ، رواية (ابن) أبي ذر الذي بخط أبيه رحمة الله ، وبمعاونة أبي بكر وتصحيحه . وبعد هذا وقف ابن عبد الملك على أسفار ثلاثة من أصل أبي ذر ، وذكر أنه من تجزئة سبعة (٧٢) .

ويذكر أن قطعة من هذه النسخة - بعينها - كانت معروفة بمكتبة ابن يوسف براكش ، ثم اختلطت - مع مر الزمن - ضمن الخروم .

٩ - نسخة القاضي عياض :

وهي من روايته عن أبي علي الصدي ، وقد كانت معروفة بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر هـ ، حيث وقف عليها عبد السلام ابن الحياط القادري القاسي ، لدى أستاذه العراقي المحدث : أبي العلاء إدريس بن محمد بن حمدون الحسيني القاسي ، المتوفى بها - عام ١١٨٣هـ (٧٣) / ١٧٦٩ م ، ومن هذا التاريخ يكتفى خبر هذه النسخة بالمرّة .

١٠ - أصل ابن الخطيئة من طريق أبي ذر :

واسمه - كاملاً - أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام اللخمي القاسي ساكن مصر ، والمتوفى - بها - عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م ، وشهر بابن الخطيئة (٧٤) .

ويعرف بالمغرب نسختان من هذا الأصل : أقدمها يوجد منها السفر الأول في خزانة تمكروت رقم ١٤٣٧ ، وجاء فيها بعد الترجمة الأولى بما يلي :

« قرأت على سيدنا الشيخ الفقيه الإمام ، أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام ابن الخطيئة اللخمي رضي الله عنه ، بمسجده بشرف مصر في سنة سبع وأربعين وخمسة ، قال : أخبرنا الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن منصور بن محمد بن الفضل الحضرمي (٧٥) رضي الله عنه ، قراءة مني عليه بمسجده بالقاهرة بشرف الاسكندرية سنة إحدى وخمسة ، قال أخبرنا الفقيه أبو القاسم عبد الجليل بن أبي سعيد مخلوف الجدامي (٧٦) في الجامع العتيق بمصر سنة إحدى وخمسين وأربعين قراءة مني عليه ، قال أخبرنا أبو ذر ... قراءة مني عليه في المسجد الحرام بمكة ... » .

ونذكر الآن النسخة الثانية لابن الخطيئة ، وقد دخلت إلى

المغرب حديثاً نحو عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ، حيث تحفظ بالمكتبة الأحمدية بفاس ، ويبدو أن هذه النسخة هي عين أصل ابن الخطيئة من طريق أبي ذر ، ويقع الموجود منها في مجلد ضخم يشتمل على جزءين وبعض الثالث .

الأول : يبتدي من افتتاح الجامع الصحيح ، وينتهي آخر كتاب العتق ، من ورقة ١ إلى ورقة ١٥٥ .

الثاني : من أول كتاب الهبة إلى آخر سورة الطور من كتاب التفسير ، من ورقة ١٥٦ إلى ورقة ٢٢٨ .

الثالث : من سورة النجم إلى آخر كتاب التفسير ، ويشتمل على ١٥ ورقة غير مرقمة . مكتوب كآه بخط شرقي نسخي مليح عتيق مقابل ، مع تسميه في بعض المواضع بخط مغاير وهو عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ . وبالإضافة إلى هذا فإن هوامش كامل النسخة تكاد تكون مملوءة بالتعليقات الشارحة بخط مباين .

هذا فضلاً عن تعليقات المقابلة والسماع ، ومن ذلك ما جاء في هامش ورقة ١٠٨ أ : « بلغ مقابلة على الشيخ صلاح الدين حالة السماع بالمسجد الأقصى ، بقراءة الصفري ... وعلى هامش ورقة ٢٢٦ أ :

« بلغ مقابلة على الحافظ صلاح الدين العلائي (٧٧) بقراءة أبي محمود ، في الثالث عشر ، بالصخرة الشريفة ، سنة ثلاث وخمسين ، .

وجاء عند ختام الجزء الثالث :

« بلغ مقابلة وسامعاً على الشیخة المعمرة ، أم محمد : عائشة بنت عبد الحمادي (٧٨) ، بزاوية الشيخ الإمام العلامة ، أبي إسحق إبراهيم - وهو حاضر - الموصلی ، في مجالس آخرها حادي عشري مجلس ، في شهر رمضان المعظم ، سنة إحدى عشرة وثمانمائة ؛ والحمد لله وحده .

وبما يدل لأهمية هذه النسخة كأصل لابن الخطيئة نفسه : أنه كتب على أول الجزء الثاني ما يلي :

« الجزء الثاني من الجامع الصحيح ، المسند من حديث رسول الله ﷺ وسنه وأيامه » .

تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رضي الله عنه .

رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عنه .

رواية الحموي والمستمل وأبي الهيثم : ثلاثهم عنه .

رواية أبي ذر عبد بن أحمد بن عبد الله الهروي عنهم .

رواية الفقيه أبي القاسم عبد الجليل بن أبي سعيد عنه .

رواية الفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور الحضرمي عنه .

رواية الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله أحمد بن هشام بن الخطيئة اللخمي عنه .

ومن الجدير بالملاحظة أن رواية ابن الخطيئة بالذات ، تعتمد النسخة اليونانية في مقارنة برواية أبي ذر (٧٩) .

* * *

والى هنا فقد استعرضت هذه الدراسة النسخ المعروفة - لحد الآن - من روايات البخاري الباقية بالمغرب ، وكان عددها عشرة .

وهناك أصل حادي عشر تقدمه نسخة ابن سعادة الأندلسية ، وقد بدأ المغاربة يجتمعون على الأخذ بها من أيام السعديين ، وبالحصوص في فاس وشمال المغرب ، ثم نافتها - في جنوب المغرب - النسخة اليونانية الشرقية وهذه تمثل الرواية الثانية عشرة من أصول البخاري الباقية ، غير أن نسخة ابن سعادة هي التي استمرت معتمدة في الدراسات الحديثة .

وسنقدم تعريفاً بالنسختين ، مع بيان مركز كل منها بالبلاد المغربية .

١١ - نسخة ابن سعادة :

وهي بخط أبي عمران موسى بن سعادة البلنسي ثم المرسى ، المتوفى
عقب عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م .

وقد كتبها مجزأة إلى خمسة أسفار ، وانتسخها من أصل شيخه وصهره
أبي علي الصديقي ، وفرغ من تعليقها في العشر الأخير من ذي العقدة ،
عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م .

وترجع أهمية أصل ابن سعادة الى أنه منقول من أصل الصديقي ،
المكتوب من نسخة محمد بن علي بن محمود ، وهذه مقروءة على أبي ذر
المروني وعليها خطه ، وقد طاف الصديقي بأصله من البخاري في الأمصار ،
وسمعه وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والأندلس .
هذا الى أن ابن سعادة اعتنى - من جهته - بنسخته التي بخطه ،
فقابلها ، وصححها ، وقرأ بها على الصديقي ، حيث كتب هذا الأخير
- بخطه - على أول السفر الثاني تصحيح سماع تلميذه لسائره عنه ، بتاريخ
ربيع الأول عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م .

وبهذا صارت النسخة السعادية في الدرجة الأولى من الصحة ، ويقول
ابن الأبار عن أبي عمران بن سعادة : « وانتسخ صحيح البخاري ومسلم
بخطه ، وسمعتها على صهره أبي علي ، وكأنا أصليين لا يكاد يوجد في الصحة
مثلا ، حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد : انه سمعها على أبي علي
نحو ستين مرة » .

وحسب الكتابات المرقومة على هذه النسخة ، فإن المحدثين تداولوها
بعد وفاة أبي عمران بن سعادة ، ابتداء من ابن أخيه محمد بن يوسف
ابن سعادة ، وقد سمع هذا جميع الصحيح - في النسخة ذاتها - على أبي

علي الصديقي ، ونم ذلك في ربيع الآخر ، عام ٥١٠هـ / ١١١٦م ، وكتب عليها - بخطه - تصحيحات كثيرة .

ثم سمعها علي محمد بن يوسف بن سعادة غير واحد : أولاً : حسين ابن محمد بن علي الأنصاري : السفر الأول بالمسجد الجامع من مرسية عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤ - ٤٥م .

ثم ابن نوح : محمد بن أيوب بن محمد الغافقي : جميع الكتاب بتاريخ صفر عام ٥٥٦هـ / ١١٦١م ، وثالثاً : ابن أبي العاص : أحمد بن محمد بن علي النفزي ، في جماعة سمعوا سائر السفر الثاني .

وسوى هؤلاء يوجد على نفس الأصل خط أبي الخطاب بن واجب : أحمد بن محمد بن عمر وإجازة محمد بن يوسف بن سعادة له ، وكذلك خط أخيه ، وخط ابن بقي : عبد الواحد بن محمد القيسي ، وخط ابن عمرو عثمان بن محمد بن عيسى اللخمي^(٨٠) .

ولهذه الاعتبارات اعتمد المغاربة نسخة ابن سعادة في رواية صحيح البخاري ، غير أنه لا يعرف - بالضبط - بداية هذا الاختيار .

وأقدم ذكر لها لا يتعدى العقد الرابع من أمانة الهجرة التاسعة ، حيث تمت مقابلة نسخة من الجامع الصحيح بأصل ابن سعادة ، قراءة علي محمد بن يحيى السراج ، بمسجد إمامته من زقة حجامة بفاس ، في مجالس عدة بين المغرب والعشاء ، وهو يمك أصل ابن سعادة ، وكل ذلك أواخر ربيع الثاني ، عام ٨٣٦هـ^(٨١) / ١٤٣٢م .

ومن هذا التاريخ تنتقل الى عام ٨٣٨هـ / ١٤٣٤ - ٣٥م ، حيث تمت فيه معارضة نسخة خماسية من صحيح البخاري بأصل ابن سعادة ، وكان ذلك برسم خزانة الوزير علي بن يوسف الوطامي^(٨٢) .

وبعد هذا تأتي الإشارة الى نفس الأصل بمناسبة مقابلة نسخة أخرى وتصحيحها عليه ، بتاريخ رجب عام ٨٤٦هـ^(٨٣) / ١٤٤٢م .

ومن هذا التاريخ تختفى المصادر التي تردد ذكر هذا الأصل الى حوالي

نهاية القرن المجري العاشر . وهنا يتنظم الحديث عن نسخة ابن سعادة ،
ويتأكد وجودها - بكاملها - محفوظة في خزانة القرويين بفاس .

وفي الوقت ذاته شهد نفس الأصل مبادرة علمية جعلته يتركز في
الدراسات الحديثة بالمغرب عبر الفترات التالية ، وذلك بكتابة نسخة جديدة
منه من خط أبي عمران بن سعادة مباشرة ، وتداول المعنيون بالأمر - إلى
العقود الأخيرة - هذا الفرع المستجد بالانتساخ منه ، والتصحيح به ، والتعليق
عليه ، وإسهامه ، ودراسته .

وكان هذا الأصل المغربي قد كتب برسم الشيخ أبي المحاسن يوسف
ابن محمد الفاسي القفري ، المتوفى عام ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م ، وجاء في
خمة أسفار موازية للمتنسخ منه^(٨٤) ، وهو بخط الوراق المعروف بالجزولي :
محمد بن علي بن محمد الحني المري ، الأندلسي ، ثم التلمساني ،
ثم الفاسي^(٨٥) .

ويذكر في « مرآة المحاسن »^(٨٦) ، عن نفس الفرع : أنه صارت
القراءة فيه عند سرد صحيح البخاري في رمضان بمجلس الشيخ أبي
المحاسن ، مع معارضته بأصل ابن سعادة عند القراءة ، فكان أبو العباس
أحمد بن يوسف الفاسي يتولى سرد الفرع ، بينما يملك عمه أبو زيد عبد
الرحمن العارف ، الأصل الأندلسي ، وتعددت هذه المقابلة مرات .

كما أن أبا زيد الفاسي آتف الذكر ، سجل - بخطه - تعاليق على
هامش النسخة الجديدة ، ومنها - مع إضافات - جمع حاشيته على الجامع
الصحيح : « تشيف المسمع ببعض فرائد الجامع »^(٨٧) .

وقد صارت نسخة هذا الفرع تعرف في فاس « بالشيخة » ، نظراً
لوفرة المنتسحات انغربية منها : مباشرة أو بواسطة ، واعتباراً بكثرة تداول
المحدثين لها ، واعتمادهم عليها .

والآن نذكر أن النسخة « الشيخة » هذه لا تزال بقيد الوجود ، وهي - بأسفارها الخمسة - في حوزة السفير المغربي السابق : السيد الحاج الفاطمي ابن سليمان الأندلسي الغرناطي الأصل ثم افاسي ، ومنها مصورة بالخرزانة العامة بالرباط ، في فيلم يحمل رقم ٧٣٦ .

أما النسخة الأصلية التي بخط ابن سعادة فقد بقي منها - الآن - أسفار ثلاثة : ٢ و ٤ و ٥ ، وهي بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم د / ١٣٣٣ ، بينما كان السفر الأول قد ضاع قديماً ، وجُدد - بأمر السلطان العلوي محمد الرابع - بانتداه آخر بدله من النسخة الشيخة ، وكتبه بخطه محمد الهادي بن عبد النبي بن المجدوب الفاسي ، حيث كمل في ١٢ ذي الحجة عام ١٢٨٥ هـ (١٨٨٨) م ، وهذا السفر محفوظ بدوره بنفس الخزانة رقم د / ١٣٣٢ ، ثم كان مصير السفر الثالث الذي بخط ابن سعادة أن استعاره مستشرق معروف ، ولعله كان يحاول تصويره نظير عمله في السفر الثاني ، غير أنه توفي ولم يعد المخطوط إلى سفره بالخرزانة العامة بالرباط .

ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسي الأستاذ لافي بروفنسال قام بنشر السفر الثاني من نسخة ابن سعادة منقولاً بالتصوير الشمسي من خطه الأصلي ، مع تصديره بمقدمة بالعربية باسم « التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة » للمحدث المغربي محمد عبد الحفي الكتاني ، مع مقدمة أخرى بالفرنسية لنفس المستشرق ، نشر هذا السفر في باريس عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م ، في ١٧٧ ورقة عدا المقدمتين .

وما أجدر الأسفار الباقية من هذا الأصل بنشرها - هي الأخرى - بالتصوير ، مع طبع النسخة بكاملها ؛ طبعة علمية مصححة . وهو دين في ذمة المعنيين بالامر من المغاربة .

ونذكر - الآن - نماذج من الفروع المستخرجة من النسخة « الشيخة » مباشرة أو بواسطة :

أولاً - نسخة ميارة : محمد بن أحمد بن محمد الفاسي شارع المرشد

المين وغيره ، المتوفى عام ١٠٧٢ هـ (٨٩) / ١٦٦٢ م ، ويقول عنها في « التنوية والإشادة » (٩٠) :

« وهي نسخة معتمدة تداولتها أيدي الأعلام ، أدركتها بفاس ، وقد انتقلت اليوم الى مراکش ، ومن مراکش صارت هذه الى الخزانة العامة بالرباط ، حيث تحفظ بها تحت رقم ج / ٦٦٢ في أربعة أسفار .

ثانياً - أبو السعود عبد القادر بن علي الفاسي الفهري ، المتوفى عام ١٠٩١ هـ (٩١) / ١٦٨٠ م ، وقد كان ينسخ الجامع الصحيح كثيراً ، وكان الناس يرغبون في النسخ التي تكون بخطه ، ولا تزال الخزائن العامة والحلقات تحتفظ بجملة من مخطوطاته للبخاري ، ومن المعروف منها بالخزائن العامة :

- نسخة خماسية التجزئة بخزانة الزاوية الحمزية رقم ٣٩٨ .

وأربع نسخ أخرى بخزائن مشهد أبي يعزى ، وجامع القصبة بالصويرة ، والجزائر ، وباريس مع السفر الخامس - من تجزئة ثمانية - بخزانة الجامع الكبير بمكناس رقم ٤٤٩ (٩٢) .

ثالثاً - نسخة محمد بن علي الحريشي الفاسي ، المتوفى عام ١١٠٢ هـ (٩٣) / ١٦٩٠ - ٩١ م ، ويوجد منها ثلاثة أسفار بالخزانة العامة بالرباط ، موزعة بين ثلاثة أرقام : الأول : ك ١٨٦٥ ، والثالث : د ٤٤٤ ، والرابع الأخير : د ٥٠٩ .

رابعاً - نسخة محمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي الفهري ، المتوفى عام ١١٠٩ هـ (٩٤) / ١٦٩٧ م ، وكانت موقوفة على مسجد زقاق الماء بفاس دون أن يعرف مصيرها بعد ، وهناك الحس الأول من نسخة أخرى تحتفظ به خزانة خاصة ، ويقول القادري (٩٥) عن خطة المترجم في وراقته « انفراد بالاثقان الذي لا يعرف لغيره ، لا سيما في نسخ الكتب ، فإذا كتب نسخة

من تأليف ؛ لا يكاد بل لا يعثر على حرف واحد ، أو على حركة في غير محلها مع جودة الخط وإتقانه .

خامساً - نسخة أحمد بن العربي بن سليمان الأندلسي الغرناطي ، المتوفى عام ١١٤١ (٩٦) هـ / ١٧٢٨ - ٢٩ م ، في مجلد بخزانة القرويين .

سادساً - نسخة أحمد بن قاسم جسوس الفاسي ، وهو أخو محمد بن قاسم جسوس شارح الشماثل وغيرها ، والمتوفى عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م ، بعد وفاة أخيه أحمد^(٩٧) ، كاتب نسخة البخاري المعني بالأمر ، وقد كتبها هذا - في مجلد - من خط محمد المهدي الفاسي ، وفرغ منها عام ١١٢١ هـ ، وهي بخزانة تمكروت رقم ٩٥٢ .

سابعاً - محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (خمساً) بن عبد الرحمن الدلائي ثم الفاسي ، المتوفى عام ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ - ٨٣ م ، دأب على كتابة نسخ من صحيح البخاري^(٩٨) ، ومنها واحد في مجلد من خط أبي السعود عبد القادر الفاسي وغيره ، بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم ٢١١ .

ثامناً - نسخة أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن يحيى الفاسي ، كان بقيد الحياة عام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م انتسخها من خط أبي السعود ومحمد المهدي الفاسيين وغيرهما ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ١٠٥٧١ .

تاسعاً - محمد بن أحمد الصقلي الحسيني الفاسي ، المتوفى عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م ، كتب - حسب سلوة الأنفاس^(٩٩) - نسخاً عدة من صحيح البخاري في غاية العجة ونهاية الإتقان ، مع حسن الخط وتمام الضبط ، ويوجد من منتسخاته هذه أربعة أجزاء : ١ و ٣ و ٦ و ٧ من نسخة كتب آخر الأول منها : أنه بخط المترجم ، ومجموعها بالمكتبة الملكية رقم ٦١٦٣ .

عاشراً - عبد العزيز بن محمد بن محمد المهدي الحلو المربني الفاسي ،
المتوفى عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، وتمتاز منتسخته بجمال الخط ، وإبداع
الزخرفة والتلوين والتذهيب ، وإجادة التفسير ، ومن خصوص صحيح البخاري
كتب عدة نسخ ، من بينها نسختان كتبها بقلم واحد : إحداهما خماسية
التجزئة ، والأخرى في مجلد واحد (١٠٠) ، ومن الباقي من منتسخته للجامع
الصحيح نذكر ثلاثة كتبها من خط محمد المهدي الفاسي :

- نسخة في مجلد ، فرغ منها أوائل المحرم عام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م ،
خ ، ع ، ج ، ٦٩٥ .

- نسخة خماسية التجزئة ، كملت كتابتها يوم الخميس ١٩ شعبان ، عام
١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م بالمكتبة الملكية رقم ٣٢٧٥ .

- نسخة من عشرة أجزاء ، ورد وصفها في «برنامج المكتبة الصادقية»
بتونس (١٠١) .

- وبالحزاة العامة بالرباط بخطه : نسخة رابعة في مجلد تحت رقم
د ١٥٨٧ ، غير أنها لم يسم فيها الأصل المنقولة عنه .

حادي عشر - محمد بن عبد العزيز الحلو ولد المذكور قبله ، ومشابه
في خصائصه الوراقية ، وكانت وفاته بعد عام ١٢٤٦ (١٠٢) هـ / ١٨٣١ م .
وبتونس نسختان من البخاري بخطه ، كل منها في مجلد ، إحداهما :
كتبها عام ١٢٢١ هـ ، والثانية : عام ١٢٢٧ هـ (١٠٢) مكرر .

ثاني عشر - محمد الفضيل بن محمد الفاطمي الإدريسي الشيبني
الزرهوني ، المتوفى عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م .

كتب بخطه نسخة عشارية من صحيح البخاري ، وصححها وضبطها
عشرات المرات ، واعتمد فيها على نسخة ميارة سالفه الذكر صدر هذه
اللائحة (١٠٣) .

وأخيراً فإن أخذ المغرب برواية ابن سعادة لاقى بعض المعارضة المحلية : فمن الجنوب المغربي كان أبو مروان عبد الملك التاجموني ينكر ولوع المغاربة بهذه الرواية ، حيث أنها - عنده - من قبيل الوجداء (١٠٤) ، وكأنه بهذا يميل إلى ترجيح الأخذ برواية النسخة اليونانية الشرقية .

وسنرى - بعد هذا - أن أبا العباس أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر ، جلب من المشرق - فعلاً - النسخة اليونانية من صحيح البخاري ، وصارت هي المعتمدة في قراءته بزاوية تمكروت وما إليها .

ومن جهة أخرى فإن أبا العلاء إدريس العراقي الحافظ ، كان يفضل رواية القاضي عياض للبخاري عن الصدي ، على رواية ابن سعادة عنه ، حسبما نقله عنه تلميذه عبد السلام بن الحياط القادري ، وهو يعقب على ذلك بقوله :

« وقفت على نسخة رواية عياض عن الصدي المشار إليها عند مولاي إدريس المذكور وسمعت عليه جلها ، وقابلت عليه معها نسخة ابن سعادة المشار لها ، فباعتبار ما ظهر لنا : قول شيخنا العراقي صحيح . (١٠٥) »

غير أن معظم أعلام المغرب أخذوا برواية ابن سعادة واعتمدوا خلفا عن سلف ، وقد علق محمد الصغير السوسي الأفرائي على ملاحظة التاجموني هكذا :

« وقد أنكر عليه ذلك شيوخ العصر ، وحق لهم إنكاره ، فإن تواريخ الأندلسيين ناطقة بطلان دعواه ... (١٠٦) »

وسوى الأفرائي فإن عالم سوس : يحيى بن عبد الله بن مسعود البكري الجراري (١٠٧) ، يعتمد رواية ابن سعادة في سنده إلى البخاري ، وهو يعقب على ذلك بقوله : « وينبغي المحافظة على هذا السند الفريد ، العالي القدر

المجيد ، خصوصاً عندنا بالمغرب ، لأن نسخة الإمام ابن سعادة هي المعتمدة عندنا بالمغرب ... ،

ولما ذكر محمد بن عبد السلام الناصري النسخة اليونانية ختم حديثها بقوله : « ورواية أبي عمران موسى بن سعادة أولى وأوثق وأضبط منها ، لإجماع المغاربة في أمصار المغرب عليها » (١٠٨) :

١٢ - النسخة اليونانية :

وستبين أنها منسوبة إلى القائم بتصحيحها على روايات البخاري : أبي الحسن علي بن محمد الهاشمي اليوناني الحنبلي ، وهي آخر الروايات ظهوراً بالمغرب ، وكان أول من استجلبها من الشرق أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي التمجروتي ، المتوفى عام ١١٢٩ هـ (١٠٩١/ ١٧١٧ م ، وقد اشترى من مكة المكرمة - برسم الزاوية الناصرية - فرعاً من هذه الرواية من ٥٢٨ ورقة موزعة بين عشرة أجزاء ، مكتوبة بخط شرقي واضح مليح ، ووقع الفراغ منها تجاه الكعبة الشريفة ، في يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة ، عام ١١١٧ هـ / ١٧٠٦ م ، على يد كاتبها : إبراهيم المكي بن علي القيصري الحنفي ، وهي منقولة من الأصل اليوناني مباشرة ، بخط محمد بن عبد المجيد بن زيد (١١٠) ، وكتبه هذا في مادة آخرها يوم الأحد ٢٨ رمضان ، عام ١٢٧١ هـ / ١٢٧١ م .

ولا يزال هذا الفرع اليوناني معروفاً ، وهو - الآن - في الحزاة العامة بالرباط رقم ق ٨١ ، وعلى الجزء الأول منه بخط أبي العباس ابن ناصر : « ملك الله تعالى ، بيد أحمد بن ناصر كان الله له ، بمكة المشرقة ، بثمانين ديناراً ذهباً » .

وهناك نسخة من هذا الفرع ندب أبو العباس ابن ناصر إلى انتساخها فكتبت بخط مغربي حسن في ثلاثين جزءاً باعتبار واحد لكل يوم من

رمضان ، ووقع الفراغ منها أواسط رجب عام ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م ، علي يد ناسخها : محمد بن محمد بن محمد حجي الفاسي ، وهي باقية بخزانة تمكروت بأجزائها الثلاثين ، وتحمل رقم ٩٤٩ ، وبها كانت تقع قراءة صحيح البخاري في رمضان بالزاوية الناصرية بتمكروت .

ويحتفظ المغرب بمخطوطة يونينية ثالثة بالمكتبة الملكية رقم ١٠٨٠٢ ، وهي بخط شرقي في مجلدين كبيرين ، الأول : يتخلله بـتر كثير ، والثاني : مبتور يسيراً من الآخر ، والغالب أن هذه النسخة كانت ضمن الكتب الحديثة التي استجلبها - من الشرق - السلطان العلوي محمد الثالث .

* * *

أما واقع هذه النسخة اليونينية فإنها تنسب إلى شرف الدين ، أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد الهاشمي البعلبي اليونيني ، نسبة إلى يونين من قرى بعلبك في لبنان ، ثم الحنبلي ، المتوفى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م . وكان قد استنسخ أصله من صحيح البخاري في مجلدين ، واهتبل به كثيراً . حتى إنه في سنة واحدة قابله وأسمعه إحدى عشرة مرة (١١١) .

وهو في مقابلة أصله هذا ، قد اعتنى بضبط روايات الجامع الصحيح وقارن بينها . وصححها ؛ معتمداً في ذلك على أربعة أصول رئيسية :

أولاً - أصل مسموع على أبي ذر الهروي من طريق أبي العباس أحمد بن الخطيئة ، الفاسي الأصل ثم المصري (١١٢) ، حسب سنده السالف الذكر .

ثانياً - أصل مسموع على الأصيلي ، وعليه الحواشي بخط ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (١١٣) .

ثالثاً - أصل سماع أبي القاسم بن عساكر : علي بن الحسين الدمشقي

مؤرخ الثام (١١٤) ، وينقصه الجزءان : الثالث عشر ، والثالث والثلاثون .
 رابعاً — أصل مسموع على أبي الوقت : عبد الأول بن عيسى السجزي
 ثم الهروي (١١٥) .

وقد بالغ الشرف اليونيني في المقابلة على هذه الأصول ، فكان
 ذلك تحت نظر ابن مالك الإمام الشير : محمد بن عبد الله الطائي الجاني
 نزيل دمشق (١١٦) ، وبحضر جماعة من فضلاء المحدثين والحفاظ ، وهم
 بدورهم ناظرون في نسخ معتمدة من الجامع الصحيح ، حتى إذا مرّ
 بهم من التعابير ما يتراءى أنه يخالف لقوانين العربية تساءل ابن مالك هل
 الرواية فيه كذلك ، فإن أجيب بالإثبات شرع في توجيهها حسب إمكانه ،
 وما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه بادر الشرف اليونيني إلى إصلاحه في
 أصله وصحح عليه ، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة عمل المشار
 له على ما أشار به ورجحه ، وهكذا حتى كملت المعارضة والتصحيح عند
 المجلس الحادي والسبعين ، وبهذه المناسبة وضع ابن مالك تعليقه : « شواهد
 التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » (١١٧) .

وعند نهاية المقابلة كتب ابن مالك — بخطه — تصحيح السماع ،
 وأثبتته بحاشية ظاهر الورقة الأولى من النصف الثاني في نسخة اليونيني ،
 وهذا نحوه :

« سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه ،
 بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن ، شرف الدين أبي الحسين
 علي بن محمد بن أحمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه .

« وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ، ناظرين في نسخ معتمدة عليها ،
 فكلمنا مرّ بهم لفظ ذو إشكال بينت فيه الحواب وخطته على ما اقتضاه
 علمي بالعربية .

« وما افتقر إلى بسط عبارة وإقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء استوفي فيه الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد ، ليكون الانتفاع به عامّاً ، والبيان تامّاً ، إن شاء الله تعالى .

وكتب محمد بن عبد الله بن مالك ، حامداً لله تعالى ، .

وكما علم وشيكاً فإن هذا السماع كتب على أول المجلد الأخير من الأصل اليوناني ، وبالإضافة إلى هذا كتب الشرف اليوناني بآخر نفس المجلد ما يلي :

« بلغت مقابلة وتصحيحاً وإسماعاً بين يدي شيخنا ، شيخ الإسلام ، حجة العرب ، مالك أزمّة الأدب ، الإمام العلامة ، أبي عبد الله بن مالك الطائفي الجباني ، أمدّه الله تعالى عمره ، في المجلس الحادي والسبعين . وهو يراعي قراءتي ، ويلاحظ نظمي ، فما اختاره ورجّحه وأمر بإصلاحه ، أصلحته وصححت عليه ، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة ، فاعلمت ذلك على ما أمر ورجح .

وأنا أقابل بأصل الحافظ أبي ذر ، والحافظ محمد الأصلي ، والحافظ أبي القاسم الدمشقي . ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين فإنها معدومان ، وبأصل مسموع على الشيخ أبي الوقت ، بقراءة الحافظ أبي منصور السمعاني وغيره من الحفاظ ، وهو وقف بخاتمه السميّاطي .

وعلمة ما وافقت أبا ذر : هـ

والأصلي : ص

والدمشقي : ش

وأبا الوقت : ظ

فليعلم ذلك ، وقد ذكرت ذلك — في أول الكتاب — في فرخة ، لتعلم الرموز . كتبه علي بن محمد الهاشمي اليوناني ، عفا الله عنه .

هذا هو النص الذي نقله - مع سابقه - القسطلاني (١١٨) فيما وجدته على المجلد الثاني من أصل الشرف اليونيني .

وقد ورد آخر السماع الثاني فقرة تقول : « وقد ذكرت ذلك - في أول الكتاب - في فرخة لتعلم الرموز » ، وحسب الأبياري (١١٩) : فإن فرخة تأنيث فرخ من الورق ، وهو الصحيفة المعتادة - عرفاً لا لغة .

وقد علق الشهاب العطار المكي (١٢٠) هنا هكذا : « يقول كاتبه أحمد بن عثمان المكي غفر الله لهما : الفرخة التي عنى بها الشيخ اليونيني في كلامه هنا ، كنت قد وقفت عليها في سنة ١٢٩٩ في (بدوامري) بالهند ، وهي محفوظة عندي الى الآن ، نقلتها من خط من نقلها بالمدينة المنورة في سنة ١٢٦٠ ، من خط مفتيا - حينئذ - مولانا الشيخ العلامة المحدث : عبد السلام بن محمد أمين الداغستاني المدني ، رحمه الله تعالى ، بين فيها جملة كبيرة من الرموز التي عنها في نسخته » .

ومن حسن الحظ أن يكون المغرب يحتفظ - بدوره - بنسخة أخرى من هذه الفرخة ، وهي ثابتة أول النسخة اليونينية التي أسير - سلفاً - الى أنها محفوظة بالمكتبة الملكية تحت رقم ١٠٨٠٢ .

* * *

وقد صار هذا الأصل اليونيني - في فترة قديمة - وفقاً على مدرسة أقبحا آص بالقاهرة (١٢١) ، ثم فقد المجلد الأول منه أزيد من خمسين سنة ، الى أن وجد ينادى عليه للبيع في سوق الكتب بالقاهرة . فعرف وأحضر الى الشهاب القسطلاني وهو يشتغل في شرح صحيح البخاري ، وكان قد قابل المتن المنسوخ على المجلد الثاني من نفس النسخة ، فاتم هذه المعارضة بالنسبة إلى المجلد الأول (١٢٢) .

ويبدو أن موقوفات هذه المدرسة طراً عليها تبديد في فترة

لاحقة ، فضاء منها الأصل اليوناني بجملة ، إلى أن عثر عليه العالم المغربي محمد بن محمد بن سليمان السوسي الروداني ثم المكّي ، المتوفى - بدمشق - عام ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٣ م . ومن حوزته انتقل الى ملكية الشيخ محمد أكرم ابن محمد بن عبد الرحمن الهندي نزيل مكة المكرمة ، ثم استعاره من هذا الأخير محدث الحجاز : عبد الله بن سالم البصري فصار يسمع منه (١٢٣) ، وكان هو عمدته في نسخته - آتية الذكر - التي كتبها من الجامع الصحيح ومن هنا ينسدل الغموض على مصير أصل الشرف اليوناني .

١ - وعن الفروع القديمة لهذا الأصل يقول القسطلاني في مقدمة شرح البخاري (١٢٤) : « ولقد وقفت على فروع مقابلة على هذا الأصل الأصيل ، فرأيت من أجائها الفرع الجليل الذي نعله فاق أصله ، وهو الفرع المنسوب للإمام المحدث ، شمس الدين ، محمد بن أحمد النزي الغزولي (١٢٥) ، وقف التنكزية بباب المروق خارج القاهرة ، المقابل على فرعي وقف مدرسة الحاج مالك وأصل اليوناني المذكور غير مرة ، بحيث انه لم يغادر منه شيئاً كما قيل . فلهذا اعتمدت - يقول القسطلاني - في كتابة متن البخاري في شرحي هذا عليه ، ورجعت في شكل جميع الحديث وضبطه - اسناداً ومتمناً - إليه ، ذاكراً جميع ما فيه من الروايات . وما في حواشيه من الفوائد المهمة . »

ولحسن الحظ فإن فرع الغزولي المشار له لا يزال النصف الثاني منه بقيد الوجود بدار الكتب المصرية في ١٧٧ ورقة ، وهو بخط الغزولي نفسه ، فرغ منه يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م ، وفي آخره سماعات لأفاضل من العلماء (١٢٦) .

٢ - وبوجد بدار الكتب نفسها فرع آخر من اليونانية في مجلد يشتمل على ٣٠١ ورقة بها خروم في أثنائها ، كتبه - بخطه الشرقي -

محمد بن إلياس بن عثمان المتصوف ، وفرغ منه يوم الأحد ٢٠ ربيع النبوي
عام ٥٧٤٨ / ١٣٤٧ م .

ومن حسنات هذا الفرع أنه مقابل بالنسخة التي قوبلت بنسخة
اليونيني ، قابله عليها العلامة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العسجدي ،
وقابله - مرة أخرى - العلامة أحمد بن علي السبكي الشافعي ، في مدة
آخرها رمضان عام ٥٧٦١ / ١٣٦٠ م . معتمداً على نسخة صحيحها جمال
الدين المزني وشمس الدين الذهبي ، وعلى نسخة ثانية صحيحها تقي الدين
علي السبكي وعلاء الدين التركماني ، هذا الى أن الفرع المعني بالأمر يشمل
على خطوط جملة من الأفاضل (١٢٧) .

٣ - على أن الفرع اليونيني الذي استمرت شهرته ، هو الذي كتبه
- بخطه - إمام هذه الصناعة : عبد الله بن سالم بن محمد البصري ثم
المكي ، المتوفى عام ١١٣٤ (١٢٨) ٥ / ١٧٢٢ م .

وقد استغرق في كتابته وتصحيحه نحواً من عشرين سنة ، اعتماداً
على أصل الشرف اليونيني وزيادة (١٢٩) ، وبهذا كانت هذه النسخة البصرية
طبقة عالية في الصحة ، وصارت - حسب عالم من الهند - (١٣٠) هي أصل
الاصول للنسخ الشائعة في الآفاق . وعن مصيرها يقول المحدث محمد عبد
الحلي الكتاني (١٣١) : « رأيت في المدينة المنورة عند الحكيم المسند
الشيخ طاهر سنبل ، نسخة عبد الله بن سالم البصري بخطه من الصحيح
ثمانية ، وهي نهاية في الصحة والمقابلة وال ضبط والخط الواضح ، وأخبرني
أنه أحضرها إلى الأستاذة ليصحح عليها النسخة الأميرية التي طبعت هناك
من الصحيح ، وفرقها السلطان عبد الحميد على المساجد والآفاق ، وعليها
ضبط ، ولا أدري من أين اتصلت بسلفه . »

٤ - ومن بين مطبوعات صحيح البخاري (١٣٢) كان أتقن طبعة هي

التي نشرت بعناية السلطان العثماني : عبد الحميد الثاني ، في تسعة أجزاء ،
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م .

وقد اعتمد في نشرها على الأصل اليوناني المصحح الموجود بالحزارة
العثمانية : « مكتبة يلدز » ، بالاستانة ، مع الرجوع إلى المنشور - سابقاً -
من الجامع الصحيح ، وإلى مخطوطات أخرى صحيحة : منها الفروع الثلاثة
الآنفة الذكر ، وهي فرع الغزولي ، والفرع المصحح على ما صححه المزي
والذهبي ، وفرع عبد الله بن سالم البصري .

وبعد تصحيح هذه الطبعة بالمطبعة الأميرية ، قام بقراءة المطبوع
- من جديد - نخبة من أكبر أعلام الأزهر يبلغ عددهم ١٦ عالماً ، وبعد
ما دونوا ملاحظاتهم سجلتوا - في النهاية - أن هذه الطبعة الجديدة هي
المعول عليها في الصحة والاعتبار لنصّ الجامع الصحيح للبخاري (١٣٣) .

الرباط

محمد المنوني

التعليق

- ١ - (المشرق) ، المطبعة السلطانية ، بناس ١ / ٩ مع (فهرس) نفس المؤلف (مخطوطة خاصة) - عند الترجمة الأولى ، وانظر عن ترجمة النسفي : « شذرات الذهب » ٢ / ٢٩٨ ، وعن ترجمة القزويني : نفس المصدر والجزء ص ٢٨٦
- ٢ - (مقدمة فتح الباري) ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية بدمشق - ص ٩٣
- ٣ - ترجمته في (شذرات الذهب) ١٢ / ٣
- ٤ - ترجمته في (المصدر) الأخير ٧٦ / ٣
- ٥ - ترجمته في نفس (المصدر) ٨٢ / ٣
- ٦ - (المصدر) نفسه ٨٦ / ٣
- ٧ - (المصدر) ١٠٠ / ٣
- ٨ - (المصدر) ١٣٢ / ٣
- ٩ - (الصلة) لابن بشكوال ، نشر العطار - ع ٥٥٧ ، وانظر عن ترجمة ابن عون : « بغية المتجسس » رقم ٥٢ ، وعن ترجمة ابن مفرج : نفس (المصدر) ، رقم ١٤
- ١٠ - « مقدمة كتاب المورد الأحلى في اختصار المحلى لابن حزم ، مؤلفه غير مذكور ، تحقيق الأستاذ الجليل محمد إبراهيم الكنتاني ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، نوفمبر ١٩٥٨ - ص ٣٣٤
- ١١ - كتاب (المشرق) ١٠ / ١ ، وقد تحدث أحمد بن علي البلوي اثرادى أثري الأندلسي في « ثبته » عن مقابلة بنسخة جليلة من البخاري رقية ، سمع فيها علي أبي جعفر بن عون الله بقراءة أبي عمر الطلمنكي ، وكانت مقيدة برواية ابن السكن ، ومقابلة بأصل ابن عون الله ، « ثبت البلوي » : نسخة مصورة عن مخطوطة الاسكوريال رقم ١٧٢٥ - لوحة ١٨ / أ .
- ١٢ - « المدارك » دار مكتبة الحياة ، بيروت - ٦٤٣ / ٤ ، أثناء ترجمته .

- ١٣ - المصدر الأخير ٦١٧/٤ ، أثناء ترجمته ، وفي « فهرس ابن خير »
ص ٩٨ : « وأقرب الروايات إلى رواية أبي ذر ، رواية أبي الحسن القاسبي
عن أبي زيد المروزي » .
- ١٤ - شجرة النور الزكية ص ٩٧
- ١٥ - (المشارق) ١٠ / ١ ، حيث يذكره باسم أبي عمران موسى بن
عيسى القاسبي .
- ١٦ - (فهرس) ابن عطية : عبد الحق بن غالب المحاربي خ ، خ ، ع
ك ١٣٠١ - ص ٥٥ .
- ١٧ - (تاريخ علماء الأندلس) ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة
رقم ٧٦٠ ونقله عنه ياقوت في (معجم البلدان) ، مطبعة السعادة بصر -
٢٧٨ / ١
- ١٨ - (المدارك) ٧٥٢/٤
- ١٩ - (المشارق) ٧/١ - ١٠ ، وترجمته في (بغية الملتبس) ع ١٢٦٦
- ٢٠ - (فهرس) القاضي عياض عند ترجمة الشارقي ، ونقله ابن الأبار
في (التكملة) : القسم المنشور بالجزائر - خ ٦٤ ، ونحوه عند ابن بشكوال
في (الصلة) ، ع ١٥٩
- ٢١ - (فهرس) القاضي عياض - أثناء الترجمة الأولى .
- ٢٢ - (فتح الباري) : الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بالقاهرة ١/٤
- ٢٣ - (المدارك) ٦٩٧/٤
- ٢٤ - (التكملة) : القسم المنشور بالجزائر ، أثناء الترجمتين ع ١٠٩
و ٧١٤ ، ولم يذكر هذا في ترجمته الواردة في (جذوة المقتبس) نشر العطار ،
ع ٣٢٤ ، وفي الصلة ع ٢٥٥ ، وثالثاً في (بغية الملتبس) ع ٥٧٣ ، وسيورد
- في مواضع أخرى من هذه الدراسة - ذكر أصل صحيح البخاري من
رواية أصبغ بن راشد عن أبي ذر ، مع استعراض الأصول أو النسخ لبقية
الرواة السبعة - المذكورين هنا - عن أبي ذر .
- ٢٥ - انظر ترجمته في (المدارك) ٨٢٥/٤ مع (بغية الملتبس) ع ٢٨٠ .

- ٢٦ - انظر ترجمته في (المدارك) ٤/ ٨٠٢ - ٨٠٨ ، وفي (الصلة) ع ٤٥٣ ، مع بغية المتمس ع ٧٧٧ .
- ٢٧ - انظر ترجمته في (الصلة) ع ١٢١٢
- ٢٨ - انظر ترجمته من (الصلة) ع ١٤١
- ٢٩ - هذا وسابقاه لا تعرف لهم ترجمة ، وروايتهم عن أبي ذر جاء النص عليها في سماعهم عنه ، وسترد نصوص أسمعتهم في مكان آخر من هذه الدراسة .
- ٣٠ - (المدارك) ٤/ ٧٢١ - ٧٢٣ ، مع (الصلة) ع ١٥١١ ، و (بغية المتمس) ع ١٤٣٨ ، ثلاثتهم عند ترجمته .
- ٣١ - وردت قصة روايته عن أبي ذر في (المدارك) ٤/ ٧٠٣ ، أثناء ترجمته .
- ٣٢ - لا تعرف له ترجمة على حدة ، ويرد ذكره - عرضاً - خلال تراجم الرواة عنه عن أبي ذر ، كما سنرى من بعد .
- ٣٣ - (المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي) ، لابن الأبار ، أثناء ترجمة أبي القاسم بن ورد ، رقم ١٧
- ٣٤ - (الفهرسة الكبرى) ، مخطوطة الأستاذ الجليل محمد إبراهيم الكتاني .
- ٣٥ - (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك المراكشي : مجلد الغرباء . مصور خ . ع . د ١٧٠٥ - لوحة ٢٠٨ - ٢٠٩ عند ترجمته .
- ٣٦ - (فهرسة) عياض ، مع التكملة لابن الأبار مطبعة مجريط رقم ٥٠٣ ، (والذيل والتكملة) مصور خ . ع . د ٢٦٤٧ لوحة ٥٨٠ ، ثلاثتهم عند ترجمته .
- ٣٧ - (التكملة) ، مطبعة مجريط - ع ٥٧٣
- ٣٨ - (المصدر) : القسم المنشور بالجزائر ع ٥٧ ؛
- ٣٩ - (المعجم . في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي) ع ١٧ ، عند ترجمة ابن ورد ، وانظر عن ترجمته - أيضاً - (الصلة) خ ١٧٧ ، و (الديباج المذهب) لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بمصر - ص ٤١
- ٤٠ - (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك : مجلد الغرباء ، مصور خ ، ع ، د ١٧٠٥ - لوحة ١٣٧

- ٤١ - (المصدر) الأخير : القسم المنشور في لبنان - السفر الخامس - ع ٥٩٣
- ٤٢ - (رحلة ابن رشيد) : مصورة معهد مولاي الحسن بتطوات عن مخطوطة الاسكوريال : الجزء السادس بخط المؤلف رقم ١٧٣٧ - لوحتي ٢١/ب ٢٢/أ
- ٤٣ - مخطوطة خاصة ، وهي من تأليف محمد بن عبد الرحمن بن أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري .
- ٤٤ - (المشارق) ٩/١ - ١٠
- ٤٥ - علي بن محمد الرعيني الإشبيلي في (برنامج شيوخه) ، المطبعة الهاشمية بدمشق - ص ٧٥
- ٤٦ - هو أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللبني الأندلسي تزيل مرسية ، والمتوفى عام ٥٤٦ هـ ، ترجمته في (الصلة) ع ١٥١٠ ، و (بقية المنتمس) ع ١٤٤٥ ، وثالثاً : ابن الزبير في (صلة الصلة) ع ٤٠٤ ، والغالب أن أصل ابن الدباغ المشار له كان من طريق الصدفي ، حيث يقول ابن بشكوال عن صاحب الأصل : « روى عن أبي علي الصدفي كثيراً ، ولازمه طويلاً » ، وقال عنه ابن الزبير : « روى عن القاضي الإمام أبي علي الصدفي واختص به ، وأكثر عنه واعتمده » .
- ٤٧ - (برنامج) ابن أبي الربيع ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول - الجزء الأول والثاني - ص ٥٥
- ٤٨ - (كتاب الاشراف على أعلى شرف . في التعريف برجال البخاري من طريق الشريف أبي علي بن أبي الشرف) ، تأليف أبي القاسم ابن الشاط الأنصاري السبكي ، مصورة الأستاذ العالم محمد إبراهيم الكتاني ، عن مخطوط الاسكوريال ضمن مجموع يحمل رقم ١٧٣٢
- وانظر عن ترجمة أبي علي بن أبي الشرف (ذرة الحجال) لابن القاضي ، دار التراث بالقاهرة - ع ٣٦٦
- ٤٩ - (رحلة ابن رشيد) : نفس المصورة والجزء الأتقي الذكر - لوحة ٢١/أ .

٥٠ - هذا السند مكتوب على فرع من صحيح البخاري برواية ابن السكن ، وسنعرف - وشيكا - بالنسخة ذاتها .

٥١ - (ثبت) أحمد بن علي البلوي الوادي أشي الأندلسي ، نسخة مصورة عن مخطوطة الإسكوريال رقم ١٧٢٥ - لوحة ١٨ / أ .

أما الطنجي صاحب الأصل المشار له فلا يبعد أن يكون أبا الفرج الطنجي : محمد بن محمد بن موسى الأموي القاسي ، المتوفى - يا - عام ٨٨٩ هـ ، وقد كانت له أسانيد حديثة وفهرمة ، ووصف في ترجمته بالحافظ المحدث ، ويقول عنه ابن غازي : « واجتمعنا - بجامع القرويين عمره الله تعالى - على قراءة صحيح البخاري ، حتى ختمناه تحقيقاً وتدقيقاً وبحثاً ومطالعة لما نحتاج إليه من الغريب ونحوه » .

انظر ترجمته في مخطوطة (فهرس) ابن غازي ، مع (سلوة الأنفاس) ١١٨ : ١١٩ ، (وفهرس الفهارس) ١١٢ / ١

٥٢ - مخطوط في نسخ قليلة ، ومنها بالخزائن العامة : واحدة بالقرويين رقم ١٤٥ من اللاتحة الجديدة ، وأخرى بتمكروت ثلاثة بمجموع رقم ٧٠٩ ، وثالثة بالكتبة الملكية أول مجموع رقم ٣٥٥

٥٣ - وردت الإشارة لهذا الأصل مرة أخرى عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م ، حيث وقعت المقابلة والتصحيح عليه ، والغالب أن ذلك كان بمدينة فاس ، حسب الخاتمة التي ذيلت بها نسخة الجامع الصحيح برواية ابن منظور ، وسنذكر - قزياً - أن نفس النسخة محفوظة بخزانة تمكروت رقم ٣١٢

٥٤ - مخطوطة (فهرسة) ابن غازي عند ترجمة السراج المذكور .

٥٥ - ذكر وسيذكر أن هذه النسخة من ذخائر خزانة تمكروت رقم ٣١٢

٥٦ - (نفح الطيب) ٦ . بولاق ٣٦١ / ١

٥٧ - مرآة المحاسن ط.ف - ص ٥٠

٥٨ - ترجمته في (جذوة المقتبس) ع ١٨٧ مع (بغية الملتبس)

ع ٣٤٧

- ٥٩ - (بغية الملتبس) ع ١٥٠٠ ، وترجمه - أيضاً - ابن الأبار في (التكملة) ع ٢١٠٣ و (معجم أصحاب الصديقي) ع ٣١٣
- ٦٠ - (فهرس) ابن خبير ، الطبعة الجديدة - ص ٩٥
- ٦١ - ترجمته في (الذيل والتكملة) ، القسم المنشور في لبنان - السفر الخامس ع ٥٤١
- ٦٢ - ترجمته في (الصلة) ع ١١٩٤ ، مع بغية الملتبس ع ٢٤١
- ٦٣ - في الأصل ابن بدل عن .
- ٦٤ - انظر عن ترجمته ومنتسخاته : محمد المتوني : (الوراقة المغربية) : القسم الثاني ، مجلة البحث العلمي عدد ١٨ ، السنة ٨ ص ٢٩ - ٣١
- ٦٥ - انظر عن ترجمة الصديقي وأصله الباقي في ليبيا من الجامع الصحيح : « التنويه والإشادة ب مقام رواية ابن سعادة » للحدث المغربي محمد عبد الحفي الكتاني ، وهي رسالة ألفها تصديراً للسفر الثاني من أصل ابن سعادة من صحيح البخاري ، ونشرت معه بالتصوير الشمسي في ٢٩ ص .
- مع (فهرس الفهارس) لنفس المؤلف ١١٠/٢ - ١١٣
- وثالثاً : تعريف بأصل الصديقي الباقي في ليبيا ، بقلم محمد الطاهر بن عاشور مفتي الجمهورية التونسية ، حسب نشرة « أخبار التراث العربي » ، العدد ٣٢ ص ٥ - ٨
- ورابعاً : دراسة للدكتور عبد الهادي التازي بعنوان (صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصديقي) ، مجلة (دعوة الحق) ، العدد الثامن ، السنة الخامسة عشرة - ص ١٨ / ٣٤
- ٦٦ - ترجمته في (الدور الكامنة) ٢٥١/١ - ٢٥٢
- ٦٧ - لا يزال نص السماع والإجازة موجوداً بأول نفس النسخة ، حسب محمد الطاهر بن عاشور : نشرة (أخبار التراث العربي) : العدد ٣٢ ص ٧ / ٨
- ٦٨ - انظر عن ترجمته وإقامته بفاس : (التعريف بابن خلدون) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ص ٤٩/٥٤
- ١٩ - ترجمته في (التكملة) ع ١١٣٧ مع (الذيل والتكملة) : مجلد الغرباء المصورة المتكررة الذكر . لوحات ١٨٩ - ١٩١

- ٧٠ - نقله ابن الأبار في (التكملة) ع ١١٣٧
- ٧١ - (برنامج شيوخ الرعيني) - ص ٢٥ ، وهناك فرع لأصل ابن خير كان بتلسان عند الإمام محمد بن مرزوق الكفيف ، وفيه قرأ عليه صحيح البخاري أحمد بن علي البلوي الوادي أشي الأندلسي ، « ثبت البلوي » : نسخة مصورة عن مخطوطة الاسكوريال رقم ١٧٢٥ - لوحة ١٩/أ.
- ٧٢ - الذيل والتكملة : مجلد الغرابة الآنف الذكر - لوحة ١٩١
- ٧٣ - انظر التعليق رقم ١٠٥
- ٧٤ - ترجمته في :
- (إنباء الرواة على أنباء النحاة) لابن القفطي رقم ٢١
- (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ - ١/٦٧ - ٦٨
- (غاية النهاية) لابن الجوزي رقم ٣١٥
- (جذوة الاقتباس) لابن القاضي ، ط.ف - ص ٤٦ - ٤٧
- ٧٥ - ترجمته في :
- (طبقات الشافعية الكبرى) للمبكي ٤/١٨٦ - ١٨٩ ، مع (غاية النهاية) في طبقات القراء لابن الجزري رقم ٣٤٨٥
- وقد ورد ذكره شيخاً للهيدي بن قومرت مؤسس دولة الموحدين ، خلال سند هذا الأخير إلى (الموطأ) برواية يحيى بن عبد الله بن بكير الخزومي حسب طالعة (مختصر موطأ مالك) لابن قومرت ، ج.ع.ج ٨٤٠ ص ٤ ، وسقط اسم الحضرمي الذي نعلق عليه من نسخة القرويين ، حسب سند نفس الكتاب المنقول في مقدمة (برنامج خزائن القرويين) ، المنشور بالمطبعة البلدية بفاس ص ٦ ، أما الطبعة المنشورة بالجزائر فقد خلت من السند بجملته .
- ٧٦ - ترجمته في (شذرات الذهب) ٤/٢٠٥ ، حيث يذكره باسم عبد الجليل بن أبي أسعد الهروي .
- ٧٧ - هو أبو سعيد خليل بن كيكلاي الدمشقي المتوفى عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م وترجمته في (الدرر الكامنة) ٢/٩٠ - ٩٢ .

- ٧٨ - عائشة بنت محمد بن عبد الهادي العمري المقدسي الصالحى ، توفيت عام ٨١٦ / ١٤١٣ م ، وترجمتها في (الضوء اللامع) ٨١/١٢
- ٧٩ - يقع التصريح بها في المطبوع على النسخة اليونانية ، حسب « صحيح البخاري » مطبعة الباني الخلي بمصر ٤/٤٢ ، حيث ورد في تعليق بالهامش : « وروى ابن الخطيئة ... » .
- ٨٠ - (التنويه والإشادة بقسام رواية ابن سعادة) : المقدمة المنشورة بالتصوير مع السفر الثاني من نسخة ابن سعادة .
- مع مقدمة نفس النسخة بالفرنسية للمستشرق لافي بروفنسال .
- وانظر - أيضاً - الساعات المسجلة على الصفحة الأولى من النسخة المصورة ذاتها . مع وجادة مقيدة على مخطوط بالملكية الملكية رقم ٧٢٤٦ ، وهي بخط محمد الطبيب بن عبد السلام بن الحياط القادري ، نقلًا عن خط أبي العباس أحمد ابن العربي بن سليمان الأندلسي ثم الفاسي .
- ٨١ - هذا يوجد في صيغة معارضة كانت بظاهر نسخة قوبلت على أصل ابن سعادة ، ثم نقلت الصيغة نفسها آخر الخمس الأخير من الجامع الصحيح ، في نسخة أخرى تشتمل عليه وعلى الخمس الثالث ، بالملكية الملكية رقم ٩٥٧٦
- ٨٢ - يوجد من هذه النسخة جزءان من خمسة أجزاء بالملكية العاشورية بتونس ، حسب مجلة « المغرب » الصادرة عن وزارة المثل الشخصي للعاهل المغربي ، العدد ٦-٧ « مزدوج » دجنبر ١٩٦٥ / ص ١٥
- ٨٣ - انظر خاتمة نسخة الجامع الصحيح برواية ابن منظور ، وقد تكرر ذكرها ، وعلنا أنها بأجزائها الثلاثين بخزانة تمكروت رقم ٣١٢
- ٨٤ - (مرآة المحاسن) ص ٩٤ ، وفي فرع مباركة من الجامع الصحيح المأخوذ من هذه النسخة المستجدة ، أن هذه كتب برسم الحافظ أبي العباس أحمد بن أبي المحاسن ، حسبما يسجل هذا منتسخها في افتتاحية مطولة كتبها بخطه على هامش الصفحة الأولى من نسخته التي سنذكر أنها محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم ج ٦٦٢
- ٨٥ - انظر ترجمته في (سلوة الأنفاس) ٢٨٦/٣

- ٨٦ - (مرآة المحاسن) ص ٤٩ - ٥٠ : ويضيف ميارة في افتتاحيته الآنفة الذكر ، أن أبا العباس بن أبي المحاسن قام - من جهته - بتصحيح هذا الفرع غاية .
- ٨٧ - نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية على هامش حاشية محمد بن عبد الرحمن ابن زكري على الجامع الصحيح ، في خمسة أجزاء .
- ٨٨ - (التنويه والإشادة) ص ٣٧ / ٣٨
- ٨٩ - ترجمته ومراجعتها (سلوة الأنفاس) ، ط . ف ١ / ١٦٥ - ١٦٧
- ٩٠ - ص ١٠
- ٩١ - ترجمته ومراجعتها في (سلوة الأنفاس) ١ / ٣٠٩ - ٣١٦
- ٩٢ - (التنويه والإشادة) ص ١٠ ، مع الوراقة المغربية : القسم الثاني ، مجلة البحث العلمي ، عدد ١٨ ، السنة ٨ / ص ٣٥
- ٩٣ - ترجمته عند القادري في كل من (نشر المثاني) المطبوع ، ١٤٢/٢ و (الأكليل والتاج . في تذييل كفاية المحتاج) ، مخطوط المكتبة الملكية رقم ١٨٩٧
- ٩٤ - ترجمته ومراجعتها في (سلوة الأنفاس) ٢ / ٣١٦ - ٣١٨
- ٩٥ - انظر محمد المنوفي : الوراقة المغربية : القسم الثاني ، مجلة البحث العلمي ، عدد ١٨ ، السنة ٨ - ص ٣٦
- ٩٦ - ترجمته ومراجعتها في (سلوة الأنفاس) ، ١ / ٢٩١ - ٢٩٢
- ٩٧ - جاء ذكره دون تحديد تاريخ وفاته ، بخط أخيه محمد ، خلال تلك كتبه هذا الأخير ، على مخطوطة من شرح الحكم العطائية لابن عباد ، خ . ع ك ١٥٩
- ٩٨ - سلوة الأنفاس عند ترجمته ٢ / ١٠٠ - ١٠١ نقلا عن « البدور الضاوية » حيث يعدد مؤلفها ذكر خمسة من المحمدين في اسمه واسم آبائه خلاف الوارد في السلوة .
- ٩٩ - عند ترجمته ١ / ١٣٨ - ١٣٩

١٠٠ - انظر عن ترجمته وبعض منسخراته : محمد المنوني : (معرض المخطوطات العربية بكناس) ، مجلة تطوان ، العدد ٣ - ٤ مزدوج ، ص ٩٩ - ١٠٠

١٠١ - ج ٢/٦٦

١٠٢ - في : شوال ١٢٤٦ هـ ، كتب بخطه تقریظاً على مخطوط بالمكتبة الملكية رقم ١٦٦٣

١٠٢ مكرر - مجلة « المغرب » : نفس العدد الوارد عند التعليق رقم ١٨ / ٨٢

١٠٣ - التنويه والإشادة ص ١١٠ - ١١١ ، مع انخاف أعلام الناس خلال ترجمته ج ٥ / ٥١٨ - ٥٢٠

١٠٤ - (نفحة الملك الداري لقارئ صحيح البخاري) لأبي الفيض حمدون ابن الحاج الفاسي ، ط . ف ، عند المزمة ١٦ ص ٥

١٠٥ - (التحفة القادرية) ، مخطوط خ . ع ، ك ٢٣٢١ / المجلد الأول ، عند الباب السابع ، وتقدم الكتاني في التنويه والإشادة ص ٢٨ - ٢٩ ، وفي فهرس الفهارس ٣٦٨ / ٢

ومن الذين اعتمدوا رواية عياض من المشاركة : الشرف اليونيني آبي الذكر ، وهو يروي الجامع الصحيح من طريق أبي ذر هكذا : عن شيخه أبي جعفر المهداني ، عن أبي طاهر السلفي ، عن أبي الفضل عياض ، عن أبي علي الصدي ، عن أبي الوليد الباجي : عن أبي ذر ، (انظر مقدمة النسخة اليونينية) المحفوظة بالمكتبة الملكية رقم ١٠٨٠٢

ومن الذين ذكروا هذه الرواية من المغاربة : علم الدين صالح بن محمد الفلافي المسوفي ، حيث يرفع سنده في صحيح البخاري إلى محمد بن جابر انقيسي الوادي آشي ، عن ابن مجاهد ، عن أبي محمد أحمد بن خليل السبكي ، عن القاضيين : عياض وأبي بكر بن العربي ، عن أبي علي الصدي ... « (قطف الثمر) لصالح الفلافي المذكور ، مطبعة حيدر آباد بالهند ص ١١

ومن المتأخرين ذكر نفس الرواية علامة فاس : محمد بن قاسم القادري الحسني

وأُسندهما من طريق المثوري إلى عياض عن الصدي عن الباجي عن أبي ذر .
فهرس القادري المذكور ، المطبعة الفاسية ، عند الملزمة الثانية ص ٥ ، وانظر
ترجمة نفس المؤلف من فهرس الفهارس ٢٩٣/٢

١٠٦ - (نضفة المسك الداري) ، عند الملزمة ١٦ ص ٦

١٠٧ - فهرس المذكور : « ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح » ، مخطوطة
المكتبة الملكية رقم ٤٢٧٥

١٠٨ - كتاب المزاي : عند البدعة رقم ١٣

١٠٩ - انظر ترجمته من فهرس الفهارس ٨٨،٢ - ٩٠

١١٠ - يظهر أنه المترجم في « الدور الكامنة » ٢٧،٤

١١١ - انظر ترجمته من كتاب « الذيل على طبقات الخنابلة » لابن
رجب ، ٢٤٥/٢ - ٢٤٦

١١٢ - يقول الشرف اليونيني عن هذا الأصل : وهي نسخة صحيحة معتنق
بها ، حجة . وينقل عن شيخه أبي إسحاق بن الأزهر الصريفي : « وهذه النسخة
من صحيح البخاري مفزع يلجأ إليه ، لصحتها وإتقانها » ، (انظر مقدمة
النسخة اليونينية) المحفوظة بالمكتبة الملكية رقم ١٠٨٠٢

١١٢ - يقول عنه الشرف اليونيني حسب نفس المصدر : « وأما الأصل
المعزى إلى الأصيلي فإنه وقف في مدرسة شيخنا : الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله
محمد بن عبد الواحد المقدسي . . . وهو أصل صحيح تظهر عليه تحايل
النباهة والصحة »

وانظر عن مدرسة المقدسي الدمشقية كتاب (الذيل على طبقات الخنابلة)
لابن رجب ٢٣٨/٢

١١٤ - ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي - ٤ /
٢٧٣ - ٢٧٧

١١٥ - ترجمته في شذرات الذهب ١٦٦،٤ ، ويشير اليونيني في مقدمة
نسخته : إلى أن أصله من الجامع الصحيح راجع إلى هذا الأصل المسروع على

أني الوقت ، وقد ورد ذكر أني الوقت وسنده إلى البخاري أول المجلدة الثانية من النسخة اليونانية ، حسب هامش صحيح البخاري ، مطبعة الباني الحلبي بمصر ١٧٧/٤

١١٦ — ترجمته عند السبوطي في بغية الوعاة ص ٥٣ — ٥٧

١١٧ — نشر لأول مرة بالهند ببلدة إله آباد عام ١٣١١ هـ ، وأعيد نشره بالقاهرة في مطبعة لجنة البيان العربي . عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

١١٨ — (مقدمة إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) ، الطبعة السادسة بالمطبعة الأميرية بمصر ١/١٤

١١٩ — (نيل الأمان في توضيح مقدمة القسطلاني) ، المطبعة الميمنية بمصر ص ١١٤

١٢٠ — ورد هذا التعليق في ذيل شواهد التوضيح لابن مالك : المطبعة الآنفه الذكر ص ٢٢١

١٢١ — يحدد القسطلاني موقع هذه المدرسة بأنها بسوق العزى خارج باب زويلة من القاهرة ، (مقدمة إرشاد الساري) ١/٤٠

وهذا الوصف إنما ينطبق على التي يسميها المقرئزي . مدرسة الجائي ، وهو يقول عنها : « هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل . . ويعرف الآن خطها بخط سوق العزى ، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين الجائي في سنة ثمان وستين وسبع مائة ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ، ودرساً للفقهاء الحنفية ، وخزانة كتب . . . » (الخطط المقرئزية) ، مطبعة النيل بمصر ٢٤٩/٤ ، وحسب علي مبارك صارت هذه المدرسة تعرف بجامعة الجائي ، (الخطط الجديدة) ٥/٦

على أنه قد تكون قامت مدرسة أخرى في نفس الخط ، وبنفس الاسم الذي ذكره القسطلاني ، وأغفل المقرئزي تسجيلها ، وقد قال ابن بطوطة في هذا الصدد : « وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها » (تحفة النظار) : المطبعة التجارية الكبرى بمصر ٢٠/١

١٢٢ — مقدمة إرشاد الساري ١/١٤

١٢٣ — ورد هذا خلال إجازة من عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن الحاج إلى محمد بن موسى بن محمد بن الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر ، وثقع أول مجموع خ. ع. ق ١٧٢ ، وانظر عن ترجمة الورداني « خلاصة الأثر » للحجي ٤ / ٢٠٤ — ٢٠٨ ، مع (الإعلام بن حل براكش وأغاث من الأعلام) ٢٣٤/٤ — ٢٥٩

١٢٤ — (مقدمة إرشاد الساري) ٤١/١

١٢٥ — ترجمته في (الدرر الكامنة) ٣١٩:٣

١٢٦ — (فهرسة الكتب العربية الموجودة بالكتبخانة الخديوية) ط . مصر عام ١٣١٠ هـ ج ١/٣٠٢ ، ويوجد أيضاً بنفس الفهرس والجزء ص ٣١٠ : وصف نسخة أخرى من الجامع الصحيح ، يا ٢٤ جزءاً من تجزئة ثلاثين ، آخرها بخط محمد بن أحمد المزي الحريري ، وعليها خط انقسطلاني .

١٢٧ — المصدر الأخير ٣٠٢/١

١٢٨ — انظر عن ترجمته فهرس الفهارس ١/١٣٦ — ١٤١

١٢٩ — ترجمة عبد الله بن سالم البصري التي كتبها الشيخ سالم بن أحمد الشباع ، وهي منشورة في ذيل فهرس : (الإمداد بمعرفة علو الاسناد) ، مطبعة حيدر آباد الدكن بالهند ص ٩١ — ٩٢ ، مع طلعة المشتري ط . ف ٨٦/٢

١٣٠ — فهرس الفهارس ١/١٤٠

١٣١ — المصدر الأخير ١/١٤٠ — ١٤١

١٣٢ — انظر عن بعض مطبوعاته معجم المطبوعات لسركيس ، ع ٥٣٥ — ٥٣٦

١٣٣ — الافتتاحية الأولى لطبعة البخاري المعنية بالأمر ، وهي عبارة عن تقرير موضوعي حرره الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر .

أما فروع اليونينية الثلاثة المشار لها ، فقد وردت الإحالة عليها في هوامش مطبوعة البخاري التي نعلق عليها ، حسب مطبعة الحلبي بمصر ، ومن نماذج هذه الاحالات :

- فرع الغزولي : ١٦٤/٣ ، حيث يسمى بالفرع التتكري .
- الفرع المصحح على ما صححه المزي والذهبي ١٩٣/٤
- فرع عبد الله بن سالم البصري : وفقاً للمقابلة به كثيراً من هوامش مطبوعة البخاري المتكررة الذكر ، ابتداء من ١٢/١ إلى ١٩٩/٩ . عند مقارنة آخر حديث من الجامع الصحيح .
- ومن الأصول الأخرى المشار لها في هوامش نفس الطبعة :
- أصل الحافظ المنذري / ٥٤ ، مع ٥٣/٢
- أصل منقول من نسخة ابن أبي رافع ١٩٣/٤

إختلاف الصحابة والأئمة

في الأحكام المشروعة للأمة

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (النساء : ٥٨)

وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (الأنعام : ١٥٢)

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى (المائدة : ٨)

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول (النساء : ٥٩) .

وأن احكمم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك (المائدة : ٤٩)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (آل عمران : ١٠٢)

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأوائك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأوائك لهم عذاب عظيم (آل عمران : ١٠٤ ، ١٠٥)
وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتشلاوا وتذهب ببحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين (الأنفال : ٤٦)

اتخذ الصحابة رضي الله عنهم ، رسول الله ﷺ لهم قدوة وأسوة ، أقواله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » فكانوا يفعلون كما يفعل ، يتوضؤون كما يتوضأ ، ويصلّون كما يصلي ، ويحجون كما يحج ، ويصومون كما يصوم ، ويحكمون كما يحكم ، ويتعبّدون كما يتعبّد ، إذ قال لهم رسول الله ﷺ صابروا كما رأيتموني أصلي ، وقال لهم : خذوا عني مناسككم ، وقد يراه بعضهم يصلي على وضع خاص فيضع يديه تحت سترته فيفعل في حالته كما رأى ، ويراه آخرون في صلاة أخرى يضع يديه إلى صدره في الجهة اليسرى إلى قلبه ، فيفعلون كما فعل ، دون أن يروا ذلك اختلافاً ، أو يثير بينهم نزاعاً ، بل يرون كل ذلك جائزاً ، لا يحيدون عما رواه الرسول بفعله ، ولا يفترضون أن يأتوا بما لم يأت ، فلم يكن من سبيل إلى خلاف بينهم فيما نزل فيه قرآن ، أو فيما لم ينزل فيه وبينته السنة ، ولم يشجر بينهم أي خلاف ، في فهم آية من القرآن ، أو في قضاء قضى به الرسول ، أو في قول صدر منه ﷺ أو في فعل أقره .

وكان ﷺ يرغب في التفقه في الدين كما قال عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيراً يفقهه » في الدين ، وفقهه الأكبر عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم ، فإذا رفع إليه حكم حادثة انتظر حتى ينزل عليه الوحي .

توفي أوس بن ثابت الأنصاري عن ثلاث بنات وزوجة . وجاء رجلان من بني عمه - وصيان له - سويد وعرفجة - وأخذوا ماله وقال ﷺ لا امرأة أوس ، حين جاءت إليه : « ارجعي إلى بيتك ، حتى أنظر ما ما يجدته الله في أمرك » ، فنزل « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ أو كثر نصيباً مفروضاً » . فقال ﷺ لهما (أي لسويد وعرفجة) لا تقربا من مال أوس شيئاً .

ثم جاء « ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين » .

فأمرهما بإعطاء الزوجة الثمن ، إلى أن نزل قوله تعالى : « فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » فأرسل اليها أن ادفعنا نصيب بناتنا اليها .

وروي أن النبي ﷺ كان يجتهد في بعض الأحكام - كما وقع في ظاهر خولة بنت ثعلبة - وزوجها أوس بن الصامت لم يستطع أن يؤدي الكفارة . وقد نزل قوله تعالى « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، ألح فأعانه ﷺ وأعطاه خمسة عشر صاعاً من تمر .

وروي أن الذين كتوا يفتنون على عهد رسول ﷺ بأمره ستة : ثلاثة من المهاجرين : أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ، وثلاثة من الأنصار وهم أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضي الله عنهم .

وقد أرشدهم إلى الإمامة في الصلاة بقوله عليه السلام : « ليؤمكم أقرؤكم لكتاب الله عزوجل ، فإن كنتم في الكتاب سواء فليؤمكم أعلمكم بالسنة ، فإن كنتم في السنة سواء فليؤمكم أقدمكم هجرة ، فإن كنتم في الهجرة سواء فليؤمكم أكبركم سناً » .

إن الصحابة رضي الله عنهم قد اهتموا بهديه ونسجوا على منواله ، غير أنه لم يكن الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصاً بأخاملين للقرآن الكريم ، والعارفين لأساليبه ودلالته بما تلقوه عن رسول الله ﷺ وكانوا يُسمَّون القراء ، وهؤلاء هم حملة القرآن المنود عنهم في قوله ﷺ : « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه » .

فبقدر ما ناله الصحابي من معرفة الكتاب والسنة كان استنباطه للأحكام ، ولذلك لم يكونوا جميعاً في درجة واحدة بل كانوا كالنجوم بأهم اقتدينا اهتدينا .

السنة والفقّة في عصر النبي ﷺ وبعده :

يوم الفتح استعمل النبي ﷺ على مكة عتب بن أسيد يصلي بهم ، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقّه .

وقد جاءت إلينا شهادات تدل على أنّ الصحابة كانوا عالمين بالفرائض والواجبات والسنن والمستحبات ، كما أنهم فرقوا بين الحلال والحرام ، والنراهي والمكروهات .

الفرضية والوجوب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج ، فحجّوا ، فقال رجل أكلتُ عام يارسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : ولو قلتُ نعم لوجبت . أخرجه مسلم (ج ١ ص ٤٣٢) .

ولأحمد وابن خزيمة (كنز العمال ج ٣ ص ٢٣) ، وصححه الترمذي (ج ١ ص ١١٢ واللفظ له) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن العمرة أواجبة ؟ قال : لا ، وإن يعتمروا هو أفضل .

السنة :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس امرأة ولا يباشرها ، ولا يخرج حاجة إلا لما لا بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع ، أخرجه أبو داود (ج ٢ ص ٣١٠) .

الأمر للوجوب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر رجلاً أفطر في رمضان أن يعتق رقبة ، أو يصوم شهرين ، أو يطعم ستين مسكيناً . أخرجه الدارقطني (ص ٢٤٣) بسند صالح .

الأمور للندب :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة ، أيام البيض ، ثلاث عشرة ، وأربع عشرة وخمس عشرة - أخرجه النسائي (ج ١ ص ٣٢٨) وحسنه الترمذي (ج ١ ص ٩٥) وصححه ابن حبان (بلوغ المرام ص ٥٢) .

لا جناح = إباحة ، حسن = مستحب :

عن جمرة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله ﷺ أجدني قوة على الصيام في السفر قبل عليّ جناح ؟ فقال رسول الله : هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه . أخرجه مسلم (ج ١ ص ٣٥٧) .

الكراهة :

وللبخاري (ج ١ ص ٢٦٠) عن أنس رضي الله عنه « أنه مثل أكرم نكرهون الحجامة للصائم ؟ قال : لا ، إلا من أجل الضعف » .

النهي = الحرام :

عن عمر رضي الله عنه قال : هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما يوم فطركم من صيامكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نكحكم . أخرجه الشيخان (ج ١ ص ٢٦٧ ، ج ١ ص ٣٦٠)

ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه نهى رسول الله ﷺ عن صوم الفطر والنحر . وصححه ابن خزيمة (بلوغ المرام ص ٥٣) والحاكم (ج ١ ص ٤٣٤)

عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب لما قدم المدينة قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس انه قد سنت لكم السنن

وفرضت لكم الفرائض ، وقد تركتم على الواضحة الا أن تضلوا بالناس
ميناً وشمالاً - عن عبد الله بن مسعود قال : القصد في السنة خير من
الاجتهاد في البدعة .

عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال : ليس الوتر بحتم
كهينة المكتوبة ولكنه سنة سنّها رسول الله ﷺ .

عن مالك بن أنس قال : قال عمر بن عبد العزيز : سنّ رسول الله ﷺ
وولاية الأمر من بعده سنناً ، الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتدي ومن استنصر بها منصور ،
ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وصلاه جهنم
وساء مصيراً .

حدثنا صالح بن كيسان ، قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب
العلم فقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال :
نكتب ما جاء عن الصحابة فانه سنة ، وقلت أنا ليس بسنة ولا نكتبه ،
قال : فكتبه الزهري ولم أكتبه ، فانجح وضيعت .

وروى الشعبي عن مسروق عن عمر أنه خطب الناس ، فقال : ردّوا
الجهالات إلى السنة .

عن ميمون بن مهران في قول الله عز وجل : « فإن تنازعتم في شيء
فردوه إلى الله والرسول » قال : الردّ إلى الله إلى كتابه ، والردّ إلى الرسول
ما كان حياً ، فإذا مات سنّته .

حدثنا حماد قال سمعت الشعبي يقول : قال مسروق : حب أبي بكر
وعمر ومعرفة فضلها من السنة .

وكان ابراهيم التيمي يقول : اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف
بالحق ، ومن اتباع الهوى ، ومن سبيل الضلالة ، ومن مشتهات الأمور ،
ومن الزيف والخصومات .

رأى سعيد بن المسيّب رجلاً يصلي بعد العصر الركعتين يكثر ، فقال له : يا أبا محمد : أبعدني الله على الصلاة ؟ قال : لا ، ولكن يعذبك الله بخلاف السنة .

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها ، فقال فلان بن عبد الله : إذا والله أمنعها . فأقبل عليه ابن عمر فشتمه شتمه لم أره شتمها أحداً قبله ، ثم قال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : إذا والله أمنعها .

عن أبي الخارق قال ذكر عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم ، فقال فلان : ما أرى بهذا بأساً يدا بيد ، فقال عبادة : أقول قال النبي ﷺ وتقول لا أرى به بأساً ، والله لا يظلني وإياك سقف أبداً .

عن مكحول قال السنة سنتان : سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر ، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره حرج .

القضاء :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أتى علينا زمان لسنا نقضي ، ولنا هنالك ، وإن الله قد قدر من الأمر أن قد بلغنا ماترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل ، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ ، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا تقل إني أخاف ، وإني أرى ، فإن الحرام بين والحلال بين ، وبين ذلك أمور مشبهة ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

عن عبد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر

فكان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر ، فإن لم يكن قال فيه برأيه .

الاختلاف في استنباط الأحكام :

وقع الاختلاف في الأحكام العملية المدنية فيما بين الصحابة رضي الله عنهم حسب فحوى الآيتين الكريمتين : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » و « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فكان الشارع ﷺ مرجع الصحابة في كل ما يحدث بينهم من نزاع ، إذا اختلفوا في أمر رددتهم إلى الصواب فيه ، وقد ينزل بهم الأمر العاجل فلا يتيسر لهم أن يتصلوا برسول الله ﷺ في شأنه لبعدهم عنه مقاماً ، أو لغيبته عنه في سفر ، فكانوا يجتهدون في تعرف حكمه فيتفقون أو يختلفون ، فإذا ما حضروا عنده عرضوا عليه اجتهادهم اتفاقاً أو اختلافاً ، فيبين لهم ما اختلفوا فيه من الحق ، فيسلمون لأمره .

فعن عمرو بن العاص أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل (السلاسل كما في البداية والنهاية موضع من مشارف الشام سميت الغزوة باسمه لأن جند المسلمين بدأوا غزوم منه) سنة ثمان من الهجرة أصابته جنابة في ليلة باردة شديدة البرد ، قال : فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك فقال : يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فقلت ذكرت قول الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » ، فتيمنت ثم صليت ، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً - رواه أحمد وأبو داود ، فاطمأن عمرو وأصحابه لما فعل عمرو - (نيل الاوطار للشوكاني ، ج ١ ص ٢٥٥) .

وعن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيما صعيداً طيباً فصليا ، ثم وجدا الماء في الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يُعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له ، فقال للذي لم يُعد : أصبت السنة أي الشريعة الواجبة ، وأجزأتك صلاتك ، وقال للذي توخأ وأعاد : لك الاجر مرتين ، أي لقيامه بفعل المأمور به مرتين ، رواه أبو داود والنسائي (نيل الاوطار ج ١ ص ٢٤٨)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال : لا ينفر صيدها ، ولا يختلي شوكها ، ولا تحل ما قطنتها الا لمنشد ، فقال العباس رضي الله عنه : إلا الإذخير ، فإننا نجعله لقبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ : إلا الإذخير ، متفق عليه (نيل الاوطار ج ٥ ص ٢١) . والإذخير حبش أخضر طيب الراح ، اذا جف أبخس .

على هذا كان أمر المسلمين في عهد رسول الله ﷺ ، لم يكن لاحد من أصحابه ﷺ أن يخالف عن رأيه ، لا اختلاف في الاحكام ولا تعارض في المبادئ ، فلما توفي ﷺ وانقطع بوفاته الوحي انتهى زمن التشريع .

اختلاف الصحابة :

وكان أول ما اختلف فيه أصحابه ﷺ مسألة الخلافة ومن يخلفه من أصحابه في ولاية أمر المسلمين ، واختلفوا فيمن تكون فيهم الخلافة ؟ أفي المهاجرين أم في الانصار ؟ ثم أتكون لواحد أم لأكثر ، فحدث الخلاف إذا بعد وفاة رسول الله ﷺ في الاحكام ، ولا يزال الى اليوم ولن يزال قائماً ما دام الناس هم الناس بطبائعهم وأفكارهم وأنظارهم ، وتقلبهم ومعاشهم ، وتعليمهم وتربيتهم ، وبيئتهم وأعرافهم .

إن أصحاب رسول الله ﷺ قاموا بتطبيق ما حفظوا من شريعته على ما عرض لهم من حوادث وواجههم من مسائل بعد وفاته ، متبعين في ذلك أولاً الكتاب فالسنة ، فان وجدوا زمناً يدل على حكم الواقعة وقفوا عنده ، واجتهدوا في فهمه وتعرف المراد منه ، ليتمكنوا من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً ، وإذا لم يجدوا اجتهدوا في استنباط حكمه معتمدين على ملكتهم التشريعية التي تكونت لهم من مشافهة الرسول ﷺ والاخذ عنه ، فكانوا يتشاورون ويتباحثون ، وقد يؤدبهم اشتراكهم في البحث والنظر الى الاجماع على حكم واحد ، وهذا ما يكثر وقوعه ، وقد يختلفون ولا ينتهون الى رأي واحد ، (علي الحقيف : محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء ص ١٧ بتغير سير) .

وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطأ بعضهم بعضاً ، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها ، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم لما فعلوا ذلك (ابن عبد البر : جامع بيان العلم ، ج ٢ ص ٨٤) .

وانه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « احذروا زلة العالم » ، وعن عمر ومعاذ وسلمان مثل ذلك في التخويف من زلة العالم .

وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في غير مسألة أنه قال : أقول فيها برأيي ، فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فنسي ، وأستغفر الله تعالى .

وغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اختلاف أبي بن كعب رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه في الصلاة في التوب الواحد ، إذ قال أبي : الصلاة في التوب الواحد حسن جميل ، وقال ابن مسعود : انما كان ذلك والشياب قليلة ، فخرج عمر مغضباً ، فقال : اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ بمن ينظر اليه ويؤخذ عنه (وهذا يؤيد ما يفهم من الحديث) (٦) .

الذي ضعفوه : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ، قد صدق أبي ولم يأل ابن مسعود ، ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا .

وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر رضي الله عنه في أهل الردة ، واحتجوا عليه بقول رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : من حقها الزكاة ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، ولو منعوني عذاقاً (ويروى : عقلاً) لقاتلتهم عليه . فبان لعمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة الذين خالفوا أبا بكر في ذلك أن الحق معه ، فبايعوه . وقوله ﷺ : « إلا بحقها » مثل قوله عز وجل : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » .

وردت عائشة رضي الله عنه قول أبي هريرة رضي الله عنه : تقطع المرأة الصلاة ، وقالت : كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا معترضة بينه وبين القبلة . وردت قول عمر رضي الله عنه : الميت يعذب ببكاء أهله عليه وقالت : وهم أبو عبد الرحمن أو أخطأ أو نسي .

وأنكر ابن مسعود رضي الله عنه على أبي هريرة قوله : من غسل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليتوضأ . وقال فيه قولاً شديداً ، وقال بأنهم الناس : لا تنجسوا من موتاكم .

وقيل لابن مسعود إن سلمان بن ربيعة وأبا موسى الأشعري قالوا في بنت وبنت ابن وأخت ، إن المال بين البنت والاخت نصفان ولا شيء لبنت الابن ، وقالوا للسائل : واثت ابن مسعود فإنه سيتابعنا . فقال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، بل أقضي فيها بقضاء

رسول الله ﷺ للبنت النصف ، ولابنة الابن السدس تكمة للثلاثين ، وما بقي فلأخت .

وأنكر جماعة أزواج النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها في رضاع الكبير ولم تأخذ واحدة منهم بقولها في ذلك . وأنكر ذلك أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال : إنما الرضاة ما أنبت اللحم والدم ، فرجع أبو موسى إلى قوله .

وأنكر ابن عباس رضي الله عنه على علي رضي الله عنه انه أحرق المرتدين بعد قتلهم ، واحتج ابن مسعود بقوله ﷺ « من بدل دينه فاضربوا عنقه » ، فبلغ ذلك علماً رضي الله عنه فأعجب قوله .

وعن عمر رضي الله عنه في الجارية النوبية التي جاءت حاملاً الى عمر ، فقال لعلي وعبد الرحمن رضي الله عنهما ما تقولان ؟ فقالا أنضاء غير قضاء الله تلتمس ، قد أقرت بالزنا ، فحجدها ، وعثمان رضي الله عنه ساكت ، فقال عمر رضي الله عنه لعثمان ما تقول ؟ فقال أراها تستهل به ، وإنما الحدة على من علمه ، فقال عمر رضي الله عنه : القول ما قلت ، ما الحدة إلا على من علمه .

قال أبو يوسف : « وحدثني غير واحد من علماء أهل المدينة ، قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه شاور أصحاب محمد ﷺ في تدوين الدواوين ، وقد كان اتبع رأي أبي بكر رضي الله عنه في التسوية بين الناس ، فلما جاء فتح العراق شاور الناس في التفضيل ، ورأى أنه الرأي ، فأشار عليه بذلك من رآه . وشاورهم في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فتكلم قوم فيها وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا ، فقال عمر رضي الله عنه : فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلاجها قد اقسمت وورثت عن الآباء وحيزت ، ما هذا برأي .

فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : فما الرأي ؟ ما الأرض والعلاج إلا بما آفأ الله عليهم ، فقال عمر : ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك ، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلاً على المسلمين ، فإذا قسمت أرض العراق بمروجها ، وأرض الشام بعلاجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟ فأكثرُوا على عمر رضي الله عنه وقالوا : أتقف ما آفأ الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، ولأبناء القوم ولأبنائهم ولم يحضروا ؟ فكان عمر رضي الله عنه لا يزيد على أن يقول : هذا رأيي . قالوا : فاستشر . قال : فاستشار المهاجرين الأولين ، فاختلفوا : فأما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فكان رآيه أن تقسم لهم حقوقهم ، ورأى عثمان وعلي وطليحة وابن عمر رضي الله عنه رأي عمر . فأرسل إلى عشرة من الانصار : خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبارائهم وأشرافهم . فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني لم أزعجكم إلا لأن تشركوا في أماني فيما حملت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفني من خالفني ووافقني من وافقني ، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي ، معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق .

قالوا : قل نسمع يا أمير المؤمنين . قال قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم ، وإني أعوذ بالله أن أركب ظلاماً ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطينته غيرهم لقد شقيت ، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلاجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجبه على وجهه وأنا في توجيهه ، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلاجها وأضع عليهم فيها الخراج ، وفي رقابهم

الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين : للمقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم ، رأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ، رأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لابد لها من أن تشحن بالجيوش ، وإدراار العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الارضون والعروج؟ فقالوا جميعاً : الرأي رأيك ، فنعم ماقلت وما رأيت ، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتنجري عليهم ماينقون به رجوع أهل الكفر إلى مدنيهم (راجع اختلاف الفقهاء للطحاوي الجزء الاول ، تحقيق الدكتور المعصومي المقدمة من ٤ - ٩) .

أسباب الاختلاف :

إن المسلمين قد اختلفوا إلى مذاهب في الاعتقاد والسياسة والفقہ ، وقبل أن نخوض في بيان أسباب الخلاف يجب أن نقرر أمرين :

أولها - إن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين ، فلم يكن الاختلاف في وحدانيته تعالى ، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، ولا في أن القرآن نزل من عند الله تعالى ، وأنه معجزة النبي الكبرى ، ولا في أنه يروى بطريق متواتر نقله الاجيال الإسلامية كتباً جيلاً بعد جيل ، ولا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس والزكاة والحج والصوم ، ولا في طرق أداء هذه التكليفات . وبعبارة شامة لم يكن خلاف في ركن من أركان الاسلام ، ولا في أمر عليم من الدين بالضرورة كتحریم الحُرِّ والخنزير وأكل الميتة والقواعد العامة للميراث ، وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الاركان ولا الاصول العامة .

الامر الثاني إن هذا الاختلاف بلا ريب شر بالنسبة للاختلاف حول بعض العقائد ، وحول السياسة ، ولذلك روى البخاري عن زينب بنت جحش أنها قالت : « استيقظ النبي ﷺ محمراً وجهه يقول : لا إله إلا الله ، ويل

للعرب من شر قد اقترب . ويشير النبي ﷺ إلى ما يجري بين المسلمين من خلاف بعده .

وحديث افتراق الامة إلى سبعين فرقة رواياته كثيرة ، يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة في حاصل معناه .

وإذا كان الافتراق حول العقائد في جملته شراً ، فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة لم يكن شراً بل كان دراسة عميقة لمعاني الكتاب والسنة وما يستنبط منها من أقيسة ، ولم يكن افتراقاً بل كان خلافاً في النظر ، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر ، ويوافقه ويخالفه . كان عمر بن عبد العزيز يسره اختلاف الصحابة في الفروع ، ويقول : ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون ، لأنه لو كانوا قولاً واحداً لكان الناس في ضيق ، وانهم أئمة يقتدى بهم فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان في سعة (الاعتصام للشاطبي ج ٣ ص ١١ وابن عبد البر ج ٢ ص ٨٠) .

وإن سئل لماذا اختلف المسلمون بعد النبي ﷺ وقد تركهم على المحجة الواضحة التي ليها كنفارها ، وترك فيهم ما إن أخذوا به لن يضلوا أبداً فقد ترك فيهم كتاب الله وسنة رسوله ؟ .

والجواب على ذلك أن أسباب الاختلاف كانت كثيرة ، والاختلاف قسماً اختلاف لم يفرق الامة ولم يجعل بأبها بينها شديداً ، واختلاف قد فرّق ، وأذهب وحدتها ، وهو الخلاف في السياسة وشؤون الحكم .

ونتيجة عن هذا الخلاف الشديد بين إمام المدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه والامويين أن ظهرت فرق مذهبية مختلفة هم الخوارج ، والشيعة وغيرهم ، ونجم عن ظهور الخوارج انبعاث حروب شديدة اللجب بينهم وبين علي رضي الله عنه أولاً ، وبينهم وبين الامويين ثانياً ، ونجم عن ظهور الشيعة حروب انتبت بقيام الدولة العباسية التي كانت شيعية في ابتداء تكوين الدعوة .

هذا هو الخلاف العملي وتفاعله مع الخلاف النظري في الوقت الذي كانت فيه تقوم الخلافات بين المسلمين على أسس من الرأي والنظر .

الخلافات التي وقعت في عهد ذي النورين عثمان وفي عهد فارس الإسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أدت إلى حكم الأمويين ، ثم امتد الأمر حتى صار الحكم الإسلامي ملكاً عضواً قد يكون عادلاً ، وفي أكثر الأحيان يكون ظالماً ، (هذا مصداق قول النبي ﷺ : الخلافة بعدي ثلاثون ، ثم تصير ملكاً عضواً ، أي بعضاً عليه بالنواجذ) .

والخلاف العلمي النظري قد كان في الاختلاف حول بعض الأمور التي تتصل بالعقيدة وفي الفروع . فالخلاف فيها يتعلق بالعقائد والفقه لم يتجاوز الحد النظري والاتجاه الفكري .

وان الاختلاف في الفقه لم يتجاوز حد اختلاف وجهة النظر ، حتى إن كل فريق من المختلفين يقول : رأينا صواباً يحتمل الخطأ ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب ، (المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١٣ - ٢٤) .

حكم الأقاويل المختلفة :

واتفقوا أنه جائز لمن نظر في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ أن يأخذ بقول من شاء منهم ، وكذلك الناظر في أقاويل غيرهم من الأئمة ما لم يعلم أنه خطأ ، فإذا بان له أنه خطأ خلافاً لنص الكتاب أو نص السنة ، أو إجماع العلماء لم يسعه اتباعه ، فإذا لم يبين له ذلك من هذه الوجوه جاز له استعمال قوله وإن لم يعلم صوابه من خطائه ، وصار في حيز العامة التي يجوز لها أن تقلد العالم إذا سأله عن شيء وإن لم تعلم وجهه . (جامع بيان العلم لابن عبد البر ج ٢ ص ٧٨) .

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه قال : لقد نفع الله

باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم ، لا يعمل العامل بقول رجل منهم إلا رأى أنه في سعة ورأى أنه خير منه قد عمله .

عن أسامة بن زيد قال سألت القاسم بن محمد عن القراءة خلف الإمام فيما لم يجهر فيه ، فقال إن قرأت فلك في رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة ، وإذا لم تقرأ فلك في رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة .

فهذا مذهب عند جماعة من أهل العلم والحديث ، وهذا ، كما قال أبو عمر بن عبد البر ، هو مذهب القاسم بن محمد ومن تابعه ، وأما مالك والشافعي ومن سلك سبيلهما من أصحابهما ، وهو قول الليث بن سعد والاوزاعي وأبي ثور وجماعة أهل النظر أن الاختلاف إذا تدافع فهو خطأ وصواب ، والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول منها ، (المصدر المذكور نفسه ص ٨٠) .

وذكر إسماعيل بن إسحاق في كتابه المبسوط عن أبي ثابت قال سمعت ابن القاسم يقول : سمعت مالكا والليث بن سعد ، يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وذلك أن ثاماً يقولون : فيه توسعة . فقالا : ليس كذلك ، إنما هو خطأ وصواب .

قال إسماعيل القاضي إنما التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ توسعة في اجتihad الرأي ، فلما أن تكون توسعة لأن يقول الانسان بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه فلا ، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتمعوا فاختلفوا : كلام إسماعيل هذا حسن جداً .

قال الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ : أصير منها الى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح في القياس ، وقال في قول الواحد منهم إذا لم يحفظ له مخالفاً منهم صرت إليه وأخذت به ، إن لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا دليلاً منها ، هذا إذا وجدت معه القياس ، قال : وقل ما يوجد ذلك .

واختلف قول أبي حنيفة في هذا الباب فمرة قال : أما أصحاب رسول الله ﷺ فأخذ بقول من شئت منهم ولا أخرج عن قول جميعهم ، وإنما يلزمني النظر في أقاويل من بعدهم من التابعين ومن دونهم .

قال أبو عمر : جعل للصحابة في ذلك ما لم يجعل لغيرهم ، وأظنه مال إلى ظاهر حديث : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » والله أعلم . وإلى نحو هذا كان أحمد بن حنبل يذهب ، ذكر العقيلي حدثنا محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال : قلت لأحمد بن حنبل : إذا اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في مسألة هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم لنعلم مع من ، الصواب منهم فتبعه ؟ فقال لي لا يجوز النظر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقلت : كيف الوجه في ذلك ؟ قال : تقلد أيهم أحببت . قال أبو عمر : لم ير النظر فيما اختلفوا فيه خوفاً من التفرق إلى النظر فيما شجر بينهم وحارب فيه بعضهم بعضاً .

وروي عن أبي حنيفة أنه قال في قولين للصحابة أحد القولين خطأ والمأثم فيه موضوع ، فعند الخلاف يجب أن يبرأ إلى ما وافق الكتاب أو السنة ، أو الاجماع كما يظهر من الحديث الآتي ، (المصدر المذكور نفسه) :

عن ضمرة بن حبيب بن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري أنه سمع عرباض ابن سارية يقول :

« وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، قلنا : يا رسول الله إن هذه الموعظة مودع ، فإذا تعبدنا ؟ قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة خلفاء المهتدين الراشدين ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، عضواً عليها بالتواجذ ، فإنما المؤمن كالجلل الأنف كلما قيد انقاد . »

رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وخرجه الإمام أحمد ابن حنبل وابن ماجه ، وقال الحافظ أبو نعيم : هو حديث جيد في صحيح حديث الشاميين قال ولم يترك له البخاري ومسلم من وجبة إنكار منياله (اختلاف الفقهاء للطحاوي : المقدمة) .

المؤلفات في الاختلاف :

فما ذكرنا يظهر أن العلماء والمحدثين حفظوا الآثار المختلفة والأعمال الفقهية بكل اهتمام وبصيرة ، فهذا المؤلف الأول في الإسلام : كتاب الموطأ لمالك بن أنس يذكر أقوال الفقهاء السابقين في أبوابه التي تتصل بالأوامر الأخلاقية وبكافة الأحوال الشخصية والموارث ، وقد ضمن كتاب الأم الذي جمع فيه البويطي ثم الربيع المرادي أقوال الإمام الشافعي فصولاً عديدة في « اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى » ، و « اختلاف أبي حنيفة والأوزاعي » ، (يسمى أيضاً « سير الأوزاعي ») ، و « اختلاف الشافعي مع محمد بن الحسن » ، و « اختلاف الشافعي مع مالك » .

وصنف الإمام الأوزاعي رضي الله عنه كتاباً ردّه فيه على سير الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فجأوبه أبو يوسف في كتابه « الرد على سير الأوزاعي » ، وأيضاً ألّف كتاباً في « الاختلاف بين أبي حنيفة وابن أبي ليلى » .

وصنف الإمام محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه « السير الكبير » وجأوبه فيه أيضاً مع بيان أحكام كثيرة ، كما أنه يتنّ اختلاف في ما بين فقهاء العراق وبين فقهاء المدينة في كتابه « الحجج الميينة » ، وله عنوان آخر : « الحجة في اختلاف أهل الكوفة وأهل المدينة » يوجد في نسخة كتبت في القرن الحادي عشر بخط تعليق حسن ، (نور عثمانية ١٤٩٢ - ٢٠١ ق ، ١٣ × ٢١ سم) ، وقد طبع الجزآن الأولان من الكتاب بمجيد آباد الدكن ، وكان نشره قديماً الكاتب تينغ بهادر من مطبعة المسمى بأنوار محمدي بلكناؤ ، الهند ، في سنة

١٣٢٦ هـ ، بتحشية أخيه الصغير فتح محمد نائب ، تحت عنوان : كتاب الحجج للإمام محمد الشيباني في ٣٩٢ صفحة .

وقد ضبط ابن التديم في فهرسته كتاباً عديدة تسمى « اختلاف الفقهاء » عند ما ذكر كثيراً من الفقهاء ، فإنه يقول : « المروزي واسمه أحمد بن نصر وله من الكتب : كتاب اختلاف الفقهاء الكبير ، وكتاب اختلاف الفقهاء الصغير . والساجي ، أبو يحيى زكريا بن يحيى بن محمد بن الساجي أخذ عن المزني والربيع وعن المصريين وله من الكتب : كتاب الاختلاف في الفقه . وأبو عبد الرحمن الشافعي . . . وله من الكتب : كتاب الإجماع والاختلاف . وابن جابر من ولد الداوديين ، وأبو إسحاق إبراهيم . . . من علمائهم وأكبرهم ، وله من الكتب كتاب الاختلاف ، ولم يعمل أكبر منه » (الفهرست ٢٩٩ - ٣٢٧) .

وإنه أيضاً ذكر كتاب اختلاف الفقهاء لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (م سنة ٣١٠ هـ) ، وقد هلك أكثره ووجد منه الشيء اليسير ، نشر بعض الأجزاء منه الدكتور فريدريك كرن الألماني في ١٣٢٠ / ١٩٠٢ بصر ، والمطبوعة تحتوي على كتاب المدير (ورقين فقط) ، وكتاب البيوع ، وكتاب الصرف ، وكتاب السلم ، وكتاب المزارع والمساواة . وكتاب الغصب وكتاب الضمان ، وأضاف في آخر الكتاب نختين قصيرتين من كتاب النكاح من اختلاف الفقهاء للطبري أوردهما الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه على إحياء العلوم .

وبعض أجزاء هذا الكتاب نشرها الدكتور جوزف شخت أيضاً ، وفيها يوجد كتاب الجهاد ، وكتاب الجزية وأحكام المحاربين ، وقد طبعت في ١٩٣٣ م بـ ليدن . وللطبري أيضاً تبصير أولي النهى معالم الهدى في اختلاف الفقهاء (الأسكوريال ١٥١٤ - ٢٤ ق) وقد حققت نصّه للنشر .

وقد يوجد ذكر المؤلفات التالية في كتب الفهارس فنسرد أسماها مع الإشارة إلى مأخذها :

الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (بمكتبة أيا صوفيا بالاستانة) .
اختلاف العلماء (الجزء الاول فقط بالقاهرة ١ : ٢٦٣) .

الإشراف على مذاهب أهل العلم لابي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر الشافعي المتوفى في أوائل المائة الرابعة (٣١٨ هـ) . الجزء الثاني ، أحمد الثالث ، ١١٠٠ ، ٣٦٦ ق ، والثالث فقط بالقاهرة (٣ : ٢٩٣) .

واختلاف العلماء له ، من أوله إلى باب الجمعة دار الكتب ٢٧ حديث ١٣٣ ق .
اختلاف الفقهاء لابي جعفر الطحاوي الحنفي (٢٢٩ إلى ٣٢١ هـ) وقد بدأنا نشر هذا الكتاب بالاقساط في مجلة مجمع البحوث الإسلامية « إسلام آباد » ، ولخصنا مواضيعه للنشر في المجلة الانكليزية أيضاً (Islamic Studies, sept 1969 cf sq) ، وقد نشر الجزء الاول من هذا الكتاب القيم ، وسيشر الجزء الثاني منه ، أوله « كتاب السير » .

التجريد للقندوري الحنفي ٣٦٢ إلى ٤٢٨ هـ (أجزاء في برلين ولندن والقاهرة)
تأسيس النظر للدبومي الحنفي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (طبعه الشيخ مصطفى القباني الممشقي) .

الخلافات للبيهقي الشافعي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، (الثاني فقط بالقاهرة)
(سواهج ٥٤ فقه شافعي ، ٩٩ ق) .

اختلاف الإمامين : الشافعي وأبي حنيفة تأليف أبي الحسين أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . الجزء الاول من نسخة كتبت في القرن السابع ينتهي بآثناء باب الصلاة (سليم آغا ٢٢٧ ، ٧٢ ق) .

الجزء الثاني من النسخة نفسها ، ينتهي إلى آخر كتاب الصوم (سليم آغا ٢٧٨ ، ١٧٤ ق) .

الوسائل في فروق المسائل لابن جماعة الشافعي المتوفى سنة ٥٤٨٠ هـ (في مكتبة برنستون في أمريكا) .

مختصر الكفاية للعبدري الشافعي المتوفى سنة ٥٤٩٣ هـ (في مكتبة نيوهافن في أمريكا) .

حلية العلماء في اختلاف الفقهاء لابي بكر محمد بن أحمد الشافعي المستظهري الشافعي المتوفى سنة ٥٥٠٧ هـ (في استانبول ، والقاهرة ، وجزء في غوتا ، ومختصر في برلين) .

الطريقة الرضوية لرضي الدين السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٥٥٤٤ هـ (في القاهرة وجزء في مونيخ)

مختلف الرواية لعلاء الدين محمد بن عبد الحميد السمرقندي الحنفي « ٤٨٨ - ٥٥٢ هـ » (في برلين والقاهرة واستانبول) (راجع اختلاف الفقهاء للطحاوي : المقدمة) .

والكتب في اختلاف الفقهاء كثيرة . فما يذكر في المصادر :

١ - الاحتجاج على أهل اللجاج : تأليف عز الدين أبي منصور أحمد بن علي ابن أبي طالب (من الإمامية) . نسخة منه كتبت سنة ١٠٧٥ بخط فارسي دقيق - روان كشك ٥١٤ - ٢٠٤ ق .

٢ - اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين . تأليف محمد بن أبي بكر محمود السروي ، تكلم فيه على ما وقع بين الأئمة الأربعة من الخلاف في المسائل الفقهية الفرعية ، نسخة كتبت سنة ١٦٥٧ باثنا عشر خروم (دار الكتب ١٧٢٤ فقه حنفي ، ٥١ ق ، ١٩ × ٢٩ سم) وسيأتي ذكره مفصلاً في آخر المقال .

٣ - الإشراف على مذاهب الأشراف (الأئمة الأربعة) في اختلاف المذاهب

تأليف أبي المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة المعروف بالوزير ابن هبيرة الشيباني المتوفى سنة ٥٢٠ نسخة بقلم نسخ كتبها حمزة بن الحزرجي ، (البلدية ١٣١٠ ب ١٩٤٠ ق ، ٢٤ × ١٧ سم) (في القاهرة ولندرا ونيوها فن) .

٤ - ألفية في اختلاف الأئمة وما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل عنهم . تأليف محمد بن علي المقدسي الصالحى الحنبلي ، نسخة كتبت سنة ٨٧٨ هـ (سهاج ٤٩ قه ، ٣٦ ق ١٣ × ١٨ سم)

٥ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف . تأليف علاء الدين علي بن سليمان بن محمد المرداوي المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ، الجزء الأول ، من نسخة كتبت في القرن التاسع بقلم نسخ ، من كتاب الطهارة إلى باب صيد الحرم (أحمد الثالث ٨٤٩ ، ٢٧٦ ق ١٨ × ٢٧ سم) . الجزء الثاني من النسخة نفسها ويبتدىء بباب ذكر دخول مكة وينتهي بباب أحكام أميات الأولاد (أحمد الثالث ٨٤٩ ، ٣٠٧ ق ١٨ × ٢٧ سم) الجزء الثالث من النسخة نفسها ، من باب النكاح إلى آخر الكتاب ، (أحمد الثالث ٨٤٩ ، ٢٧٦ ق ١٨ × ٢٧ سم)

٦ - إثمار الإنصاف في آثار الخلاف (خلاف الأئمة الأربعة) . تأليف شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ . نسخة كتبت بخط قديم سنة ٧١٧ هـ (الفاتح ١٢١٠ - ٧٥ ق - ١٨ × ٢٩ سم) .

٧ - تجريد المسائل اللطاف في معرفة الائتلاف والاختلاف . تأليف نور الدين بن ناصر الشافعي الحجازي ، نسخة كتبت سنة ٩١٥ بقلم نسخ جيد بخط عطية بن مسعود (أحمد الثالث ١١٥٢ - ٢٥٧ ق - ١٦ × ٢٢ سم)

- ٨ - التحقيق في أحاديث الخلاف ، تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي « م ٥٩٧ هـ » . نسخة كتبت سنة ٦٢٤ ، بخط أحمد بن عبد الدائم المقدسي (دار الكتب ٢ فقه حنبلي ، ٢٧٧ ق - ١٧ × ٢٤ سم) .
- ٩ - تعليق على المطوّل في الخلاف ، تأليف علاء الدين محمد بن عبد الحميد (عبد الرشيد) السمرقندي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ .
نسخة مكتوبة بخط المؤلف (فيض الله ١٠٢٤ ، ٣٣٦ ق - ١٥ × ٢٠ سم)
- ١٠ - التعليق الكبير في المسائل الخلافية بين الأئمة ، للقاضي أبي يعلى محمد ابن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي « م ٥٢٦ هـ »
المجلد الرابع ، من نسخة سنة ٨٧٠ - من كتاب الحج إلى كتاب العتق (دار الكتب ١٤٠ فقه حنبلي ، ٥٩٩ ق)
- ١١ - تقويم النظر (في الأدلة) والخلاف بين المذاهب .
تأليف محمد بن علي المعروف بابن الدهان الشافعي « م ٥٩٠ هـ » .
(أحمد الثالث ١٢٢٥ ، ١٤٢ ق ، ٢٧ × ٤٨ سم) .
- ١٢ - حقائق المنظومة ، شرح على منظومة الخلاف للنسفي .
تأليف أبي حامد محمود الأقسنجي اللؤلؤي البخاري « م ٦٧١ هـ » ، كتبت ٧٦٢ هـ
بقلم عادي (البلدية ١٢٠٧ ب ، ٢٣٨ ق ، ١٧ × ٢٨ سم)
- ١٣ - الدرّة المضيّة في خلاف الشافعية والحنفية ، لم يعلم مؤلفه .
خط رديء يقرأ بصعوبة (جاز الله ٦٤٣ ، ١٥٥ ق - ١٤ × ١٩ سم)
- ١٤ - شرح السنة وبيان اختلاف الفقهاء . تأليف الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي المعروف بالفراء البغوي المتوفى سنة ٥٥١ هـ .
مجلد مكتوب سنة ٦٨١ هـ من أول الكتاب إلى آخر المجلد الثاني (التيمورية ٢٠٥ حديث ، ٦٨٤ ص - ١٥ × ٢٠ سم)

- ١٥ - شرح الفصول لبرهان الدين النسفي تأليف الكرماني .
نسخة كتبت في القرن الثامن بقلم تعليق (أحمد الثالث ٣٣٧١/٣ ،
٧٤ ق - ١٤ x ١٨ سم)
- ١٦ - شرح مقدمة برهان الدين النسفي في علم الجدل . تأليف برهان الدين
البلغاري ، نسخة كتبت سنة ٧٣٨ بقلم تعليق ، (ولي الدين جار
الله ١٨٧٠ - ٥٥ ق - ١٤ x ٢١ سم)
- ١٧ - شرح منشأة النظر (في علم الخلاف) لبرهان الدين النسفي ، مجهول
المؤلف ، (أحمد الثالث ٣٣٧١/١ - ١٦ ق)
- ١٨ - طريقة الخلاف بين الشافعية والحنفية مع ذكر الأدلة لكل منها .
تأليف القاضي أبي علي الحسن بن محمد بن أحمد المروزي . المجلد الأول
كتب سنة ٦٠٠ من أول الكتاب إلى إسلام الصبي .
(دار الكتب ١٥٢٣ ، فقه شافعي ، ٢١٨ ق - ١٧ x ٢٤ سم)
- ١٩ - الطريقة العميدية في الخلاف والجدل ، تأليف ركن الدين أبي حامد
محمد بن محمد العميدي السمرقندي م ٦١٥ هـ ، (دار الكتب ٢٣٦
فقه حنفي ، ٢١١ ق - ١٦ x ٢٢ سم)
- ٢٠ - كتاب في اختلاف الفقهاء ، لم يعلم مؤلفه ، كتب سنة ٦١٤ (التيمورية
٥٣١ هـ ، ٢٨٠ ق - ١٥ x ٢١ سم)
- ٢١ - مختصر الخلافات (بين الشافعي وأبي حنيفة) للبيهقي ، اختصار أبي
عبد الله محمد بن فرح ، (أحمد الثالث ١٠٨٠ ، ٣٣٨ ق - ١٧ x ٢٦ سم)
- ٢٢ - نسخة أخرى (أحمد الثالث ١٠٨١ - ٣١٧ ق - ١٨ x ٢٧ سم)
- ٢٣ - معين الأمة ، على معرفة الوفاق والخلاف بين الأئمة (فقه على المذاهب
الأربعة والمذهب الظاهري)
تأليف أحد المتأخرين من الحنفية (ابن الحنفي) (العمومية ٢١٧٢ ،
١٨٣ ق) .

٢٤ - النفائس في علم النظر (الجدل) ، تأليف محمد بن محمد السمرقندي العميدي المتوفى سنة ٦١٥ (فاتح ٥٤٠٥ ، ٧٧ ق) .

٢٥ - النكت في المسائل المختلف فيها بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة ، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز آبادي الشيرازي (٥٤٧٦ م) . (أحمد الثالث ١١٥٤ - ٣٠٩ ق) .

٢٦ - وسائل الاختلاف إلى مسائل الخلاف ، تأليف شمس الدين يوسف بن قزوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي (٦٥٤ م) .

وأما تأليفات المتأخرين فنشر منها ميزان الكبرى للشعراني ، ورحمة الأمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي .

كتاب اختلاف الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين

النسخة الخطية من هذا الكتاب القيم موجودة في دار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، تحت رقم ١٧٢٤ فقه حنفي ، تشمل على ١٤٥ ورقة مكتوبة بخط نسخي جميل وفي كل ورقة ٢٦ سطراً إلا أن الورقتين من أول النسخة تشتملان على فهرس الأبواب ، وهما مكتوبتان بخط غير جيد ، وعنوان الكتاب مكتوب في وجه الورقة الأولى هكذا :

« كتاب مشتملاً على اختلاف الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة متوجهاً (هكذا في المخطوطة ، ولعلّ الصحيح ، متوجهاً) كل باب بحديث عن رسول ﷺ واختلاف آرائهم ، وقد قال عليه السلام : « اختلاف العلماء رحمة » .

وفي هذه الصفحة أكثر من إمضاء واحد مع عبارات ، أذكر منها عبارتين فقط فلا يمكن قراءة الإماءات الأخرى :

الأولى « كتاب الرحمة في اختلاف الأئمة رضي الله عنهم وعن كل الصحابة أجمعين . نظر فيه الفقير السيد سعيد ابن السيد حسن الشامي سنة ١٢٠٥ هـ .

الثانية « هذا كتاب يشتمل على اختلاف الصحابة والتابعين وأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة متوجهاً (٩) كل باب بحديث عن رسول الله ﷺ واختلاف آرائهم وقد قال عليه السلام اختلاف العلماء رحمة وقد تملكه محمد إبراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن بلبتروخ .

أما ظهر الورقة الأولى فيحتوي على تفصيل كتاب الطهارة ، وبعض أبواب كتاب الصلاة : (الورقة أظ) .

« كتاب الطهارة » :

« باب المياه ، باب نجاسة الكلب وطهارة سؤر السباع ، باب النجاسات ، باب الدباغ ، باب أعمال آداب الوضوء ، باب أدب الخلاء ، باب ما يوجب الوضوء ، باب أحكام الجنابة ، باب التيمم ، باب المسح على الخفين ، باب الحيض ، باب الغسل » .

كتاب الصلاة :

باب مواقيت الصلاة ، باب تعجيل الصلوات (المخطوطة : الصلوات)
باب الحالة الوسطى (المخطوطة : صلات الوسطا) .
باب قضاء الفوائت ، باب الأذان والإقامة .

(الورقة ٢ و) كتاب مشتمل على اختلاف الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية واختلاف آرائهم في كل باب حديث (المخطوطة : بحديث) عن رسول الله ﷺ .

كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب البيوع ، كتاب الحوالة (بالمماش) ، كتاب ، باب القروض ، باب الرهن ، باب التقايس ، باب صاحب الحق إذا أخذ من مال الغريم حقه ، باب الصالح ، باب الضمان ، باب الشركة ، باب الوكالة ، باب الإقرار ، باب العارية ، باب الغصب ، باب الماشية إذا تلفت مال الغير ، باب الشفعة ، باب القراض ، باب المساقاة والمزارعة ، باب الإجارة ، باب إحياء الموات ،

باب الوقف ، باب الهبة ، باب العمرة ، باب الملقطة (المخطوطة : القطة)
كتاب الفرائض ، باب أحكام الغنيمة .

كتاب النكاح : باب الوليمة ، باب القسم بين الضرائر ، باب الخلع .
كتاب الطلاق ، كتاب القصاص ، كتاب الجهاد ، كتاب الحدود ،
باب الصيد والذبائح ، باب الأضحية ، باب العقيقة ، باب الأطعمة ، باب
حيوانات البحر .

كتاب الأيمان ، كتاب كفرات (؟ كفارات) اليمين ، باب العذر ،
كتاب الأضحية ، باب أرب القاضي (القضاء) ، وجواز اليمين في بعض الأشياء
وعدم جوازه كالنكاح والرجعة والفيء ، في الإيلاء ، والاستيلاء والولاء
والنسب ، كتاب الشهادات ، باب القضاء بالشاهد واليمين ، باب شرائط
قبول الشهادة ، باب اليمين ، باب التدبير ، باب الولاء ، باب المكاتب ،
باب عتق أم الولد .

أمّا الكتاب فإنه يتبدى من الورقة الـ ٢ ظ ويتبي على الورقة
الـ ١٤٤ ظ والخط حسن جميل يشير إلى أن المؤلف كاتب جيد وعالم
باللغة العربية ، إلا أنه أخطأ فيما نمتقه كالمقدمة للكتاب ، كما هو ظاهر على متن
الكتاب وتحقيقه ، ويظهر أن الورقة الـ ٣ ظ أيضاً مكتوبة بيد أخرى ، وإن
كان خطها جميلاً ولكنه أحياناً يميل إلى التستليق (الفارسي) فيمكن أن
كاتب هذه الورقة أخطأ في النقل . والله أعلم بالصواب .

وقد ذكر هذا التأليف بروكلمان في ذيله (الجزء الثاني ص ٩٤٢/١٢٥)
وسجله تحت « محمد بن أبي بكر » معولاً على ما وقع في فهرس دار الكتب المصرية ،
وكما أنه يظهر من المخطوطة المصورة لا يكاد أن يقرأ « لسكري » ، « أبي بكر »
فإنه لا بد من أن يظهر بلفظ « لشكري » ، أو بلفظ « ليسكري » .

وقد وقع في آخر الكتاب (الورقة ١٤٣ ظ) :

« هذا آخر كتاب اختلاف الصحابة والتابعين وسائر العلماء رضوان الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً كثيراً » .

« العبد الضعيف ، المحتاج إلى رحمة ربه اللطيف ، محمد بن لسكري بن محمود السروي . اللهم اغفر له ولوالديه ، في السادس عشر ذي القعدة الواقع في شهر سنة سبع وخمسين وستائة » .

مؤلف الكتاب :

فالعبرة تنطق أن « محمد بن لسكري بن محمود السروي » هو المؤلف لهذا الكتاب ، ولكن ترجمته لا توجد في ما نشر من كتب التراجم ولم يكن أن نعلم من شأنه ودينه وعلمه ، أما الكتاب فهو شاهد صادق على فضله وغزارة علمه في الفقه والآراء المختلفة ، التي جمعها في هذا الكتاب اجتهاد في الترتيب والاسلوب ، فله در المؤلف .

وفي أوائل هذه السنة سألتني بعض الباحثين من بغداد عن هذه الخطبة وألح على تحقيقها انيل الدكتوراه ، فامتنعت عن تحقيق نصها وكتبت اليه أن ينقدم في العمل على بركة الله تعالى ، والله وبي التوفيق .

محمد صغير حسن المعصومي

الأستاذ في مجمع البحوث الإسلامية

اسلام آباد « باكستان »

ربيع الأول ١٤٢٩ هـ - إبريل ١٩٧٤ م

معجم مصنفات ابن أبي الدنيا

الدكتور صلاح الدين المنجد

ابن أبي الدنيا أحد العلماء الكبار ، في تراثنا الإسلامي . وهو عبد الله بن محمد بن عبيد ، أبو بكر القرشي المعروف بابن أبي الدنيا . مولى بني أمية . كان حافظاً محدثاً حدوداً ، واشتهر بالورع ، وكان عالماً بالأخبار والروايات ، وألف في الزهد ، وأدب أولاد الخلفاء كالمكتفي والمعتضد ، وأكثر من التصنيف ، واشتهرت مؤلفاته وذاعت . وتوفي سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م .

وقد اشتهر ابن أبي الدنيا بتصانيفه حتى صار ينعت بها ، فقال الخطيب البغدادي : « صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرفائق » (١) وقال الذهبي : « صاحب التصانيف » (٢) ، وقال ابن كثير : « المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة في الرفائق وغيرها » (٣) وقال ابن تغري بردي : « له التصانيف الحسان ، والناس يمدحونه عيال عليه في الفنون التي جمعها » (٤) .

وقد كان كثير التصنيف ، حتى اختلف الذين ترجموا له في عددها .

١ - تاريخ بغداد ١/٨٩

٢ - العبر في خبر من غبر ٢/٦٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦٧٧

٣ - البداية والنهاية ١١/٧١

٤ - النجوم الزاهرة ٣/٨٦

فقال ابن الجوزي : « صنف أكثر من مائة مصنف في الزهد » (١) ولم يذكر سائر مؤلفاته في موضوعات أخرى . وقال ابن كثير : « هي تزيد على مئة مصنف ، وقيل إنها نحو الثلاثمائة ، وقيل أكثر وقيل أقل » (٢) .

ومن المؤسف أن أحداً لم ينصرف إلى دراسة آثار هذا العالم الكبير أو نشرها نشرًا صحيحاً . فابن أبي الدنيا ما يزال مجهولاً ، رغم أن له ميزتين انفرد بهما ، الأولى : أنه كان في كتب الزهد التي وضعها أول من أنشأ مذهب التصوف الاسلامي مستنداً إلى القرآن والحديث النبوي ، وقد تطور نهجه هذا فيما بعد واتخذ طرقاً مختلفة بعضها مشتق منه (الغزالي) ، وبعضها بعيد عنه (الحلّاج وغيره) .

والثانية : أنه ألف الكثير من كتب الأخبار المتعلقة بحوادث القرن الأول من الهجرة ، وهي من أقدم ما ألف في ذلك ، ونظراً لصدقه ، فإن ما كتبه يعتبر مادة جيدة يستطيع المؤرخ أن يعتمد عليها .

وفي سبيل التمهيد لدراسة ابن أبي الدنيا كان لابد من البدء بمعرفة أسماء مصنفاته وحصرها ، ثم معرفة ما يوجد منها مخطوطاً في مكتبات العالم . وقد تصدينا لهذا العمل ، ورجعنا إلى المصادر المختلفة نجتمع منها كل ما نجد .

فوجدنا في دار الكتب الظاهرية مخطوطاً صغيراً كتب عليه : « أسماء مصنفات أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا ، على حروف المعجم » . وليس عليه اسم جامع أو كاتبه . وقد راعى واضعه ترتيب أسماء المصنفات على الحرف الأول ثم الثاني ، وختمه مئة وأربعة وستين كتاباً .

١ - المتنظم ١٤٨/٥

٢ - البداية والنهاية ٧١/١١

ثم وجدنا الحافظ الذهبي يعنى بابن أبي الدنيا في كتابه الجليل «سير أعلام النبلاء» ، فترجم له ، وذكر أنه وقع له من مصنفاته عشرون مؤلفاً - وسرد أسماءها - ثم ذكر أسماء مصنفاته كلها على حروف المعجم وقد لاحظنا أنه راعى في ترتيبها الحرف الأول من الاسم دون الثاني . ووجدنا عدتها مئة واثنين وستين مصنفاً .

ولدى مقارنة فهرس الظاهرية بفهرس الذهبي وجدنا أنها يتفقان في الكثير من الأسماء ، ثم يختلفان زيادة ونقصاً ، ففي معجم الظاهرية أسماء مصنفات لا توجد عند الذهبي ، وعند الذهبي أسماء مصنفات لا توجد في فهرس الظاهرية .

وقد وجدنا في بعض فهرس الكتب بعض مصنفات لابن أبي الدنيا . فقد سرد ابن النديم في الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً . وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ثلاثة وثلاثين ، وجاء في هدية العارفين ستون كتاباً . ووجدنا في فهرسة ابن خير الاشيلي أربعة وثلاثين كتاباً رواها (انظر ص ٥٥٥) . وفي جميع هذه الفهارس كتب لا توجد أحياناً في فهرس الظاهرية .

وإلى جانب ذلك فقد وجدنا في فهرس المخطوطات بعض المؤلفات أيضاً . وأمام تعدد هذه المصادر اتخذنا فهرس الظاهرية أساساً ، فأثبتناه كما هو ، وأدخلنا في نعه بين معقوفتين [] المؤلفات الناقصة منه ، وأردفنا كل كتاب أضفناه بالمصدر الذي وجدناه فيه ، وأشرنا في الهامش إلى ما عرفناه من نسخه المخطوطة .

وهذه رموزنا لمصادر الإضافات :

ف = الفهرست ، طبعة إيران

ذ = الذهبي في سير أعلام النبلاء ، مخطوطة أحمد الثالث ، رقم

٢٩١٠ ، المجلد التاسع ص ١٨٦ - ١٩٠

- خ = فهرسة ابن خير (أما كن متفرقة منها)
 ه = هدية العارفين للبغدادي (١ / ٤٤١ - ٤٤٢)
 ك = كشف الظنون لحاجي خليفة
 ب = بروكلمن ، تاريخ الآداب العربية ، الترجمة العربية ١٢٩/٣

أما المصادر التي ترجمت لابن أبي الدنيا فهي حسب تاريخها :

- ابن السديم : الفهرست ، ص ٢٣٦ (إيران ١٩٧١)
 الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨٩/١
 أبو يعلى : طبقات الخبابة ١٩٣/١
 ابن الجوزي : المنتظم ١٤٨/٥
 الطوسي : فهرست ص ١٩٤ (ط . مشهد)
 الذهبي : العبر في خبر من غير ٦٥/٢
 / : تذكرة الحفاظ ٦٧٧/٢
 / : سير أعلام النبلاء (مخطوط)
 ابن كثير : البداية ٧١/١١
 ابن شاكر الكشي : فوات الوفيات ٤٩٤/١ - ٤٩٥
 ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢/٦
 ابن تغري بوردی : النجوم الزاهرة ٨٦/٣
 حاجي خليفة : كشف الظنون
 البغدادي : هدية العارفين
 بروكلمن : تاريخ آداب اللغة العربية : الترجمة العربية ١٢٩/٣
 الزركلي : الأعلام ٢٦٠/٤
 كحالة : معجم المؤلفين ١٣١/٦
 عبد البديع : فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ ١٩/٢ ، ٢٠٩
 الألباني : منتخب مخطوطات الحديث بالظاهرة
 سيد وطنجي : فهرست المخطوطات المصورة ، الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسَّرْ

أسماء مصنفات أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا ،
على حروف المعجم .

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ١ - (الاحاديث الاربعين) ب | ٢ - (الاحزاب) ذ |
| ٣ - أخبار أوبس | ٤ - أخبار الجفافة عند الموت |
| ٥ - أخبار الخلفاء | ٦ - أخبار سفیان |
| ٧ - أخبار ضيغم | ٨ - أخبار قريش |
| ٩ - أخبار معاوية | ١٠ - أخبار الملوك |
| ١١ - الإخوان والمعاطف | ١٢ - الإخلاص |
| ١٣ - الاخلاق | ١٤ - الادب |
| ١٥ - الاشراف | |

-
- ١ - منه من مخطوطة في الأحمديّة بحلب : بروكلمن ١٣٢/٣ (ط . العربية)
٦ - في ذ « أخبار الثوري »
١١ - في ذ ، ك « الإخوان » . ومنه مخطوطة في مكتبة رامبور بالهند .
بروكلمن ٣٥٨/١
١٢ - في ف ص ٢٣٦ « الإخلاص والنية » .
١٥ - منه الجزء الثاني في الظاهرية : مجموع ١٣٢ (من ورقة ٧٢-٨٤) ؛
ومخطوطة ثانية في دار الكتب ، أدب ٨٧٧٠ « الإشراف إلى منازل الأشراف » ، وعنها
مصورة في معهد المخطوطات ، فهرس التاريخ رقم ٤١

- ١٦ - الشمس
١٧ - اصطناع المعروف
١٨ - اصلاح المال
١٩ - [الاصوات] ه
٢٠ - [الاضحية] ذ
٢١ - الاعتبار وإعقاب السرور والاحزان
٢٢ - الأعراب
٢٣ - الألحان
٢٤ - إعطاء السائل
٢٥ - [أعلام النبوة] ذ
٢٦ - الامر بالمعروف
٢٧ - الأنواء
٢٨ - الأموال
٢٩ - الألوية
٣٠ - الأهوال
٣١ - إزال الحاجة بالله
٣٢ - [الانفراد] ذ
٣٣ - انقلاب الزمان
٣٤ - الأضاحي
٣٥ - [الآيات ومن تكلم بها بعد الموت] خ
٣٦ -

ب

- ٣٧ - [البعث والنشور] ك ، ه

- ١٦ - كذا ورد هنا ، ومكانه في حرف التاء .
١٧ - منه مخطوطة في مكتبة لالهلي باستانبول ١٩/٣٦٦٤ (ورقة ٢١٣-٢٢١)
٢١ - في ذ « اعقاب السرور ... » .
٢٢ - في ذ « أخبار الأعراب » .
٢٦ - منه مخطوطة في مكتبة رامبور . فهرس المكتبة ٣٥٨/١
٣٠ - في ذ « أهوال القيامة » ؛ وهو في الظاهرية في ثلاثة أجزاء ، مجموع ١٣٢ (ورقة ٧٩-١٠٢)
٣١ - منه مخطوطة في الظاهرية ، عام ٤٥٧٠ (ورقة ١-١٩) ؛ ودار الكتب المصرية ٧٨١ بجميع مصورة عن مكتبة جامع أحمد باشا الجزار في عكا ؛ وعنها مصورة في معهد المخطوطات رقم ٣٩١ تاريخ ، ولالهلي ١٨/٣٦٦٤ (ورقة ١٩٠-٢١٠)
٣٥ - لاحظ أننا أضفنا في رقم ٢٠ « الأضحية » من الذهبي .

٣٨ - [البكاء] خ

ت

- ٣٩ - التاريخ
٤٠ - تاريخ الخلفاء
٤١ - [تخریجات أهل الحديث] ب ٤٢ - [تزويج فاطمة] هـ ، ف
٤٣ - التعازي
٤٤ - [تعبير الرؤيا] ذ
٤٥ - تغيير الزمان
٤٦ - تغيير الإخوان
٤٧ - التفكير والاعتبار
٤٨ - التقوى
٤٩ - التهجد وقيام الليل
٥٠ - [التوابع] ف ، هـ
٥١ - التوبة
٥٢ - النوكتل

ج

- ٥٣ - الجهاد
٥٤ - الجوع
٥٥ - الجيران

- ٤٠ - مر في رقم هـ أخبار الخلفاء ، فاعلمها كتاب واحد .
٤١ - منه مخطوطة في الأحمدية بحلب : برهـ كلمن ١٣٢/٣ . وسماه في كشف الظنون
٣٨٠ « تخریجات ابن أبي الدنيا » .
٤٨ - في رامبور ١/٣٦١ « متقى كتاب التقوى » .
٤٩ - في الظاهرية ، في جزأين ، مجموع ١٣٢ (ورقة ٣٠ - ٦١) ، ونسخة
في لاله باستانبول ١١/٣٦٦ (ورقة ٦٦ - ٢١٢) ، وعنها مصورة في معهد
المخطوطات ٣٦٣ تصوف .
٥٢ - في الظاهرية ، مجموع ١١١ (ورقة ٢ - ١٥) ، ونسخة في الأحمدية بحلب
(مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٠ ص ٥٧٨) ، وورد اسم الكتاب في الفهرست
(ط . إيران) : « التوكيد » خطأ .
٥٥ - في الظاهرية ، مجموع ٨٩ (ورقة ١ - ١٦)

ح

- ٥٦ - الحدود والشفقة
 ٥٧ - حروف ختلف
 ٥٨ - حسن الظن بالله
 ٥٩ - الحلم وذم الفحش
 ٦٠ - حلم العلماء
 ٦١ - حلم الأحنف بن قيس
 ٦٢ - حلم معاوية
 ٦٣ - الحوائج

خ

- ٦٤ - الخاتم
 ٦٥ - الخائفين
 ٦٦ - الخلفاء
 ٦٧ - الخمول والتواضع
 ٦٨ - الخير

د

- ٦٩ - الدعاء
 ٧٠ - دلائل النبوة

- ٥٧ - في خ « الحذر والشفقة » .
 ٥٨ - منه مخطوطة في المكتبة المحمودية بالمدينة ، جزمأن رقم ١٢ ، بجاميع ، صورتها جامعة الرياض .
 ٥٩ - في دار الكتب ٧٨١ بجاميع ، وعنها مصورة في معهد المخطوطات ١٣٦ تصوف ، ونسخة في الأحمدية بحلب (مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٠ / ص ٥٧٨) .
 ٦٠ - الأحمدية بحلب (مجلة المجمع العلمي ، المصدر السابق) وقد ورد في الفهرست ص ٢٣٦ كتابان : الأول : العلم ، والآخر : ذم الفحش . وهو الصواب ، وسيرد ذم الفحش في الذال . وكذلك ورد في الكشف « الحلم » وحده .
 ٦١ - في ذ « حلم الحكماء » .
 ٦٢ - في الظاهرية : أدب ٧٩ .
 ٦٧ - في خ ، ك « التواضع والخمول » .
 ٦٨ - في ذ « الخبز » .

٧١ - الدين

ذ

- ٧٢ - الذكر
٧٣ - [ذكر الموت والقبور] ف
٧٤ - ذمّ البخل
٧٥ - ذمّ البغي
٧٦ - [ذمّ الحسد] ك
٧٧ - ذمّ الدنيا
٧٨ - [ذمّ الربا] ذ
٧٩ - ذمّ الرياء
٨٠ - ذمّ الضحك
٨١ - [ذمّ الغضب] خ ، هـ
٨٢ - ذمّ الغيبة
٨٣ - [ذمّ الفحش] خ
٨٤ - ذمّ الشبهات
٨٥ - ذمّ الفقر
٨٦ - ذمّ المسكر
٨٧ - ذمّ الملاهي
٨٨ - الرخصة في السماع
٨٩ - الرضا عن الله
٩٠ - [الرغائب] ف ، هـ
٩١ - الرقة

٧١ - في ذ « الدين والوفاء » .

٧٥ - في الظاهرية ، مجموع ٥٠ (ورقة ٣١ - ٣٦)

٧٦ - في الظاهرية ، مجموع ٤٦ (ورقة ١ - ٥٥)

٨٦ - في الظاهرية ، مجموع ٦٠ (ورقة ٣ - ١٤) ؛ وفيض الله باستانبول رقم ٥٠٧

٨٧ - في الظاهرية ، مجموع ٥٩ (ورقة ١٥٢ - ١٦٩) نسخة ناقصة من الوسط ؛

ونسخة في لاهي كاملة ٣٦٦ ، ١٤ (ورقة ١٤٢ - ١٤٦) ، وبرلين ٥٥٠٤ ؛ ونشره

« روبسون » في لندن سنة ١٩٣٨

٨٩ - في الظاهرية باسم « الرضا عن الله بقضائه » ، مجموع ٦٦ (ورقة ٦٢ -

٧٦) ؛ ونسخة في لاهي ٣٦٦ ، ٣ ، وعنه صورة في معهد المخطوطات رقم ٣٧٦ تصوف

واسمه « كتاب الرضا عن الله والصبر على قضائه » .

٩١ - في الظاهرية ، واسمه « الرقة والبكاء » ، مجموع ١٣٢ (ق ١١٨ - ١٣٦)

- ٩٢ - الرقاتق
٩٣ - الرهائن
٩٤ - الرهبان
٩٥ - الرؤيا

ز

- ٩٦ - الزهد
٩٧ - [زهد مالك بن دينار] ف ، هـ
٩٨ - الزفير

س

- ٩٩ - [السحاب والرعد والبرق] خ ، هـ ، ك « السحاب »
السخاء
١٠٠ - [سدة المنتهى] ف ، هـ
١٠١ - سواد الشيب
١٠٢ - السنة

ش

- ١٠٣ - [شجرة الطوبى] ف ، هـ ١٠٤ - شرف الفقر
١٠٥ - الشكر
١٠٦ - [الشيب والتعمير] ذ ، هـ ، ك

٩٦ - في أحمد الثالث رقم ٥٩١ ؛ ومنه مصورة في معهد المخطوطات رقم ٣٧٩
تصوف . واسمه « الزهد في الدنيا » .
١٠٥ - في الظاهرية ، في جزأين ؛ حديث ٣٤٦ (ق ١ - ٣١) ؛ وفي دار
الكتب : حديث ١٥٥٩ / ق ٥٥ - ٦٢ ، ونور عثمانية ١/١٢٠٨ ، وعنه مصورة في
معهد المخطوطات رقم ٣٨٤ تصوف ، واسمه « كتاب الشكر » ذكر فيه فضل الشكر
والفاظه والترغيب فيه « - وبرنستن ، غاريت رقم ١٤٢٠ - ونشر بالقاهرة
سنة ١٣٤٩ هـ .

ص

- ١٠٧ - الصبر
١٠٨ - الصدقة
١٠٩ - صدقة الفطر
١١٠ - صفة اجنة
١١١ - [صفة الصراط] ف ، هـ
١١٢ - [صفة الميزان] ف ، هـ
١١٣ - صفة النار
١١٤ - صفة النبي ﷺ
١١٥ - الصمت
١١٦ - الصلاة على النبي

ط

- ١١٧ - الطبقات
١١٨ - الطواعين

ع

- ١١٩ - [العباد] ذ
١٢٠ - [العزاء] ذ
١٢١ - العزلة
١٢٢ - [عطاء السائل] ذ
١٢٣ - العظمة
١٢٤ - العفو و ذم الغضب
١٢٥ - العقل و فضله

١٠٧ - في الظاهرية نسخة ناقصة الآخر ٥٧٧ (ق ٤٢ - ٥٧) ، ولا له في ٣/٢٦٦٤ ، وعنه مصورة في معهد المخطوطات رقم ٣٨٥ تصوف ، - وسماء بروكلمن « الصبر و الثواب » ، وفي انفيرست « الصبر و آداب اللسان » .

١١٣ - في الظاهرية ، مجموع ١٣٢ (ق ١٤٠ - ١٥٤)
١١٥ - في الظاهرية ، واسمه « الصمت و آداب اللسان » أربعة أجزاء ، الأول منها ناقص ، مجموع ٣١ (ق ١ - ٤٩) - وفي دار الكتب : ملحق الحديث ٢١٢٤ ، وعنها مصورة في معهد المخطوطات رقم ٣٨٦ تصوف .
١٢١ - في لاله في ٢/٣٦٦٤ واسمه « كتاب العزلة و الانفراد » وعنها مصورة في معهد المخطوطات ٣٨٧ تصوف .

١٢٣ - في جامعة برنستين ، غاريت رقم ٧٦٤ - و جاز الله باستانبول ٤٠٠
١٢٥ - في لاله في ٣/٢٦٦٤ ، وعنه مصورة في معهد المخطوطات ٣٩٢ تصوف ؛
والظاهرية ، مجموع ١٥

- ١٢٦ - العقوبات
١٢٧ - عقوبة الأنبياء
١٢٨ - العمر والشيب والشباب
١٢٩ - العلم
١٣٠ - العوائد
١٣١ - العوذ
١٣٢ - العيال
١٣٣ - العيدين

غ

- ١٣٤ - [الغيبة والنميمة] ب

ف

- ١٣٥ - الفتوى
١٣٦ - الفتون
١٣٧ - الفرج بعد الشدة
١٣٨ - فضل عاشورا
١٣٩ - فضائل العباس
١٤٠ - فضائل عشر ذي الحجة
١٤١ - فضائل علي
١٤٢ - فضل رمضان
١٤٣ - فضائل لا إله إلا الله
١٤٤ - فضائل القرآن

١٢٦ - في الظاهرية ٢/٥٧٧ (ورقة ٦٢ - ٨٢)

١٢٨ - في برنستون ، مجموعة يودا رقم ٢٥٢٢ « كتاب العمر » بخط محمد بن شاكر الكتبي .

١٣٣ - بروكلن ٣/ ١٣٢ : دار الكتب ٧٨١ بجاميع ، ومصور في معهد المخطوطات تصوف ٣١٥

١٣٧ - في الظاهرية ، جزمان ، مجموع ٢٠ (ورقة ١٣٢ - ١٦٦) ؛ برلين ٨٧٣١ - موصل ٢٣٦/١٥٠ - نشر في الهند : الله آباد سنة ١٣١٣ ، وفي أحمد آباد سنة ١٣٢٣ (بروكلن ٣/ ١٢٩) وقال في كشف الظنون ١٢٥٣ « لخصه السيوطي مع زيادات وسماه الأرج في الفرج » .

١٤٠ - برلين ١٠٢١٣ - دار الكتب ، فهرس ج ٦ ، ٧ ، ١٥٣ ، ٢٣٠ ، (بروكلن ٣/ ١٣٠)

١٤٢ - في لاله لي ١٢/٣٦٦٤

- ١٤٥ - [فعل المنكر] ف، هـ - ١٤٦ - [فقه النبي] ف، هـ
١٤٧ - الفوائد

ق

- ١٤٨ - القبور
١٤٩ - قِرى الضيف
١٥٠ - القصاص
١٥١ - قصر الأمل
١٥٢ - قضاء الخواتج وهو بعض الاصطناع
١٥٣ - القناعة
١٥٤ - القيامة

ك

- ١٥٥ - [كرامات الأولياء] ذ

ل

- ١٥٦ - الليالي والايام

م

- ١٥٧ - اثمتين

- ١٤٨ - في كشف الظنون ص ٢٨ « أخبار القبور » .
١٤٩ - انظر بروكلن ١٣١/٣
١٥١ - في الظاهرية نسخة في ٣ أجزاء ، مجموع ٥٠ (ق ١ - ٥٠) ، وفيها
نسختان أخريان - كوبرلي ٣٨٤ وسماء « قصر العمل » خطأ .
١٥٢ - برلين ٥٣٨٩ - الأحمدي بحلب (مجلة الجمع العلمي العربي ، المجلد
١٠ / ٥٧٧)
١٥٣ - القناعة في الظاهرية ، الجزء الأول ، مجموع ٩٠ (ق ٩٧ - ١١٨) -
دار الكتب فهرس ١٣٨/٢ - وورد اسمه في فهرسة ابن خير : « القناعة والتعلف عن
المسألة والرضا بالقسم في الرزق » .
١٥٦ - عند الذهبي « الأيام والليالي » . وهو في لاله لي ٢١/٣٦٦ واسمه « كلام
الليالي والأيام » . ومنه مصورة في معهد المخطوطات ١٢ : تصوف .
١٥٧ - في لاله لي ٧/٣٦٦ ، وعنه مصورة في معهد المخطوطات ١٤ : تصوف .
م (٨)

١٥٨ - مجابي الدعوة	١٥٩ - المجوس
١٦٠ - محاسبة النفس	١٦١ - المختصرين
١٦٢ - المروءة	١٦٣ - مداراة الناس
١٦٤ - المرض والكفارات	١٦٥ - [مصادد الشيطان] ك ، هـ
١٦٦ - المطر	١٦٧ - معارض الكلام
١٦٨ - المعيشة	١٦٩ - المغازي
١٧٠ - مقتل الحسين	١٧١ - مقتل الزبير
١٧٢ - مقتل ابن الزبير	١٧٣ - مقتل سعيد بن جبير
١٧٤ - مقتل طلحة	١٧٥ - مقتل عثمان

١٥٨ - في الظاهرية عام ٤٥٠٩ (ق ١ - ٢١) - دار الكتب ، حديث ١٦٥١
(١٩٠ - ٢٠٩) - وكوبريلي ٥/١٥٨٤ (مصورة في معهد المخطوطات ٥٤ ؛ تصوف)
- رامبور ٣٦١/١ - وورد في الترجمة العربية من بروكلن « مجيب الدعوة » خطأ .
١٦٠ - محاسبة النفس : في الظاهرية القطعة الأولى منه ٥٧٨ (ق ٤٥ - ٧) -
ودار الكتب المصرية نسخة كاملة ٢١٢٨ حديث (مصورة في معهد المخطوطات ٥٩ ؛
تصوف) - ولي الدين ١٦٠٥

١٦١ - المختصرين : في الظاهرية ، حديث ٣٤٣ (ق ١ - ٧٣)
١٦٣ - مداراة الناس : في لاله لي ٣٦٦٤ / ٦ (مصورة في معهد المخطوطات
١٦ ؛ تصوف) :

١٦٤ - المرض .. : في الظاهرية ، في جزأين ، مجموع ٧٦ (ق ١٥٦ - ١٩٢)
ونسخة ثانية في المجموع ٩٨ - لاله لي ٣٦٦٤ / ٥ (مصورة في معهد المخطوطات
١٧ ؛ تصوف) .

١٦٦ - المطر .. كوبريلي ٣٨٨ (٥٨ - ٧١) « كتاب المطر والرعد والبرق
والرياح » - رامبور ، فهرس ٣٦١/١

- ١٧٦ - مقتل علي ١٧٧ - مقتل عمر ١٧٨ - مكارم الأخلاق
 ١٧٩ - مكاييد الشيطان ١٨٠ - المملوكين
 ١٨١ - المناسك ١٨٢ - [مناقب بني العباس]
 ١٨٣ - المنامات ١٨٤ - من عاش بعد الموت
 ١٨٥ - المنتظم ١٨٦ - مواعظ الخلفاء
 ١٨٧ - الموت ١٨٨ - [الموقف] *

ن

- ١٨٩ - النوادر ١٩٠ - النوازع والرعاية

هـ

- ١٩١ - الهدايا ١٩٢ - الهواتف

- ١٧٦ - مقتل علي في الظاهرية ، نسخة عتيقة ، مجموع ٩٥ (ق ٢٣٢ - ٢٥٠)
 فهرس العش ٨٢
 ١٧٨ - مكارم الأخلاق : دار الكتب ٧٨١ بجاميع (مصورة معهد المخطوطات
 ٥٠٨ تصوف) - المتحف البريطاني Or. 7595 - برلين ٥٣٨٨ و ٢/٥٤٣٦ - كوبرلي
 ٣٨٨ - وانظر بروكلن ١٣٠/٣
 ١٧٩ - وردت في فهرست « مكابر » خطأ .
 ١٨٣ - المنامات : في دار الكتب باسم « كتاب المنام » ٧٨١ بجاميع . عنه
 مصورة في معهد المخطوطات ٢٤ ؛ تصوف .
 ١٨٤ - من عاش : دار الكتب ٧٨١ بجاميع ، عنه مصورة في معهد المخطوطات
 ٥٢٣ تصوف - مونيخ ٣/٨٨٥ - الأحمدية بحلب (مجلة الجمع العلمي العربي ١٠/٥٧٧) -
 وفي كشف الظنون ١٨٢٣ : « من عاش بعد موت الأربعة » .
 ١٩٢ - انظر بروكلن ٣/١٣١ - وسماه في كشف الظنون ٢٠٤٧ « هواتف
 الجن » .

١٩٣ - الهم والحزن

و

١٩٥ - الورع

١٩٤ - الوجيل

١٩٧ - الوقف والابتداء

١٩٦ - الوصايا

ي

١٩٨ - اليقين

صلاح الدين المنجد

١٩٣ - عند الذهبي : الهم والحزن والكدر - في الظاهرية ، مجموع ٧٦ (ق
٦٢ - ٨٣) - دار الكتب ٧٨١ نجيب ، (مصورة في معهد المخطوطات ٣٠ ؛
تصوف) - لاله لي ٤/٣٦٦ ؛ (مصور في معهد المخطوطات ٣١ ؛ تصوف) .
١٩٤ - في لاله لي ٤/٣٦٦ / ٨ - (مصور في معهد المخطوطات ٣٢ ؛ تصوف)
قال في كشف الظنون ص ١٤٦٩ : « ذكر فيه الأمثال التي وجدها عن بعض
الأوائل ... » .

١٩٥ - في الظاهرية ، مجموع ١٣٢ (ق ١٥٨ - ١٧٩)

١٩٨ - في الظاهرية نسخة قديمة كتبت سنة ٤٠٧ هـ - مجموع ٨٠ (ق ٦٢ -
٧٢) - ونسختان أخريان : مجموع ٢٧ ، ومجموع ٥٠ - لاله لي ٩/٣٦٦ ؛ (مصور
في معهد المخطوطات ٤٦٣ ؛ تصوف) - دار الكتب ٢١٨٦ حديث (مصور في معهد
المخطوطات ٤٦٣ ؛ تصوف) - كوبرلي ٣٨٨ - شهيد علي ٣٦٠ كتبت سنة ٨٥٨٥ هـ
- عارف حكمت بالمدينة ، ٩٦ حديث ، صورتها جامعة الرباعي .

أشعار اللصوص وأخبارهم

القسم الثاني

الأستاذ عبد المعين الملوحي

في البحث السابق من المجلة جمعت اشعار أربعة لصوص هم :

١ - جمدة بن طريف السعدي .

٢ - لوط الطائي .

٣ - سليمان بن عياش السعدي .

٤ - يعلى الأحول الأزدي .

واليوم أشر ما استطعت جمعه من دواوين شعراء لصوص خمسة هم :

٥ - يزيد بن الصقيل العقيلي .

٦ - أبو لطيفة العقيلي .

٧ - شظاظ الضبي .

٨ - الحيردان .

٩ - معاوية بن عادية الفزاري .

ومن الملاحظ أن بعض هؤلاء الشعراء قد تابوا عن اللصوصية وأصبحوا

من الأتقياء والمجاهدين ، ومات بعضهم شهيداً في سبيل الله . . .

(٥)

أشعار

يزيد بن الصَّقِيلِ العُقَيْلِيّ (*)

(*) ترجمته : لم نشر له على ترجمة وافية ، وقد ورد ذكره عند سرد الأبيات الثلاثة في الكامل للبرد ١ : ٧٠ . قال : أبو العباس . قال يزيد بن الصَّقِيلِ العُقَيْلِيّ وكان يسرق الأبل ثم قاتل ، وقتل في سبيل الله . ثم ذكر البيتين الأول والثاني وقال : وفي هذا الشعر وأورد البيت الثالث . وفي هذا القول ما يومية إلى أن القصيدة طويلة وورد البيتان ١ و ٣ في مجموعة المعاني ص ٣ وقال : كان لصاً قاتل . وورد البيتان ١ و ٢ في لسان العرب (مادة بر) ورواية البيت الأول :

أَلَا قُلْ لِرُعَيَانَ الْأَبَاعِرِ أَهْمِلُوا

وذكر أن الأباعر جمع أبيرة ، وأبيرة جمع بعر . وقال عن يزيد : إنه أحد اللصوص المشهورة بالبادية ، وكان قد قاتل ، ثم أورد البيتين وقال : وهذا البيت - أي البيت الثاني - كثيراً ما يتمثل به الناس ولا يعرفون قائله ، وكان سبب توبة يزيد هذا أن عثمان بن عفان وجهه إلى الشام جيشاً غازياً ، وكان يزيد هذا في بعض بوادي الحجاز ، يسرق الشاة والبعير ، وإذا طلب لم يوجد . فلما أبصر الجيش متوجهاً إلى القزو أخلص التوبة ، وسار معهم .

وورد البيتان ١ و ٢ أيضاً في تاج المروس (مادة بر) . وليس فيه ذلك التفصيل .

اسمه : ورد اسمه في لسان العرب بكسر الصاد المهملة وتشديد القاف

قال (*):

- ١- أَلَا قُلْ لِّلْأَرْبَابِ الْخَائِضِ أَهْلُوا فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
- ٢- وَإِنَّا أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا تَزُودَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ
- ٣- إِذَا مَا الْمَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

المثناة وكسرهما (الصَّيْقِل) وورد اسمه في مجموعة المعاني : الصَّقِيرُ :
تصغير صقر ورواية لسان الرب أولى .

(١) ورد البيت في لسان الرب .

أَلَا قُلْ لِّلرَّعِيَانِ الْآبَاعِرِ أَهْلُوا .. فَقَدْ تَابَ عَمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
والخائض - كما جاء في البرد - فَإِنَّ الْفَائِزَ إِذَا لَفَحَتْ قِيلَ لَهُمَا
خَلْفَةً ، وللجميع الخاض ، وهذا جمع على غير واحد . وإنما هو بمنزلة
امرأة ونساء . ثم جمع الجمع فقال بخائض كقولك في رسالة ورسائل . وقوله:
أَهْلُوا . أي اسرحوا إبلكم . والهمل ما كان غير محظور .
(٣) الحميم : الصديق .

تفسير الأبيات :

أبلغ أصحاب الإبل ورعيان الأباعر أن يزيد تاب عن النصيحة
وترك السركة فاسرحوا بأباعركم حيث شئتم وأتم آمنون .
لقد ثبت عن الذنوب بعد أن كادت تهوي بي إلى النار ، وإن
من استطاع أن يتوب وينجو من النار بعد أن عمل لها عمراً طويلاً لسعيد
بتوبته ونجاته .

إذا أصاب الموت صاحبك ونجوت أنت فاعلم أنه سيمود إليك ويصيك
كما أصابه .

(٦)

أبو لطيفة المقيلي (*)

١ - ياربُّ ! ياربَّ العِشاءِ والسَّحرِ

٢ - أقدرُ لنا اللَّيلةَ مِنْ خَيْرِ القَدَرِ

٣ - قَطْرًا وَرِيحًا قَدْرَ مَا يَعْفو الأثرُ

(*) لم نعثر له على ترجمة . والآيات في مجموعة المماني : ٢١٧ .
وذكر عند إيراد اسمه « وكان لصاً » .

(١ - ٢ - ٣) : يسأل الله ربه أن يلفظ به في ليلة سرقة فينزل
المطر ويوصل الريح بقدر قليل يسمح له بالسرقه ويكفي لإخفاء أثره .

(٧)

أشاره

شظاظ الضبي

حياته : شظاظ بالكسر ، لص من بني ضبة ، كان يقطع الطريق مع مالك بن الرب وأبي حردبة ، أحد بني أثالة من مازن ، وغويث ، أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وكان شظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، أخبثهم ، وفيهم يقول الراجز (*) .

١ - الله نَجَّكَ مِنَ الْقَصِيمِ -

٢ - وَبَطْنِ فُلْجٍ وَبَنِي تَمِيمِ -

٣ - وَمِنْ أَبِي حَرْدَبَةَ الْأَثِيمِ -

فاموا الناس شراً وطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة فهربوا .

(*) الأبيات في الأغاني ٢٢ : ٣٠٤ - ٣٢٤ (بيروت) في ترجمة مالك

ابن الرب .

(١) في الأغاني : القصيم وهو تصحيف ، واقصيم - في البلدان - : موضع معروف يشقه طريق بطن فلج . وورد بطن فلج في البيت الثاني . والشاعر يخاطب ناقله .

(٢) بطن فلج : طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

(٣) في الأغاني (بني حردبة) وهو تصحيف .

٤ - ومالكٍ وسيفه المسُوم-

٥ - ومن شظاظ الأحر الزنيم-

٦ - ومن غوثٍ فاتح العُكوم-

(٥) الزنيم : اللثيم المعروف بلؤمه أو شره .

(٦) العكوم ج عكم : المدل أو الحقية توضع فيها الثياب ويشد عليها .
وفي الآيات الستة يمدد أسماء اللصوص وأماكنهم ويشكر الله أنه
نجاه هو وناقته منهم .

وذكر صاحب الأغاني قال (١) :

اجتمع مالك بن الرب وأبو حردبة وشظاظ يوماً فقالوا : نعالوا
تحدث بأعجب ما عملناه في سرقاتنا . فقال أبو حردبة : ... ثم قالوا لشظاظ :
أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصويتك .

فقال :

- نعم . كان رجل من أهل البصرة له بنت عم ، ذات مال كثير ،
وهو وليها ، وكانت له نسوة فخطبها ، فأبت أن تتزوجه ، فحاف الأي زوجها
من أحد ضرارها ، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة ، فحرصت
عليه ، وأبى الآخر أن يزوجها منه ، ثم إن ولي المرأة حجج ، حتى إذا
كان بالدو - على مرحلة من البصرة مات فدفن براهية ، وشيد على قبره ، فتزوجت
الرجل الذي كان يخطبها . قال شظاظ : - وخرجت رفقة من البصرة ، ومعهم
بز ومتاع ، فبصرت بهم وما معهم ، واتبعتهم من البصرة حتى زلوا ، فلما ناموا
أتيتهم وأخذت من متاعهم ، ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً
وجردوني . وذلك في ليلة قرة ، وسلبوني كل قليل وكثير كان علي ، فتركوني
عرياناً ، وتماوت لهم ، وارتحل القوم ، فقلت : كيف أحنع ؟ وذكر قبر

(١) الأغاني : ٣٠٤ - ٣٢٤ - بيروت ، مع أخبار مالك بن الرب ، وخنار

الأغاني لابن منظور ١١ : ٥٧ - ٦٤

الرجل فأتيته ، فتزعت لوحاً ، ثم احتفرت فيه سرباً فدخلت فيه ، ثم سددت علي باللوح ، وقلت : لعلّي الآن أدفناً فأتبعهم . قال : ومر الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة ، فمر بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه وقال لرفيقه : والله لأنزلن إلى قبر فلان . حتى أنظر هل يحمي الآن بضع فلانة ؟! قال شظاظ : فعرفت صوته ، فقلعت اللوح ، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر . وقلت : بلى ، ورب الكعبة لأحميها ، فوقع الرجل مغشياً عليه ، لا يتحرك ولا يعقل ، فسقط من يده خطام الراحلة ، فأخذت - وعهد الله - بخطامها فجلست عليها ، وعليها كل أداة وثياب وتقد كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوت بها .

فكنت بعد ذلك أسمع يحدث الناس بالبصرة ، ويخلف لهم إن الميت الذي كان منحه من تزويج المرأة ، خرج عليه من قبره ، وسابه وكتفه ، فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يمجّبون منه ، فعاقلهم يكذبه ، والأحقق منهم يصدقه ، وأنا أعرف انقصة فأضحك منهم كالتمجب .

وحادثة أخرى :

قالوا : فزدنا . . . قال : أنا أزيدكم أعجب من هذا ، وأحقق من هذا الرجل .

إني لأمشي في الطريق أبتني شيئاً أسرقه . قال فما وجدت شيئاً ، فاذا شجرة ينام تحتها الركبان ، بمكان ليس فيه ظل غيرها ، فاذا أنا برجل يسير على حمار له ، فقلت له : أسمع ؟ قال : نعم . فقلت : إن المقيّل الذي تريد أن تقيله يخسف فيه بالدواب فاحذره . فلم يلتفت إلى قولي . فرمقته حتى إذا نام أقبلت على حماره فاستقته ، حتى إذا برزت به قطعت طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته ، وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ، ويقفوا أثره ، فبينا هو كذلك ، إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه ، فقال : لعمري لقد حذرت لو نفني .

شعره :

قال (*) :

الحذر ، واستمر هارباً خوف أن يخسف به ، فأخذت جميع ما بقي من رحله
فحملته على الحمار . فألحق بأهلي .

وهناك قصة أخرى لطيفة لشظاظ ، وهو الذي يقال فيه : « ألس من
شظاظ » رواها الجاحظ قال^(١) :

قال أبو الحسن : كان شظاظ لصاً فأغار على قوم من العرب فاطرد منهم ،
فساقها ليلته حتى أصبح . فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قصد^(٢) من
طريقنا فقال : إن المحسن مئان .

صلبه : وكانت نهاية شظاظ عقوبة له على كلامه لا على سرقاته . صلب
الحجاج رجلاً من الثرثرة بالبصرة ، وراح عشيّاً ينظر إليه ، فاذا رجل بازائه
مقبل عليه بوجهه ، فدنا منه فسمعه يقول المصلوب : طالما ركبت فأعقب^(٣) .
فقال الحجاج : من هذا ؟ فقالوا : هذا شظاظ اللص : قال : لا جرم
والله ، ليعقبك . ثم وقف ، وأمر بالمصلوب فأُزيل ، وصلب شظاظاً مكانه .

(*) البيتان في لسان العرب (نقض) و (غير) وفي تهذيب اللغة (شهر) وفي
المعاني الكبير : ٥٦٥

(١) البيان والتبيين ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١

(٢) القصد : الهدى .

(٣) أعقب : دع مكانك لغيرك ، أو أركب خلفك غيرك .

- ١ - رَبَّ عَجُوزٍ مِنْ نُخَيْرٍ شَهْبَرَةٍ
٢ - عَلَّمْتُهَا الْإِنْقَاضَ بَعْدَ الْقَرَقَرَةِ

(١) في اللسان : شهيرة ، وفي التهذيب : من الكيز . وفي المعاني : من أناس وعجوز شهيرة وشهيرة . ولا يقال للرجل شهير ولا شهرب .

(٢) الإنقاض والكتيت : أصوات صفار الإبل ، والقرقرة والهدير : أصوات مسان الإبل .

وتذكر المصادر مناسبة اليتيم فنقول : اجتاز شظاظ على امرأة من بني غير ، تعقل بغيراً لها ، وتتمود من شظاظ ، وكان شظاظ على بكر ، فتزل فسرقت بغيرها ، وترك هناك بكره ، وقالوا : أراد أنها كانت ذات ابل فأغرت عليها ، ولم أترك لها غير شويها تَنْقُضُ بها .

وقال (*) :

- ١- مَنْ مُبْلَغُ فُتَيَانٍ قَوِّمِي رِسَالَةً فَلَا تَهْلِكُوا فَقْرًا عَلَى عِرْقٍ نَاهِقٍ-
- ٢- فَإِنَّ بِهِ صَيْدًا غَزِيرًا وَهَجْمَةً طَوَالَ الْهَوَادِي بِائِثَاتٍ الْمُرَافِقِ-
- ٣- نَجَائِبَ ضَبَّاطٍ يَكُونُ بُغَاؤُهُ دَعَاءً ، وَقَدْ جَاوَزْنَ عَرْضَ الشَّقَائِقِ

(*) الأبيات في الوحشيات : ٩٣ ، وفي معجم البلدان (عرق ناهق) وقال :
وكان لصاً متعلماً .

(١) عرق ناهق (في البلدان) : روى السكري عن أبي سعيد المعلم ، مولى لهم ، قال : كان المرقان عرقاً البصرة محيين ، ومهما عرق ناهق وعرق ثاق ، لإبل السلطان وللهوافي - أي الضوال من الإبل - وعرق ناهق يحمي لأهل البصرة خاصة ، وذلك أنه لم يكن لذلك الزمان كراء ، وكان من حج إنما يحج على ظهره ومملكه . فكان من نوى الحج أصدر إبله إلى ناهق إلى أن يجيء وقت الحج .

في البلدان (من مبلغ الفتيان عني) .

(٢) في الوحشيات عزيزاً ... وفي البلدان : نجائب لم ينتجن قبل المراهق .
الهجمة : القطيع من الإبل .. طوال الهوادي : طوال الأعناق . بائثات المرافق :
واسعات الخطأ .

(٣) في الوحشيات : عيدي . والضباط : من ضبط ، الرجل الحازم الذي يضبط أموره .

ومعنى الأبيات : ينصح شباب قبيلته ألا يموتوا فقراً وأن يمضوا إلى عرق ناهق ،
فهناك صيد كثير وإبل سمينة ، كان يملكها رجل حازم يرعاها حق
الرعاية ، فأصبح - وقد سرقناها وجاوزناها عرض الشقائق - ينادي
عليها ويغيبها ، وأين هو منها ؟

(٨)

أشعار

الهَيْرُذَانِ (*)

قال :

- ١- وما لِلْهَيْرُذَانِ وَلَا عَلِيٌّ لَفِيفِ السَّيْفِ - إِذْ رُهِقًا نَصِيرُ
- ٢- سَوَى شَرِيَانَةٍ خَطَمَتْ بِكُلِّ لَهَا فِي كَفٍّ نَارِعَاءَ خَطِيرُ

(*) في معجم الشعراء : ٦٩٤ ورد اسمه « الهيرذان » وفي معاني الشعر : ١٢٢ « الهيردان » ولم أر في اللسان مادة (هزد) ورأيت مادة (هرد) وفيها : وهردان ، وهيردان : أسماء ، والهيردان : اللص قال : وليس بثبت . وفضلت رواية معاني الشعر .

وأورد المعجم نسبة فقال : الهيردان بن خطار بن حفص بن مجدع بن وابش بن عمير بن عبد شمس بن سعد . ثم قال :
كان لصاً فهرب إلى الملب في خراسان وقال : الأبيات الثلاثة في المقطوعة الأولى .

(١) في معجم الشعراء : علي الذي ذكره هو صاحب له ، وكان لصاً أيضاً . وفي اللسان (لف) فلان لفيف فلان أي صديقه - وربما كان صاحبه يلقب « لفيف السيف » أي صديق السيف .
(٢) في اللسان (شري) الشريان والشريان - بفتح الشين وكسرهما - شجر من أعضاء الجبال يعمل منه القسي ، وأحدثه شريانة ، وقيل هو السدر . وفي (خطم) خطم القوس بالوتر ينخطمها ... علقه عليها وفي (خطر) الخطير : الاهتزاز .

٣- إذا طرحت وراء القوم سهماً مضي صرداً وأتبعه البصير
وقال وقد نفرت ناقتة عند باب المهلب (*) :

١ - لحاك الله يا شر المطايا أَمِنْ بابِ المهلبِ تنفرينا
٢ - فلولا أنني رجل طريد لكُست على ثلاثِ تنعيننا

ويكون معنى البيت : ليس لنا ما يحميننا وينصرتنا سوى هذه القوس
المصنوعة من الشرين ، إذا غلقنا بها الوتر اهتزت بكف من يرمي بها .
(٣) في معجم الشعراء : سهم ، وهو تصحيف واضح . أو خطأ
في النسخ والصحيح سهماً مفعول به لطرحت .

الصرد : في شرح المعجم : الذي يخرج من الرمية ، ينفذ إلى
الجانب الآخر .

وبذلك يكون معنى البيت : إذا رمت هذه القوس سهماً أصاب العدو
ثم خرج منه فؤاء من يتبعه نظره .
(*) المصدر نفسه .

(٢) في معجم الشعراء : على ثلاثة وهو خطأ بكسر أليت ، والمقصود
ثلاث قوائم ، وفيه : وتنعيننا : من المتاب وصححنا كما ترى فجعلناه
تنعيننا . وفي اللسان (نعب) نعب الغراب ينعب وينعب صاح وصوت ،
وفي اللسان (كوس) : المشي على رجل واحدة ومن ذوات الأربع على
ثلاث قوائم .

ومعنى البيتين : يلوم ناقتة على تقورها من باب المهلب ، وقد جاء يطلب
خير ، ولولا أنه طريد فقير لقطع قائمة من قوائمها الأربع .
فظلت تمشي على ثلاث قوائم وهي تصيح وتنعب .

وقال (*) :

- ١- جزى العذراء عنا الله خيراً . فقد أغنت عن الحبل الخديم .
- ٢- إذا نشرت ذوائبها بكوراً رمت بالوفر في نحر العديم .

(*) البيتان في معاني الشعر ١٢٢-١٢٣ وقال الأشنانداني : أخبرنا ابن دريد قال : وأنشدنا أبو عثمان للهردان أو غيره من الملائم - اللصوص - . والشرح له بعد ذلك .

(١) العذراء : يعني الجوزاء . وقال قوم : المنراء السنبلة . وإنما أراد بارح^(١) الجوزاء . يقول : هبت البوارح فطرحتم التمر فلقطه الناس فأغناهم أن يحمل الرجل حبلاً فيدور في عشيرته ، فيسترفد الشاة والبعر .
والحبل الخديم : المتقطع . يحمل [الرجل] حبلاً ويدور في عشيرته فربما أعطي شاة أو ناقة .

(٢) قوله : نشرت ذوائبها يعني الريح ، وذوائبها : غبارها رمت بالوفر : يعني بالغنى .
يقول : يستغني العديم^(٢) بما تطرحه هذه الريح من التمر .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف خاصة ، وقيل : هي الرياح الشدائد التي تحمل التراب في شدة الهبوب .
(٢) العديم : الفقير .

(٩)

معاوية بن عادية الفزاري (*)

- ١- أيا واليِّي أهل المدينة رَفَعَا لنا عُرقاً فوق البيوت تَرُوقُ
- ٢- لكيانرى ناراً يَشُبُّ وَقودَهَا بحزم الرِّحَا أَيْدٍ هُنَاكَ صَدِيقُ
- ٣- تُورُّثُهَا أُمُّ البَنِينِ لِطَارِقٍ عَشِيَّ السُّرَى بعدَ المنامِ طَرُوقُ
- ٤- يقولُ بَرِيٍّ - وهو مُبْدِ صَبَابَةٍ - ألا إنَّ إشرافَ البقاعِ يَشُوقُ
- ٥ - عَسَى مِنْ صدورِ العِيسِ تَتَفَخُّ فِي البَرَى طوالِعُ مِنْ حَبْسٍ وَأَنْتَ طَلِيقُ

(*) لم نعث له على ترجمة والأبيات في معجم البلدان (رجا) قال:
وقال معاوية بن عادية الفزاري ، وهو لص حبس في المدينة على إبل اطردها .
(٢) الرجا - في معجم البلدان - جبل بين كاظمة والسيدان عن
عين الطريق من اليمامة إلى البصرة .

(٣) أم البنين يقصد زوجه . وطروق : إما صفة لطارق فتكون
مكسورة وفي البيت إقواء ، وأما خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو عشي السري
طروق ، فهي مرفوعة . والأول أقرب .

(٤) بري : لعله اسم شخص أو لعله هو البري أي البريء ، يدفع
التهمة عن نفسه .

(٥) العيس : الابل . البرى : حلق في أنف البعير . يرجو أن
يجد نفسه طليقاً من سجنه على ظهر بعير يعود به الى وطنه .

التعريف والنقد

خليل مردم بك

الشاعر وديوانه باللغة الألمانية

Khalil Mardam Bey ,

der Dichter und sein Diwan

كولونيا (ألمانيا الغربية) ١٩٧٣

Koeln 1973

الأستاذ محمد كامل عياد

قبل نحو خمسين عاماً ، وبالضبط في سنة ١٩٢٥ ، نشر الأستاذ (كامبفنهير KamPffneher) في عدد خاص من مجلة « أبناء معهد اللغات الشرقية » في برلين دراسة بعنوان « شعراء عرب من العصر الحاضر » . وقد كان الأستاذ (كامبفنهير) على صلة بالطلاب العرب الذين كنا ندرس في المانية ونشر الأخبار في الصحف الألمانية عن أوضاع سورية ، فطلب منا مراسلة شعرائنا المعروفين اذ ذاك وقام أحد رفاقنا الدكتور محمد صبحي أبو غنيمه بالكتابة إلى الشاعر خليل مردم بك الذي كان يعرفه من أيام الدراسة في (مكتب عنبر) . وأذكر أن الشاعر قد أشار في جوابه إلى أنه يفكر في القدوم إلى المانية لمتابعة الدراسة ، وسأل عن أحوال المعيشة وأنظمة الجامعات في تلك البلاد . ويبدو أن الحوادث الطارئة والظروف الخاصة دفعت خليل مردم بك إلى تفضيل الذهاب في ذلك الوقت إلى انكلترا .

لقد عادت بي الذاكرة الآن ، بعد نصف قرن ، إلى مبادرة الأستاذ (كامبفاير) الذي نشر ما كتبه خليل مردم بك نفسه في ترجمة حياته ونقل إلى الألمانية النماذج التي أرسلها من شعره . تذكرت ذلك بمناسبة رسالة جامعية أحلها علي السيد رئيس جمع اللغة العربية لتعريف القراء بها . وعنوان الأطروحة هو : « خليل مردم بك ، الشاعر ودويانه » تقدم بها السيد محمد تاج الدين خالد بك الخالد ، في السنة الماضية إلى جامعة (كولونيا) بألمانية الغربية . والأستاذ تاج الدين خالد ولد بدمشق سنة ١٩٢٢ ، حسبما ورد في ترجمة حياته ، وكان من تلامذة خليل مردم بك في الكلية العلمية الوطنية ومن المعجبين بشعره ، وكانت تربطه أواصر الصداقة بأسرة مردم بك وعلى الأخص بولد الشاعر المرحوم هيثم الذي رافقه في عهد الدراسة بالجامعة الأميركية في بيروت ، والذي توفي سنة (١٩٤٢) ولما يبلغ العشرين من عمره . وكان المرحوم هيثم مردم بك ذا موهبة مبدعة ، وقد نظم الشعر في سن مبكرة ، مثل والده وأخيه ، ونشر بعض القصائد في الصحف ثم جمعها في ديوان مخطوط أهداه ، وهو في المستشفى ، قبل وفاته ، إلى صديقه السيد تاج الدين خالد الذي ما زال يحتفظ به .

بعد دراسة الانكليزية والاقتصاد والسياسة في الجامعة الأميركية التحق السيد تاج الدين خالد بالكلية العسكرية الفرنسية ، وأصبح ضابطاً في المدفعية برتبة ملازم في سنة ١٩٤٥ . وقد انتدب بعد الجلاء في سنة ١٩٤٦ لتمثيل الجيش السوري في اللجنة المكلفة بوضع القاموس العسكري الفرنسي - العربي والتي كان الأستاذ خليل مردم بك من أعضائها ، فكانت فرصة ثمينة للاشتراك في العمل وتوثيق روابط الصداقة . ثم درس السيد تاج الدين خالد الحقوق والصحافة ، وسافر في سنة ١٩٥٨ بعد أن أصبح عقيداً في الجيش وبالاتفاق مع الحكومة السورية إلى ألمانيا لدراسة اللغة

الامانية وعلم الإدارة في جامعة (كولونيا) . وأخيراً بدأ في سنة ١٩٦٨ دراسة العلوم الإسلامية واليهودية والسامية في معهد اللغات الشرقية في الجامعة ذاتها ، حيث نال في صيف سنة ١٩٧٣ شهادة الدكتوراه على أطروحته عن « الشاعر خليل مردم بك وديوانه » .

لا أدري ما هي الأسباب التي دفعت السيد تاج الدين الخالد إلى التنقل مدة طويلة بين مختلف العلوم ، ولا أعرف الموضوعات التي تخصص بها حقاً ، ولم أطلع على مدى اشتغاله بالشعر والأدب . ولكن على الرغم من ذلك لا بد لي من التنويه بأهمية رسالته عن المرحوم الرئيس خليل مردم بك ، فهي مساهمة مشكورة في المحاولات التي تبذل لتعريف العالم بالحضارة العربية الحديثة . وإذا كان لا شك في أن المستشرقين قد قاموا بجهود جبارة في التنقيب عن تراثنا ، ونشر قسم كبير من آثار أجدادنا ، والبحث في حضارتنا الفكرية والمادية ، فمن المؤكد أيضاً أنهم قد اقتصروا في الغالب على العصور الماضية من تاريخنا ، ولم يبدأوا إلا منذ عهد قريب في الاهتمام بنهضتنا الحديثة . غير أنهم لم يترجموا حتى الآن سوى نماذج قليلة من مؤلفات بعض كتابنا المعاصرين . وفي الحقيقة فهمة التعريف بتراثنا القديم ونهضتنا الحديثة إنما تقع على عاتقنا نحن العرب . لذلك لا بد لنا من الترحيب بكل الجهود الصادقة في هذا السبيل ، كما هي الحال مع محاولة السيد تاج الدين الخالد الذي اختار شخصية الشاعر خليل مردم بك وديوانه موضوعاً لرسالته باللغة الألمانية .

فقد كان المرحوم الرئيس من أبرز رجال الأدب والفكر ومن ألمع الشعراء في أوائل هذا العصر ، كما استطاع منذ عنقوان شبابه أن يبرز في الصف الأول بين أعلام النهضة الحديثة وقادة الحركة الوطنية ، ودعاة الوحدة العربية .

وقد تعرض السيد تاج الدين الخالد في رسالته إلى حياة « شاعر الشام » فنقل الترجمة الذاتية التي كان نشرها له الأستاذ (كامبفائر) ثم وصف مسكن أسرته ، وتكلم على نسبه ونشأته والمناصب التي تقلدها ، وذكر نشاطه الأدبي والعلمي والكتب التي ألّفها أو حققها . وبعد وقفة قصيرة عند السنوات الأخيرة من حياة الشاعر التي واجه فيها المرض والضعف ، والتي اتصفت بالرزاة والصمت والحزن والانطواء ، انتقل المؤلف إلى تحليل شخصيته الفذة التي تمزج بين كرم المحتد ونبل القصد وسمو الخلق ؛ وقد أبرز بين صفاته المميزة تعففه وتواضعه واتزان وحكمته وإيمانه .

ثم بحث المؤلف في « النواحي الشكلية » من شعر خليل مردم بك فأشاد بمبقرته المبدعة وموهبته الفنية ومقدرته اليبانية ، وشرح نظراته إلى الشعر فين من جهة تمسكه بالقوالب التقليدية ومحافظته على سلامة اللغة والتراكيب ، وكشف من جهة ثانية عن نزعه إلى التجديد سواء في انتقاء موضوعاته أو في حرصه على وحدة القصيدة بما جملة يتبوأ مكانة خاصة في تاريخ الأدب العربي الحديث « كمحافظ متجدد » يعتبر صلة وصل بين الشعر القديم والجديد ورائداً للاتجاهات المصرية .

يقسم السيد تاج الدين الخالد نشاط الشاعر الأدبي إلى ثلاث مراحل ، يذكر أعماله في كل منها ويصف طريقته في التأليف . فهو يحدد مرحلة الشباب بين سنة ١٩١٧ و ١٩٢٥ ، والمرحلة الوسطى التي بدأت بعد العودة من لندن في سنة ١٩٢٩ واستمرت حتى سنة ١٩٤٢ ، والمرحلة الأخيرة من ١٩٤٣ حتى سنة ١٩٥٨ أي إلى قبيل وفاته .

وقد عني المؤلف « بالاحصائيات » فقام بتعداد المرات التي استخدم فيها الشاعر مختلف البحور مثل « البسيط » ، [٤١ مرة] و « الكامل » ، [٢٨ مرة] و مرة واحدة كلا من « المديد » و « المقتضب » و « المنزوح » و « التدارك » .

كذلك أحصى المؤلف عدد القصائد في كل باب من أبواب الشعر ، فكانت في الوصف (٣٦) وفي النسيب (٣٧) والاجتماعيات (٢٨) والاخوانيات (٢٣) والوطنيات (١٩) والراثي (١٥) والاسلاميات (٢) . وقد تضمن الديوان (١٦٠) قصيدة بلغ مجموع أبياتها (٣٤٧٩) .

بعد الانتهاء من دراسة حياة الشاعر وإنتاجه الأدبي والعلمي قام المؤلف في القسم الثاني من أطروحته بالتقاء (٤٣) قصيدة من الديوان ترجمها الى اللغة الألمانية وعلق عليها . ويمكن القول إن السيد تاج الدين الخالد قد حالفه التوفيق في اختيار القصائد التي أحسن ترجمتها بصورة دقيقة تساعد القارئ الألماني على تكوين فكرة واضحة عن عبقرية « شاعر الشام » ومهارته الفنية وروحه النبيلة وشخصيته الفذة ومبادئه المثالية .

وأخيراً تجدر الإشارة الى أن المؤلف قد زين أطروحته بنماذج من خط الشاعر وبمجموعة من صوره في طفولته ومختلف مراحل حياته وبين أفراد أسرته .

محمد كامل عياد

عرض ونقد :

لكتاب « كون الحيوان » لارسطوطاليس

« المقالات ١٥ - ١٩ من كتاب الحيوان »

ترجمة من اليونانية إلى العربية نسبت إلى يحيى بن البطريق

حققها وقدم لها : يان بروخمان و يوان دورساروت لولوفس^(١)

نشرته مؤسسة دي خويه في نشراتها تحت تسلسل ٢٣ ، وتوزعه مؤسسة بريل في لايدن - هولندا
طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٧١

الدكتور قاسم السامرائي

يحتوي الكتاب على النص العربي الذي شغل ١٩٧ صفحة من صفحات
الكتاب ، وعلى معجم للمصطلحات العربية الواردة في النص وما يقابلها من
اليونانية ، وقد شغل هذا المعجم الرائع ٩ صفحة من الكتاب . إضافة إلى
ذلك ، فقد احتوى الكتاب على تمهيد وسبع مقدمات باللغة الإنكليزية ودليل
للرموز التي استخدمها المحققان في الكتاب وفهرس بأسماء الأعلام والأماكن
شغلت ٨٢ صفحة .

قال الأستاذ لولوفس في تمهيد إنه قام بتحقيق النص العربي بالاشتراك
in conjunction مع الأستاذ بروخمان ، وإن معجم الألفاظ العربية وما يقابلها
من اليونانية قام بإعداده الأستاذ بروخمان وحده . وبالنسبة للمقدمات السبع
فقد كتب الأستاذ بروخمان المقدمة الرابعة والخامسة ، أما الأولى والثانية

(١) الأستاذ بروخمان رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة لايدن ، ولولوفس
أستاذ الفلسفة اليونانية بجامعة أمستردام .

والثالثة فقد كتبها الأستاذ لولوفس وقد كان باستطاعة الأستاذ، توفيراً لجهد القارئ، أن يدمج مقدماته الثلاث في واحدة، لأنها متشابهة في معالجة الموضوعات، ومن ثم لم يقل لنا الأستاذ لولوفس "من" كتب المقدمة السادسة والسابعة؟ واكتفى بقوله "والفصل الأخير حول النص فإنه استند على الملاحظات التي أوتأها كل منا في مناسبات مختلفة".

وقرر الأستاذ لولوفس في مقدمته الأولى: "أن وجود كثير من الآثار السريانية في النص العربي يظهر بوضوح أن هذه الترجمة لم تنقل من نص يوناني بل من نص سرياني، مع أننا لم نعثر حتى الآن على ترجمة سريانية للكتاب ما عدا إشارة عابرة في كتاب الفهرست لابن النديم حيث قال: "إن هناك ترجمة من السريانية لكتاب الحيوان لابن البطريق"^(١). ثم يعرض الأستاذ لولوفس لرأى الدكتور اندريس حول قسم من نص "طبائع الحيوان"، ترجمة ابن البطريق ونشر فورلاني، حيث توصل اندريس إلى أن كتاب الحيوان لا يمكن أن يكون من ترجمة ابن البطريق. ثم حاول الأستاذ لولوفس أن يقارن بين نص كتاب "الحيوان"، ونص كتاب "الميتافيزيقيا"، لارسطوطاليس الذي ترجمه "من" يسمى أسطاط أو أسطاط، وبعد مقارنة طويلة بين الالفاظ والاصطلاحات التي وردت في كلا الترجمتين توصل إلى أن هناك احتمالين وهما:

أولهما: أن ترجمة الكتائين لا بد وأن تكونت من إنتاج المدرسة نفسها، إذ أن هناك اصطلاحات وعبارات متعارفة بينها، لم يستطع حتى أسطاط التخلي عن استعمالها.

وثانيهما: ربما كان أسطاط نفسه قام بترجمة كتب الحيوان في أول حياته (الترجمة) عندما كان فن الترجمة لم يزل بعد في أول أطواره ولم

(١) الفهرست، تحقيق فلوك صفحة ٢٥٢، (وهذا القول في صفحة ٢٥١).

يتخذ بعد شكله المنظور الاخير . وختم مقدمته بقوله : (وفي الوقت الحاضر لا نستطيع الوصول إلى حل لهذه المسألة بما يتوفر لدينا من معلومات).
لقد أورد ابن النديم ما يأتي : (الكلام على كتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة نقله ابن البطريق وقد يوجد سرياني نقلاً قديماً أجود من العربي وله جوامع قديمة ، كذا قرأت بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه وقد ابتداء أبو علي ابن زرعة بنقله إلى العربي وتصحيحه).

وجاء في الصفحة ٢٦٤ من كتاب الفهرست نفسه : (ابن زرعة . . . أحد المتقدمين . . . والنقلة المجودين . . . ما نقله من السرياني كتاب الحيوان لارسطو طاليس . . .) .

فإذا كانت الترجمة لهذا النص ، كما افترض الأستاذ لولوفس ، من السريانية ، وأن هذه الترجمة لا يمكن أن تكون لابن البطريق ، كما برهن أندريس ، فلماذا لا تكون ترجمة ابن زرعة ؟ وقد نص ابن النديم على أن ابن زرعة قد ابتداء بنقله ثم قال بلهجة الواثق من كلامه : (ما نقله من السرياني . . .) ولا نعلم السبب في إغفال الأستاذ لولوفس نص ابن النديم الكامل واكتفائه بقسم منه .

أما في مقدمته الثانية فقد حاول الأستاذ لولوفس أن يوضح أسلوب وفن الترجمة الذي اتبعه المترجم والعثرات التي وقع فيها ، وعلاقة تلك العثرات بقابلية المترجم اللغوية في العربية ، وشفع ذلك بنماذج انتزعها من الترجمة العربية وما يقابلها باليونانية . ولجئني التام باليونانية فلا أستطيع أن أقدم رأياً ، بيد أن هناك مثلاً واحداً في الاقد استوقفني ، فقد ورد في النص العربي ما يأتي :

(وأيضاً اختلاف الأظعمة يكون علة اختلاف خروج الرطوبة ، ويكون لهذه العلة أقل وأكثر ، مثل ما يعرض لأجساد أصحاب الحضار

(في مخطوط لايدن : الحضر) والجري فاته يعرض خروج رطوبة كثيرة من أجسادهم (صفحة ٤٠ من النص العربي المطبوع) .

واقبس الأستاذ لولوفس النص اليوناني وترجمه إلى الإنكليزية :
Some of the Pungent Foods ووضع أمام الترجمة الإنكليزية : (أصحاب الحضر والجري) (١) .

والترجمة الإنكليزية إذا كنت حرفية لليونانية ، فلا تستقيم مع النص العربي لان معناها (بعض الاطعمة اللاذعة ، كطعم الفلفل مثلاً) والنص العربي معناه (السعاة والمدائون) وهو موافق تماماً لمعنى النص . وبما يؤكد هذا أن المنقح ، كما أسماه لولوفس ، وضع كلمة (خ السعاة) بعد كلمة (الحضر) للدلالة على أن كلمة (السعاة) وردت في نسخة ثانية . (ورقة ١٥٨ أ من مخطوط لايدن) .

وفي المقدمة الثالثة أسهب الأستاذ لولوفس في بيان أن المترجم قد توسع كثيراً في ترجمته فأضاف بعض الالفاظ والعبارات بما لا يوجد في الاصل اليوناني لتسهيل الفحوى والمحتوى ، لان الترجمة من لغة إلى أخرى تتطلب مثل ذلك لتعذر الترجمة الحرفية التي لا تحمل المعنى كاملاً حين لا يجد المترجم لفظاً مقابلاً في العربية . ثم استطرد قائلاً : « إن المترجم في بعض الحالات أساء فهم النص اليوناني ، فمبر عنه بكلام لا معنى له اطلاقاً ، ثم شفع قوله هذا بنصوص انتزعها من النص العربي وقابلها بالنص اليوناني . فمثلاً : (الترجمة الإنكليزية للنص اليوناني) : « تماماً مثل طبقة الجص الجديدة على الحائط سرعان ما تسقط (ما تقع جانباً) ، فإنها ترجمت « مثل ما يتجلى البخور إذا وضع على النار » ، (صفحة ٢١ ، المقدمة الثالثة) وأمثال ذلك . ولا

(١) جاء في القاموس والحضر بالضم ارتفاع الفرس في عدوه كالإحضر ، وزاد صاحب تاج العروس : قال الأزهرى : الحضر والاحضر من عدو الدواب .

يستبعد أن النص اليوناني حوى كثيراً من التصحيف أو أن المترجم أساء قراءة النص فأساء الترجمة .

واختتم مقدمته الثالثة بقوله (بالرغم مما رأينا من الأمثال الكثيرة الدالة على سوء الترجمة من اليونانية إلى العربية ، فإن المترجم لم يكن له هدف سوى تحويل كتاب الحيوان لأرسطوطاليس إلى لغته بكل ماله من قابلية وما توفر عنده من جهد) .

وفي المقدمة الرابعة درس الأستاذ بروخمان لغة الترجمة بمنأى ودقة فائقتين ، وقال : (إن لغة النص تذكرنا في حالات عديدة باللغة العامية ، فإن لغة المترجم في أغلب الأحيان معلولة ، ويغلب عليها اللحن ، فله كان يتكلم نوعاً من العامية العربية ، ومن ناحية أخرى فإن المفردات الفلسفية لم تصل عنده بعد إلى مستوى الكمال الذي وصلت إليه فيما بعد) . ثم عرج الأستاذ بروخمان على لغة المترجم فدرسها بتفصيل وإسهاب يستثير الإعجاب ، فأظهر بالأمثلة المستقاة من النص العربي أن المترجم كان ضعيف الملكة بأسباب النحو واللغة وتركيب الجمل فلغته تمثل (العربية الوسطى) التي هي بين العامية والفصحى ، أو قل هي لغة النصارى الذين لم تكن العربية لغتهم الأصلية .

وفي المقدمة الخامسة تتبع الأستاذ بروخمان المصادر العربية التي يمكن أن تكون قد اقتبست من كتاب الحيوان ، أو ذكرته في الأقل ، فقال : « إنه كان معروفاً عند العرب باسم كتاب الحيوان ، وهكذا ذكره الكندي في رسالته ، وابن النديم في فهرسه ، والقفطي في تاريخ الحكماء ، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ، وابن باجة في مجموعة من الكلام ، والقزويني في عجائب المخلوقات ، والدميري في حياة الحيوان » واستطرد قائلاً : « إن العرب هم الذين قسموا الكتاب

إلى تسع عشرة مقالة : وقد سميت المقالات العشر الأول باسم (طبائع الحيوان) كما تظهر عند ابن أبي أصيبعة وحاجي خليفة .

يبدو أن الكندي كان أول من ذكر كتب أرسطوطاليس « الحيوانية » فقد قال في رسائله « كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليها في تحصيل الفلسفة » : « فقد ذكر كتاب الحيوان ككتاب سابع في سلسلة الأشياء الطبيعية وقال : إن كتاب الحيوان (وسماه الحيواني أيضاً) يحتوي على كون الحيوان في طبائعه وخواصه وعوامه وعلل أعضائه والمواضع الخاصة به وحركاته وما يعمه من ذلك وما يخصه » - رسائل الكندي ٣٨٣ - . فالكندي في كتبه لم يتعرض لآراء أرسطوطاليس في الحيوان لأنه على ما يبدو لم يكن مضمناً بها فلم تحظ باهتمامه . ثم درس الأستاذ بروخمان أثر كتاب الحيوان عند الجاحظ وابن قتيبة والمسعودي وأبي حيان التوحيدي وأخيراً النويري، فخرج بالنتيجة الآتية : إن هؤلاء وإن أومموا أنهم اعتمدوا على كتاب الحيوان في ما أوردوه من معلومات ، فإن معلوماتهم لم تكن مستقاة من الكتاب مباشرة ، وإنما من مصادر ثانوية قد تكون مختارات أو مختصرات للكتاب - أو جوامع كما سماها ابن النديم - إلا ابن سينا فإنه الوحيد الذي كان على معرفة تامة بكتاب الحيوان بل ربما قد رأى الترجمة الحالية بعينها كما يظهر في الفصل الثامن من كتابه المعروف - الشفاء - فقد صاغ المعنى بلغة أسلم ، وعلق على كل المقالات ١٥ - ١٩ من كتاب الحيوان ، وفضلاً عن ذلك فقد أدلى بآرائه وأصلح كثيراً من المصطلحات الواردة في النص واستبدلها بما يقرب من المعنى الأصيل . وعلى سبيل المثال فقد استعمل ابن سينا طبيعة بدلاً من طبائع المستعملة كثيراً في النص ، ونبات بدلاً من شجرة ، وهضم بدلاً من أنضج ، ومادة بدلاً من هيولى . وفي حالات آخر استخدم ابن سينا المصطلحات الواردة في النص نفسها دون تغيير ، مما يدل على

أن ابن سينا قد رأى الكتاب واقتبس منه . وتظهر أصالة ابن سينا في رفضه قبول آراء أرسطوطاليس على علانها ، ومحاولته صياغتها وتحويرها كما يرتضيها منهجه ، فقد أورد مثلاً رأي أرسطوطاليس في علة خلق الجنين : - فلهذه العلة إذا خالط الزرع الذي هو غذاء نقي بهذا الدم الذي ليس بنقي تكون الولادة من الزرع ، ويكون الغذاء من دم الطمث - فأضاف ابن سينا موضحاً هذا الرأي : يجب أن تعلم أنه يعني هنا بالزرع زرع الإناث . فهذا الرأي الأخير مناقض ورادٌّ تماماً لرأي أرسطوطاليس الذي يرى أن علة نشوء الجنين تكون من زرع ارجل فقط ، وغذاؤه يكون من دم الطمث ، بينما يرى ابن سينا أن خلق الجنين يكون مشتركاً بين زرع الرجل وزرع الأنثى . فلا ولادة من غير اتصال أحدهما بالآخر وتأثير الواحد في الآخر . وهذا هو رأي العلم الحديث .

ويختتم الأستاذ بروخمان مقدمته قائلاً : إننا لا نشك في أن المؤلفين في الطب وبما كان عندهم من معرفة واسعة بالعلوم اليونانية في مختلف مجالاتها لا بد وأن تكون دراساتهم قد تضمنت كتاب الحيوان أيضاً ، ومع هذا فإن الكتاب كان معروفاً حتى في الأوساط الأدبية في القسم الشرقي من الامبراطورية الإسلامية ، فقد أورد الثعالبي في - بئمة الدهر - بيتاً لأبي الفتح البستي :

وكيف ألوم المرء في خبث فعله وأول شيء قد غداه دم الطمث

يظهر منه أن هذا الرأي الأرسطوطاليسي في مسألة خلق الجنين كان معروفاً في هذه الأوساط .

وقد فات الأستاذ بروخمان أن أبا سعيد عبد الله - أو عبيد الله - بن جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع - المتوفى سنة ٤٥٠-٤٦٠هـ (١) قد اقتبس

(١) انظر بروكلمان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٤٨٣

فصلاً من كتاب الحيوان لأرسطوطاليس ، فانه نقل نصاً طويلاً من المقالة الثانية من الكتاب - مخطوط لايدن OR 584 ورقة ٨١أ - في كتابه - رسالة في بيان وجوب حركات النفس - كما سماه مصنف فهرس مخطوطات لايدن .

النص العربي :

اعتمد المحققان في إخراج النص على ثلاث مخطوطات ، وترجمة لاتينية للنص العربي ، ترجمها « مايكل سكوت » في القرن الثالث عشر للميلاد . وأولى هذه المخطوطات مخطوطة لايدن المحفوظة تحت رقم OR 161 قال عنها المحققان : - كتبت في سورية في القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد . وتحتوي الصفحة من المخطوطة على ١٢ سطراً ، وإعجام الحروف قليل ، واشكال الكلمات يكاد يكون معدوماً ، وخط النص بما فيه اسم الكتاب والإشارات الدالة على الكراسات والتعليقات والإضافات كلها كتبت بخط واحد . والنص المنشور يقع قسمه الاول بين الورقات ١١٥أ - ١٦٥ب . والمخطوطة تمثل الجزء الثالث من أربعة فقدت بقيتها . وإن الطريقة التي اتبعها الناسخ في تقسيم المقالات التسع عشرة من كتاب الحيوان على الأجزاء الأربعة يمكن أن تحدد من العنوان :

(الجزء الثالث من كتاب الحيوان لأرسطوطاليس الحكيم وهو يشتمل على أربع مقالات من جملة تسعة عشر مقالة وهي المقالة الثانية عشر والثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر) .

تحتوي مخطوطة لايدن على ٢٢ كراسة تشتمل كل واحدة على ١٠ ورقات ، غير أن الورقة الأولى والأخيرة من الكراسة الأخيرة قد ستطنا . ويستمر المحققان في وصف مخطوطات المتحف البريطاني وظهران وترجمة « مايكل سكوت » ، بما لا يدخل في مناقشتي هذه ، لذلك سأحصر نقاشي في ما يتعلق بمخطوطة لايدن لأنني لم أر مخطوطتي لندن وطهران .

قال المحققان في الصفحة ٦٢ من المقدمة السادسة «وبما لاشك فيه أن نسخة لايدن قد وقعت بيد من نقحها وعلق عليها تعليقات تختلف عما هو موجود في النص ، فإنه لم يكتف بما أضاف إليها بل عدل وأصلح وبدل وقدم قراءات مغايرة لما في النص ، يحملنا على الاعتقاد بأن المتقع هذا كان قادراً على أن يقارن بين النص اليوناني والعربي ، فأضاف وغير ما رآه أصلح للسياق». وأورد المحققان أمثلة لهذا التغير والإصلاح مثل هذا المثل : « جاء في مخطوطة لايدن (مثل ما يكون غرق المركب الذي كان من اثيناس) فأضاف المتقع في حاشية الورقة ١٤٦ أ (كما كان مسير الأثينيين في السفينة من بعد الاجتماع للحرب ، خ ،) ، مع أن الأصل اليوناني (تماماً مثل الرحلة البحرية التي تأتي بعد الاحتفال الباناثيني) ففعل كلمة « للحرب » كانت في النسخة الأخرى (خ) (للطرب) فتصحفت على ناسخ نسخة لايدن . فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً فهو تأييد مباشر لرأي المحققين القائل إن المتقع كان على علم باليونانية . ومن ناحية أخرى فإن المحققين لم يحسبوا للتصحيح حساباً ولم يولوا أية عناية وهو الطامة الكبرى في دراسة المخطوطات .

قال الأستاذ لولوفس في مقدمته (صفحة ١٠) إنه أثناء رجوعه من طهران وبعد أن رأى مخطوطتها ، قابل في بيروت الدكتور صلاح الدين المنجد الذي قدّم رأيه حول مكان المخطوطات العربية الثلاث للكتاب وزمانها ، ثم صرح برأيه الدكتور المنجد هذا في الصفحة ٤٥ من المقدمة السادسة حول النص ، وقال عن مخطوطة لايدن (كتبت في سورية في القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد) دون أن يشفع رأيه هذا بدليل وكتماً نود أن قد فعل . ولما لم أر مخطوطة لندن أو طهران فإن مناقشة رأيه فيها لا معنى لها .

وفي هذا الرأي أمران يستلفتان النظر :

أولها : أن الكتاب لم يكتب في سورية إطلاقاً ، فلعل الأستاذ المنجد أطلق هذا الحكم الجزاف حين رأى أن المؤرخ خليل بن أيبك الصفدي كان أحد الذين امتلكوا الكتاب في فترة من التاريخ فإن خطه المعروف يظهر على صفحة العنوان (من كتب خليل بن أيبك الصفدي) فتبادر إلى ذهنه أن الكتاب كتب في سورية . ولو أوتي الدكتور المنجد ، في هذا الموقف ، صبر المحقق الثبت (١) ، لرأى بوضوح أن هناك غير الصفدي من امتلك الكتاب .

وثانيها : أن الكتاب لم يكتب في القرن الخامس للهجرة ، ولاندري على أي دليل أقام الدكتور المنجد رأيه هذا فإن الأستاذ لولوفس لم يصرح به واكتفى بما نقلناه عنه .

تحمل ورقة العنوان إضافة إلى العنوان الذي أوردناه سابقاً وتملك الصفدي ما يأتي بالحرف :

ملك محمد بن أحمد بن المـ

ثم لعلي بن

ومن بعده للراجي [عفو الله]

..... ن المنداي

..... [وآله وصحبه وسلم]

ولو كاف الدكتور المنجد نفسه قليلاً من العناية لحس أن الصفدي لا بد أنه ترجم لمالك الكتاب وذلك لسبب بسيط ، وهو أن الكتاب ليس من الكتب المتداولة بين الناس ، ولا بد أن من يملكه يكون من

(١) انظر مقالة مصطفى جواد عن تحقيق المنجد لكتاب العبر الذهبي مثلاً ، مجلد ١٧ لسنة ١٩٦٩ ص ٧٠ ، مجلة المجمع العلمي العراقي .

خواصهم ، وإذا كان من خواصهم فلا بد أن يترجمه الصفدي أو غيره .
وقد أصاب الأستاذ بروخان حين قال : « إن ندرة المخطوطات لهذا الكتاب
تظهر أن كتاب الحيوان لارسطوطاليس لم يكن متداولاً على نطاق واسع ،
بل إن تداوله كان مقتصرأ على نطاق ضيق بين الناس » (المقدمة الخامسة
٣٩) . وهذا ما تبادر إلى ذهني ، فكان الدليل في كتابة التملك الأخير
التي عفت وانطمت لتهرؤ جانب الورقة الأسفل فلم يبق من اسم لمالك
الأخير إلا اسم (المندائي) فوجدت أن الصفدي قد أورد بالفعل ترجمة
لمالك محمد بن أحمد بن بختيار المندائي قاضي واسط المتوفى سنة ٦١٥ هـ . وزاد
الأمر تأكيداً أن الكتاب انتقل بعد وفاة محمد بن أحمد المندائي إلى من
اسمه (علي) وقد وجدنا المؤرخ المندري يقول :

(علي بن محمد بن أحمد بن بختيار بن علي ، أبو جعفر الواسطي المعروف
بالمندائي المؤرخ ، له علم بالفقه والأدب واللغة ، من أهل واسط وبها كانت
وفاته) وأضاف المندري : (ولي القضاء بواسط مدةً وصنف تاريخاً ؛ ولد سنة ٥٥٩ هـ
وتوفي سنة ٦٣٠ هـ) (التكملة لوفيات النقلة ، وفيات سنة ٦٣٠ هـ . تب . بشار
عواد) . ونقل الزركلي في الأعلام هذا النص ٥ / ١٥٣ ، وأعاد كحالة
مقاله الزركلي ٧ / ١٧٩ . ثم انتقل الكتاب بعد وفاة علي بن المندائي
إلى من اسمه المندائي أيضاً ، فلعله كان ابناً لعلي بن المندائي أو أخاً
له . فعلى هذا فإن الكتاب يكون قد كتب في العراق وبالذات في واسط
وليس في سورية ، وإنه كتب في القرن السادس أو بداية القرن السابع
الهجري وأيس الخامس . . . فتأمل . وإن الكتاب قد بقي في واسط إلى
إلى ما بعد وفاة المندائي الأخير ، أو لعله بقي في واسط عند المندائيين حتى
بداية القرن الثامن ، ثم انتقل إلى ملك الصفدي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (١)

(١) أو سنة ٧٦٤ هـ كما افترض الدكتور المنجد في كتابه « المؤرخون الدمشقيون »
ص ٨ : الطبعة الثانية .

(بروكلمان ملحق ٢ / ٢٧) وهذا اقتراض يبدو في الأقل غير معلول .

وآل المندائي مشهورون في كتب التراجم والتاريخ ، فهم بيت قضاء وعدالة وتصوت ، وأولهم أبو العباس أحمد بن بختيار ابن المندائي الواسطي . ولد سنة ٤٧٦ هـ بأعمال واسط ، وتوفي ببغداد سنة ٥٥٢ هـ وقد ذكره السمعاني في تاريخ بغداد ، وابن الجوزي في المنتظم ، وياقوت في معجم الأدباء ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والسبكي في طبقاته ، وابن الأثير في الكامل ، والذهبي في المشتبه ، والسيوطي في بغية الوعاة وغيرهم . قال ابن الفوطي « ورأيت للبطائع تاريخاً حسناً قد صنفه القاضي المندائي » (تلخيص مجمع الآداب رقم ٢٧٧٠) .

ثم ابنه محمد بن أحمد بن المندائي ، أبو الفتح القاضي ، ولد سنة ٥١٧ هـ وتوفي سنة ٦١٥ هـ عن ثمان وثمانين سنة . ذكره ابن الديلمي وابن خلكان وابن العماد والمنذري وسبط ابن الجوزي وابن الساعي والذهبي وابن تغري بردي والصلاح الصفدي ، وأخيراً الذهبي في العبر ١٤ / ٥ تحقيق الدكتور المنجد حيث وقع في بعض أسماء شيوخه اضطراب لم ينبّه عليه الأستاذ المنجد .

قال ابن الديلمي : « محمد بن أحمد بن بختيار بن علي ، أبو الفتح بن أبي العباس المندائي الواسطي القاضي ابن القاضي الثقة الفاضل ، ولد بواسط وحمل إلى الكوفة إذ تولى أبوه قضاء فسمع بها عمر بن إبراهيم العلوي ، ثم دخل بغداد وسمع البارع حسين بن محمد الدباس ، وهبة الله بن الحصين ، ومحمد بن الحسين المزرفي ، وهبة الله بن الطير ، وأبا السعود أحمد بن علي بن المجلي ، وأبا الحسن السهقي وجماعة . وعاد إلى واسط سنة ثلاثين (وخمس مائة) وقرأ بها القرآن على أحمد بن عبيد الله الأمدي سبط الأغلاقي وعلى الرئيس أبي يعلى محمد بن سعد بن تركان ، وسمع نصر الله بن محمد بن مخلد ، والمبارك بن نغوبا وأبا عبد الله الجلاي . وكان حسن المعرفة جيد الأصول ،

صحيح النقل متيقظاً . حدث بالكثير ، وصار أسند أهل زمانه وقصد من الآفاق ، وحدث ببغداد غير مرة ، ونعم الشيخ كان عقلاً وخلُقاً ومودة . ولد في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمس مائة ، وتوفي في شعبان سنة خمس وست مائة بواسط .

قال الذهبي : « روى عنه أبو الطاهر ابن الأنماطي ، وفتوح بن نوح ، وابن عبد الدائم ، وخلق كثير » . « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديلمي ، اختصار الذهبي ، تح . مصطفى جواد ١ / ١٨ » .

ثم ابنه محمد بن محمد بن أحمد ، أبو حامد ، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٠٢ هـ ، الجامع المختصر لابن الساعي ١٩١ ، الكامل لابن الأثير ١٢ / ١٦٠ طبعة لايدن .

ثم ابنه الآخر أبو جعفر علي بن محمد بن أحمد ، ولد سنة ٥٥٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ « التكملة لوفيات النقلة للمندي ، وفيات سنة ٦٣٠ هـ » .

وقد وردت أسماء ولدي ابن المندائي في سماعات لكتاب جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار - تح . محمد محمود شاكر ، القاهرة ١٣٨١ هـ - بهذه الصورة : « سمع جميع هذا الجزء على القاضي ... أبي الفتح محمد بن أحمد المندائي بحق روايته إجازة ... عن المؤلف بقراءة الشيخ ... أحمد بن محمد بن أحمد ... وكذا المسموع عليه أبو حامد محمد ، وأبو جعفر علي » في المطبوع محمد وهو خطأ ، صفحة ١٠١ ، ١٩٩ ، ٣١٩ ، ٤٧٧ وانظر كذلك صفحة ٧٨ وصورة الورقة ٤٠٧ من مخطوط اكسفورد المنشورة بعد صفحة ٧٢ من كتاب جمهرة النسب ، (١) . وقد توفي أبو حامد قبل أبي جعفر بـ ٢٨ سنة فلا بد أن تركه والدهم وصلت إليه ،

(١) هذه الإشارات كلها في الجزء الأول .

ومن ثم إلى ولده أو أخيه الذي نجعل اسمه ، وبقي لقبه مرقوماً على صفحة كتاب الحيوان .

قال المحققان في المقدمة السادسة صفحة ٥٤ « إن كل المخطوط بما في ذلك عنوان الكتاب وأرقام الكراسات والحواشي والتعليقات كتبت بخط واحد ، فعلى هذا فإننا قد لا نخطئ بالصواب إذا قلنا إن الكتاب انتسخه محمد بن أحمد ابن المندائي لنفسه ، فلم تشأ أمانته أن يغير فيه شيئاً حتى الأغلاط النحوية المتفشية فيه ، فنقل الكتاب بنصه وأخطائه ولغته ، لأن خط تملك ابن المندائي ونوعية الحبر يشبه تماماً خط الكتاب وحبره . ثم قابل نسخته بالأصل فوجد بعض الكلمات أو الجمل كان قد أغفلها فأضافها في الحاشية مع كلمة « صح » للدلالة على أن هذه الكلمة أو الجملة من الأصل . ثم قابل نسخته مع نسخة أخرى فوجد زيادات لا توجد في نسخته ، أو اختلافاً مع نسخته ، فوضعها في الحاشية أيضاً مع الرمز « خ » للدلالة على أن هذه ليست في الأصل وإنما وردت في نسخة أخرى . ثم مرت عليه كلمات لم يتوثق من قراءتها إما لرداءة خط النسخة التي نقل منها ، أو لشكه في صحتها وصلاحيها في مكانها ، فكتب أمامها « ظ » أي فيها نظر .

ومن دراسة خط التعليقات والإضافات يتوضح أن ناسخها لم يكن شاباً ، بل شيخاً طعن في السن وذلك لتعرج الحروف من ارتعاش يديه . فقد يكون الأمر أن ابن المندائي كتب نسخته في زمن متقدم من عمره ثم عثر على نسخة أخرى في أواخر عمره فأضاف إلى نسخته ما شاء أن يضيف . وقد علمنا أنه عاش ثمانية وثمانين عاماً .

هناك نقطة أخرى تستحق الملاحظة وهي أن المحققين اعتبروا هذا الكتاب جزءاً ثالثاً ، اعتماداً على ما ورد في صفحة العنوان ، ولم يحاولوا دراسة العلامات التي تظهر في المخطوطة . فقد وردت في المخطوطة

أرقام وحروف بعد كل عشر ورقات ، ففي الورقة ١٠ يظهر الرقم ٦ وتحت تماماً حرف د ، وهكذا إلى آخر الكتاب إلا في الكراسة الأخيرة حيث سقطت الورقة التي تحمل رقم ٢٢ وحرف د أيضاً . فالرقم هنا يشير إلى عدد الكراسات والحرف إلى المجلد أو الجزء ، وهذا يعني أن المخطوطة التي بأيدينا هي المجلد الرابع أو الجزء الرابع ، وليس الثالث لأن الجزء الأول رمز له بالحرف أ والثاني بالحرف ب والثالث بالحرف ج ، ومثل هذا النظام مألوف في كثير من المخطوطات : ففي مخطوطة « كتاب تحريم الدفن لجالينوس تفسير الشيخ أبي سعيد عبيد الله بن جبريل بن عبد الله بن مجتيدشوع - لايدن Or. 584 - بدأ الكتاب بنظام أبجد هوز . . . فالورقة الأولى أ والثانية ب والثالثة ج .. إلى نهاية النظام ثم أعيد النظام عكسياً فتحول الترقيم إلى ثني يا في الورقة ١٠ وبعدها يب ، يج ، يد . . . إلى آخر المخطوطة . أما في مخطوطة الكامل للمبرد (١) المنسوخة في سنة ٤٨٨ هـ فقد اتبع الناسخ نظاماً آخر ففي الورقة ١٠ يظهر (٢ من ثالث) وبعدها في الورقة ٢٠ أ (٣ من ثالث) وهكذا إلى نهاية المخطوطة ومثل هذا النظام اتبع في مخطوطة كتاب الجمل لابن فارس (Or485) . وغير ذلك كثير ومألوف .

إن تحقيق نص عربي ليس أمراً سهلاً يقوم به من شاء كما يشاء ، إذ له أصوله وقواعده التي التزمها المحققون وأخذوا بها . وهناك رأيان في طريقة إخراج النص لكل منها أنصاره . فأولهما : يرى أن الاختصار على إخراج النص مصححاً وخالياً لا يفيد القارئ أو الباحث ، لذلك ينبغي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلافات في النسخ ، والإشارة إلى مصادر ورود الاسم أو الخبر أو الحادثة ، وقد التزم هذه الطريقة قلة من المحققين لا فيها من وعورة وما تتطلبه من جهد . وثانيهما : يرى أن إخراج النص

(١) مخطوطة لايدن b 2380 or .

لا يحتاج إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات والإشارات إلى منابع ورود الخبر أو العلم وإصلاح ما طرأ عليه من غلط النسخ ، وقد زخر عالم النشر بكثير من إنتاج أصحاب الرأي الأخير ، فكان كارثة على الباحثين الذين رأوا أن الرجوع إلى المخطوط الأصل خير من الاعتماد على ما أخرج بهذه السقمة. والظاهر أن هؤلاء اتبعوا هذه الطريقة لسهولة، ورغبوا عن الأخرى لما تتطلبه من صبر وعناء في زمن قل فيه من يتمتع بها ، لهذا جنحوا إلى الإسراع في نسخ المخطوط أو عهدوا به إلى (كاتب طابعة) وأسرعوا به إلى أقرب ناشر أو مؤسسة نشر لتظهير أسماءهم لامعة على صفحة الغلاف ، ولهذا كثرت فيه الأخطاء وشاع التصحيف ، حتى وصل الأمر ببعض المحققين إلى أنه استصوب الخطأ واستخطأ الصواب أو نفى وجود المشهور . وهل في العالمين من لم يسمع بموقعة ملاز كرد أو مناز كرد أو منازجرد التي وقعت بين السلطان الهمام ألب أرسلان السلجوقي وإمبراطور الروم أرمانوس أودخيانوس ؟ فقال المحقق « لم أعر على مكان بهذا الاسم » ولا ندرى أين بحث ؟ وابن البرزالي الشهير تحول عنده إلى البروالي ، وبني ماران صارت نير ماران وقال « ولم أعر على اسم هذا المكان ، فقد جاء في تاريخ ابن الفرات ١ / ٨٥ » والماراني منسوب إلى نير ماران بالمروج ... الموصل ، وعلق المحقق : « كذا في الأصل منسوب إلى نير ماران بالمروج ... الموصل ، ولم أعر على اسم المكان ، وفي الصفحة ٤٥ من الجزء نفسه جاء اسم عثمان بن عيسى بن درباس بن فير الماراني المصري . فعلق المحقق على كلمة (فير) كذا في الأصل وصحيح الاسم بعد الرجوع إلى وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٦ . ولم يفتن إلى أن عثمان هذا هو أخو عبد الملك المذكور في الصفحة ٨٤ - ٨٥ ، مع أن ابن خلكان ذكر في ترجمة عثمان هذا « وإثاراتي بفتح الميم وبعد الألف راه مفتوحة ، بعد الألف الثانية تون ، هذه النسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل » (١ / ٣٣٨ طبعة إيران) . وقد وقع الأستاذ المنجد في الخطأ

نفسه فوضع علامة استفهام بعد كلمة (الماراني) مع أنها نسبة صحيحة ، (العبر : ١٣) ، أما عن مناز كرد (انظر معجم البلدان في مادة قالقلا ومناز كرد وابن الأثير ١٠ / ٤٤ طبعة لايدن وتاريخ ابن العديم . تح - الدهان ١ / ٢٤٤ ، وتواريخ آل سلجوق اختصار البنداري . تح - هونها صفحة ٣٨ - ٤٤ وغيرها) . ومثل هذه الأخطاء كثيرة جداً في الكتاب مجزئه ، وكنا نود لو أولاه المحقق الفاضل من عنايته خطأ أوفر مما أولاه .

إن إخراج النص ، كما يرى أحد المحققين ، يحتاج إلى د أن ينظر المحقق فيه وفيما حوله . . . أن يدل على المنازع التي صدر عنها ، وأن يتولى محققو النصوص بالذات عمليات الشروح الأولى هذه لكي تصبح جاهزة للبحث الأدبي الصرف ، أو للبحث التاريخي الصرف ، أولهما معاً ... تتيح للباحث أن ينطلق بعد ذلك عنها دون أن يضطر إلى معاودة الجهد الذي بذله المحققون ، (مقدمة الجزء الثالث من خريدة القصر ٢٤ - ٢٥ ، قسم الشام .)

فتحقيق النص ليس عملية نسخ آلي يقوم بها من شاء ، بل هو عملية خلق وإعادة النص للحياة على الصورة التي أرادها المؤلف نفسه ، وأنه لا يستلزم معرفة المحقق بالعربية وحسب ، بل يفترض فيه أن يكون على علم بضروب المعرفة التي يتناولها النص ، وهو إلى ذلك يتطلب صبراً وجلداً ونفساً طويلاً على معاناة النص ، وخاصة إذا كان النص فريداً لا ثاني له . ومن هنا استطاع المحقق الغربي التفوق على العربي بشيء ، والتقصير عنه بشيء آخر ، فقد فاقه بصبره ومثابرته على اكتشاف الغامض من النص بالرجوع إلى عشرات المصادر وتطلبه في عشرات المظان ، وقصر عنه بفهمه للغة غريبة عنه ، تختلف في مجالاتها وضروب اشتقاق ألفاظها ومعاني حروفها التي تتغير بتغير مجالات ورودها . والمحقق الغربي يبحث أياً ما طوالاً عن لفظة واحدة لا بكل ولا يعتوره الملل حتى يحظى بيفته ويشبع نهمه ، وهو مع هذا فقد يقع على

ضالته وقد يضل السيل ، وغالباً ما يختار اللفظ الخطأ إذا تعددت القراءات لجهله بسياق المعنى وصلاح اللفظة وملاءمتها لموضعها ، وويل لكل ذي سلعة ذات عوار . ولعل نظرة فاحصة في مقال الأب أنستاس الكرملي (أغلاط المستشرقين) (١) حيث بيّن الأخطاء التي وقع فيها كل من فرايتاخ وخوليوس وكليمان هوار ودي خويه ، تعطينا صورة للجهد الذي كان يبذله المستشرقون الأوائل والنصب الذي تحملوه في نشر النصوص العربية وهذا ما يعوز المحقق العربي الذي لا يكلف نفسه عناء البحث وإنما يعتمد على ما عنده من معرفة قد تكون ناقصة في غالب الحالات ، فيشط ويشط ويحمل من يأتي بعده على الشطط والغلط .

وليس بعجيب أن لا يسلم نص في الوجود أثناء تحقيقه من هنة هنا أو هفوة هناك أو إغفال للفظ أو سهو عن حرف ، حتى لو أوتي المحقق صبر أيوب وحلم الأحنف وحدة عين الزرقاء ، وإنما العجب أن يقع في خطأ يبين فيه جهله ، ويظهر تسرعه ، فيفقد ثقة قارئه . خذ مثاليين من كثير من كتاب المعارف لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة . فقد ورد في الصفحة ٣٩٣ مانعه :

١ - « وقتل أحمد بن نصر بالحنة لليتين بقيتا من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين . فعلى المحقق : « الحنة منزل بين الكوفة ودمشق (معجم البلدان) » .

٢ - في خروج محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي على أبي جعفر المنصور ، وخروج أخيه إبراهيم بالبصرة (صفحة ٣٧٨) جاء « فلما انتهى إليه قتل أخيه خرج متوجهاً إلى الكوفة وأقبل عيسى بن موسى نحوه فالتقوا بـ « باجميري » من أرض الكوفة » . وقد وضع المحقق الحركات على الكلمة فوضع ضمة على الجيم وفتحة على الميم وسكوناً على الراء .

فأما المحنة التي ظنها موقعاً بين الكوفة ودمشق فهي محنة أهل السنة على أيدي المعتزلة ، أو محنة القول بخلق القرآن ، والتي ابتدأت بالمأمون وانتهت بالمتوكل ، وفيها قتل الفقيه أحمد بن نصر الخزازي قتله الخليفة الواثق بيده ، وذكرها أشهر من أن نشير إلى مصدر واحد لها .

أما باجميري فهي باخرى أو باخرأ . وهل هناك مؤرخ عربي لم يسمع بها؟.. فتأمل . وقد وردت الكلمة نفسها في الكتاب في الصفحة ٢١٣ في كلام ابن قتيبة على ثورة الأخوين العلويين فقال : « فبعث إليهما عيسى بن موسى فقتل محمداً بالمدينة وقتل إبراهيم بـ « باخرأ » على ستة عشر فرسخاً من الكوفة . وعلق المحقق مرة أخرى : « وهو موضع دون تكريت ، وانظر معجم البلدان » فقد قرأ باخرأ وأشار إلى باجميرا . جاء في معجم البلدان في كلام ياقوت على باخرأ : « موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب . بها كانت الوقعة بين أصحاب أبي جعفر المنصور وإبراهيم بن عبد الله بن حسن بن أبي طالب - عليه السلام - فقتل إبراهيم هناك » . فإين الكوفة من تكريت ؟ وأين باجميرا تكريت من باخرأ الكوفة ؟

أوردت هذه الأمثلة لأبين بها مدى العناية والنصب الذي يلقاه محقق النص إذا كان نصاً عربياً سليماً ، فما تظن إذاً في إخراج نص مترجم من اليونانية أو السريانية يشيع فيه الخطأ ويكثر فيه التصحيف ؟ فإن التويه بهذا العناية هو أقل ما يكافأ به المحققان ، وأدعى لهما إلى السعي بنشر غيره . فقد أنجز المحققان عملهما بصبرٍ دونه كل صبر ، ودقة دونها كل تدقيق ، وقد أوتي المحققان صبراً وجلداً على معاناة هذا النص الغريب ، لا أحسبها يتأتيان لغيرهما ممن عانى تحقيقاً لنص أو نشرأ لكتاب ، فقد ذللكل عقبة كؤود ، وقدما النص واضحاً جلياً بما يملكان من علم غزير يستأثر بالإعجاب

ويستوجب التقدير . ومع هذا الجهد المشكور فإن النص العربي لم يسلم من هتات وقعت هنا أو هناك ، وهذا شيء طبيعي لا أحسبه يغطي جهدهما الكبير .
لقد اتبع المحققان ، على ما يبدو ، في الإشارة إلى اختلاف القراءات نظاماً معيناً هو :

ج للدلالة على المتن المخطوطة لا يدين .

ج_١ للدلالة على ورود الجملة أو اللفظة في الحاشية ، وأمامها كلمة « صح » فمرة أشارا إليها وأخرى أهملها في أثناء التحقيق .
ج_٢ للدلالة على أن الجملة أو اللفظة وردت في الحاشية مشفوعة بـ « خ » أو « ظ » أو كانت خلواً منها .

وقد اختلط هذا النظام كثيراً فنسب ما في ج_١ إلى ج_٢ وما في ج_٢ إلى ج_١ والعكس صحيح ، وهذا الأمر ليس مستغرباً في حروف لا يفرق بينها سوى الأعداد ، ولو أورد المحققان الإشارات نفسها الواردة في الحواشي لسهل الأمر ، أو استعملوا رموزاً أخرى لسهل التفريق والتمييز بينها . ثم إن المعروف عند المحققين أن الجملة أو اللفظة التي تشفع بكلمة « صح » ينبغي أن تدرج في المتن دون حاجة إلى الإشارة إليها ، لأن النسخ نسبها أثناء النسخ ، ثم أثبتتها في المقابلة .

وإليك ثبناً بما لم يورده المحققان أو يثيرون إليه ، وقد أهملت ما تكرر حدوثه :

رقم الصفحة في النص العربي	السطر	ماورد في النص المطبوع	ماورد في المخطوطة (مخطوطة لايدن)
١	١٧	تبع	تبع ذلك
٦	٩	جزآن	جزأين
		اتى	— ج (أي ساقطة من الأصل)
		قريباً	قريب
٧	٣	فإن	وإن
	٨	أوان	أول
	١٠	مثل	كمثل
	١٣	ليس له اثنيان	ليس له الا اثنيان
		بل سبل	فقط وسبيل
	١٧	حاشية الشهوة	الشهوة ظ فيه
		ظم ح ^٢	(أي فيه نظر)
٨	٣	واذا	فإذا
	١٧	في الطيور	في الطير ج ^١
٩	٢١	حبس النفس	وردت في ج ^٢
	٢٢	البلاء	البلا (أي البلى)
١١	٤	ولين — ج ^١	موجودة في ج
	٥	ابطأ من	أيضاً مثل
	٢١	العظم	موجودة في ج ^٢ وفي ج العضو

الجملة موجودة في ج	فهو ... يبيض - ج	٢٢	
وينبغي	فينبغي	١	١٢
ج العظام	الطعام	٦	
ج١ الطعام			
- ج	تأماً	٢١	
لأنه لا يعمل من	لأنه لا يمنع عمل	١٩	١٣
الأعمال	من الأعمال		
- ج	صارت	١٦	١٤
صارت الاثيان	صارت اثياً	٨	١٥
من الدلافين	الدلافين		
مثل الماعز والبقر ،	مثل النساء والبقر	٢١	
النساء - ج			
رطب صار	رطب صارت	١٥	١٦
فضة رطوبة	فضة رطبة	١٦	
ج : الذين	الذين : التي ج	٢	١٧
في المكان من الفقار	في مكان الفقار	٩	
	فإذا كان لهذا الحيوان	١٢	
- ج	اثيان توجد متعلقة		
السباع	السبيل	١٣	
تأتي	تلتقي		
- ج	من هنا ومن هنا	٨	١٨
النطفة	اليضة		
الماسكة	الماسكة	١٠	
- ج	الآخر	١١	

من قبل	من أجل	١٢	
تشبه	يأبسة	١٢	١٩
يسافد	يتسافد	١٣	
	عضو ما في الاناث	٢١	
في ج	يشبه الرحم ج		
كل	كلي	١٤	٢٠
مايولد من الزرع إنما يولد	مايولد إنما يولد	١٦	
فإنه ينبغي	فإنه بما ينبغي	١٩	
— ج	تشبه الأعضاء	٧	٢١
— ج	خروج	٩	
— ج	باليونانية	١٧	..
شديدة ج	مبددة	١٨	
مبددة ج			
يلدوا	يلدون	٤	٢٢
القصون ج	القشور : الغصون ج	١٤	
القشور (خ) ج ١ ، ج ٢ ؟
كتبت في الحاشية وأمامها	يخرج ... الزرع - ج	٢-١	٢٣
صح / فهي موجودة في ج			
وهي موجودة في الجملة السابقة نفسها	فان = فاذا ج	٢	
— ج وليس ج	فهو... أيضاً ج	٤-٣	
وكذلك	كذلك	٧	
— ج	يشبه		
— ج	انه	١٢	
— ج	من	١٥	

١٦	يُخرج	— ج
١٨	الأمر	للأمر
٢١	حال الاثنين	حال — ج
		حال الاثنين «خ»
٢٤	١	شبه
	وينبغي	فينبغي
٤	له أيضاً	— ج
	شيئاً	شي
٦	ولأي	فلأي
٧	قبول	قابل
	فأما كما	فما كنا
	أحد	— ج
٩	بما لا يمكن	— ج
١٠	تسلم	يشبه
١٢	أعناق	أعتق
١٤	ولا	فلا
١٥	يقدر	ويقدر
	حيواناً واحداً	حيوان واحد
١٦	القول : النوع ج	النوع ج
		القول (خ) ، ج ١ ، ج ٢ ؟
٢٥	١	من
٣	مفتوحة	— ج
١٧	فبأي	— ج
	نشو	تنشق

٢٦	٢-١	كيف ... ولحم	كررها الناصخ
	٦	صب	صير
		دقيق	رقيق
	٩	+ بلغ	كامة « بلغ » ليست من الماتن
	١١	يتغيرون	يتغيرون
	١٥	أي الزرع الذي يخرج	وإن الزرع يخرج
٢٧	٧	ثمر	ثمرة
	٨	الشجرة	اشجرة
		وكيف	فكيف
	١٣	وينصب	ينتصب
	١٥	التمر	— ج
	١٩	فتدخله	وتدخله
٢٨	٢	وتلطف	ونطالب
	٦	يلبس	لبس
	١٢	التي هي فهي	— ج
	١٩	الولاد	الأولاد

ان الزرع لا يخرج

سقطت منها جملة كاملة فربما
تكررت وكانت غير موجودة
في النص اليوناني. وهي : إن
الزرع [يخرج من الأنثى أيضاً
نقول إن الأنثى بنوع من
الأنواع علة الأولاد فقد علمنا
أن الزرع] لا يخرج... ورقة
١٤٥ أ .

٢٠	به	— ج
٢١	علل أعمال الزرع والأعراض	علل الأعمال والأعراض
٢٩	٢	علة — ج
٤	عملنا	علمنا
٧	والسرير	والنمو
١١	وأيضاً — ج	وجوده في ج
١٤	فيه	— ج
١٥	علة من	من — ج
	المين	المين (خ)
		الهيولى — ج
١٨	مثل من الهيولى	من مثل الهيولى
٣٠	٤	ويفعل — ج
٩	يلد	يولد
١٥	وين الزرع	ومن الزرع
١٨	لماذا	ماذا
٢٠	ان كل	— ج
٣١	٥	مفترقاً
١٣	وليس	فليس
١٥	ولا يتتفع	ولا بما يتتفع
١٨	فني أكثر	فني أكثر
١٢	تكون	لكون
٣٣	١٢	من الجماع — ج
٢١	من المتشابه	وفي المتشابه
	بالصورة	الصورة

قيست	قيس		
١	منها ما هو كثير الزرع	— ج	٣٤
٢	ما هو قليل الزرع ومنها	— ج	
	وليس لخال الضعف	وليس وخال الضعف	
٤	انهم	انه	
٩	يلدون	يلدوا	
١٥	وكذلك	وذلك	
	مزمنة	من شبه	
٣-٤	فاما الفضة... ممرض	— ج	٣٥
٤	خروج	— ج	
٦	مع	— ج	
	ذوبادائما: ذوب جسد: ج	ذوبا دائما: ج	
٧	ونحن	فنحن	
	فقول الذين	فقول — ج	
		الذين: فالذين	
١٠	ونين فضلة غذاء الزرع	— ج	
١٢	استبان	استبان	
١٦	بقبول	لقبول	
٢	وتقريبه	وتقريبه	٣٦
٨	بقي	يبقى	
١٧	تحلل في	في — ج	
١١	الأولاد	الولادة	٣٧
١٧	من	مع	
٢٠	واين	وليس	

٣٨	٣	شَيْنين	نسبتين
		بَيْن	— ج
	٤ — ٥	ان كان : إذ كان ج	ج : اذ يكون
		ان زرع الأتسى	الزراع من الأتسى
	١٤	مثلك	فلذلك
		العلامة	— ج
	١٩	ندى	غذا
٣٩	١	أَيْضاً	دائماً
	٨	الفضلة	— ج
	١٠	فإذا	وإذا
	١٥	على . . . للأتسى	— ج
	١٦	موافقة في الولاد	موافق في الولادة
٤٠	٦	الحضار	الحضر
	١٠	على إقضاء الزرع	على الإقضاء من الزرع
	١٧	لا تقوى على	— ج
٤١	٩	بل . . . الدمية	— ج
	١٥	قريبة	قريب
٤٢	٦	وباخطرار	وفي اخطرار
	١٩	البناء في	في — ج
٤٧	١ — ٢	ذلك . . . جزء من	— ج
	١٠	ذكورتها	ذكورته
	١٤ — ١٥	يجبلون ولا يشبه ما يعمل	يخيلوا ويشبه ما يعمل من الخاريق
		من النجارين	
٤٨	١٦	بزرا	— ج
	١٧	يمكن	لم يمكن

إن كثيراً من هذه القراءات المختلفة ليست بذات أهمية ؛ تركها المحققان لهذا السبب ، ولأنها وجدا أن إثقال الهوامش بثقل هذه القراءات سوف يزيد من تكاليف الطباعة ، وبالتالي فلن تخدم الباحث كثيراً ، وهما يحقان إلى حدٍ ما كل الحق لأن نسبة ما أشارا إليه ، إلى هذه القائمة كبيرة جداً ، ثم إن إهمال هذه القائمة لن يبخس الكتاب حقه من الشناء والتقريظ ، وللمحققين حقها من الإعجاب والتقدير . ولا أدعى أن كل ما أدرجته صحيح ، فربما أسأت القراءة فأسأت النقل ، ومتى كان الكمال من صفات الإنسان ؟

لايدن - هولندا

الدكتور قاسم السامرائي

نظرات وملاحظات
على الجزء الرابع من كتاب
« إنباء الرواة على أنباء النحاة »
تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

« إنباء الرواة » ، على أنباء النحاة ، هو الكتاب الذي ألفه الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي في أخبار النحاة واللغويين والأدباء والشعراء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية والكتاب والمؤرخين والمنجمين وغيرهم . وهو وإن كان من كتب الطبقات الخاصة بالنحاة واللغويين فإنه جمع إليهم كل من ثبت له اشتغال ولو قليل بالنحو واللغة ، أو كان له مشاركة فيها بوجه من الوجوه ؛ ومن هنا دخل فيه رجال من أمثال ياقوت الحموي صاحب المعجمين : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، وأبو الفضل الصفار النيسابوري وأحمد بن محمد الثعالبي صاحب « التفسير الكبير » ، و « المرائسي » ، في قصص الأنبياء ، وإبراهيم بن صالح النيسابوري الوراق الأديب ، وإسماعيل بن عبد الله بن ميكال ، تلميذ أبي بكر بن دريد صاحب المقصورة الدريدية المشهورة التي تشمل على نحو ثلث المقصور من اللغة ، والتي يقول في مطلعها :

ياظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وإسماعيل بن عباد أبو القاسم الوزير المعروف المشهور بالصاحب بن عباد ، وغيرهم . وقد علل الوزير القفطي أسباب إدخاله بمض هؤلاء الرجال في كتابه عن أخبار النحاة واللغويين ، وكأنه يجب عن سؤال يوجه إليه :

لم أدخلت هذا في جماعة النحاة وحشرته في زمرة كتابك مع أنه لم يعرف عنه اشتغال بنحو ولا لغة ؟ ففي ترجمته للصاحب بن عباد يقول : (وإنما ذكرته في جملة هذه الجماعة لأنه صنف كتاباً في اللغة العربية ، كثر فيه الألفاظ ، وقلل الشواهد ، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وهو مرتب على الحروف ، وهذا الكتاب في وقف بغداد ...)

وفي ترجمته لياقوت الحموي صاحب المعجمين الكبيرين في التراجم والبلدان يقول : « وإنما حملني على ذكره في هذا المصنف ، لأنه لفق بما استعارني كتابين : أحدهما في الرد على ابن جني عند كلامه في الهمزة والألف من كتاب (سر الصناعة) فلم يأت فيه بشيء . وصنف كتاباً في « أوزان الأسماء والأفعال » الحاصرة لكلام العرب ، فخلط الفث بالسمين ، وقرن الفروع بالأصول ، غير فارق في التبيين لقلة أنسته بالعربية وأصولها . وعاتبته فيها فمارجع ، وعرفته مواضع الخطأ ومقاصده فما رعوى ولا سمع . وإذا عزيت بعده إليه ، كانت عاراً عليه ... » .

ومع هذا التلفيق الذي فعله ياقوت في كتابين استعار مادتهما من كتب استعارها من الوزير القفطي ، فإن صاحبنا الوزير المؤرخ لم يتردد في إدراج اسم ياقوت الحموي في ثبت كتابه عن النحاة واللغويين . ومع أن الكتابين اللذين لفقهما ياقوت الحموي في اللغة والنحو قد خلط فيها الفث بالسمين بشهادة صاحبه الوزير القفطي ، فإنها لم يحجبا ياقوتاً الحموي عن أن يدخل في عداد المترجم لهم من النحاة واللغويين في كتاب القفطي ..

ولقد أخذ القفطي في كتابه بمشاركة المترجم لهم في النحو واللغة ، مها كانت القيمة العلمية لما تعرضوا للتأليف فيه . فهو هنا أمين ناقل مسجل ، لا ناقد ، إلا بالقدر الذي يحكم به على الكتاب المنقود . على أن نقد الكتاب في اللغة والنحو ، وتعرضه للمواخذة بالعيب والظن لا يطمئن في كون مؤلفه

مشتغلاً بالنحو واللغة ، ولا ينفيه من زمرة النحاة واللغويين ، على الرغم مما في مصنفه من مواضع للميب والمؤاخذه .

ولقد صدر الجزء الأول من « إنباء الرواة » ، على أنباء النحاة ، عن انقسم الأدبي بدار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، وصدر الجزء الثالث ١٩٥٥ ، ووقف الطبع عند هذا الجزء الثالث زماناً طويلاً ، خشي الناس معه أن يكون الإنباه قد تنويسي أمره ، وأهمل شأنه . ولكن محققه الفاضل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عاش معني من سنة ١٩٥٥ ، لا يهدأ له بال ، ولا يستريح له خاطر ، حتى يصدر الجزء الرابع والأخير من الكتاب ؛ لئلا يقال إنه بدأ عملاً فلم يكمله ، وسار في طريق فلم يمس فيه إلى غايته ...

وما زال وراء المسؤولين عن النشر والطبع حتى صدر الجزء الرابع بما يحمله من بقية التراجم التي تبدأ بترجمة يحيى بن زياد الديلمي المشهور بالفراء وتنتهي بترجمة ابن ملكون النحوي الأندلسي ، وهو آخر « الأبناء » ، أي الأعلام المبدوءة بكلمة « ابن » ، وقد جاءوا بعده « الآباء » أي الأعلام المكنية بكلمة « أبو » .

وبما لوحظ هنا أن كنى « الأبناء » لم يزيدوا في الكتاب كله على عشرة أعلام ، على حين بلغت كنية « الآباء » أكثر من مائة وعشرة أعلام . كما لوحظ أن هناك على مدار الكتاب كله بأجزائه الأربعة حفنة من تراجم النساء المشتغلات بالنحو واللغة منهن الأعرابية عتبة أم الحمارس ، وأم البهلول الأسدية ، وغنية أم الهيثم ، وابنة الكنيزي ، وغيرهن .

* * * *

وما بنا حاجة هنا إلى أن نتحدث عن الوزير جمال الدين أبي الحسن علي القنطي المصري مؤلف « إنباء الرواة » ، على أنباء النحاة ولا عن الترجمة

الوافية التي كتبها له محقق الكتاب . كما أن هنا ليس مجال الحديث عن مؤلفات القفطي صاحب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » و « أخبار المتيمين » و « أخبار المحمدين من الشعراء » و « أخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين » الذي نقل عنه الأتابكي صاحب « التجوم الزاهرة » في مواطن كثيرة من كتابه ، وغيرها من المصنفات التي ذكرها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وذكر أنها ضاعت ، ولم يصل إلينا منها إلا كتاب « إنباء الرواة » ، على أنباء النحاة - الذي ننظر فيه اليوم ونبدي بعض الملاحظات على تحقيقه - و « مختصر إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ، و « قطعة من أخبار المحمدين » .

ومع تقديرنا لجهود صديقنا الأستاذ الكبير محمد أبي الفضل إبراهيم محقق كتاب « إنباء الرواة » ومع عرفتنا وعرفان أهل الإنصاف والتقدير بما أسداه الأستاذ للتراث وتحقيقه من أباد لا ينكرها إلا جاحد ، فإننا نحيي لأنفسنا - كمادتنا مع أهل الفضل والتحقيق من أصحاب الصدور الواسعة - أن نقف عند بعض مواضع نرى أنها جديرة من الأستاذ أبي الفضل بمراجعة الفكر ، ومعاودة النظر . ونحن على ثقة أن الصديق الكريم لن يضيق عطفه بملاحظاتنا ، لأنه يعلم من طول عهدتنا في الود ، حسن نيتنا في النقد وسلامة مأربنا في القصد . فنقول :

● ص ٣٦ - السطر الثاني، ورد البيت الآتي مضبوطاً بالشكل هكذا :

ولكنما أزرى بنا أن دارنا بيلة لا خال يُمد ولا عم

بتنوين التاء المربوطة من لفظة (بيلة) ، وبهذا ينكسر الوزن ، والصواب تحريكها بالكسر فقط على أنها مضافة للجملة بعدها .

● ص ٧٣ - السطر الثامن عشر ، ورد البيت الآتي من شعر

البندنجي ، هكذا :

أنا اليان بن اليان أسعد من أبصرت في العميان
 وواضح أن صدر البيت به نقص كسر وزنه ، وأخل بميزانه ، وصوابه :
 أنا اليان بن أبي اليان أسعد من أبصرت في العميان

● ص ٧٩ - السطر السابع ، وردت العبارة الآتية من كلام الوزير القفطي نفسه وحديثه عن ياقوت الحموي صاحب المعجمين : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، هكذا : (تغمدا الله وإياه برحمته ، وستره ووسع على كل مناعفوه ، إذا حصل بمضيق قبره) . وظاهر الكلام كما رقه المحقق الفاضل هنا أن الجملة الأولى تنتهي بلفظة « برحمته » والجملة الثانية تبدأ بالفعل « وستره ووسع الخ ... » وهو وهم . والصواب أن آخر الجملة الأولى هي لفظة « وستره » وهي اسم - لا فعل - مطوف على : رحمته . وأول العبارة الثانية هكذا : ووسع على كل منا عفوه الخ

● ص ٨٩ - السطر الرابع عشر ، ورد البيت الآتي مضبوطاً بالشكل هكذا :

فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف إن عُدد حلم ، ومن سعد !

بجر كلمة « حاتم » ، وكلمة أحنف ، كأنها مجروران بمن ، على توهم أن (من) حرف جر ، والصواب أنها : من الاستفهامية - بفتح الميم - كأنه يقول : من حاتم في الجود بالقياس إلى المدوح ، ومن ابن مامة ، ومن الأحنف بالقياس إلى المدوح في الحلم ، ومن سعد ؟ وكان من الحق أن توضع علامة الاستفهام في آخر البيت بدلاً من علامة التعجب التي لا معنى لها . وبهذا يصبح البيت هكذا :

فَمَنْ حَاتَمُ فِي جُودِهِ وَابْنُ مَامَةٍ؟ وَمَنْ أَحْنَفُ إِنْ عُدَّ حَلْمٌ، وَمَنْ سَعِدُ؟

● ص ٩٢ - السطر الخامس ورد البيتان الآتيان هكذا :

وشباب بان مني واتقضى قبل أن أقضي منه أربي

وما أرجي بعده إلا الفنا ضيق الشيب على مطلي

والواو في أول البيت الثاني ، في قوله : وما ، زائدة لا محل لها ،
وبها ينكسر الوزن ولا يستقيم ، والصواب حذفها إقامة للوزن ، فيعبر البيت هكذا :

ما أرجي بعده إلا الفنا ضيق الشيب على مطلي

● ص ١٠٢ - السطر الثالث عشر ، ورد البيت الآتي مضبوطاً

بالشكل هكذا :

لاحت مخايل خلقتها وخلافها دوت القبول

بضم القاف من لفظة : القبول ، وهو خطأ ، والصواب فتحها وقد
وردت في القرآن الكريم مفتوحة في قوله تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن ،
وأبنتها نباتاً حسناً) .

● ص ١٠٤ - السطران الحادي عشر والثاني عشر ورد البيتان

الآتيان هكذا :

لأجل ما يُدعون تُركا فهم تُركٌ وواحدٌ تركٌ

كذا الفعل واحدٌ فعول أليس الضحك واحدٌ ضحكٌ ؟

وواضح أن صدر البيت الأول مكسور لأن به نقصاً في الكلام
ولم أهتم إلى صوابه . وصدر البيت الثاني مكسور أيضاً ، وصوابه :

كذلك الفعل واحدٌ فعول . . . الخ .

● ص ١٠٦ - السطر السادس عشر ورد البيت الآتي هكذا :

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا والفعال مأثور عن سيد البشر
وظاهر أن عجز البيت مكسور الوزن ، وصوابه : والفعال مأثرة عن
سيد البشر ؛ كما في كتب الأخبار والطرائف . على أن رواية ابن خلكان
في الوفيات هي :

والفعال مأثورة عن سيد البشر
بالتأنيث لا بالتذكير كما ذكر المحقق مستنداً إلى الوفيات .

● ص ١١٩ - السطر الأول ، وردت العبارة الآتية هكذا :
(فلما أخذ في الأكل مدّ يده الى بضعة لحم ، فالتفتها ، ثم ردها الى القسعة) .
وواضح أن الفعل «التفتها» بالإسناد الى تاء المتكلم خطأ صوابه ، فالتفتها
بضمير الغائب .

● ص ١٤٠ - السطر التاسع ورد البيت الآتي هكذا :
أنت نحوي ، ولكن بدلت خاؤك جيا
ولا محل للخاء هنا بالمعجمة الفوقية ، وصوابها بالخاء الميملة ، لأن
المهجوز نحوي - بالخاء لا بالخاء - .

● ص ١٤١ السطر الرابع ورد البيت الآتي هكذا :
عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن لكنه يشتهن حمداً بمجشان
وواضح أن لفظة (يشتهن) فيها تحريف مطبعي ، والصواب : يشتهي
بالياء في آخرها .

● ص ١٤٩ - السطر الرابع عشر ، ورد البيت الآتي من
الرجز هكذا :

باعجياً لشيخنا بالأهواز يترهني علينا وهو في هوار

وواضح أن صدر البيت مكسور لأن فيه حرفاً زائداً ، وهو : الباء
في لفظة : بالأهواز ، والصواب :

يا عجباً لشيخنا الأهواز يزهي علينا وهو في هواز
لأن البيت في هجاء شيخه أبي الحسن الأهوازي ، فلا محل للباء هنا .

● صفحة ١٥٩ - السطر التاسع عشر ، جاء البيت التالي هكذا :

قضى الله أن يلقوا منيتهم فلا يرى لهم عين ولا أثر
والبيت من قصيدة من البحر البسيط ، وواضح أن بالسطر الأول
كسراً لا يستقيم معه الوزن . وليس عندي مرجع أرجع به إلى تقويمه ، ورده
إلى صحته . وهو يستقيم هذا :

لقد قضى الله أن يلقوا منيتهم الخ . ومن هنا نستظهر أن
في السطر الأول نقصاً ، وهي كلمة : لقد ، التي بها يستقيم الوزن .

● صفحة ١٦٨ - السطر الرابع ؛ ورد البيت الآتي هكذا :

قررت به عيناً وإن كان موجمي
وطبت به نقماً وإن كان لي
ويبدو جلياً أن بالعجز نقصاً جعل السطر مكسوراً . ولم أهتم في
كتب المراجع إلى صوابه .

● صفحة ١٧٠ - السطر التاسع ، ورد البيت الآتي هكذا :

ازددت عيداً ، وقد أعطيته ولداً فسمته باسم من في المعراج مفتخري
وواضح أن في عجز البيت خلافاً جملة مكسوراً غير مستقيم الوزن . ولم
أهتم إلى تصويبه ؛ وبدهي أن به زيادة في الحروف أخلت بوزنه . ولم أجد
هذا الشعر في معجم الأدباء ، ولا في بنية الوعاة للسيوطي في خلال ترجمتها
لصاحبه محمد بن علي بن عمر أبي منصور الجبان النحوي .

- ص ١٨٥ - السطر الأول ، وردت كلمة : الأنباء ، بتقديم النون على الباء ، وصوابها : الأنباء ، بتقديم الباء على النون ؛ جمع ابن .
- ص ٤١٧ - السطر الثاني والعشرون ، جاء أمام اسم مؤلف كتاب «روضات الجنات» أنه (من علماء القرن التاسع عشر الهجري) . وهو وهم كما يبدو . وصوابه أنه محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخوانساري من علماء القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد توفي سنة ١٣١٣ هـ . = ١٨٩٥ م ، وقد اشتهر بكتابه : « روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات » ، وهو في تراجم أعلام الشيعة .

القاهرة

محمد عبد الغني حسن

ذيل طبقات القراء

تحقيق ايفيت صوفان

كان محمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م، من كبار علماء المسلمين. امتاز بمؤلفاته الكثيرة في التاريخ والحديث ونقد الرجال والتراجم. وأوسع ما كتب هو «تاريخ الإسلام» المملوء بالفوائد والمعلومات التي استمدتها من مصادر قديمة لا يوجد الكثير منها بين أيدينا اليوم، بالإضافة إلى مادونه عن عصره الذي عاش فيه. وليس من قصدي الآن إعطاء ترجمة له (١)، بل نشر نص جديد له لم ينشر بعد.

ألف الذهبي كتاباً في طبقات القراء نشر منذ سنوات باسم «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» (٢). ومن هذا الكتاب مخطوطة قديمة في المكتبة الوطنية بباريس رقماً ٢٠٨٤ كتبت في حياة الذهبي سنة ٥٧٢٤ وقوبلت على أصله. وفي آخرها ذيل نقل من خط المصنف. ان ناسر الكتاب لم يرجع الى مخطوطة باريس ولم يستفد منها، وهي أحق النسخ المعروفة من الكتاب بأن تكون الأصل الذي يعتمد عليه. لذلك لا نجد في طبعته ذيل الذهبي.

(١) يمكن الرجوع لمعرفة ترجمة الذهبي إلى بروكلمن:

Gal, II2, 59 (2d)'Suppl. II, 46

وإلى الدراسة الموسعة التي كتبها الدكتور صلاح الدين المنجد في «أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب» الجزء الثالث، ص ٩٩ - ١٥٤ (بيروت ١٩٦٢).

(٢) بتحقيق محمد سيد جاد الحق. جزءان، (القاهرة ١٩٦٩).

ولهذا السبب أشار الأستاذ صلاح الدين المنجد عليّ بـتشر هذا الذيل في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

يتضمن هذا الذيل ترجمات لسبعة من القراء . وهو في ورقتين من الأصل (الورقة ٢٣٩ ب الى ٢٤١ أ) .

ونظراً لعدم وجود نسخة ثانية -- فيما أعلم -- من ذيل الذهبي ، عارضت النص بما ورد عند ابن الجزري - في كتاب « غاية النهاية في طبقات القراء » (١) عن هؤلاء القراء ، لأننا نعلم أن ابن الجزري جمل كتاب الذهبي من مصادره ونقل منه كثيراً .

وهذا هو النص

ذيل نقل من خط المصنف رحمه الله

١ - علي بن أبي محمد (٢) بن أبي سعد الله (٣) بن عبد الله المشهور بالديواني صدر القراء بواسط ، من أصحاب الشيخ علي خريم (٤) ، تلا عليه وعلى غيره من أصحاب الشريف الداعي . ونظم في القراءات ، وصنّف وأقرأ . قدم علينا سنة ثلاث وتسعين [وسبعمائة] (٥) فقرأ بالتيسير (٦)

(١) تحقيق برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٢

(٢) انظر ابن الجزري : غاية النهاية ١ / ٥٨٠ وابن حجر : الدرر الكامنة ١٧٩/٣ (طبعة جاد الحق) .

(٣) ابن الجزري . « ابن أبي سعد » .

(٤) في الأصل « حريم » التصحيح من ابن الجزري .

(٥) الزيادة من ابن الجزري .

(٦) في الأصل التفسير وهو تصحيف ، والتيسير هو كتاب « التيسير في القراءات السبع » لأبي عمرو : الداني . انظر كشف الظنون ١ / ٥٢٠

على شيخنا برهان الدين الاسكندراني ، وذهب الى بلد الخليل فتلا على برهان الدين الجعبري ثم رجع الى بلاده ، واشتهر اسمه بالعراق وهو حي يرزق . قال لي ابن مؤمن : ولد سنة ثلاث وستين وستمائة . وقد نظم في القراءات وتوفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

٢ - أحمد بن محمد^(١) بن يحيى نحلة^(٢) الإمام المقرئ المجود شيخ القراء شهاب الدين ابن النابلسي الدمشقي الشافعي سبط السلموس . ولد في حدود سنة سبع وثمانين وستمائة ، وتلا بالسبع على الشيخ محمد بن ظاهر البالي وبدر الدين بن بصنحان .

ورحل الى مصر فتلا بالروايات على تقي الدين الصايغ ، وأخذ عن البرهان الجعبري وابن جسارة ، والإمام أبي حيّان . وكتب الحديث ، وشارك في الفضائل ، مع السكون والحياء والوقار والورع والتعفف والقصد . تصدر الإقراء مدة ، وتكثر عليه الطلبة . تلا عليه شهاب الدين أحمد بن الطحان وطائفة . توفي في رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

٢٤ / أ ٣ - محمد بن علي بن يحيى^(٣) بن علي العلامة أبو عبد الله الأندلسي الغرناطي النحوي المقرئ ، ويعرف بالشامي لأن أباه قدم الشام وحج ، ثم رجع الى بلاده فولد له هذا بفرناطة سنة احدى وسبعين وستمائة . وقرأ القراءات على أبي جعفر بن الزبير ، وبمكة على الفخر التوزري^(٤) .

(١) ابن الجزري ١ / ١٣٣ وابن حجر ، الدرر ١ / ٣٢٦

(٢) ضبطها ابن الجزري « بحاء مهلة » .

(٣) ابن الجزري ٢ / ٢١٢ وابن حجر ، الدرر ٤ / ٢١٤ .

(٤) في الأصل غير منقوطة « التوزري » ضبطناها من ابن الجزري .

وسمع الموطأ من أبي محمد بن هارون بتونس ، وبرع في فقه مالك والشافعي ، والنحو وعلم الفلك ، وله شعر رائق . تلا عليه بالروايات بالحرم أبو عبد الله القاسبي ، والشيخ محمد بن السلاوي^(١) وعلق عنه أبو محمد البرزالي من نظمه . وأقرأ العربية . وله دنيا وتجارة . وكان مع دينه فيه قيه ويأو ، لماله وعلمه . علفت هذا أول كبره^(٢) عن صاحبي عفيف الدين بن المطري . مات بالمدينة في صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة .

٤ - عبد الرحمن بن أحمد^(٣) بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى ، الإمام أبو محمد بن الدقوقي التاجر السفار ، مصنف كتاب « الحوائث المفيدة في شرح القصيدة »^(٤) . وقفت على^(٥) السفر الأول منه فرأيت أنه ينسب إمامته . وكان مولده بخان بالق^(٦) بالقرم بلاد الحطا في سنة ثمان وستين وستمائة . وأمه تركية ، ونشأ بالموصل ، وسافر في التجارة ، وحفظ القراءات على المزّ محمد بن أبي بكر الضير ، وتلا السبع على شيخنا أبي عبد الله ابن خروف الموصل بعد مضي أبي عبد الله من الشام . وهو^(٧) شيخ دين خير وقور متواضع حسن السمات .

(١) في ابن الجزري « مهدي السلاوي » .

(٢) غير منقوطة في الأصل .

(٣) انظر ابن الجزري ١ / ٣٧٣ ، وابن حجر في الدرر ٢ / ٢٩٩ ؛

(٤) في ابن الجزري « يعني الشاطبية » .

(٥) نقل ابن الجزري هذه العبارة عن الذهبي حتى قوله . . . وسنائة .

(٦) في الأصل « بخان » وسقطت كلمة « بالق » أضفتها من ابن الجزري .

(٧) نقل ابن الجزري هذه العبارة فقال : قال الذهبي وهو شيخ دين وقور متواضع كثير الأسفار .

٥ - عمر (١) بن علي بن عمر الحسيني العاوي ، الامام العالم المقرئ المحدث ، عالم بغداد ، سراج الدين أبو حفص القزويني . ولد بقزوين في سنة ثلاث وثمانائة ، ونشأ بواسط وحفظ الختم ، وتلا بمدة كتب على الشيخ نجم الدين بن غزال في حدود السبعماية ، وسمع بغداد / من الرشيد بن ٢٤٠ أبي القاسم ، والمهاد بن الطبال ، وجماعة . واعتنى بفن الحديث ، ثم درس بالثقتية (٢) ، وأتم بالجامع . وألف ، وله كراريس في التجويد ، وله دين وفيه رياسة وقوة نفس . فأنه يوفقه ويسدده ، فما أقبح الدعاوى والتصنع بالعالم . وكان يُقال [إنه] من الحنابلة (٣)

٦ - أبو بكر بن أيدغدي (٤) الشمسي الأعشري ، الإمام المجود سيف الدين من أعيان طلبة أهل مصر . تلا بالسبع ويعقوب على تقي الدين الصايغ وشمس الدين السراج والأستاذ أبي حيان ولازمه وتخرج به في المربية ، وقدم الى الأرض المقدسة فتلا بالشر على الشيخ برهان الدين الجميري ، وتلا بالسبع على أبي القاسم بن سهل الأندلسي ، وتلا بمكة بحرف ابن كثير على أبي محمد الدلاصي . وله عمل كثير في هذا الشأن ، ولد في سنة ثمان وتسعين وثمانائة ، قدم علينا وذا كرني وحصل نسخة بهذا الكتاب .

(١) انظر ابن الجزري ١ / ٥٩٤ وقال في آخر الترجمة « وقد ذكره الذهبي في الذيل » وابن حجر ٣ / ٢٥٦

(٢) نسبة إلى واقفها ثقة الدولة علي بن محمد الدريني . انظر : خريدة القصر - القسم العراقي ١ / ١٤٤

(٣) لم يذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة .

(٤) انظر ابن الجزري ١ / ١٨٠ وابن حجر ١ / ٧١

٧ - ابن الزيات^(١) الإمام الكبير القدوة أبو جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي الأندلسي البلشي^(٢) المالكي شيخ مدينة بلش . ولد في عام خمسين أو قبلها . وتلا بالسبع على أبي جعفر بن الطباع ، وأبي علي بن أبي الأحوص^(٣) القاضي . وحملها إجازة عن أحمد بن يوسف^(٤) الهاشمي . تلا عليه بالروايات جمعاً أبو عبد الله الوادياني في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، فأجاز له نظماً في قصيدة نحو مائتي بيت في غاية الجزالة والبلاغة . وكان كبير القدر صاحب فنون وبه جلالة وصورة ، كبيراً ببلده . وكان خطيب بلش . قال لي أبو قاسم بن عمر إن له قصيدة في أصول الدين سمعتها منه . وقد عارض « حرز الأمان » بقصيدة سماها « لذة السمع في القراءات السبع » وله أخلاق كريهة فاق فيها أهل^(٥) إقليمه . قلت : توفي في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة . وحدثني محمد بن سعد الماشق وابن ربيع قالا : توفي [سنة] ثلاثين الإمام القدوة العابد أبو جعفر بن الزيات النحوي ، شيخ كبير ، وولده هو قاضي بلش ، وبها درسه للقاضي عياض وهي قرية^(٦) من مالقة ولها أسواق^(٧) .

ايفيت صوفان
Yvette Sauvan

باريس - المكتبة الوطنية
قسم المخطوطات العربية

-
- (١) انظر ابن الجزري ١ / ٤٧ وابن حجر ١ / ١٣٠
(٢) نسبة إلى بلش بفتح الباء وتشديد اللام (عن ابن الجزري) .
(٣) في ابن الجزري « أبي علي بن الأحوص » .
(٤) في ابن الجزري « روى القراءات إجازة عن أحمد بن يوسف الهاشمي » .
(٥) في ابن الجزري قال الذهبي : « وله أخلاق حميدة فاق بها أهل بلده » .
(٦) في الأصل « وهو قريبه » .
(٧) في الهامش : بلغ مقابلة بالأصل .

آراء وأنباء

نسخة سادسة

من قصيدة الواعظ الأندلسي

في مناقب السيدة عائشة

الأستاذ سعيد الأفغاني

في المجلد ٤٨ ص ٧٤٧ من مجلة الجمع ، بحث مفيد عن هذه القصيدة للصديق البار العلامة عبد الله كَنُون في سلسلته (من أروع الشعر) ، وقد نشر القصيدة عن أربع نسخ وصفها (١) ، واستهل بحثه بقوله :

« هذه قصيدة أخرى من أروع الشعر وأبدعه ، انذي بقي منياً ولم يعرف طريقاً إلى النشر مطلقاً ، وحتى كتب التراجم ودواوين الأدب المخطوطة به المطبوعة لم تتضمنه ، ولا أشارت إليه فيما نعلم .. » .

والواقع أني نشرت هذه القصيدة في كتابي « عائشة والسياسة » الذي طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م في ص ٢٦٢^(٢) ، وبين شرقي لها ونشرة الأستاذ كَنُون خلاف يسير سأبينه بعد قليل .

أصل هذه النسخة مخطوط قديم هو ورقة واحدة عاثت فيها الأُرْضة وخطها سقيم لا يحل بسهولة ، من مخطوطات المكتبة العربية بدمشق ، أطلعني عليها الأستاذ أحمد عبيد أحد أصحاب المكتبة ، وزين نسخها - في تقديره - المئة الثامنة كما أشرت إليه في كتابي المذكور .

والقصيدة - كما قرر الأستاذ كَنُون - من النوادر حقاً ، لم أكن وأيتها

(١) وذكر نسخة خامسة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لم ينسر إطلاعه عليها .

(٢) تقابل ص ٣١٥ في الطبعة الثالثة (بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م)

كاملة في مصدر ما على كثرة تنقي في السنين التي اشغلت فيها بدراسة السيدة عائشة ؛ إلا أنني أطلعت على بعض أبياتها في كتاب (المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة) لعبد الرحمن الصفوري (- ٨٩٤ هـ) ومنه مخطوطان بدار الكتب الظاهرية بدمشق أرقامها حينذاك (سنة ١٩٤٣ م) : (تاريخ ٨٢٨ ص ٢٩) و (تاريخ ٤٤١ ص ٦٠)^(١).

تبدأ نسختنا بسند القصيدة وفي أوله طمس جعل بعض كلماته غير مقروءة
لقدّم النسخة وبلاها ، وضعنا مكانها نقطاً^(٢) وهذا هو :

و جماعة منهم ناصر الدين الكردي
الحافظ شرف الدين الديماطي قال : الحافظ شرف الدين الديماطي
قال : الإمام الحافظ رشيد الدين أبو الحسن يحيى بن أبي الحسن علي
ابن عبد الله القرشي قال :

أنشدني والدي أبو الحسن عليّ قراءة عليه وأنا أسمع الناس قال :
أنبأني الشيخ أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب المصري الواعظ قال :
أنشدني أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي الواعظ لنفسه في مدح أم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وأجازه الأفضل أمير الجيوش عليها بمئة دينار
مصرية لما بلغته ، وهي هذه القصيدة : ... الخ .

(١) اقتنت دار الكتب الظاهرية بعد ذلك أربع نسخ أخرى منه . انظر
(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : التاريخ وملحقاته ج ٢ ص ٤١٧
عمل الأستاذ خالد الريان - دمشق ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .

(٢) فقدت الأصل الذي طبعت عنه ، وندمت على أنني لم أطبع السند ،
لكن الأصل المخطوط لا يزال في حوزة الأستاذ أحمد عبيد ومن ورقته نقلت
ما أثبت الآن .

والنص الذي نشره الأستاذ كَتُون من النسخ الأربعة سليم ، وإليك
الفروق القليلة بين النشرتين :

١ - هناك خلاف في ترتيب بعض الآيات بين رقم ٣٣ ورقم ٤٤ في نشرة
الأستاذ وترقيمه ، وترتيبها في نشرتنا : ٣٣ ، ٣٧ ، بيت ناقص في
نشرته ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣

٢ - البيت ١١ (والله خفرتني) .

هو في نشرتي : (والله فضلتني) .

٣ - البيت ٢٥ (وجنى الغنى حتى تخلل بالعبا) .

هو عندي : (وجفا الغنى) ، ولعله أرجع هنا .

٤ - البيت ٢٦ (وتخللت معه ملائكة السما) .

هو عندي : (وتهلت بقم) وما في نشرة الأستاذ أقرب
إلى النسخ الخمس معاً .

٥ - البيت ٢٩ (سبق الصحابة والقراة للهدى) .

هو عندي (سبق الصحابة والقراة للفدى) .

٦ - البيت ٣٦ (حصرت قلوب الكافرين ...) .

هو عندي : (حصرت صدور الكافرين ...) وهو المطابق للتعبير
القرآني وكلام العرب .

٧ - البيت ٤٢ (جمع الإله المسلمين على أبي) .

هو عندي : (جمع الإله المؤمنين على أبي) .

٨ - البيت ٥٣ (إي والذي ذلت له الثقلان) .

هو عندي (إي والذي دانت له الثقلان) .

٩ أما البيت الذي سقط من نشرة الأستاذ أو من أصوله فموضعه قبل البيت ٣٤ وهذا هو :

أكرم بأربعة أئمة شرعنا فهمُ لبابِ البيت كالأركان

بين الصحابة والقراة

وللأستاذ كنون - أدام الله به النفع - أطيب التحية * .

دمشق

سعيد الأفغاني

(*) أعاد نشر هذه القصيدة الأستاذ علي حيدر النجاري في ص ٥٣ من المجلد ٩ من مجلة المجمع ، نقلاً عن خط والده ؛ ولحدائق هذا النقل وعدم ذكر مصدره لم أستجز الموازنة بينه وبين ما اعتمد عليه الأستاذ كنون ولا نسخة الأستاذ أحمد عبيد القديمة المستدة . أما ما رآه الكاتب من احتمال نسبتها إلى ابن العديم فلم أستطع قبوله بحال . وتواتر الأصول الخطية مغربية ومشرقية على عزوها إلى أبي عمران موسى الواعظ الأندلسي ، وعدم ورود اعتراض ذي قيمة ، داعيان إلى الوثوق بالعزو المذكور .

العريف
معجم في مصطلحات النحو العربي

The monitor
A dictionary of Arabic
Grammatical Terms

عربي انكليزي . انكليزي عربي
جمعه المستشرق بيير كاكيا P . Cachia

الدكتور صفاء خلوصي

هذا معجم جديد ألفه أستاذ بجامعة ادنبره هو المستشرق بيير كاكيا
المالطي الأصل ، قامت بنشره « مكتبة لبنان ، بيروت ، وشركة
لونجمان ، بلندن .

يضم القسم العربي - الإنكليزي ١١٠ صفحات ، والإنكليزي - العربي
٨٨ صفحة ، وهو من القطع المتوسط تم نشره سنة ١٩٧٣ وصُدر بمقدمتين
بالإنكليزية والعربية ، إحداهما ترجمة للأخرى ، وقد استعان المصنّف بكتابين
إنكليزيين مشهورين في قواعد اللغة العربية : أحدهما للعلامة مورتيمر سلوبر هاول
Mortimer Sloper Howell المنشور بـ « الله آباد » ، بسبع مجلدات سني
١٨٨٣ - ١٩٠٣ ، والآخر للمستشرق الإنكليزي وليم رايت
William Wright وقد طبع سنة ١٨٧٤ مترجماً بتصرف وتوسع عن النسخة
الألمانية لكاسباري Caspari بمطبعة جامعة كمبرج .

لقد اكتفى الأستاذ كاكيا بمجرد نقل المصطلحات النحوية من هذين
الكتابين من غير مناقشة أو تصحيح أو زيادة ، فكان له فضل الجمع والنقل ،
واقترضه الأمانة العلمية أن يشير إلى ما نقل عن (هاول) بالحرف (H.)
وإلى ما نقل عن (رايت) بالحرف (W.) إزاء كل لفظة أو تعبير .

ولعل استعجاله في إخراج الكتاب هو الذي حدا به إلى عدم غلبة المصطلحات والإضافة إليها، والاستعانة بمراجع أخرى، فاكتمى بما توفر في هذين المصدرين، وربما بمساعدة بعض طلابه، ثم ألقى بمجموع ما توفر لديه من بطاقات إلى إحدى طالباته الخريجات هي الآنسة كاثرين فاركوهارسون Katharine Farquharson لتطبعها مُصَنَّفَةً، فكان هذا المعجم نتاج مجهودها ومراعاتها غاية الدقة، كما يقول المصنف في مقدمته العربية والإنكليزية (١)

ولعل الأستاذ كاكيا استغفر شأن كتاب الفقييد البروفيسور تريتون : A.d.S.Tritton وهو : « Teach Yourself Arabic » « علم نفسك العربية » وكتاب الأستاذ الحاج داود كاوان D. Cowan « A Grammar of Modern Arabic » وكتاب قاهاد وجون هيود، وكتاب تاجر Thatcher ، والعديد من كتب قواعد اللغة العربية بالإنكليزية، فلم يُشر إليها من قريب ولا من بعيد.

وكنا نودُّ أن يُنَزَّه هذا المعجم عن كل هنة ونقص فيتحنى المصنف استعمال ألفاظٍ اتفق الباحثون على ما هو أصوب منها، ولا سيما أنه يكتب كتاباً علمياً، لا مقالاً عابراً في صحيفة يومية، فلفظة « القواميس » (٢) كان الأفضل منها « المعجمات » أو « المعاجم » وعلى الأخص أنه استعمل لفظة « المعجم » في عنوان الكتاب.

(١) ص ٧ (القسم العربي - الإنكليزي) وص ٤ (القسم الإنكليزي - العربي).

(٢) ص ٥ س ١٠ و (القاموس) لغة : قمر البحر (اللسان - قس) بينا (المعجم) : الحروف المقطعة (اللسان - عجم) وكان الفقييد الدكتور مصطفى جواد ينكر استعمال جمع التكسير « معاجم » ويستصوب الجمع المؤنث السالم : « معجمات ».

وقال في الصفحة ذاتها^(٣) «دون الإشارة» والمفروض في الأستاذ المعجمي أن يقول «من دون» أو «بدون» أو «من غير» وليس «دون».

ولا أدري لماذا جرى الأستاذ كالكيا كتاب «هاول» حتى في المصطلحات المفتعلة المهمة التي لم يعد أحد من المستشرقين أو الباحثين الأجانب يعبأ بها اليوم، ولماذا لم يكتب مثلاً بلفظة (inversion) «لقلب» أو ما أسماه بالتقديم والتأخير وعمد إلى إضافة (hysteron — proteron) التي بطل استعمالها منذ أمد.

ثم إنه يعترف قائلاً: إن «(رايت) كثيراً ما يقابل اللفظ العربي الواحد بتعابير عدة، قد يكون أولها اصطلاحياً، وثانيها ترجمة حرفية، وثالثها شرحاً سهياً. ومن أمثلة ذلك ما سجلناه في مادة (تأكيد)»^(٤)

فأي جدوى في تسجيل كل ذلك؟ أما كان الأفضل اختيار ما هو أكثر انطباقاً وأشيع استعمالاً، وإسقاط ما عداه؟

وكما أنه أخذ (رايت) لاستعماله (nomen vasis) لدولين مختلفين، وتسويته بين «الحروف الذئقية» و«الحروف الذئقية»، كان عليه أن يبين المآخذ الأخرى، ويجري عليها المقياس نفسه، ويقوم بصفية عامة، فيخرج مصنفه خالياً من الشوائب، بعيداً عن المثالب.

وقد جاء في (رايت)^(٥):

«الحروف الذئقية أو الذئقية هي النون واللام والراء، وتلفظ بنهاية اللسان (الذئق أو الذئق)».

(٣) س ١٧ (٤) العريف: ص ٦ س ٥ - ٦

(٥) A grammar of the Arabic Language, Cambridge

1896, Vol. I. P. S.

وأورد صاحب اللسان^(٦) : « الحروف الذلّقة حروف طرف اللسان . .
 الراء واللام والنون ... وذلّقت كل شيء وفولقه طرفه » . ابن سيده : « وحروف
 الذلّاقة ستة : الراء واللام والنون والفاء والباء والميم ، لأنه يستمد عليها
 بذلّقت اللسان ، وهو صدره وطرفه ، وقبل : هي حروف طرف اللسان
 والشفة ، وهي الحروف الذلّقة ، الواحد أذلّق ، ثلاثة منها ذوّلقية* :
 وهي الراء واللام والنون ، وثلاثة شفوية : وهي الفاء والباء والميم ، وإنما
 سميت هذه الحروف ذلّقا لأن الذلّاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلّة
 اللسان والشفتين ، وهما مدّرجتا هذه الحروف الستة » .

وقد وهم كما ، لأن « الراء واللام والنون » (ذوّلقية*) و (ذلّقية*)
 في آن واحد ، فالأول اسمها الخاص ، والثاني اسمها العام الذي يجمعها مع
 الحروف الشفوية : الباء والفاء والميم ، ويجمعها قولك (مربفل) «^(٧) .

أما الشيء الذي لم يفتن إليه الأستاذ المستشرق فهو أن (رايت)
 اعتدّ هذه الحروف من الحروف الشفوية أو الشفوية وأدرجها مع (الواو)^(٨)
 فأراد ألا يكررها في صنفين ، والحق أن صفتها الشفوية أقوى من
 صفتها الذلّقية .

ويقول المصنف : « هذان المؤلفان متكاملان ... إلا أن أكثر القراء
 يرجعون إلى أحدهما دون الآخر ، ولعلهم يجبذون إلى كنفاء بمصطلحات أحدهما
 دون الآخر ، تجنباً للخلط »^(٩) .

(٦) إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ١٠٧٤/١ مادة « ذلق » .

(٧) راجع بطرس البستاني : « محيط المحيط » ، مادة (ذلق) ١ / ٧٢٢
 (العمود الأول) .

(٨) رايت : سبق ذكره ، ج ١ ص ٤ (أسفلها) .

(٩) العريف : ص ٦ (وسطها) .

والحقيقة أن الذين يستعملون « هاول » هم من النادرة بمكان ، لأنه يصعب الحصول عليه ولأن استعماله حتى من قبل بعض المستشرقين ليس بالسهل ولا الهين(*)، ثم لماذا هذا الخلط ؟ ولمَ لم يتق الأستاذ المصنف مجموعة متفقاً عليها اليوم في عالم الاستشراق والبحث المعجمي ، بدلاً من التخطئ في شتى المصطلحات بين مندر أخنى عليه الدهر ، ومفلوط لا يقابل الأصل العربي ؟ .

وإلى ذلك فإن كثيراً من ألفاظ المعجم إما تافه أو غير واضح المدلول؛ فأني معنى للفظ (آخر) وقد كتب المدخل الهجائي بهذا الشكل العجيب: (آخر) وكان المقروض أن يكون بهذه الصورة (آخر) وقد وضع قبالتها بالانكليزية (final letter) قبل معنى (آخر) في العربية « الحرف الأخير » ؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم تذكر لفظة « حرف » مع لفظة « الأخير » ؟ .

وما ينطبق على كلمة (آخر) ينطبق على كلمة (أخوات) (sisters) قائمة بذاتها من دون ذكر أخوات « إن » ، أو « كان » ، ثم يضع إزاء لفظة « أداة » تارة (instrument) وتارة (particle) بينما التعارف عليه هو الأخير ، إلا إذا كانت أداة التعريف (أل) فهي (article) أما تعبير (instrument of definition) فمن الإضافات العابثة التي نرجو أن يستغني المصنف عنها وعن أمثالها في محاولاته المقبلة .

(*) السبب في ذلك كثرة أجزاء هاول واضطراب فهارسه وعدم وجود فهرس عام لمجلداته السبعة الضخمة ؛ وإلا فهو مصدر قيم اعتمد فيه مؤلفه على أمات المصادر النحوية والصرفية العربية وفي مقدمتها ألفية ابن مالك (ويكاد يكون ترجمة لها) وكتاب سيويه ، مع العديد من الشواهد النحوية القديمة ، وكثيراً ما رجعت إليه حين أفتقد ما أنشده في رابت .

ووضع (أرخ) في باب الهمزة ، في حين أن حقها في باي الهمزة والواو جميعاً ، ومنهم من يقول : إن الواو بدل من الهمزة (١٠) .
وفي التأكيد أو التوكيد يُكتفى بلفظة (Corroborative) ولا ضرورة لـ (strengthening) .

أما « التاء » لتأكيد المبالغة (١١) فأرى أن تعرف بالـ (intensive ta) بدلاً من الشرح الطويل الذي لا يلجأ إليه المعجميون عادة إلا عندما يخفقون في العثور على مدلول اللفظة في اللغة المترجم إليها .

ومن الخدقة أن نستعمل لفظة (synarthrous) (١٢) « المرفق بال » ، في حين أن الشائع (defined with al) وشهد الله أنني بحثت عن هذه اللفظة في معجم اكسفورد الضخم المؤلف من عشرين مجلداً (المطبوع سنة ١٩١٩) فلم أعثر عليها ، رغم الجهد ودقة التحري ، فعمدت إلى « ملحق معجم اكسفورد » الضخم الذي صدر سنة ١٩٣٣ استدراكاً لما فات المعجم الموسوعي من ألفاظ ، فلم أجد اللفظة هناك أيضاً ، فسألت إن كانت قد صدر ملحق آخر يستترك المستترك .. فأجبت بالنفي ، فأني جدوى في لفظة لم تعرف بها أمات (١٣) المعجمات .

(١٠) اللسان : (أرخ) ٤٤/١ والتأريخ (بالهمز) بمعنى date وبدونه history .

(١١) الريف : ص ١٠ (١٢) نفسه : ص ١١

(١٣) قال ابن جني في « القسر » (مخطوطة قونية) ورقة ١٢٠/ظ في شرح بيت المتنبي :

الْمَارْفِينَ يَهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودُهُمْ أُمَاتِيهَا
« ولم يقل (أمهاتها) فلأن (الأمهات) إنما تطلق على من يعقل ، فإن كانت ممن لا يعقل قلت (أمات) ... وقد يجوز (أمهات) فيما لا يعقل ... ويجوز (أمات) فيمن يعقل ، اهـ .

أليس في هذا تضليل للقارئ الاعتيادي المتواضع ، ولقد سألت كبار المختصين باللاتينية فأنكروا معرفتهم بهذه اللفظة في هذا المدلول ، وتأيد ذلك لدي بمراجعة (A Latin Dictionary » By Lewis Short (1879) .

أما تعبير : (unnatural feminine) فأفضل من (unreal feminine) .

وقد وثقت في لفظة (inception) للاستئناف ، معتمداً في ذلك على « هاول ، وحده .

وليس ثمة داع لاستعمال تعبيرين أحدهما لاتيني والآخر انكليزي للدلالة على تعبير نحوي عربي واحد ، من نحو ما جاء في الصفحة ١٢ في مادة « اسم الآلة » إذ وضع المصنف مقابلهاتارة (instrumental noun) وأخرى (nomen instrumenti) وكلاهما غير مستعمل بقدر مصطلح ثالث لم يورده الأستاذ المصنف وهو (noun of instrument) الذي كثيراً ما استعملته أنا شخصياً عندما كنت أقوم بتدريس النحو العربي في « معهد المشرقيات » بجامعة لندن ، سنة ١٩٤٥ - ١٩٥٠ ؛ وهو معروف متداول بين الأساتذة والباحثين .

والحق أنني أعجبت بتعبير (substitute of afterthought) ترجمة (لبدل البداء) .

أما تعبيراً (substitution of a new opinion)

و (permutative of retraction) فزائدان لا ضرورة لهما . أما فيما يتعلق « بالمبتدأ المؤخر » فتعبير (transposed inchoative) في عُرْفنا ، أفضل من (subject placed behind) ومن (transposed Mubtada) وقد أورد المصنف الأخيرين ولم يورد الأول ، وكان الأجدر به أن يعكس الآية .

ثم من قال له إِنَّ (البدیع) معناه (originality) فإن أول ماتوحيه هذه اللفظة إلى الإنسان الأصالة والابتكار والإبداع . أما (البدیع) أو (علم البدیع) فشيء آخر ، وهو يترجم بعبارة (art of metaphors) ولقد استغربت من ترجمته للفظ (بليغ) بـ (emphatic) فالأخيرة معناها تأكيد أو توكيدي ، ولا علاقة لها بكلمة (بليغ) ، والأنكى من ذلك أن يُردفها بلفظة (hyperbolic) التي تعني المبالغة والفلو . ولا داعي لإيراد (scion) بمعنى (بنت) في الصفحة ١٦ فمن ذا الذي ياترى يستعمل هذه اللفظة مصطلحاً لغوياً في العربية ؟ .

وقد خلط الأستاذ المستشرق بين « البلاغة » و « البيان » و « البدیع » خطأ عجيبياً ، فها هو ذا حين يطلع علينا بكلمة (بيان) يترجمها بـ (rhetoric) التي هي اللفظة (البلاغة) وكان الأفضل أن يستعمل كلمة (elocution) ترجمة لكلمة (البيان) ، ويترك (rhetoric) للبلاغة تحاشياً لما عسى أن يقع من التباس في البحث العلمي الدقيق .

ومن الغريب أن يقدم لفظ (جُمَّة) (١٤) ترجمة لـ (Concrete noun or substantive) والصواب « اسم عين » ، قال ابن منظور (١٥) : « عين كل شيء نفسه وحاضره وشاهده . و (العين) المال العتيد الحاضر الناض ... والعين النقد والجمع أعيان » فتقول : هؤلاء إخوتك بأعيانهم ، اه .

وقد جاء في كتاب (وليم رايت) (١٦) : إضافة العين إلى المعنى :
« The annexation of the concrete to the abstract noun »

(١٥) اللسان : مادة (عين) .

(١٤) العريف : ص ٢١

(١٦) ج ٢ ص ٢٠٢ (أسفلها) .

وإن شاء الأستاذ كاكيا أن يكون أكثر حرفية فليستعمل تعبير « اسم مادة » ليجنبنا بشاعة لفظة « جثة »، ويبعدها عن قواعد لغتنا الجميلة التي لها سدتها الذين يحمونها في الجامع اللغوية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد !
وعندما تجلبها عبارة (genitive of proximity) لانجد بأساً في ترجمتها بـ « جرّ المجاورة » .

غير أنني لا أعتقد أن (anarthrous) تعني عبارة : « مجرد عن اللام » (١٧) لأن اللفظة الإغريقية تعني في الأصل « مجرد من الأداة » فالأفضل أداء ذلك بعبارة :

(deprived of the letter lam)

ومن غرائب هذا المعجم الذي لم تعمل فيه يد الإبداء والتعديل والتنقيح ، بل مجرد يد الاستنساخ المتزمت قوله في ترجمة :

« جملة جارية مجرى الظرفية » (A sentence which runs the course , or follows the analogy , of a local sentence) .

أما كان يوسعه أن يقول :

(an adverbially functioning sentence) .

وكثيراً ما يكرر المصنف التعبير الواحد في أكثر من موضع من غير ضرورة ، فأبي داع مثلاً لتكرار « جرّ الجوار » (في الصفحة ٢١ و ٢٦) بالحرف الواحد ؟ أما ترجمة (مجزوم) بـ (١٨) « oapco pate (verb in the) » فمجب من المجب ، لأن المؤلف استعمال لفظة (jussive) ولا مسوغ لإضافة (of the imperfect) بعدها ؛ إذ من الواضح أن الجزم لا يكون إلا في المضارع ، ولم نسمع بماض مجزوم ، إلا على خطأ عند عوام المصريين في بعض أغانيهم ! ... ولعل الأستاذ المصنف الذي درس

(١٧) والأصوب « من اللام » مكان « عن اللام » .

(١٨) العريف : ص ٢٢

فترة في مصر قد سمع بها فأراد أن يجنب القارىء الأجنبي الالتباس .

ونجزاء الشرط : (apodosis) هو المعارف عليه ، ولم يشع بين الباحثين استعمال (requital) ولا الجملة الحثوية الطويلة :

« (Result depending upon (the Condition) » .

ولم يضع الأستاذ المستشرق مقابلاً بالإنكليزية لكثير من المصطلحات النحوية العربية ، سواء اقتباساً من « رايث » أو « هاول » أو اجتهداً من عنده ، وإنما لجأ الى أيسر الطرق وأكثرها بدائية وهو الشرح الوصفي المطول ، فإذا كان « الفعل الجامد » ، aplastic verb فلم لا يكون « الاسم الجامد » ، Aplastic Noun بدلاً من التعريف التريب الذي أورده ، وهو قوله :

(noun that is stationary or in capable of growth)

وترجمته الحرفية : « الاسم الثابت في مكانه والذي لا يسهه النمو » .

أعود فأقول : لا أرى ضرورة للجوء إلى المصطلحات اللاتينية حين يتوفر ما يقابلها بالإنكليزية ، فقد أورد المصنف الفاضل^(١٩) (broken plural) لجمع التكسير ، مردفاً إياه بالترجمة اللاتينية (pluralis fractus) فأبي ضرورة لذلك ؟ وقد مضى عهد التنطع بالتعابير اللاتينية ، ولا سيما أن المعجم خاص باللغتين العربية والإنكليزية فحسب ، ولا علاقه له باللاتينية ؟

وجمع الجمع ليس جمعاً ثانوياً ، كما أراد له المصنف أن يكون حين زعم

أنه (cecondary plural) بل هو (plural of the plural) .

ولا يرتاح الانسان لترجمته لـ (لا النافية للجنس) إذ أورد لها مايلي :

(Lā that denies the whole genus ; that denies absolutely) .

(١٩) المريف : ٢٣

والصواب المتعارف عليه : (La for universal negation) .

ومن الألفاظ المقحمة في المعجم ، على غير ضرورة ، لفظة (accident) التي ترجمت بـ « حَدَث » وكذلك « حُدُوث » ، (becoming new) ولم يترجم (المهتوت)^(٢٠) وإنما اكتفى بقوله : (letter Tā) ولو راجع « اللسان » في مادة « هت » لوجد : « قال سيبويه من الحروف المهتوت ، وهو الهاء ، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء ، ولم يذكر (التاء) ، مما يدل على أنه ليس بحرف مهتوت ، وكان على المصنف أن يترجم المهتوت بـ : (subtle sounding ; or under - tone letter) .

وكلنا يعرف أن التحريك (أو الضبط بالشكل) بالانكليزية : (vocalization) ولكن المصنف الفاضل أبي إلا أن يختار (mobilization)^(٢١) قللاً عن « هاول » ، وهي لفظة اقترنت في أذهان الناس « بالتعبئة العسكرية » أكثر من ضبط الألفاظ بالشكل الكامل والحركات .

وعبئاً بمحت عن (التضمنين) بأشكاله الثلاثة :

١ - التضمنين النحوي ، ٢ - التضمنين البلاغي ، ٣ - التضمنين العروضي .

وانما وجدت في باب [ضَمَّ نَ] : تضمَّن^(٢٢)

H : implication (of a sense) .

وكان الواجب أن يقدم بعض الاقتراحات في هذا المجال ، كأن يقول في التضمنين النحوي مثلاً :

(grammatical or syntactical implication) .

(٢١) نفسه : ص ٣١

(٢٠) العريف : ص ٢٩

(٢٢) نفسه : ص ٥٧

وفي « التضمن البلاغي » . (rhetorical implication
or corroborative verse borrowing (٢٢) or quotation) :

وفي « التضمن المروضي » : (prosodical implication , or run
— on verse composition) .

واقترح شخصياً فصل « التضمن البلاغي » عن « التضمن المروضي »
تجنباً الالتباس ، وإن كان صاحب « اللسان » قد قال :

« والمضمن من الشعر : ما ضمته بيتاً ، وقيل ما لم تتم معاني قوافيه إلا
بالبيت الذي يليه كقوله :

يا ذا الذي في الحب يلحي ، أما والله لو علقت منه كما (٢٤)
علقت من حب رخم لما لمت على الحب ، فدعني وما ، اهـ .

ويشد من أزر اقتراحي أن المضمن من الأصوات ما لا يستطاع الوقوف
عليه حتى يوصل بآخر . قال الأزهري : والمضمن من الأصوات أن يقول
الإنسان « قف قل » ، ياشتم اللام إلى الحركة (٢٥) ... والاشتماء رَوْم الحرف
الساكن بحركة خفية لا يُعْتَد بها ولا تكسير وزناً (٢٦) . وقد وجدت مثيلاً
لذلك في الانكازية أيضاً حين ينطق القوم بسارة من نحو : « bus stop »
(أي موقف الأوتوبيس أو سيارة الركاب العامة) فهم يسقطون أحد حرفي
الـ (s) المتوالين ويشمون الآخر إشتماً خفيفاً لا يكاد يلحظ .

(٢٣) استوحينا التعبير الثاني من « معجم لين » المعروف بـ (مد القاموس)

مادة (ضمن) : Lane : Arabic — English Lexicon (London, :
1874) Book ١. Part 5 , P. 1804 .

(٢٤) اللسان : مادة (ضمن) .

(٢٥) المادة نفسها . (٢٦) المصدر نفسه : مادة (شم) .

وقد يمكن اجتماع الأنواع الثلاثة للتضمنين في صعيد واحد، أي في ذات القصيدة، ولكن ذلك لا يمنع من أن نميز بين الأنواع الثلاثة في الأصل والترجمة، فليس أضرت من استعمال مصطلح واحد لأكثر من غرض، وإني لأفضل في مثل هذه الحال تطبيق « قانون التغليب » أي استعمال المعنى الغالب والاقتصار عليه، أو إضافة لفظة أخرى تحدد القصد بالضبط على نحو ما فعلنا في التضمنين النحوي والبلاغي والعروضي.

وقد كان الفقيه الدكتور طه حسين يستعمل لفظة (التقفية) حتى فيما يعرف (بالتصريح) في العروض، لمجرد أن الأولى تستعمل بمناها العام.

وصفوة القول في هذا المعجم أنه « مسودة معجم » لم ينقح، ولم تستكمل أصوله، ولم تراعى فيه جميع القواعد المتعارف عليها في صنع المعاجم، فهو لا يزال بحاجة إلى المزيد من المصطلحات النحوية والصرفية، وإضافة البلاغية والعروضية إليها أيضاً، ولا سيما أن العنوان الإنكليزي يوحي بذلك فهو :

The Monitor : A Dictionary of Arabic Grammatical Terms .

فعند الإنكليز أن قواعد اللغة تتضمن نحو اللغة وصرفها وبلاغتها وعروضها جميعاً، في صعيد واحد، ومن استعرض كتب قواعد اللغة الإنكليزية وجد مصداق ذلك واضحاً جلياً.

وقد نعذر الأستاذ المصنف، لأن اختصاصه الأصلي ليس اللغة وتصنيف المعاجم، بل الأدب العربي الحديث، أو بالأحرى المعاصر، فموضوع أطروحاته للدكتوراه « طه حسين »، فمحاولته المعجمية هي الأولى من نوعها ولا يزال بحاجة إلى مزيد من الخبرة في المعجمات قبل أن يتمكن من إخراج معجمه « العريف » بطبعة منقحة ولائقة ترضي البحث الأكاديمي الأصيل، لا الجمع العشوائي من دون نقد وتمحيص.

وقد يتساءل سائل - بعد أن لاحظ أن عدد صفحات القسم العربي /١١٠/ وعدد صفحات القسم الإنكليزي /٨٨/ وأن هناك فرقاً بين القسمين قدره /٢٢/ صفحة - فيقول : « من أين جاء هذا الفرق بآرى ؟ أليس القسمان متعادلين ؟ » .

وجوابي أن الدكتور كاكيا جزأ مجموعات من الألفاظ العربية كانت تحت لفظة رئيسية (٢٨) واحدة في القسم الإنكليزي بوضعها تحت أكثر من لفظة رئيسية في القسم العربي ، وكأنه بذلك أولى القسم الثاني عناية ودقة أكثر من القسم الأول ، إلى حد أنه كرر المصطلح الواحد وترجمته أكثر من مرة ، على نحو ما سبق أن أوردنا .

والمفروض أن يكون القسمان كالمرآة والصورة المنعكسة فيها ، غير أن الأمر ليس كذلك ، فهذا التصرف الخلل عن طريق التجزئة أوقع المصنف في أغلاط ، فأتت حين تبحث عن كلمة (لفظ = لفظة) (٢٩) تجد قبالتها (H : word) أي أن معناها (word) عند (هاول) ، ولكنك حين تحاول أن تعكس العملية فتبحث عما يقابل كلمة (word) في (القسم الإنكليزي - العربي) (٣٠) ، تجد مايلي :

كَلِمَة = لَفْظ = لَفْظَة = حَرْف

وإلى ذلك فإن كلمة word الإنكليزية لا تترجم لفظة حرف العربية . على أن الذي يحمد عليه المصنف أنه وضع القسم العربي الأصلي على

(٢٨) لم يجز المرحوم مصطفى جواد استعمال لفظة « رئيسية » بل أصر على أن صوابها « رئيسة » ثم نافشها بجمع اللغة العربية بالقاهرة فأجازها .

(٢٩) العريف : ص ٨٩ (وسطها) .

(٣٠) نفسه : ص ٨٨ السطر الأول .

اليمن بحروف غامقة وما يقابله بالإنكليزية بحروف اعتيادية (أي بلون فاتح) ، وعكس الآفة في القسم الانكليزي - العربي تسهلاً لالتقاط الألفاظ المبثوث عنها .

بيد أننا كنا نود لو أن الأستاذ المصنف راعى الطريقة الأبجدية - أو الأبائية ، كما يحلو لبعضهم أن يسميها - بدقة ، فيتسلسل بالكلمات حسب حروفها الأولى والثانية والثالثة وهكذا بانتظام ، ثم يضع الجذر الثلاثي للفظة بين عضادتين بعد اللفظة الرئيسية ، لاقبلها .

وهناك ملاحظة معجمية أخرى لم يأخذ بها المصنف ، وهي أنه لا يجوز له أن يبدأ الألفاظ الإنكليزية بحروف التاج Capital Letters (في القسمين الإنكليزي - العربي ، والعربي - الإنكليزي على السواء) وعلى هذا درجت المماجم العالمية المشهورة « كمعجم أكسفورد » و « معجم ويستر » والمعجم المعروف بـ : « Hamlyn Encyclopedic World Dictionary » .

وكذلك : « The Advanced Learner's Dictionary of Current English » .

وكذلك صنع إلياس أنطون إلياس في « القاموس المصري » ومنير البعلبكي في « المورد » وحسن الكرمي في « المنار » ودونيالك في « معجم أكسفورد الإنكليزي - العربي » .

ولا أذكر معجماً شذ عن هذه القاعدة . لذلك لانجد المماجم الأجنبية تضع نقطة أو وقفة في نهاية السطر ، اثلاً تضطر إلى استهلال السطر بحرف من حروف التاج .

ولم يتبع كاكيا قاعدة موحدة حتى في وضع حرفي المصدرين اللذين اعتمد عليها وهما (W.) و (H.) فهو يستهل بها الألفاظ من دون هلاين

في القسم العربي الإنكليزي ، ولكنه يذبل بها الألفاظ بهلالين في القسم الإنكليزي - العربي ، وكان حُسن التأليف والاتساق الجميل يحتمل عليه الطريقة الثانية في القسمين جميعاً .

وأخيراً ، فإن الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور بير كاكيتا يستحق مذاكل شكر وتقدير لأنه قام بعمل رائد ، فله فضل الريادة واقتراح المشروع والسبق إليه وإخراجه ، ولو بصورة غير مستكملة الأصول والنضج ، لأن عمل الريادة لا يخلو من مجابهة قتاد وأشواك وعثرات ، وقد جابهت ذلك أنا بنفسني في بعض ما جابهت .

وكل ما ترجموه في الطبقات القادمة هو :

- ١ - أن يضيف المصنف إليها ما ينقصها من مصطلحات .
 - ٢ - يحذف ما اندثر من المصطلحات الإنكليزية ويستبقى ما عو فملاً على أفواه المستشرقين المختصين بقواعد اللغة وأسلة أقلامهم ، ولا سيما المستشرق الحاج داود كاون والدكتور جون هيود .
 - ٣ - يشطب التعابير المكررة في أكثر من موضع بالحرف الواحد .
 - ٤ - يتبع الطريقة الأبجدية الدقيقة في تصنيف الألفاظ (في القسم العربي - الإنكليزي) لا الرجوع إلى الأصل الثلاثي ، وله - إن شاء - أن يضع الأخير بين عضادتين بعد اللفظ المترجم .
- هذا وله تقديرنا وإعجابنا بعمله الرائد ، فقد أثار فينا التفكير بزيادة ألفاظ وتعابير على هوامش نسختنا الخاصة من كتابه ، بمراجعة العديد من المصادر ، واستدراك بعض ما بدا لنا فيه من هفوات وهنات ، ولولاه لما فعلنا ذلك ، والكامل لله وحده ، عز اسمه .

أكسفورد

صفاء خلوصي

الأستاذ المتفرغ للبحث العلمي

استفتاء

الأستاذ محمد العدناني

كنت قد وجهت الاستفتاء الآتي إلى مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد ، والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط ، والسادة المستشرقين وأدباء الأمة العربية :

(١) هل تجيزون وضع همزة تحت الألف (إ) في الأفعال الخماسية والسادسية إذا جاءت في أول الجملة ، مثل : (اجتمع ، استبسل) ، أم تضعون تحت الألف كسرة (اجتمع ، استبسل) ؛ لأن الهمزة في الأفعال الخماسية والسادسية هي همزة وصل ، كما فعل : المعجم الوسيط ، ولسان العرب ، وأقرب الموارد ، والفرائد الدرية ، ومستدرک المعجمات لرَبِيعُ نَهَارَتِ دُوْزِي ، ومدّ القاموس لأدورداين ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وتفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لايوم (ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي) ، وثبعة الرائد لإبراهيم اليازجي ، وغريب القرآن للسجستاني ، والإفصاح في فقه اللغة للصمدي وموسى ، ومقامات الحريري ، وأساس البلاغة للزنجشيري ، ومحيط المحيط ، والصّحاح ، ومتن اللغة ، وإحياء النحو لإبراهيم مصطفى ، ومعجم الأدباء ، وتيسير النحو للدكتور عبد العزيز القوسي ورفاقه ، وأدب المملي للمنفلوطي والدكتور والي ورفاقها ، والخواطر العراب لجبر ضومط ، والبستان للنشاشي ، ومجموعة النشاشي ، ومقدمة مختار الصحاح .

(٢) هل تضعون التنوين على أعلى جانب الألف الأيمن (كتاباً ، جاراً ، رجلاً) كما فعل المعجم الوسيط ، ، والمعجم الكبير ، ولسان العرب ، والمحيط ، وأقرب الموارد ، والمنازل ، والفرائد الدرية ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ، وفي مقدمته صفحة بخط ابن السكيت نفسه ، وثبعة الرائد (الطبعة الثانية) ، والإفصاح في فقه اللغة ، والمصباح المنير ، ومقامات الحريري ، وكشف الطثرة للألوسي ، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (الطبعة التاسعة) ، ومحيط المحيط ، والمصباح ، ومجاني الأدب ، وعقد الجمان لناصر اليازجي ، ورنات المثلث والمثاني ، ومفتاح المصباح لبطرس البستاني ، وإحياء النحو ، والخواطر العرب ، ومقامات بديع الزمان الهمداني ، والأغاني (طبع دار الكتب المصرية) ، وصبح الأعشى ، ومعجم الأدباء ، ومعرض الخطوط العربية ، والعرف الطيب لناصر اليازجي ، وسيرة ابن هشام (مع الآيات) ، وتسهيل الإملاء لعمر يحيى ، والإملاء العام لإلياس حداد ، وأدب الممثل للمنفلوطي ورفاقه ، ومبادئ العربية للشرطوني ، وقواعد اللغة لرشد عطية ، والبستان للنشاشي ، ومجموعة النشاشي ، وكتاب التعريفات للجرجاني ، والمعجم الكبير ؛ لأن مؤلفي هذه المعاجم والكتب أبوا أن يحملوا الألف حركتين ، وهي التي يتعذر عليها أن تحمل حركة واحدة .

أم تضعون التنوين على الحرف الصحيح قبل الألف (ذكرًا) ، كما جاء في مد القاموس ، ومستدرك المعجمات ، ومختار الصحاح ، ومفردات الراغب ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ودرة الغواص للحريري ، وتفصيل آيات القرآن الحكيم .

أم تضعون التنوين على الألف في نهاية الكلمة (كتاباً ، رجلاً ،
حبوراً) ؟ .

وإلى القراء الأجوبة حسب تواريخ وصولها إلى :

١ - رد الدكتور ممدوح حقي كبير الخبراء في المكتب الدائم لتنسيق
التعريف في العالم العربي - الرباط :

..... (أ) ما دامت الهمزة همزة وصل ، فرقم الهمزة تحتها
خطاً وعبث . إن ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما وأمر
الثلاثي كلها همزتها همزة وصل . وكذلك الكسرة تحتها لا لزوم لها . وأنتم
نفسكم سردتم ستة وعشرين مرجعاً يؤيد هذا الرأي ، فهو إذن مقبول
بحكم الإجماع تقريباً .

(ب) إن حروف العلة في الأصل امتدادات صوتية لحركاتها ، والتنوين
تكملة لغنة الحركة وموسيقاها ، ولذا فلا نرى بأساً من تحميل الألف هذا
التنوين ما دامت قد أصبحت حرفاً . أما قول النحاة بأنها حرف معتل
مريض يكفيه أن يحمل حركته وحده فكيف نحمله حركتين ، فقول
فيه كثير من الحنّان الفلاني ! ونحن نعتقد أن الألف من أقوى الحروف
إن لم تكن في واقعها أقواها وأشدّها جلدًا وصلابة . ألا ترى أنها تستطيع
أن تتغير وتتبدل وتتكرر ، وتلبس لكل حال لبوسها ، فتارة تكون
مدودة مبسوطة ، وطوراً مهموزة مفصولة ، وحيناً موصولة ، وأحياناً
مقصورة ؟ فأي حرف من حروف اللغة يستطيع هذا التلوي والتغير
والتبدل والتلون سواها ؟! ومع هذا كله فإننا نفضل متابعة الأكثرية المطلقة
من علماء اللغة ، ورسم التنوين على الحرف السابق حياً بتوحيد الخط ،
ورغبة عن الشذوذ عن المجموع .

إن مكتب تنسيق التعريف يحاكم أعظم إجلال ، ويقدر جهودكم
المبرورة ، ويقف إلى جانبكم في الدفاع عن لغة القرآن الكريم ، ويشد
أزركم ، ويرجو أن يوفقكم الله تعالى إلى متابعة الطريق النبيل الذي
بدأتموه ودمتم .

كبير الخبراء
الدكتور مدوح حقي

٢ — رد الأستاذ زكي المهندس عن جمع اللغة العربية بالقاهرة :
..... (أ) لا موضع لوضع الهمزة في مثل (اجتمع واستقبل) ، خشية
الظن بأنها همزة قطع ، ويكفي وضع الكسرة تحت الألف (اجتمع
استقبل) .

(ب) التوين في مثل « تنبأ » إنما هو لحرف الباء ، فوضعه
على الحرف أحق ، ولكن لا بأس بوضعه على الألف ، ففي ذلك تيسير
طباعي ، إذ تسبك الألف والتوين في قالب واحد .

وأخيراً أكرر لكم شكري ، وأطيب تحياتي ، وأخلص تمنياتي .

نائب رئيس المجمع
زكي المهندس

٣ — رد الأستاذ رشاد علي أديب :

أرى أن يكتب تنوين الفتح والضم فوق الحرف المنون بالضبط ،
ويكتب أيضاً تنوين الفتح على الحرف مائلاً عنه إلى اليمين قليلاً كما في
القرآن الكريم . ولا بأس من إمالة إلى اليسار قليلاً . أما تنوين الكسر
فيكتب تحت الحرف ، أو مائلاً إلى اليسار قليلاً .

رشاد علي أديب

جبل - سورية

٤ - رد الاستاذ عبد الهادي هاشم عضو مجمع اللغة العربية بدمشق :
 (أ) [وضع الفتحين في المنصوب المنون بالالف الظاهرة قبل الألف
 أو فوقها أو بعدها] . أعتقد أن شأن هاتين الفتحين يسير ، وأمر تقديمها
 أو توسيطها أو تأخيرها ليس بندي بال فيما أحسب ، والخطاطون وعلماء
 الرسم من المتقدمين والمتأخرين لم يلتزموا حالة واحدة . أما أنا فأؤثر إثباتها
 بعد الألف اللينة .

(ب) [الاكتفاء بإثبات الحركات على همزة الوصل في أول الكلام ،
 أم وضع همزة قطع فوق الألف أو تحتها إشعاراً بأن النطق هنا يجمل
 الوصل قطعاً] .

أرجح الاكتفاء بالحركة حتى لا يبيح القارئ في طيبة همزة الوصل .

عبد الهادي هاشم

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

٥ - رد المجمع العلمي العراقي ببغداد :

.... نتقل إليكم في أدناه موجز ما أقره مجلس المجمع العلمي العراقي
 في جلسته المنعقدة في ١١/٤/١٩٧٢ حول كتابة همزة الوصل واقعة في
 أول الكلام :

« يفضل المجمع العلمي العراقي أن تعامل همزة الوصل حين ترد في أول
 الكلام معاملة همزة القطع في الرسم ، أخذاً برأي أكثرية علماء رسم الحروف
 وتجنباً للوهم في النطق ، فهي :

أ - تنطق وتكتب تحت الألف ومن تحتها الكسرة في حالة الكسر ،
 وذلك في مثل : إبتدا العمل يوم كذا . إستغفر الله . إعلم يا زيد .
 ب - تنطق وتكتب فوق الألف ، وفوقها فتحة في حالة الفتح ،
 وذلك في مثل : أل . أئمن .

ج - تتطابق وتكتب فوق الألف وفوقها ضمة في حالة الضم ، وذلك في الأمر المضموم العين ، نحو : أكتب : بإزيد ، وفي الماضي المبني للمجهول ، نحو : أنطلق به .

أما رسم التنوين في نهاية الاسم في حالة الفتح فإن المجمع يفضل أن يرسم التنوين على يمين الجانب الأعلى من الألف ، وذلك في مثل : قرأت كتاباً ، وحضرت درساً .

مع مزيد التقدير
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
رئيس المجمع العراقي

٦ - رد الدكتور شكري فيصل الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق :

... أما عن الأسئلة فاسمحوا لي بأن أجيب بصورة شخصية :
(أ) عن وضع همزة تحت الألف في الأفعال الخماسية والسادسية إذا جاءت في أول الجملة ، مثل : إجتمع ، إستقبل :
لا أرى وضع الهمزة بحال ؛ لأن ذلك يورث قدراً من التشويش في أذهان الطلاب والدارسين والقارئين ، ويؤكد أخطاء القراءة في المدارس وفي أجهزة الإعلام السمعية والبصرية .

وأكتفي بوضع كسرة تحت الألف ، تكون دليلاً مضيئاً لضبط القراءة . وهذا كله في نطاق الكتب التعليمية المدرسية أو التي تهدف إلى التعليم من نحو غير مباشر .

أما فيما سوى ذلك فتبقى الألف وحدها من غير أية إضافة ، اللهم إلا أن يكون ذلك في حالة الضرورة الشعرية ، حيث يقتضي الأمر إقامة الوزن . إن إثبات الهمزة هنا تعويض عن فساد الوزن . ووصل همزة القطع هنا يعادل قطع همزة الوصل في الضرورات .

(ب) عن موضع التنوين على الألف في نهاية الكلمة :

أنطلق من ملاحظة أن التنوين صوت ، لنا أن نتجاوزه في حالة الوقف .
 والتعبير عن هذا الصوت اتخذ شكل (ّ) .

فإذا كتبنا اللفظة المنصوبة المنونة واجهتنا حالتان جائزتان : حالة
 إثبات التنوين ، وحالة الوقف .

ولما كانت الكتابة برموزها المختلفة إنما تهدف أن تكون كذلك عوناً
 للقارئ ؛ فإننا نحتاج هنا أن نجد الرمز الذي يشير إلى هاتين الحالتين .

ولهذا نُستعمل (أ) = (الألف وفوقها شارة التنوين) :

الألف إشارة أو رمز لحركة النصب و (ّ) للتنوين .

فإذا وقف القارئ اكتفى بما نسميه الألف هنا اصطلاحاً ، وأهمل
 التنوين « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

ولا تبدو لي الحاجة ماسة الى تغيير موضع شارة التنوين :

أ - فإذا وضعناها فوق الألف تحقق ما أشرت اليه واختار القارئ أحدهما .

ب - وكذلك إذا وضعناها على الجانب الأيمن .

ج - أما إذا وضعناها على الجانب الأيسر فماذا يكون ؟ إنها لا تصرف
 إلى الألف ولا إلى الفاء ، وكأنها شيء جديد يضاف الى ما بعد الألف .

أما قولكم بأن الألف حرف علة لا يقبل حركة واحدة فعندي أن
 هذا لا يرد هنا ؛ لأن الألف هذه ليست حرف علة بحال من الأحوال ،
 وإنما هي شيء يشبه كرمي الهمة . إنها مُعْتَمِدٌ وَمُعَوَّلٌ لرمز التنوين (ّ) ،

إنها بمثابة كرمي التنوين ، فالتنوين المرفوع فوق الحرف والتنوين المجرور
 تحته كلاهما لا يورث التباساً . أما التنوين المنصوب (كتاباً) فقد كان
 يمكن أن يكون (ّ) فوق الحرف ، ولكننا اختاروا الألف (أو

صورة الألف وحسب ، أو لتقل هذه العصا (كرسياً له ؛ لأن الوقف على التنوين المنصوب يحيله ألفاً ، على حين أنه لا مجال للوقف على التنوين المرفوع والمجرور .

فإذا راعينا بعد هذا أمور الطباعة ، وجدنا أن الأمر يستوي حين يكون التنوين فوق الألف أو على يمينها ، ولكنه بعدها يحتاج إلى فراغ خاص لا معنى له .

وعلى ذلك يبقى أني أفضل أن تكون شارة التنوين فوق الألف جزءاً منها ، وكأنا نقول لمقاريء : اختر .

ولعلنا نكون كذلك هنا أكثر انساقاً مع الرسم القرآني في مصحف عثمان .

الدكتور شكري فيصل .

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق

خلاصه الاستفتاء

(١) كاد الإجماع يتعقد على الاكتفاء بوضع كسرة تحت همزة الوصل في الأفعال الخماسية والسداسية ماضياً وأمرأ ومصدراً ، إذا جاءت في أول الجملة ، مثل : انقطع الحبل ، استبسل الجنود ، احتمل الألم ، اغتراب المرء مفيد . وأضيف إليها فعل الأمر الثلاثي إذا جاء في أول الجملة ، نحو : اذهب إلى البيت ، اخرج من هنا .

(٢) تجيز الضرورة الشعرية قطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع . إقامة للوزن .

(٣) يجوز أن يوضع التنوين على الألف في نهاية الكلمة المنصوبة (كتاباً) ، أو على طرفها الأيمن (شراباً) ، أو على الحرف الصحيح

قبلها (صواباً ، نصراً) حسب أنواع حروف الطباعة الموجودة في المطابع .
مع أن جل المطابع الحديثة تستطيع أن تضع التنوين حيث نشاء .

وأنا أؤثر وضع التنوين إما على طرف الألف الأيمن (كتاباً) ، أو فوق الحرف الصحيح قبلها (شعراً) ؛ لأن معظم المعاجم وجل أمهات كتب الأدب (٤٧ مصدراً) يتقيد بأحد هذين الرسمين ، ولأن الألف التي قيل إنها شيء يشبه كرمي الهمة تظل ألفاً يتعذر التلفظ بها ، إذا كانت وحدها وفوقها تنوين الفتح ، فنوفر بذلك على أنفسنا زيادة نوع جديد من الألف على أنواعها الأخرى الاثنى والعشرين .

أما تنوين النصب فأرى أن تثبه في الكتابة دائماً ، إلا في الشعر حيث يجب أن نهمل كتابته على حرف الروي المنصوب ، مثل : قبرا ، وأجرا ، ونحرا .

ولا بد لي في الختام من شكر الأساتذة الأجلاء الذين أدوا خدمة عظيمة لأمتهم وضادهم بإبداء آرائهم النقية في هذا الاستفتاء ، الذي أزال الغموض المحيط بحركة الحرف الأول من الأفعال الخماسية والسادسية وكتابة التنوين .

الاحتفال

بمور مائة عام على ولادة الأستاذ الرئيس كرد علي
وإكمال مجلة المجمع المجلد الخمسين

يعتزم مجمع اللغة العربية بدمشق الاحتفال عام ١٩٧٦ بمناسبة غاليتين
عليه ، كان لها أثرها البعيد في مسيرة الحركة الثقافية في بلاد الشام بخاصة ،
وفي الوطن العربي بعامة .

أولاهما : مناسبة مرور مائة سنة على ولادة المرحوم الأستاذ محمد
كرد علي الرئيس الأول للمجمع (ولد سنة ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٦ م ، وتوفي سنة
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م) .

والثانية : مناسبة إكمال المجلة في هذا العام ١٩٧٦ ، المجلد الخمسين في
حياتها التي نتمنى أن تكون مديدة خصبة ، للذي لها من أثر في الحفاظ
على العربية ، وإغنائها وتطويرها للمعارف العلمية الحديثة ، وإثرائها بما يساعد
على مواكبة الركب الحضاري المتطور .

وينوي المجمع أن يكون هذا الاحتفال على نطاق الوطن العربي كله
وأن يشارك فيه ، إلى جانب أعضاء المجمع ، أصدقاء المجلة ، وأصدقاء المرحوم
الرئيس الأستاذ كرد علي وزملائه وتلامذته وعارفوه فضله .

ومن المؤكد أن مشاركة هؤلاء جميعاً هي التي ستتيح لهذا الاحتفال
أطيب الفرص لنجاحه .

إن أصدقاء المجمع والمجلة مأمولون ومدعوون للمشاركة بهذه الاحتفالات ؛
بما قد يكتبون من دراسات ، أو يقومون به من بحوث . ولذلك يتروقب
المجمع أن يتلقى منهم رسائلهم في الذي يختارون . من جوانب الحديث :
ما يتصل بالأستاذ الرئيس كرد علي ، أو بالمجلة ، أو بأغراض المجمع والمجلة .

جائزة الثقافة العربية لأحسن كتاب نشر منذ بداية عام ١٩٧٣

تعلن إدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، في جامعة الدول العربية - ضمن برنامجها لتشجيع الإبداع الثقافي والفني - عن مسابقة لأحسن كتاب نشر منذ بداية عام ١٩٧٣ ، يتناول موضوعاً يتصل بأحد ميادين الحضارة العربية ، ويكشف عن قيمها وأصالتها .

أما الشروط ، فهي :

- ١ - أن يكون الكتاب المرشح من الكتب المنشورة منذ بداية عام ١٩٧٣
 - ٢ - ألا يكون الكتاب قد نال جائزة سابقة ، ولا مقدماً لجائزة أخرى .
 - ٣ - ألا يكون رسالة جامعية .
 - ٤ - ألا يكون مترجماً عن لغة أخرى .
 - ٥ - آخر موعد لتقديم الكتاب نهاية تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٧٥
- وتمنح للفائز جائزة مقدارها خمسمائة جنيه مصري أو مايعادلها ، ويتم إرسال ثلاث نسخ من الكتاب مباشرة إلى العنوان التالي :
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة الثقافة ١٠٩ شارع التحرير - ميدان الدقي - القاهرة .

هذا وقد نال جائزة الثقافة العربية عن عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ الأستاذ الدكتور فريد محمود شافعي عن كتابه : « العهارة العربية في مصر الإسلامية » .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٤

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
عدنان المبارك	الاتجاهات الرئيسية في الفن الحديث على ضوء نظرية هربوت ريد	بغداد ١٩٧٣
عبد الحميد العلوجي ، خضير اللامي - مراجعة الدكتور صاحب ذهب	الأصول التاريخية للنقط العراقي (الجزء الأول)	١٩٧٣ =
الدكتور عبد الواحد لؤلؤة	البحث عن معنى	١٩٧٣ =
ناجي زين الدين المصرف	بدائع الخط العربي	١٩٧٢ =
الدكتور عفيف بهنسي	الثورة والفن	١٩٧٣ =
جمعه وحققه الدكتور إبراهيم السامرائي الدكتور مهدي الخزومي - الدكتور علي جواد الطاهر رشيد بكتاش	ديوان الجواهري ١ - ٣	١٩٧٣ =
وزارة الإعلام العراقية	ديوان عبد الحميد الرافعي	١٩٧٤ =
حققها كوركيس عواد - ميخائيل عواد - خليل العطية	الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور	١٩٧٤ =
مسلم الجابري	الرمح أنت	١٩٧٣ =

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ربيع هانوي	شعر كاظم السماوي	بغداد ١٩٧٣
الشرائع العراقية القديمة	الدكتور فوزي رشيد	١٩٧٣ -
شعراء من أمريكا الجنوبية	سعد صائب	١٩٧٤ -
عودة الفارس القليل	حسين جليل	١٩٧٣ -
قراءة لجدران زنزانة	محمود أمين العالم	١٩٧٢ -
قصة المتنبئ	أحمد الجندي	١٩٧٣ -
كنوز المتحف العراقي	الدكتور فرج بصمه جي	١٩٧٢ -
مختارات من الشعر الإسباني المعاصر	ترجمة الدكتور محمود صبح	١٩٧٣ -
من الأدب البلغاري	يوردان يوفكوف، ترجمة كال بطي	١٩٧٣ -
المنابع التاريخية للفن الجداري في العراق المعاصر	الدكتور شمس الدين فارس	١٩٧٤ -
نظام التعليم في النمسا	ترجمة صائب أمين	١٩٧٤ -
نظرية المسرح الملحمي	بروتولد بريخت - ترجمة الدكتور جميل نصيف	١٩٧٣ -
وجه بلا هوية	رشيد مجيد	١٩٧٣ -
أعجوبة الزمان أو مار أفرام بني السريان	البطريك اغناطيوس يعقوب الثالث	بكفيا - لبنان ١٩٧٤
المعجم الفلسفي (الجزء الثاني)	الدكتور جميل صليبا	بيروت ١٩٧٣
أثر العرب في الفن الحديث	الدكتور عفيف بهنسي	دمشق ١٩٧٠
أسس الأنثروبولوجيا الثقافية	ميلفيل . ج . هرسكوفيتز تعريب الدكتور رباح النفاخ	١٩٧٤ -

آراء وأبناء

٦٩١

امم الكتاب	امم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
أسماء الكعبة المشرفة	محمد المكبي بن الحسين	دمشق ١٩٧٣
اوجين دولا كروا	حسن كمال	—
التقادم المسقط	جورج أنطاكي	— ١٩٧٠
الحفلة دارت في الحزرة (مسرحة)	فرحان بابل	— ١٩٧٤
الحقوق السوفيتية	رينيه دافيد وجون هازارد	— ١٩٦٩
خلاصة التجارة الخارجية الشهرية	المكتب المركزي للإحصاء	— ١٩٧٣
دروس في الرياضيات العالية	ف.ي. سمير نوف	— ١٩٧٣
رأس المال، نقد الاقتصاد السياسي (الجزء الثالث)	كارل ماركس ترجمة أنطون حمصي	— ١٩٧٣
روبرت أوبنهايمر والقبلة الذرية	ميشيل روزة - ترجمة وجيه السمان	— ١٩٧٤
الطفولة ، المراهقة ، الشباب	ليون تولستوي - ترجمة الدكتور سامي الدروبي	— ١٩٧٤
الغرباء	علي عقلة عرمان	دمشق ١٩٧٤
الفكر والتاريخ	بيير - هنري سيمون	— ١٩٦٣
قانون مجلس الدولة	مجلس الدولة	— ١٩٧٤
القرآن القانون الإلهي	زين العابدين التونسي	— ١٩٧٤
كلمات وأحاديث	محمد بهجة البيطار	— ١٩٧٤
الكندية السريانية الانطاكية الأوثوذكسية	البطريرك يعقوب الثالث	— ١٩٧٤
المجموعة الإحصائية	جامعة دمشق	— ١٩٧٤

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
مجلس الدولة	مجموعة المبادئ القانونية التي قررتها المحكمة الإدارية العليا في عام ١٩٧١	دمشق ١٩٧٤
محمد الحضر حسين	محاضرات إسلامية	١٩٧٤ =
ترجمة فئة من أساتذة الفيزياء في جامعة دمشق	محاضرات فاينمان في الفيزياء (الجزء الأول - القسم الثالث)	١٩٧٤ =
= = =	محاضرات فاينمان في الفيزياء (الجزء الأول - القسم الثاني)	١٩٧٤ =
زين العابدين التونسي	المهجم في النحو والصرف	١٩٧٣ =
غرفة التجارة	النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق (العدد الثالث)	١٩٧٣ =
ابن سلام الجمحي تحقيق الأستاذ محمود شاكر	طبقات فحول الشعراء (الطبعة الثانية)	القاهرة ١٩٧٤
الدكتور محمد حسن عبد الله	الحركة الأدبية والفكرية في الكويت (الجزء الأول)	الكويت ١٩٧٣
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني	كتاب الصبغة في الطب	كراتشي ١٩٧٣
سلمان هادي الطعمة	مخطوطات كربلاء	النجف ١٩٧٣
محمد علي بن بشارة آل موجي الحليقاني تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم	نشوة السلافة وحل الإضافة	النجف

على الجزء الثالث من المجلد التاسع والأربعين

الصواب	الخطأ	الصفحة السطر
٤٩٢	٢٩٢	
العظام	جراحة العظام	١ ٤٩٢
٩/١	المشارقي ٧/١	١٣ ٥٣٧
روا الرسول	روا الرسول	١٠ ٥٥١
الاختلاف	أسباب الاختلاف	٩ ٥٦٣
٥٧٦	٦٧٦	
الشمس	مطلع الشمس	٧ ٦٠١
الاستاذ محمد كامل عباد	الاستاذ محمد كامل عباد	٦٠٩
٢٤٠/١	٢٤٤/١	١٥ ٦٥٤
secondary quotation	secondary quotation	١٩ ٦٧١
		٢ ٦٧٣

على الجزء الثاني من المجلد التاسع والأربعين

الصواب	الخطأ	الصفحة السطر
إلى لأعلم قدري	إلى لأعلم قدري	٨ ٢٥٧
فأدعيت	فأدعيت الجدار	١٠ ٢٥٧
عجائب	عجائب	١٣ ٢٥٧
يظن	يظن	١ ٢٦١
من الحمدانيين	سواء كانوا الحمدانيين	١٢ ٢٦١
يقولون	يقولون	٨ ٢٦٣
تدخل كل من الفاختة	تدخل من الفاختة	٧ ٢٦٥
فارسي على صهوة	فارسي على صهوة	٢٦٥ الأخير
أن يقيد	أن يقيد	١ ٢٧١
فوق الجبل	فوق الجبل	٣ ٢٧٧
الحيار	الحيار	١٢ ٢٧٩
وطيرة على	وطيرة على	١٧ ٢٨٤
الفرخ	كتاب الفرخ	١٦ ٣٢٠
٢٨٦/١٢	١٨٦/١٢	٢ ٣٣٣
٤٩٩/٣	٤٩٩/٢	١٥ ٣٣٦
محصة	لست محصة به	٥ ٣٤٩
السفدي	السفدي	١٠ ٣٩٨
١٢٢٠ هـ	تاريخه ١٢١٩ هـ	١٥ ٣٩٨
٢٥٢ حديث	٢٥١ حديث	١٥ ٣٩٨
بضاف عدد صفحاته ٥٤٦		١٠ ٣٩٨
بضاف: عدد صفحاته ٦٥٤		١٥ ٣٩٨

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والأربعين

الصفحة	
٤٧٩	آفاق البحري . . . الأستاذ شفيق جبري
٤٨٤	نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات
٥٠٠	صحيح البخاري في الدراسات المغربية . . . الأستاذ محمد المنوني
٥٥٠	اختلاف الصحابة والأئمة في الأحكام المشروعة للأمة
	حسن المعصومي
٥٧٩	معجم مصنفات ابن أبي الدنيا . . . الدكتور صلاح الدين المنجد
٥٩٥	أشعار اللصوص وأخبارهم - القسم الثاني . . . الأستاذ عبد المعين الملوحي

التعريف والنقد

٦٠٩	خليل مردم بك - الشاعر وديوانه باللغة الألمانية
٦١٤	عرض ونقد لكتاب كون الحيوان لأرسطوطاليس
٦٤٣	نظرات وملاحظات على الجزء الرابع من كتاب : «إنباء الرواة على أنباء النحاة» تح محمد أبو الفضل إبراهيم
٦٥٢	ذيل طبقات القراء تح : إينيت صوفان

آراء وأنباء

٦٥٨	نسخة سادسة من قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب السيدة عائشة
٦٦٢	العريف : معجم في مصطلحات النحو العربي - جمعه المستشرق بيير كاكيا
٦٧٨	استفتاء والأستاذ محمد العدناني
٦٨٧	الاحتفال بمرور مائة عام على وفاة الأستاذ محمد كرد علي وإكمال المجلة خمسين عاماً .
٦٨٨	جائزة الثقافة العربية لأحسن كتاب نشر منذ ١٩٧٢
٦٨٩	الكتب المهداة الى مكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثاني من سنة ١٩٧٤
٦٩٣	استدراكات على الجزء الثاني والجزء الثالث .

مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَشْرِقِ مَرْسِ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »

شعبان المعظم ١٣٩٤ هـ

أيلول « سبتمبر » ١٩٧٤ م

لغة العامّة

الأستاذ شفيق جبري

أذكر أنني قرأت في تاريخ الأدب الفرنسي أن شاعراً من شعراء
فرنسة في القرن السابع عشر - وقد فاتني اسمه - كان يذهب إلى سوق بيع
السمك ، ويتلطف طائفة من مصطلحاتهم ويدجها في شعره ، اعتقاداً منه أن
هذه المصطلحات قوية في تغييرها ، كثيرة الدلالة . وقد ذكرني هذا الأمر
بأن من الشعر جاء في إحدى قصائد البحري ، نجد فيه صورة من الصور
التي تشيع على ألسن العامة في عصرنا هذا ، ومن يدري فقد تكون هذه
الصورة شائعة في عصر البحري ، فمن أقوال العامة في أيامنا : إذا أفلس

الجندي فتش عن دفتره العُتق ، أي القديمة . فهذه الفكرة نجدها في شعر البحري :

وأمارات مفلس أن تراه موفياً في اقتضاء دَيْنٍ قديم

والحقيقة أن للعامة تصرفاً في بعض الألفاظ يشبه تصرف الخاصة ، فهي قد تحولها عن معناها الحقيقي الى معناها المجازي في شيء من التشبيه أو الاستعارة أو ما يشبه ذلك ، فإن هذا كله لا يعجزها ، فقد تجد في الألفاظ ما يعينها على التعبير عن صورة من الصور التي تزدهم في صدورهم ، فإذا كان للخاصة مجال ذو سعة في هذا الباب فإن للعامة مثل هذا المجال ، إن لها لغتها الشعرية .

وقد يكون ضرب الأمثال أقوى في الدلالة على هذا القول ، فمن ألفاظ العامة وهي فصيحة : اندلق ، يقال في اللغة : اندلق خرج من مكانه ، والسيل اندفع ، والسيف انسلّ بلاسل ، أو شقّ جفنه فخرج منه .. ولا تخرج العامة في استعمال هذه المادة عن معناها الفصيح ، فهي تقول : اندلق الماء من الإناء جرى على وجه الأرض ، وكذلك اللبن والمرق وكل شيء مائع .

الآن أن العامة لم تقتصر على معنى هذه المادة الحقيقي ، فهي قد حوّلته الى المجاز في لغتها ، فإذا قالت : اندلق فلان فإنها أرادت بذلك معنى مجازياً ، فقد يكون جملة من الناس في مجلس أو سهرة فيخرج أحدهم عن حد المزح ويشط في ذلك فيقولون : اندلق ، أي أصبح لا يطاق في مزحه وشططه ، وهو تعبير قوي في لغة العامة ، خصب الدلالة .

ومن هذا القبيل مادة انلق ، يقال : فلقه شقه كفلقه فانلق وتفلّق ، ولا حاجة بنا إلى الاستقصاء في مشتقات هذه المادة .

وقد تقيدت العامة في لنتها بهذا المعنى فهي تقول : قلق القستق أو اللوز أو الجوز أي شقه ، إلا أنها قد خرجت عن حقيقة هذا المعنى إلى المجاز ، فإذا وقع خلاف بين رجلين وغضب أحدهما أو ساءه أمر أو غير ذلك من الأمور قال الآخر : خله ينفلق ، أي انه لم يبال به ولا بغضبه فليشق جسمه أو روحه .

وقد تأتي مادة انفزر مرادفة لمادة انفلق ، يقال في اللغة : فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر ، فالعامة تستعمل الفزر بمعنى الشق ، ثم تجاوزت حقيقة المعنى إلى المجاز ، فهي كما تقول في أحوال الغضب والهياج : خله ينفلق ، فكذلك تقول : خله ينفزر ، وقد استعملوا هذه المادة في الإفصاح عن كثرة الأكل فيقولون : أكل حتى انفزر .

ومن تصرف العامة في بعض لنتها قولها : اندلع . نجد لمادة اندلع في اللغة معاني كثيرة ، فالفعل الثلاثي : دلع لسانه ، أخرجه كأدله فدلح دلماً ودلوعاً ، أما اندلع فلها معانٍ مختلفة ، منها : اندلع بطنه عظم واسترخى ، والسيف من غمده انسل ، واللسان خرج ، وقد نكتفي بذلك .

أما العامة فانها لا تستعمل هذه المادة على حقيقتها ، فنحن لا نسميها تقول : اندلع لسانه أي خرج ، واندلع بطنه أي عظم واسترخى ، ولكنها تستعمل هذه المادة على سبيل المجاز ، فإذا كان ولد محياً إلى أهله ، طامعاً في محبتهم له ، متدلاً عليهم ، فقد يميل به هذا كله إلى الخروج في بعض الأحيان عن الحد ، فتظهر عليه آثار محبة أهله له فيندلع ، إما في حركاته وإما في كلامه ، أي انه يشتط ، وربما كان هذا الاشتطاط سبباً في تأفف الناس منه ومن حركاته وكلامه ، وقد نجد صلة بعيدة أو قريبة بين معنى اندلع الحقيقي ومعنى اندلع المجازي الذي تميل إليه العامة ، فكما أن اللسان يندلع فيخرج فكذلك الولد يندلع فيخرج عن حده .

ومن المجاز في قول العامة : كسحه ، وقد نجد في اللغة معاني مختلفة لمادة كسح ، من هذه المعاني : كسح - كنع - كنس ، وكسحت الريح الأرض فشرت عنها التراب ، واكتسحوم أخذوا ما لهم كله .

وما أظن أن العامة تستعمل هذه المادة في معناها الحقيقي ، فهي قد استخرجت منها صورة مجازية قوية ، فقد تقع مغالبة بين رجلين فيغلب أحدهما فيقولون في الذي غلب أنه كسح خصمه كسحة قوية ، أي غلبه أو وبّخه أو أغلظ له في الكلام وما شابه ذلك ، فإذا أحيينا التوسع في المقابلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قلنا كما أن الريح تكسح الأرض أي تقشر عنها التراب فكذلك الرجل يكسح الآخر أي يجرده من قوته فكأنه يقشر عنه هذه القوة .

وإذا انتقلنا من هذا الباب الى باب آخر اهتدينا الى تركيب يجري على ألسن العامة قد يصعب علينا ادراك عمقه ، ماذا نجد في مادة المشط ، فالمشط في اللغة آلة يمشط بها وقد امتشط ، والمشاطة التي تحسن المشط وحرقتها المشاطة بالكسر ، وقد استخرجت العامة من هذه المادة معنى لطيفاً ، فإذا شغل منصب من المناصب أو وزارة من الوزارات وطمع أحد الناس في هذا المنصب أو في هذه الوزارة قالت العامة : فلان مشط ذقنه ، فهي تستعمل : مشط مشددة ، فالمشط لفظة فصيحة وكذلك الذقن ، فكما أن الانسان في وقت زينته وتحسين مظهره يمشط حتى يكون في صورة مقبولة فكذلك يهين نفسه حتى يحصل على أمر من الأمور .

وإذا استطعنا أن نجد في لغة العامة وجهاً لتحويل ألفاظها عن معناها الحقيقي الى معناها المجازي ، اذا استطعنا أن نجد وجهاً لهذه اللغة الشعرية التي تستفيض في كلامها في بعض الأحيان - فما أظن أننا في أحيان ثانية بقدر على فهم هذا الوجه ، فقد يشكل علينا ربطها بين لفظ ولفظ فلا نهتدي في

هذا الربط الى سبيل ، فيبقى المعنى مبهماً تأخذه على ظاهره ولا ندرك باطنه . من هذا النحو قول العامة : فلان خرط مشطي أي أعجيني كل الإعجاب وبلغ مني كل مبلغ ، فقد أعجيني فهمه أو عقله أو حسن تصرفه ففي اللغة نجد لـ (خرط) معاني كثيرة منها : خرط الشجر يخرطه ويخرطه انتزع الورق منه اجتذاباً ، وخرط العود قشره وسواه والصانع خراط ، وخرطته الخراطة بالكسر . وأما المشط فمعروف فهو آلة للامشاط . فما هي الصلة بين الخراط والمشط ، فاذا قلنا : فلان خرط مشطي ، فهل معنى هذا أنه انتزع الإعجاب مني كما يفعل الذي يخرط الشجر فيقتزع الورق منه ؟ وكيف كان الأمر فالصلة غامضة .

أما المشكلة في هذا الباب كله فإن لكل بلد من بلاد العرب لغة مجازية خاصة ، فقد تشيع مثلاً في دمشق ألفاظ تستعملها العامة في مخاطباتها وأحاديثها ويفهم الناس معانيها ولكن هذه الألفاظ لا تستعمل في بلد آخر مثل القاهرة أو بغداد أو غيرها من بلاد العرب ، وليس عندنا معجم يشتمل على ألفاظ العامة الفصيحة وعلى معانيها المجازية في كل عصر من العصور ولكن هذا كله لا يمنعنا عن : أن نقول : إن للعامة لغتها المجازية الخاصة .

دمشق

شفيق جبيري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ.ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٥ -

الدكتور حسني سبيع

٩٦١٣ وَرَمٌ عَظْمِيٌّ عَقَلِيٌّ أَوْ مَرْكَزِيٌّ

9613 ostéo - sarcome myélogène ou central

وأرجح وَرَمٌ عَظْمِيٌّ مَرْكَزِيٌّ (كما أقر اللفظة بجمع اللغة العربية
في القاهرة) نقيي المنشأ أو مركزي .

٤٦١٤ مِيقْطَعُ الْعَظْمِ ، قَاطِيعُ الْعَظْمِ 4614 Ostéotome

وأفضل قاطع العظم دفماً لالتباس مِيقْطَعُ بِمِيقْطَعِ ، وقد وردت في اللفظة

(١٢١٩٩) ترجمة لـ (section)

٩٦٢١ غُبَارَاتُ أُذُنِيَّةٌ ، حُصَيَّاتُ أُذُنِيَّةٌ 9621 Otoconies, Otolithes

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة حُصَيَّاتُ الْأُذُنِ وجاء في الشرح :
بلورات الكلسيوم في غشاء الأذن المحصَّى .

٩٦٢٥ سَيَّلَانُ أُذُنِيٌّ ، نَجِيحُ الْأُذُنِ 6625 Otorrhée

وأقر بجمع اللغة العربية النَّجَجُ المزمن ترجمة لـ (chronic otorrhea)
وجاء في التعريف : وهو سَيَّلَانُ الْأُذُنِ ، وسبق للجنة أن استعملت

(سَيْلَانُ بُنْيِي) ترجمة لـ (blennoragie) ، كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر سَيْلَان ترجمة للفظة المذكورة ، وأرجح نَجَّ الأذن أو نجيحها^(١) .

٩٦٢٧ حَبْلٌ مَثَانِي 9627 Ouraque

وأرجح الحبل المثنائي السري (في الجنين)

٩٦٣٠ فَتَحُ مَفْصِلٌ ، خَزَعُ مَفْصِلٍ

9630 Ouverture d'une articulation, arthrotomie

وأفضل فَتَحُ المَفْصِلِ ، شَقُّ المَفْصِلِ

٩٦٣١ فُرْجَةٌ عَدَدِيَّةٌ (في عَدَسِيَّةٍ جُرْمِيَّةٍ) 9631 Ouverture numérique

أو ثُقُبٌ عَدَدِيٌّ (في عَدَسَةٍ سَيْئِيَّةٍ) (d' un objectif)

كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٦٣٢ مِفْتَاحُ الفَمِ ، مُبَعَّدُ الفَكَيْنِ 9632 Ouvrir - bouche

وأفضل فَتَّاحَةُ الفمِ ومُبَعِّدَةُ الفكَيْنِ .

٩٦٣٣ فَتَحَ بِالْقَصِّ ، قَصَّ 9633 Ouvrir au ciseau

وأفضل شَقَّ بِالْقَصِّ

٩٦٤٢ تَكْوَنُ البَيْضَةُ ، تَبْيِضُ 9642 Ovogénèse

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ثُشُوءَ البَيْضَةِ

(١) خَلَايَا جُرْمِيَّةٌ (1) cellules folliculaires

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خَلَايَا حَوَيْصِيَّةً

(١) في لسان العرب : نَجَّتْ القَرْحَةُ تَنْجُ بالكسر نَجْيًا ونجيًا

رشحت وقيل : سالت بما فيها ، وكذلك الأذن إذا سال منها الدم والقيح .

- (٢) حَبَل قُلُوغِرْ (2) cordon de Pflüger
 وأنايب بَقُلُوغِر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
 (٥) خَلايا البَيُوض (5) ovocytes
 وأرجح خلايا البَيَض (باعتباره اسم جمع)
 (٦) مُنَشِآت البَيضة ، خلايا منشأ البَيُوض (6) ovogénies
 وقع خطأ مطبعي في اللفظة الفيرنسية وصوابها (ovogonies)
 وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة مفردتها (ovogonium)
 بسَلَف خَلِيَّة البَيضة ، فتصبح أسلاف خلايا البَيَض بصيغة الجمع .
 ٩٦٤٤ بَيَض Ovulation 9644
 وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة إباضة ، وهي اللفظة الشائعة . وجاء
 في التعريف : تفجر حُويصلة « جراف » وخروج البيضة منها إلى
 بوق « فالوب »
 ٩٦٤٥ بُيَيْضة (صيدة) 9645 Ovule (pharm.)
 والأفضل التحميلة المهبلية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
 الأصلي (٢) وسبق للجنة أن استعملت اللفظة ذاتها للبيضة الصغيرة
 (اللفظة ٩٦٤٢ ، ٧)
 ٩٦٤٨ بيلة حُمَاضِيَّة (نَحَوْمُض البول) 9648 Oxalurie
 وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة البول الأصيلي ، وأفضل البيلة
 الحُمَاضية بدون تحومض البول .
 ٩٦٥٠ تَفْتَحْمُن الدم 9650 Oxycarbonémie

(١) (Pflüger's tubes)

(٢) (vaginal suppository)

احتواء الدم على أكسيد الكربون ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١) .

٩٦٥٩ مُداواة بالأوكسجين ، إسكتناج 9659 Oxygène -thérapie
وأفضل المداواة أو المماثلة بالأوكسجين .

٩٦٦٠ خَلْسَل ، سِكنَجِين 9660 Oxymel
وأفضل سِكنَجِين

٩٦٦١ خَلْسَل ، عُنْصَلِي 9661 Oxymel scillitique
سِكنَجِين عُنْصَلِي

٩٦٦٢ داء الدود ، داء دَقِيقَة الذَّيْل 9662 Oxyurase , oxyurose

٩٦٦٣ دَقِيقَة الذَّيْل (حُرْقُص) 9663 Oxyure

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة ، الأكسورية في اللفظة الأولى
وجاء في الشرح : وهو مرض توجد فيه ديدان الأنثروبيس (كذا) في
الأمعاء ، وأرجع داء الحرقص في اللفظة الأولى والحرقص في الثانية .

٩٦٦٤ خَشَمٌ مُزْمِنٌ ، خَشَمٌ مُنْتِنٌ 9664 Ozène , punaisie ,
إلتهاب أنفٍ ضموري ، إلهاب rhinite atrophique , rhinite
أنفٍ مزمن مُنْتِن chronic fétide

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة بَخَرِ الأنف ، وجاء في
الشرح : ويتج عن إلهاب الأنف المزمن الضموري وغيره (٢) وسبق
للجنة أن ترجمت (anosmie) بِخَشَم (اللفظة ٨١٨) .

(١) (presence of carbon monoxide in the blood)

(٢) في لسان العرب : الْبَخَرُ الرائحة المتغيرة من القم . قال أبو حنيفة
البحر النتن يكون في القم وغيره ، بَخِيرٌ بَخَرًا ، وهو أبحر وهي بَخْرَاء .
في لسان العرب : والخنثم داء يأخذ في جوف الأنف فتغير رائحته =

P

٩٦٦٧ التهاب السحايا الجسني 6667 Pachyméningite

والصحيح التهاب السحايا الشخينة أو التهاب الأم الجافية ، لأن
الالتهاب يصيب هذه السحايا دون السحايا الرقيقة (١) :

٩٦٦٨ مُحَرَّشَفَات (أدوية) 9668 Paillettes (médicaments en)

وأرجع حَرَشَفَانِيَّات (أدوية على هيئة) أي تشبه الحراشف
من حيث شكلها أو هيئتها

٩٦٧١ خُبْزٌ صحيح (تام) 9671 Pain complet

وأفضل خبز كامل

٩٦٧٢ خُبْزٌ مُبَيَّل 9672 pain d' épice

وأرجع قُرْنِيَّة مُتَوَبِّلَة أو كَعْكٌ مُتَوَبِّل ، لأن من معاني
لفظة (pain) الفُرْنِيَّة (gâteau) أو الكعك كما جاء في
معجم لاروس

٩٦٧٣ خُبْزٌ الجُنُود 9673 pain de munition

= والخشام داء يأخذ فيه وسادة ، وصاحبه يخشوم ورجل أخشم وبين الخشم ، إلى
إن قال والأخشم الذي لا يجد ربيع طيب ولا نتن .

وقد اقترحت على مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين
(١٩٧٤) تخصيص لفظة الخشم ترجمة لـ (ozena) والخشام لـ (anosmia)
وقد أقر اقتراحي ، لذا تصبح ترجمة اللفظة الأولى خشم أو بخر الأنف والتهاب
الأنف الضموري والتهاب الأنف المزمن التشن .

(١) معجم سديان في شرح لفظة (pachymeningitis) ، وقد أقر
مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (pachymeninges) بالسحايا الشخينة وهي

وأرجح خبز الذَّخْر (١) ولعله هو المقصود من اللفظة التي تعني الذخيرة .

٩٦٧٤ خُبْزٌ نِظَامِي 9674 pain normal

وأفضل خبز إعتيادي

٩٦٧٥ خُبْزُ الْجَوْدَر 9675 pain de seigle

والصحيح خبز السُّلْف أو الشَّيْلَم (٢)

٩٦٨٠ مُلَطِّفٌ ، مُخَفِّفٌ 9680 Palliatif , ivc

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة مُلَطِّفٌ ، وجاء في التعريف : ما يخفف المرض ولا يشفيه .

هذا وقد سبق للجنة أن ترجمت لفظة (mitigé , ée) بِمُلَطِّفٍ ، مُخَفِّفٍ ، مُسَكِّنٍ أيضاً (اللفظة ٨٥٥١)

٩٦٨٠ شاحِي (ذو علاقة باللُّوَلِيَّات الشَّاحِيَّة) 9680 Pallidale , ale

والصحيح شاحي أو كامدي نسبة إلى الكرة الشاحبة أو الكامدة (globus pallidus) كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (٣)

٩٦٨٢ كَفِّي 9682 Palmé , ée

إن لفظة كَفِّي أو راحِي ترجمة للفظ (palmaire) كما جاء

= الأم الجافية (dura mater) ، وجاء في التعريف: وهي الأم الجافية المغلفة للدماغ والحبل الشوكي من خارج . وسبقت لي ملاحظة على هذه اللفظة (الصفحة ١١٥ من المجلد السادس من هذه المجلة فلتصحح) .

(١) في أساس البلاغة : ذَخَرَ الشيء وأذَخَرَهُ خَبَأَهُ لوقت حاجته .

(٢) الصفحة ٥٨٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (auf den Globus pallidus bezüglich)

في اللفظة السابقة (اللفظة ٩٦٨١) وما يقصد من لفظة (palmé)
هنا هو النعت لما هو على هيئة الجُنْدَة بين الأصابع شأن ما يكون
في كفيّات القدم من طير الماء كالأوز والبط ، ويقابلها بالانكليزية لفظة
(webbed)

والصحيح في ترجمة اللفظة ذات وتيرة أو وتيرة (١) أو مكفّقة (٢)

٩٦٨٥ جَسْ ، لَمَسَ 9685 Palpation , toucher

والمس في اللفظة الثانية أيضاً ، شأن ما جاء في (toucher rectal)
بالمس الشرجي (اللفظة ١٣٥٠٤)

٩٦٨٨ لامِسة 9688 Palpe

وأرجح مِلَمَسَ

٩٦٩٤ بُرْدَانِي 9694 Paludéen , éenne , paludique , palustre
malarien , enne , maremmatique

ومتنقي أو مُسْتَنَقِي (٣) ومالارياوي ومارعاوي (١) . إذ اللفظة

(١) في لسان العرب وَتَرَة اليد وَتِيرَتها ما بين الأصابع ، وقال الأحياني
ما بين كل أصبعين وَتيرة فلم يخص اليد دون الرجل ، والوترة والوتيرة جُنْدَة بين
السبابة والإبهام .

(٢) في أساس البلاغة : وثوب مكفّف له كفاف دياج يُكف بها جبيه
وأطراف كميّه .

(٣) في لسان العرب : تقع الماء في المسيل ونحوه يَنْقَع نُقوعاً واستنقع
اجتمع واستنقع الماء في الغدير ، أي اجتمع وثبت ، ويقال استنقع الماء إذا اجتمع
في نهي وغيره وكذلك نَقَعَ يَنْقَع نُقوعاً ، ويقال : طال إقاع الماء واستنقاعه
حتى يحفر ، والمتنقع بالفتح الموضع الذي يستنقع فيه الماء والجمع مناقع .

(٤) نسبة إلى Maremma أو Maremma في إيطاليا وتطلق على البقعة
المنقعة الفاسدة الهواء .

الأولى ليست مخصصة للدلالة على البرداء إلا إذا تقدمتها لفظة حمى (fièvre paludéenne) وكذلك الثانية والثالثة ، كما جاء في معجم لاروس ، وكما تشير إليه الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي أيضاً (١)

٩٦٩٥ بُردائيات 9695 Paludide

وأرجع جلاد بُردائي أو جلاد بُردائي ، لأن ما تدل عليه اللفظة هو الطّفَح أو الإندفاع الجِلدي المتأني عن إصابة العليل بالبرداء ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (٢) وليس للفظـة البُردائيات المجردة أن تشير الى ذلك .

٩٦٩٦ بُرداء ، حمى بُردائية ، حمى 9696 Paludisme, impaludisme

أرضية ، حمى مقطّعة ، paludose , fièvre

حمى الكينا ، حمى مرزغية ، paludique , paludéene,

سقم بُردائي (ملاريا) , palustre , limnémique ,

maremmatique , tellurique , intermittente , à quinquina

intoxication palustre , malaria

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة الأجمية والملاريا ، فلفظة ملاريا شائعة ومستساغة ، والبرداء عربية أصيلة (٣) والأجمية نسبة الى الأجمة (٤) يبدو لي أنها لا تدل على المعنى المقصود ، إذ ليست

(١) (marshy) ..

(٢) (durch Malaria bedingter Hautausschlag)

(٣) في تاج العروس : والبرداء كثر ماء الحمى بالقرية .

(٤) في لسان العرب : والأجمة الشجر الكبير المتلف والجمع آجم

وأجم وأجم وآجام وإجام :

الأجعة على ما أعلم موضع استيطان البعوض الناقل للوباء، والمعروف بالأنوفل (البرغش أو البعوض الخبيث كما دعت اللجنة، والأجعية كما دعاه بجمع اللغة العربية في القاهرة) (١) يرقاناته تعيش في المناقع. وأرى أن تكون الترجمة كما يلي : البرداء للفظين الأولى والثانية، وداء المناقع أو المستنقعات الثالثة، وحمى المناقع أو المستنقات للرابطة والخامسة والسادسة ثم حمى البركة (٢) والحمى المارياوية (٣) والأرضية والمتقطعة وحمى الكينا (أو خشب الكينا) ، والسقم البردائي أو الإنهام البردائي والمالاريا.

٩٦٩٧ مُعالِجة بالبرداء 9697 Paludothérapie , impaludation
thérapeutique , malaritique

والإحمام (٤) البردائي أو الملحي والمعالجة بالمالاريا

٩٦٩٨ كرمي الشكل 9698 Pampiniforme

والصحيح حالية الشكل أو محالقية الشكل ، لأن اللفظة هي صفة لضفيرة وريدية (٥) تبدو الأغصان المكونة لها على هيئة غصون

(١) الصفحة ٧٠ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب : والبركة كالحوض والجمع البرك يقال سميت بذلك لإقامة الماء فيها ، ابن سيده والبركة مستنقع الماء .

(٣) انظر الشرح في هامش اللفظة ٩٦٩٢

(٤) في تاج العروس : وحمى الرجل بالضم أصابته الحمى وأحمد الله تعالى

فهو محموم .

(٥) وهي الضفيرة المكونة من غصون الأوردة الميضية (في النساء) والأوردة المتوية (في الرجال) ، انظر لفظة (pampiniforme) في معجم لاروس الكبير الموسوعي (Grand Larousse Encyclopédique)

الكرامة^(١) هذا وسبق أن ترجمت اللجنة لفظة (tête de fermur)
بالكرامة ورأس عظم الفخذ (اللفظة ١٣٣٠٨).

٩٧٠٠ دواء عام (دواء لكل داء) 9700 Panacée

ودواء شامل أيضاً

٩٧٠٢ التهاب مفصلي عام 9702 Panarthrite

وأرجع التهاب المفصل العام والتهاب المفاصل الشامل ، لأن لفظة
معنيين: الواحد إصابة جميع أجزاء المفصل الواحد والثانية الإلتهاب الشامل
لعدة مفاصل^(٢)

٩٧٠٣ التهاب القلب العام 9793 Pancardite

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة التهاب القلب الشامل ، وجاء في
الشرح: التهاب يصيب جميع طبقات القلب ، ويشمل التهاب التأمور
وعضلة القلب والصمامات ، ويحدث عادة في الأطفال المصابين بالحمى
الروماتية الحادة

٩٧٠٤ مُعْتَكِلَة ، بَنَقِيرَاس 9704 Pancréas

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة : البَنَقِيرَاس أو المِعْقَد - لوزة
المعدة - الحُلُوة . وأرجع الاختصار على بَنَقِيرَاس وحدها .

٩٧٠٥ مُعْتَكِلَة رِدْف أو لاحِقة 9705 pancréas accessoire

٩٧٠٦ التهاب المُعْتَكِلَة الحاد النزفي 9706 Pancréatite aiguë
hémorragique

(١) في لسان العرب والمخاليق من الكرم والتَّشْرِي ونحوه ما التوى منه وتعلق
بالقُضبان ، والمخاليق والمخاليق ما تعلق بالقُضبان من تعاريش الكرم .
(٢) لفظة (panarthrititis) في معجم ستديمان الطبي (Stedman's
Medical Dictionary)

٩٧٠٧ التهاب المُعْشَكَلِيَّة المزمن 9707 pancréatite chronique

وأفضل بِنْتَقِرَاس إضافية في الأولى والتهاب البِنْتَقِرَاس الحاد في
اثنائية والتهاب البنقراس المزمن في الثالثة

٩٧٠٨ جائحة طامَّة 9708 Pandémie

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة وباء جارف (١) ترجمة لـ
(pandemic disease)

٩٧١٠ سَلَّة غِرَاف ، جُونة غِرَاف 9710 Panier de Graefe

وجاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (coin catcher لاقطة
النقود) ولم أهتم إلى ما تسببه اللفظة في نصيها الفرنسي والإنكليزي
بعد مراجعتي كل ما توصلت إليه من معاجم ، ولا سيما دلالتها الطبية
عسى أن يكون بين القراء من يهدينني إلى المعنى المقصود .
هذا ولفظة جُونة لا أراها مرادفة للسَلَّة (٢)

٩٧١١ سَلَّة لِأَنَابِيْب الإختبار 9711 panier pour tubes à essai

وجاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي سَلَّة من السِّلَك
أو الأسلاك (٣) وهو الأرجح .

(١) في تاج المروس : والجارف الموت العام يجتري مال القوم ، والجارف
الطاعون ، وقال الليث الطاعون الجارف الذي نزل بأهل العراق ذريعاً جرف الناس
كجترف السيل . الوباء الطاعون أو كل مرض عام .

(٢) في لسان العرب : والجُونة سُلَيْبَة مستديرة مغشاة أدها تكون مع
المطارين والجمع جُون .

(٣) basket (of wire)

٩٧١٢ خَبَزٌ، إَخْتَبَازٌ، خَبَازٌ 9712 panification

وأفضل الإختباز^(١) لأن ما تعنيه اللفظة هو جمل الدقيق خبزاً، كما جاء في معجم لاروس

٩٧١٣ إلتهاب اللُّحْمَة 9713 panniculite

وأقر بمجمع اللغة العربية في القاهرة لفظة اللُّحْمَة ترجمة لـ (parenchyma) وجاء في التعريف : مصطلح يطلق على الخلايا الأصاية لأي عضو ، بينما تطلق لفظة (pannuculis) على أي طبقة من طبقات النُّسُج ، وتطلق لفظة (pannuculite) على التهاب النسيج الخلوي تحت جلد البطن^(٢) (pannuculis adiposa). وجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي التهاب النسيج الليفي تحت الجلد^(٣) .

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (panniculis) بالنَّسِيجَة ، إذ جاء في ترجمة لفظة (p . carnosus) النَّسِيجَة اللَّحْمِيَّة وعرفها بأنها طبقة رقيقة من النسيج العَضَوِي تحت اللفافة السطحية أو بجانبها كالسطوحة المنقية .

(١) في لسان العرب : والخَبَزُ بالفتح المصدر ، خَبَزَهُ يُخَبِزُهُ خَبْزاً واختَبَزَهُ عمله، والخَبَاز الذي مهنته ذلك وحرفته الخبازة، والإختباز إتخاذ الخبز حكاة مبيوه التهذيب ، إختبز فلان إذا عالج دقيقاً بمعنه ثم خبزه .

(٢) لفظتا (panniculis) و (panniculitis) في معجم ستديمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(٣) (subcutaneous fibrositis)

- ٩٧١٤ التهاب اللُّحْمَةُ الحُمِّيُّ المُجْرِي 9714 panaculite fébrile
الناكس غير nodulaire récidivante non suppurée ,
المُنْقَبِيع ، داء maladie de Weber - Christian
وَبَر - كْرِيسْتِيَان
وأرجح التهاب التَّسْبِيعِ الخلوي المحتوي العقدي اللامُنْقَبِيع ،
داء وبَر كْرِيسْتِيَان .
- ٩٧١٥ سَبَل، التهاب القرنيَّة الوعائي- 9715 Pannus , kératite vasculo-
nébuleuse ou vasculaire
وأفضل في اللفظة الثانية التهاب القرنيَّة السَّدِيمِي (وقد أهملته اللجنة)
الوعائي ، أو الوعائي
- ٩٧١٦ التهابُ العينِ الشَّامِلِ ، التهاب 9716 Panophtalmie , panoph-
الطبقاتِ المُسْتَبْطِنَةِ للعينِ talmite
وأقر جمع اللفظة المريه في القاهرة التهاب المُقْسَةِ الشَّامِلِ ، وجاء في
التعريف: التهاب حاد حديدي يعمُّ المُقْلَةَ
- ٩٧١٧ مَرْنِيٌّ بِجَلَاءِ 9717 Panoptique
وظاهر بجلاء (في التلوين) ، لأن المقصود من هذا المصطلح ظهور الألوان
المختلفة في الملوَّئات كما جاء في معجم ستديمان الطبي^(١)
- ٩٧١٩ تضميد بغيرِ مادات من الآسقات 6719 Pansement par des bandes
الدائقة d' emplâtre adhésif

(١) (panoptic) و (stain) في معجم ستديمان الطبي (Stedman's
(Medical Dictionary

وأرجح تَضْمِيدُ أو ضَمَادٍ يَرُبُّطُ أو رِبَاطَاتٍ جَيْثِيَّةٍ لاصِقَةٍ. وكذلك
المَصْبُوبُ بِضَمَادَةٍ جَيْثِيَّةٍ لاصِقَةٍ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (١)

٩٧٢٠ تَضْمِيدُ مُثَقَّبٌ ، مُنَوَّقَدٌ 9720 pansement fenestré

وأرجح ضِمَادَةٌ مُثَقَّبَةٌ أو مَنَقُوبَةٌ

٩٧٢٥ ضَمَدٌ 9725 panser

وَعَصَبٌ أَيْضاً

٩٧٢٨ البابافرين (كلورمات) (chlorhydrate) 9728 papavérine

وأجیح البابافرين (كلوريدات) والحشخاشين (كلوريدات) وقد أقر
بجمع اللغة العربية في القاهرة اللفظة الأخيرة وجاء في الشرح : عَقَّارُ
مُضَادٌ لِلتَّشَنُّجِ مستخرج من الحشخاش

٩٧٣١ وَرَقٌ كُرْ كُمِي 9731 papier à curcuma

ورق هُرْدِي كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي

٩٧٣٤ وَرَقٌ نَيْتْرِي ، وَرَقٌ مُضَادٌ 9734 papier nitré . papier anti -
الرَّبو asthmatique

وأفضل وَرَقٌ نَظْرُونِي أو نَيْتْرَانِي ، أو ورق نَيْتْرَاتِ البوتاسيوم وورق الرَّبُو
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

٩٧٣٦ وَرَقٌ كَاشِفٌ 9736 papier réactif

ورق إختبار كما جاء في الترجمة الإنكليزية ، وورقة الكَشَفِ كما جاء في

(١) (strapping adhesive plaster dressing)

(٢) (nitre — paper , salpeter , potassium nitrate ,)
(asthma paper

الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي ^(١) وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إذ شرح لفظ (test) بما يلي : الإختبار ، الإسم الدال على العملية التي تجرى على المادة للتحقيق من ذاتيتها أو لإثبات وجود شوائب بها أو للتحقق من مطابقتها للمواصفات الخاصة ، وقد تكون العمليات المستخدمة طبيعية أو كيميائية .

٩٧٣٧ ورق مُخَرَّدَل ، ورق خَرَّدَل papier sinapisé papier moutarde , sinapisme en feuilles

ولصقة خَرَّدَلِيَّة صفائحية أو على هيئة الصفائح (وقد أعملتها اللجنة)

٩٧٣٨ ورق يُعَبِّد الشَّمْس ، ورق مُعَبِّشَم papier tournesol ورق يُعَبِّد الشمس أو طُرْنشولي المُرَبَّة قديماً كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي

٩٧٣٩ حَلِيْمِي Papillaire

٩٧٤٠ حَلِيْمَة Papille

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحلمي في اللفظة الأولى والحلمة في الثانية ، كما أنه أقر الثبيرة (ج. الثبرات) في مصطلحات علوم الأحياء

٩٧٤١ حَلِيْمَة كَأْسِيَة papille calciforme

وأرجح حلمة كأسية الشكل أو على هيئة الكأس

٩٧٤٢ حَلِيْمَة خَيْطِيَّة papille filiforme

حلمة خيطية الشكل أو على هيئة الخيط

٩٧٤٦ حَلِيْمَة المَصَب البَصْرِي ، قُرْص papille optique , disque

بصري optique

وأفضل الحلمة البصرية ، أو حلمة البصر وقُرْص البصر أو قُرْص بصري

(١) (test - paper في الإنكليزية و charta exploratoria في الألمانية)

- ٩٧٤٧ إلتهاب الحُلَيْمَة 9747 Papillite
وأرجح إلتهاب الحُلَيْمَة البصرية كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم
الأصلي^(١) وكذلك في معجم ستديمان الطبي^(٢)
- ٩٧٤٨ وَرَمٌ حُلَيْمِي 9748 Papillome
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة وَرَمٌ حُلَيْمِي
- ٩٧٤٩ حَطَاطَة 9749 Papule
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة الحَطَاطَة والجمع حَطَاط بين مصطلحات
علم الأمراض ومتفرقاتها ، وحُلَيْمَة بين مصطلحات عِلْمِ الرَّمَد .
وأرجح الحَطَاطَة وحدها .
- ٩٧٥١ حَطَاطَة أَدَمِيَّة خَزَرِيَّة 9751 papule dermique œdéma
حَطَاطَة قَرَاصِيَّة ، لَوْحَة teuse, papule ortiée, plaque
شَرِي ، أَكْرَة خَزَرَب urticarienne bouffiole
pomphus . boule d'œdème
وأرجح حَطَاطَة أَدَمِيَّة وَذَمِيَّة أو أَدَمَاوِيَّة^(٣) ، حَطَاطَة قُرْأَصِيَّة أو
أَنْجُرِيَّة ، لَوْحَة شَرَوِيَّة ، اِتْقَاخ (للفظه bouffiole وقد أهملتها
اللجنة) وَنَقْطَة (لفظه عامية تقابل pomphus والصحيح pomphos
كما جاء في معجم كيبه)^(٤) كَرُوءَة وَذَمَة .
- ٩٧٥٤ بَرَدِي 9754 Papyracé , éc
وأرجح شبيه بالبرق أو بالورق شأن ما جاء في تفسير اللفظة في =

(١) (Entzündung des Sehnerventrits)

(٢) لفظه (papillitis) في (Stedman's Medical Dictionary)

(٣) إن لفظه وَذَمَة درج استعمالها في سورية من بدء التدريس باللغة العربية
في كلية الطب في دمشق وأودعا لفظه أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريباً
للفظة (œdème) .

تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ

الأستاذ محمد بهجة الأثري

- ١ -

هذه اللغات البشرية جماء ، لا ريب عندي في أنها ، في أصلها ، إلهام وتوقيف ، وليست مواضعة واصطلاحاً .. وقت لأجناس البشر بالحكمة ، وغرست في جبلتهم غرساً ، ونمت معهم في عهود التاريخ المتعاقبة ؛ ثم استحدثوا إبان استبحارهم في التمدن والعمران ، المواضعة والاصطلاح ، وخرجوا الى التصنيع والتفريع . ومضت كل أمة ، على تراخي الزمن وانبساطه ، في الاتساع بلفتها على وفق طبيعتها وما تدعو حاجتها اليه من شيء ، فاشتقت لفظاً من لفظ ، وفرعت الفروع من الأصول ، من غير أن تخرج عليها أو تبعد عن جذورها ، جارية في ذلك على إلهام الفطرة ، ووحى الشعور العنصري المستكن في غرائز الشعوب والأمم . ومن شأن ذلك استنباط الأصول ، والوقوف عندها ، ومراعاتها مراعاة دقيقة ، والتجافي عن الدخيل ما استطاعت الى ذلك سبيلاً في كل ما يراد الاتساع فيه من شيء .

وعلى حجم مادة اللغة ، وطبيعتها في التصرف والمرونة ، يكون حجم قواعدها وضوابطها التي تستنبط منها بالاستقراء والملاحظة والتحديد ، كما يشهد لهذا (نحو) هذه اللغات في اتساعه وتبحره في لغة ، وضيقه وتبحره في لغة أخرى .

وما لا ريب فيه أن اللغة العربية - في حدود ما أعلمه - هي أوسع

اللغات التي تتكلم بها أجناس البشر على الإطلاق.. غزرت مادتها غزارةً تفوق الوصف، وتنوعت أوزانها في الأسماء والأفعال، وتمددت فيها صور الاشتقاق وصيغه، فلا جرم أن يكون (نحوها) أوسع (نحو) عرفته اللغات.

ولقد بلغ صنع النحو العربي مداه في أقصر مدة تتاح لمثله ولمثل اللغة العظيمة التي استنبط منها، وصيغ صياغته الدقيقة على غير مثال سابق، بفضل المباشرة المألقة من علماء العربية الأوائل الذين نبغوا إبان الانبعاث العربي الإسلامي إلى جانب من نبغ من أعظم قادة الفتح وساسته، فتجاروا جميعاً في إقامة صرح الدولة المالية الجديدة... هؤلاء نشروا الدعوة إلى الله، وأسسوا الملك العظيم؛ وأولئك أقبلوا على لغة الدعوة والدولة يدونونها، ويضعون معجمها، ويستنبطون نحوها، ويتكرون علومها وآدابها وفنونها، فلم تكد تقتصف المائة الثانية حتى بلغوا الذروة في كل ما أتكلوه من ذلك.. ومنه هذا (النحو)، الذي استنبطته قرائحهم بالاستقراء والملاحظة، وظهر في صورته الفخمة الرائعة في (كتاب) أبي بشر سيويه مولى الخارث بن كعب، وقد انصب فيه جهد علماء العربية في مدة قرن، منذ رسمت أوليته التي حصرت أجناس الكلم الثلاث - الاسم والفعل والحرف - إلى أن انتهى به مؤسسه الحقيقي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، إلى الذروة، ومنه في الأغلب استمد تلميذه سيويه مادة كتابه العظيم، الذي شهد أهل العلم أنه أكمل كتاب في بابه، وقد يكون كما قال أبو العباس البرد الكاتب الذي لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثله. وإنه كذلك حقاً.. تجلت فيه عبقرية هذه اللغة العربية تجلي عبقرية أهلها ومستنبطي قواعدها وضوابطها في الاستقراء والملاحظة والتأصيل والتفريع.

على أن هذا النحو العربي، على ما بلغه من اقوة والروعة في هذا

الكتاب العظيم ، لم يستغن إطلاقاً عن المتابعة والتعقب .. لاتساع اللغة العربية ، وغزارة مادتها ، فظل العقل العربي يعمل في تحديد مقاصده ، وتبيين حدوده ، حتى جاء زمان تقاصر فيه جهد الخلف عن جهد السلف في كل شأن من شؤون الحياة ، وغلب التقليد على الاجتهاد والإبداع ، فوقف (النحو) ، في جملة ما وقف من الأشياء ، عندما انتهى إليه ، إن لم نقل : تراجع عن عهده ، واقتصر الجهد فيه على ترديد عبارات الأوائل وشرحها ، وعلى بماحكات لفظية لا طائل تحتها في الغالب ولا جديد . وقد توهم ناس ، هالهم ما تكدر من كتبه ، أن هذا النحو قد نضج فاحترق ، فلا سبيل لأحد إلى أن يجتهد فيه ، أو يحرر شيئاً منه ، أو يأتي فيه بنظر جديد .

ومن الواضح أن هذه النظرة إلى النحو العربي إن دلت على الاستفراق في إكبار جهد النحاة السالفين ، فإنما تدل أيضاً على جمود الفكر ، وعلى الجهل بالنحو وبطبائع الأشياء ، فما عرف من سنن الله في الأشياء أن يبلغ شيء ما حداً من الكمال يقف الجهد عنده . وواقع النحو العربي - على جلاله ما انتهى إلينا من كتبه - لا يمتنع على التعقب والملاحظة والتجديد ، فما تزال قوانين من قوانينه مفتقرة إلى استقراء جديد ، وأنظار جديدة مستقلة لتحريرها ، ووضعها في النصاب الصحيح .

ومرد ذلك .. لا إلى عيب في فقه صانعيه ، ولكن إلى أمر هو فوق قدرة الإنسان .. ذلك هو تعذر الإحاطة التامة الشاملة بجميع لغات القبائل ولهجاتها ، على عظم ما تلقفوه منها من الأفواه ، فدونوه ، وبنوا عليه هذا النحو . يشهد لما أقول ما أثر عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي من قوله : « لا يحيط باللغة إلا نبي » أو كما قال ، وما حدث به يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء من أن « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير » .

ومن ضياع هذه الكثرة الكثيرة من اللغة ، كان منشأ الاضطراب في أقوال النحاة ، ثم اضطراعهم وتعدد مذاهبهم ، وكان من ذلك أن عزلوا طوائف من الألفاظ عن القواعد العامة ، وعدوها كفرائب الإبل لا تنضوي إلى سرب ، ودونوها على أنها شواذ على غير قياس ، مفارقات لما عليه غيرها في الحكم ، وتناقضها خالف عن سالف ، وقلما حاولوا بحثها وضمها إلى جماعتها . وما بحثوه منها اضطربوا فيه اضطراباً شديداً ، وذهبوا فيه طرائق قديداً ، ولم يلتقوا عند رأي بيته ينفي عنها صفة الشذوذ ، ويضفي عليها صفة القواعد الجامعة المانعة .

ولا ريب في أن بحث هذه «الظاهرة» ، ظاهرة الشذوذ المنتشرة في كتب النحاة ودواوين اللغويين ، مطلب صعب وعسير جداً ، يدعو تذليله إلى جهد شاق وصبر عظيم ، ولا بد من احتمال ذلك فيما يجب أن يستأنف من درس النحو العربي وبحثه مجدداً ، لئلا ما تشمت من أقوال النحاة فيه وتصحيحها وتبيين حدوده على نحو أدق وأعمق مما هي عليه .

وأهم ما استرعى نظري في كتب النحاة واللغويين من دعاوى الشذوذ، هذه المزاعم التي تلصق بالمشتقات .

- ٢ -

إذا جاز الشذوذ والاستثناء في بعض الحالات ، وقيل عند انبهام معالم السبل إلى معرفة الأسباب ، فليس طبيعياً ولا معقولاً أن يكون شيء منه في هذه المشتقات ، إلا أن تكون هنالك علة مستكنة خافية ، وهي ما يجب أن تبحث وتزاح . ذلك أن الاشتقاق قياس مطرد في النظام اللغوي ، لا يتصور تخلف فرد من أفراد عنه ، ولا بد له أن يتسق ويجري في مجراه إلى غايته ، لا يتقطع عن نظامه ، ولا يتحول عن النظام .

يشهد لهذا قانونه النفسي عند العرب ، كما تشهد له ضوابطه الوضعية المستنبطة من هذا القانون ، وهو شيء كان متوارثاً عندهم سليقة وتَجَرُّراً ، لا يَخْلُون به ، ويتناكرون ما يخل به كما يتناكرون زيغ الإعراب .

حدث عبد الملك بن قُرَيْب الأَصْمعي ، قال : « سمعت أبا عمر الجرمي يقول : ارتبت بفصاحة أعرابي ، فأردت امتحانه ، فقلت بيتاً ، ولقيه عليه ، وهو :

كم رأينا من (مُسْحَبٍ) مُسْلِحٍ صَادَ لِحْمِ النُّسُورِ وَالْمِيقَاتِ
فَأفكر فيه ، ثم قال : « رُدْ علي ذكر (المسحوب) » . حتى قالها مرات ، فلمت أن فصاحته بأفية .

ويعني هذا أن الاشتقاق قانون نفسي مستقر ، لا يتغير . كان العرب يحسونه بالطبع وقوة النفس ولطف الحس ، ويجرون كل نوع منه على قانونه تَسْقاً واحداً مطرداً متتابعاً ، لا ينحرفون عنه ، ولا يغيرونه .

فهذا الأعرابي ، حين سمع (المسحب) في البيت الذي صنعه أبو عمر الجرمي ليمتحن فصاحته قبل أن يأخذ اللغة منه ، قد نبه حسه إلى امتناع اشتقاق (مسح) اسم مفعول من : « سحب » الثلاثي المتعدي بدلاً من (مسحوب) الذي هو قياسه في نفسه ، فأباه طبعه ، واستعصم بالقانون الذي فطر عليه .

وهذا هو القانون الذي يحكم لغة العرب ، ولا سيما مشتقاتها ، فلا مناص من ملاحظته ، والاحتكام إليه ، فيما تدارسه من قضاياها . فما نشر عليه ، وجاء على خلافه ، لزم التوقف فيه إذا كان وارداً عن الفصحاء وكان رواه ثقات أثباتاً ، ووجب بحشه ورده إلى قانونه .

وأقصر الكلام الآن على الألفاظ التي زعموا شذوذها في بابي اسم الفاعل

قالوا : إن العرب بنّوا اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد على وزن (فاعل) ؛ ومن الفعل المزيد فيه على الثلاثي ، ومن الرباعي مجرداً ومزيداً فيه ، على وزن مضارعه المعلوم ، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخره . وبنوا اسم المفعول من الثلاثي المجرد على وزن (مفعول) ومن غيره على لفظ مضارعه المجهول ، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة . وهناك ألفاظ اشترك فيها اسم الفاعل واسم المفعول ، كمحتاج ومختار ومعتد ومحتل ؛ وتبين القرينة مدلولها ، وإنما ينشأ من الفعل المتعدي بنفسه كـمعلوم ومجهول ، أو بنيره كـموثوق به ومشفق عليه .

وساقوا في البابين ألفاظاً غير قليلة ، قالوا إن العرب أجزّوها على غير القياس ، أي أنهم جانبوا السليقة اللغوية ، وشذّوا عنها ، فجاء في كلامهم (مُفْعِل) من (فَعَلَ) ، و (مُفْعَل) من (فعله) ، و (مفعول) من (فَعَلَ) (مُفْعِل) من (فاعل) ، و (مُفْعَل) من (أفعله) ، و (مُفْعِل) اسم فاعل من (أفعَلَ) (مُفْعَل) من (أفعله) ، و (مفعول) من (أفعله) (فاعل) من (أفعله) !

واني ذاكر ما أصبته في مصنفات اللغة والنحو من هذه الألفاظ التي زعموا شذوذها؛ وراذلتها إلى القياس، بما تهديت إليه من النظر والملاحظة.

— ٦ —

١ - زعم بعض المصنفين أن العرب قد شذت ، في باب (فعل) فهو (فاعل) ، في لفظين اثنين ، فخرجت بوزنيهما من (فاعل) الى (مفعِّل) .
هذان اللفظان ، فما حكى عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة

١٠٩٣ هـ ، في (خزانة الأدب) ، هما : « عمّ فهو مُعِمّ » ، و « لمّ فهو مُلِمّ » .
قال : « عمّ الرجل بمعرفة ، ولمّ متاع بيته ، فهو مُعِمّ ومُلِمّ » ، ولم يقولوا في
هذا المعنى : عامّ ولا مّ . ولا نظير لهما .

وهذا القول ، أقدم من حكاة فيما أعلم كُرَاع النَّمْل عليّ بن الحسن
الهُنَائِي المتوفى بعد سنة ٣٠٩ هـ ، وقد رُوي كلامه في (لسان العرب)
وغيره ، ونصّه :

« قال كُرَاع : ورجل مُعِمّ يَعْمُ الناس بمروفة أي يجمعهم ،
وكذلك مُلِمّ يَلْمُهُمْ أي يجمعهم ، ولا يكاد يوجد (قَعْل) فهو
مُقْعِلٌ غيرهما . »

وما أرى كُرَاعاً إلا قد أخطأ القراءة ، وصحّف فضمّ أوّل اللفظين
وكسر ثانيهما ، وزعم مازعم ؛ ثم نقل المصنّفون في اللغة كلامه ، ولم يحقّقوه ،
إذ كان همّهم الجمع لا التمهيص والتحقيق . والصواب في هذين اللفظين :
مِعِمّ ، ومِلِمّ بكسر أولهما وفتح ثانيهما كما حكى ذلك الأزهري ، وقوله في
(لسان العرب) و (القاموس المحيط) و (تاج المروس) ، وغيرها .

جاء في (لسان العرب) « ع م م » : « والعرب تقول : رجل
مُعِمّ مُخْتَوَلٌ ، إذا كان كريم الأعمام والأخوال كثيرهم .. قال الليث :
ويقال فيه مِعِمّ مِخْتَوَلٌ ، قال الأزهري : ولم أسمعه لغير الليث ، ولكن
يقال : مِعِمّ مِلِمّ ، إذا كان يَعْمُ الناس بیره وفضله ، وَيَلْمُهُمْ أي يصلح
أمرهم ويجمعهم » .

وجاء في « ل م م » منه : ورجل مِلِمّ : يَلْمُ القوم ، أي : يجمعهم .
وتقول : هو الذي يَلْمُ أهل بيته وعشيرته ويجمعهم ، قال رؤبة : « فابسط
علينا كَنَفِي مِلِمّ » - أي : بجمع اشملنا ، أي : يَلْمُ أمرنا . ورجل مِلِمّ مِعِمّ ،
إذا كان يصلح أمور الناس ، ويعم الناس بمروفة .

أقول . و (مِفْعَل) ، هو أحد أوزان اسم المبالغة التي يعدل بها عن اسم الفاعل وتدل على معناه . ومنه : مِكْرٌ ، ومِقرٌ - في الرجل والفرس ، ومِشْعَرٌ حرب وهو من كان كثير التأريث للحرب ، ومِعمٌ ومِلمٌ هما من هذا الجنس ، وكل ذلك معدول به عن اسم الفاعل : كَرٌ ، وفارٌ ، وساعرٌ ، وعامٌ ، ولامٌ - لإرادة المبالغة .

ومن العجب أن يقال - بعد ذلك - إن العرب لم يقولوا : « عامٌ » و « لامٌ » ! كيف ، وقد جاء في الحديث : « بادروا بالأعمال سيئاً ، كذا وكذا ، وخوِصة أحدكم ، وأمر العامة » ، وأراد بالعامة القيامة ، لأنها تعم الناس بالموت ، وفي حديث آخر : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة ، بعامة » أي بقحط عام يعم جميعهم ، كما فرهما ابن الأثير في (النهاية) ، (ع م م) .

٢ - وقالوا : شذ في باب (فعلةٌ فهو مفعول) لفظ واحد ، خرجوا به إلى (مَفْعَل) ، وهو : « سرٌّ » فهو مُسَرٌّ ، أي : مسرور . وقد ورد هذا اللفظ في مثل قديم ، وهو أحد أربع روايات فيه - ذكرت في (فرائد اللآل في جمع الأمثال) ، واشتهرت منها روايتان : إحداهما : « كل مُجَرٍّ في الخلاء مُسَرٌّ » ، وهذه لا شاهد فيها ، والأخرى : « كل مُجَرٍّ في الخلاء مُسَرٌّ » ، وهي محل الشاهد ، وعلى هذه الرواية اقتصر الجاحظ في (البيان والتبيين) وصوب « مُسَرّاً » ، غير أنه لم يبين وجه الصواب فيه ، قال : « وفي المثل المضروب : كل مُجَرٍّ في الخلاء مُسَرٌّ ، ولم يقولوا : مسرور ، وكلُّ صواب » . وكذلك اقتصر أصحاب اللغة على رواية « مُسَرٌّ » في هذا المثل ، وقال ابن سيده : كما في (لسان العرب) و (تاج المروس) : « هكذا حكاه أقتار بن لقيط » ، وخرَّج « مُسَرّاً » بأنه جاء على توهم « أسرّه » ،

واستظهر بقول آخر في عكسه ، وهو هذا الرجز الغامض والمجهول قائله :
 وبلدٍ يُنْفِسي على النبوتِ . . . يُغْضي كإغضاء الروى المنبوتِ
 وقال : «أراد : «المنبوت» ، فتوهم «نَبَتَهُ» ، كما أراد الآخر «المسرور» ،
 فتوهم «أسرَّه» . . »

وهذا التخريج غير سديد ، فإن بناء لفظ على آخر متوهم ، غير معقول ولا متصور ، فلا محيصَ إذن من التماس الحق في المسألة من وجه آخر مقبول .
 والذي أراه ، وهو الحق إن شاء الله ، أن «مُسَرَّأ» فرع ، ولا يحصل فرع إلا من أصل ، وكذلك «المنبوت» ، والأول يستلزم وجود : «أسرَّه» ، بمعنى سرَّه ؛ والثاني يستلزم وجود : نَبَتَهُ بمعنى أنبته ، في كلام العرب لا محالة ، حقيقة لا توهمًا ، لكن أصحاب المأجهم الواسلة إلينا أهملوها ، وأثبتوا فرعيها ، ولذلك نظائر كثيرة فيها ، ولنا أن نستدل بالفروع على الأصول وقد انتبه لذلك أبو علي الفارسي وابن جني فجعلوا الاستهداء بالوصف على فعله أصلاً معتمداً ، وقالوا : إذا صحت الصيغة فالفعل نفسه حاصل في الكف . وهو الحق ، وبه ينتفي وصف «مُسَرَّ» و «منبوت» بالشذوذ ، ويسقط تخريج ابن سيده ، وكأنَّ الجاحظ إلى هذا قصد حين أقرَّ صحة مُسَرَّ ومسرور معاً .

٣ - وذكروا ألفاظاً كثيرة من (فَعَلَ فهو فاعل) ، قالوا إن العرب صاغوها ، وأفعالها لازمة ، على وزن (مفعول) خلافاً للقياس ، وطاروا في توجيهها ، وضربوا أخماساً بأسداس ، فلم يلتقوا عند رأي بعينه يزيج عنها صفة الشذوذ ، بل لقد زادوا الطين بلةً ، وذلك مثل «مسقوطة» و «مضعوف» و «محرور» و «مأدور» . . وغيرها كثير .. أكتفي ببعضها ، ويقاس الباقي عليها بعد أن أبين وجه الصواب فيها .

أ - وقد وردت «مسقوطة» في الحديث : «مَرَّ بِتِمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ» ،

وهو في صحيح أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري ،
وتعددت أقوال الشراح فيها ، فقال قائل : أراد « ساقطة » لأنها القياس ،
لكنه قد يحمل اللازم متعدياً بتأويل . وأراد بالتأويل تضمين « سقط »
معنى « رمى » ، أو « ألقى » . وقال ثانٍ : إنها جاءت على النسب ؛ أي :
ذات سقوط . وقال ثالث : إنه يمكن أن تكون من « أسقطه » ، مثل :
أحمه الله فهو محموم ، جاءت مخالفة للقياس . وقال رابع ، وقد تردد ولم
يقطع : إته قد يقال « سقط » جاء متعدياً ، واستدل بقوله تعالى في
« الأعراف / الآية ١٤٩ » : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ . وهذا هو الحق ،
لكنه عارضه خامس بأنه لا دليل في الآية على التمدي ، لأن الفعل مُسند
إلى الصلّة ، ويستوي في هذا اللازم والتمدي . وهكذا ظل هذا اللفظ
معلقاً من غير حل متفق عليه . والرأي الرابع ، بقطع النظر عما وجّه
إلى الفعل المسند إلى الصلّة في الآية من ملاحظة ، هو الصواب ، وإليه
يجب أن يصار ، لأن الفرع يؤذن بورود الأصل ويهدي إليه ، فلا سبيل
إلى الشك في أن « مسقوطة » فعلها ثلاثي متعدي ، فهي جارية على القياس ،
ولا عبرة بعدم ذكره في المعاجم المتداولة الآن ، لأنها لم تتضمن كل لغات
القبائل ولهجاتها .

ب - وقالوا في « مضموف » ، إنه لم يأت منه فعل متعدي ، ووجهه بمضمم
بأنه من الفعل الرباعي جاء مخالفاً للقياس ، مثل : أحمه الله فهو محموم .
وقال آخر : إن العرب ذهبوا في نحو « مضموف » ، إلى أنه مصاب بالضعف
مرمي به ، وأن هذا اللفظ فيه معنى غير مافي معنى « ضعيف » .. هكذا
قال ، وقد توجّه إلى المعنى لا إلى اللفظ وسيله في الاشتقاق من فعله .
والحق أن « مضبوطاً » مشتق من فعل ثلاثي متعدي ، تكلمت به العرب كما تكلمت

برباعيته : فهو جارٍ على القياس ، وسأزيد تفصيلاً في موضعه من الرباعي .
 ج - وقالوا في « محرور » ، وهو « من » تداخلته الحرارة ، ما قالوه في
 « مسقوطة » و « مضموف » : إنه لم يأت منه فعل متعدٍ . جاء في (لسان
 العرب) : « والحريز : المحرور الذي تداخلته حرارة القيظ وغيره ، وفعله
 لازم ، يقال : حررت تحراً .. » ، وفيه أيضاً : « حرّاً يحترّ » ، إذا سخن ،
 ماء أو غيره ، أي : كل ما تداخلته الحرارة ، لكن جاء في (تاج العروس)
 « حرّاً الماء يحترّ حرّاً : أسخنه » . فالمحرور ، على هذا ، قد جاء من هذا
 الفعل المتعدي ، فلا شذوذ فيه .

د - والمأدور ، وهو الذي انتفخت خصيته ، قد اقتضت المعاجم
 على لفظه ، وذكرته مع « الأدّر » ، بعد أوله وفتح ثانيه ، و « الأدّر » ،
 بفتح أوله وثانيه ، ولم تذكر فعله ، وإنما ذكرت فعل « الأدّر » ، و « الأدّر » ،
 فقي (لسان العرب) : « الأُدْرَة » ، بالضم : نفخة في الخصية ، يقال : رجل
 أدّر ، بين الأدّر . غيره : الأدّر ، والمأدور : الذي ينفتق صيفاه ...
 وقد أدّر يأدّر أدراً فهو أدّر ، والاسم الأُدْرَة .. ورجل أدّر ، بين الأُدْرَة
 بفتح الهمزة والدال .. والأدّر نعت . وقد ضُيِّط « أدّر » في (تاج
 العروس) بوزن « قريح » ، وقياس النعت منه « أدّر » ، لا « أدّر » ،
 ولا « أدّر » ، ولا « مأدور » . وقد جاءت هذه المادة في المعاجم مختلفة
 وقاصرة كما ترى . ومثل « المأدور » ، لا يجيء في قياس العريية إلا من الفعل
 الثلاثي المتعدي كما يؤذن به اشتقاقه ، قلنا أن تقول : أدّر الله فلاناً ، إذا
 أصابه بالأُدْرَة ، أو : أدّر فلان ، فهو مأدور . ومحال أن يجيء مفعول
 من غير الفعل الثلاثي المتعدي بنفسه ، فلا مناص إذن من الاستئناس
 بالفروع والاستدلال بها على أصولها في كل ما جاء من ألفاظ على هذه الشاكلة ؛

فذلك وحده نخلص ونخلص قاعدة مهمة من قواعد اللغة من هذا التخييط الذي وقع فيه من سبقونا ، وأوقفونا منه في أمر مَرِيح يصعد الرأس من غير طائل .

* * *

٤ - وزعموا ورود اسم الفاعل من « أفل » الرباعي على « فاعل » شذوذاً ، وذلك في ألفاظ اختلفوا في عِدَّتْها ، فقال ابن خالويه : إن ماخلف الباب من كلام العرب ، فجاء على « فاعل » ولم يحىء على « مُفْعِل » ، هو لفظة واحدة . وقال أبو عبيد في (الغريب المصنف) : « اثنتان » لانرف غيرهما ، وعزا روايته إلى عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي . وجاءت في بعض كتب اللغة لفظة ثالثة عن أبي عبيد عن الأصمعي أيضاً . وروى مثل ذلك عن الكسائي ، فإن الشاذ عن قياس الباب عنده ثلاث ألفاظ ، ليس غير . وروى الجوهري في (الصحاح) رابعةً وخامسةً ، وربما كان عنده أكثر من هذا . وهداني التبع إلى ست عشرة لفظة زعمت شواذاً ، وهي :
أ - أبقل المكان فهو بأقل . قال الأصمعي والكسائي ، وتبعها أبو عبيد وابن السكيت . يقال : بأقل الرمث ، وهو نبت . وقد أبقل ، فيقولون في النعت على « فاعل » ، وفي الفعل على « أفعل » ، كذا تكلمت به العرب .

وقد جاء عن العرب ما يرد عليهم ، فقد حكى أبو زيد في (كتاب حيلة ومحالة) : « مكان مُبْقِل » ، وقال أبو حنيفة الديلموري في (كتاب النبات) « وبَقَل المكان يقلُّ بقولاً ، إذا نبت بقله ، وأبقل يُبْقِل إبقالاً ، وهذا أكثر اللغتين وأعرفها ، وأكثر العلماء يرد : بَقَل المكان » . فقياس اسم الفاعل من بَقَل « بأقل » ، ومن أبقل « مُبْقِل » . قال عامر بن جُوَيْن الطائي ، وهو من شواهد سيويه :

فلا مَرْنَهُ وَدَقَّتْ وَدَقَّتْهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبْقَالَهَا
 وقال دُوَادُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ، وَقَدْ سَأَلَهُ أَبُوهُ : مَا عَاشَكَ بِهَدْيٍ ؟ - :
 أَعَاشَنِي بِهَدْيِكَ وَادٍ مُبْقِلٌ آكُلُ مِنْ حَتْوِ أَذْنِهِ وَأُنْسِلُ
 فَجَاءَ بِهِ عَلَى قِيَاسِهِ . وَكَذَلِكَ جَاءَ بَيْتُ رُؤَبَةَ :

يُمْلَحْنَ مِنْ كُلِّ غَمِيْسٍ مُبْقِلٍ
 وقال ابن مَرْمَّة ، من مخضرمي الدولتين : الأُمَوِيَّةُ وَالْمَبَاسِيَّةُ :
 لَرَعَتْ بِصَفَرَاءِ السَّحَالَةِ حَرَّةً لَهَا مَرْتَعٌ بَيْنَ النَّبِيطَتَيْنِ مُبْقِلٌ

ب - أَمَرُوا ، إِذَا كَثُرَ تَمَرُهُمْ ، وَهُمْ تَامِرُونَ . وَمِثْلُهُ : أَأَبْنَوْا وَهُمْ
 لَا بِنُونَ ، وَأَذْمَلُوا وَهُمْ تَاعُونَ ... حَكَاهَا ابْنُ مَنْظُورٍ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ)
 عَنِ اللَّحْيَانِيِّ عَلَى أَنَّهَا نَوَادِرٌ ، أَيُّ شَوَازٍ مُخَالِفَةٍ لِلْقِيَاسِ ، وَعَقِبَ عَلَيْهَا بِقَوْلِ
 اللَّحْيَانِيِّ : « وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا : إِذَا أَرَدْتَ أَطْعَمْتَهُمْ ، أَوْ دَوَّهْتَ
 لَهُمْ ، قُلْتَ : « فَعَلُوا » بِغَيْرِ أَلِفٍ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ ذَلِكَ قَدْ كَثُرَ عِنْدَهُمْ ،
 قُلْتَ : « أَفْعَلُوا » . وَقَدْ أَبَى ابْنُ سَيِّدَمَةَ وَأَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي وَغَيْرُهُمَا ذَلِكَ . وَخَرَجُوا
 « تَامِرًا ، وَمَجَاءَ عَلَى بَابِهِ عَلَى النَّسَبِ ، أَيُّ : ذُو تَمَرٍ ، وَذَرِ لَبَنٍ ، وَذُو نَعْلٍ ...
 وَهِيَ لَا أَفْعَالٌ لَهَا . وَمَوْذَوِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْرُونَ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنْ « أَعْلَ » عَلَى
 « مُفْعِلٍ » ، وَقَدْ جَاءَ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ) ، عَقِبَ إِبْرَادِ كَلَامِ اللَّحْيَانِيِّ : « وَرَجُلٌ
 تَامِرٌ : ذُو تَمَرٍ .. وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْلِكَ : تَمَرْتُهُمْ فَأَنَا تَامِرٌ ، أَيُّ أَطْعَمْتُهُمْ
 التَّمَرُ ، وَالتَّمَرُ : الْكَثِيرُ التَّمَرِ ، وَالتَّمَرُ : الْمَزْوَدُ تَمَرًا » . وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ
 السَّيِّدُ الَّذِي يُوَاطِّئُ مَنْطِقَ الْعَرَبِ .

ج - أَحْنَطَ الرِّمَثُ ، وَهُوَ شَجَرُ تَرْعَاءِ الْإِبِلِ ، فَهُوَ حَانِطٌ ، أَيُّ :
 أَبْيَضٌ وَادْرَكَ وَخَرَجَتْ فِيهِ ثَمَرَةٌ غَبْرَاءُ . قَالَ ابْنُ سَيِّدَمَةَ « عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ » ،
 وَقَالَ ثَمِيرٌ : يَقَالُ أَحْنَطُ فَهُوَ حَانِطٌ وَنَحْنِطُ . وَهَذَا يَمْتَنِعُ فِي
 الْكَلَامِ ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مَا يَرَدُّ عَلَيْهِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ

الدريثوري في (كتاب النبات) : « أحنط الشجر والعُشب ، وحنَط يحنُط حُنوطاً : أدرك ثمره » وقياس اسم الفاعل من أحنط مُحنِط ، ومن حنط : حانط ، لا يكون غير ذلك .

د - أشوى السَّعَف ، وهذه سَعَفَة شَاوِيَة ، أي أصفرت لليُبوس قاله الصاغاني في (شوارد اللغة) ، وذُكر مثله في (القاموس المحيط) ، وفسر شاوية يابسة . وقال الزبيدي في شرحه : « شاوية ، بتشديد الياء ، أي : يابسة ، فاعلة بمعنى مفعولة » . وحقه أن يقول : شاوية ، بتخفيف الياء ، لتمّ مطابقته لقوله « فاعلة بمعنى مفعولة » ، ولعل ذلك من سبق القلم أو تصرف النساخ ، وقد عسى أن « شاوية » مثل « راضية » في قوله تعالى « في سورة الحاقة / الآية ٢١ » : ﴿ فَبِمَا فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ ﴾ أي مَرْضِيَّةٌ ، من قولهم : رَضِيَتْ مَيشَتُهُ ، على ما لم يُسم فاعله ، في أحد قولين في تفسيرها ، وليست اسم فاعل لـ « أشوى » الرباعي اللّازم ، فإنّ قياسه « مشو » ، وهو معروف ، لاندكر المعاجم مثله عادةً ، وشاوية كراضية تقتضي لها فلاً ثلاثياً ، وقد جمجم الصاغاني والمجد والزيبيدي فلم يذكروه ، وضرب عنه ابن منظور صفحاً فأهمله في (لسان العرب) .

هـ - أعشبت الأرض فهي عاشب . قال الجوهري : « بلد عاشب ، ولا يقال في ماضيه إلا أعشَب ، وقال ابن خالويه : « ليس في كلامهم أفعل فهو فاعل ، إلا أعشبت الأرض فهي عاشب » . وكلاهما جازف وجانب الصواب فقد قالت العرب : « أعشَب فهو معشَب » ، وورد في شعرهم جاهليته وإسلاميته . قال أعشى قيس :

ماروضة من رياض الحزن مُعشِبَةٌ خيفراء جاد عليها مُسِيلٌ هَطِيلٌ
وقال النابغة الجعدي :

على جَانِبِي حَاثِرٍ مُقَرَّطٍ . بِيَرْتٍ تَبَوَّأَتْهُ مُعْشِبٌ (١)
وقد قالت العرب : « بعر عاشب » أي : يرعى العشب ، « وإبل عاشبة » .
وذلك يدلُّ على فعله الثلاثي ، وانقرع يهدي إلى الأصل لا محالة ؛ وقالوا
أيضاً : « بلد عاشب » و « روض عاشب » ، ويُخَرَّجُ هذا على النسب ، وهو
لا قبلَ له ، مثل : لابن وقامر ودارع وسائق ، أي ذو لبن وذو تمر وذو
درع وذو سيف .

و - أَعَقَّتِ الفرسُ فهي عقوق . قال ابن قتيبة : « ولا يقال : مُعِيقٌ » .
وهو من مجازاته ، ودعواه منقوضة ، فقد ورد « مُعِيقٌ » في كلام العرب
ونُصِّ عليه في الماجم الكبار مع أنه قياسي لا يذكر في المادة ، وفي (لسان
العرب) : « وَأَعَقَّتِ الفرسُ والآتان » ، فهي عقوق ومُعِيقٌ ، وذلك إذا بنت
العقيقة في بطنها على الولد الذي حملته ، وأشدُّ لرؤبة قوله :

قد عتق الأجدع بعدَ رِقٍ . بقارحٍ أو زَوَالَةٍ مُعِيقٌ .

وأقرَّ أبو عمرو العقوق والمُعِيقُ . غير أنه ادعى أن اللغة الفصيحة :
أَعَقَّتْ فهي عقوق ، ولم يذكر وجه الفصاحة في العقوق دون المُعِيقِ ،
وكلتاها من مازة واحدة ، ومعناها واحد ، والثمانية على القياس لم تشذ عنه !

ز - أغضى الليل فهو غاضٍ . جاء في (تاج العروس) : « أغضى
الليل فهو غاضٍ على غير قياس ، ومُغَضٍ على القياس ، إلا أنها قليلة ، قاله
الجوهرى وصاحب (المصباح) . . كغضا يغضو . . يقال غضا الليل [أي
أظلم] ، وقد وُجِدَ هذا أيضاً في بعض نسخ (الصحاح) ، ولكن الذي
ينحط الجوهري : أغضى ، وغضا إصلاحٌ بعد ذلك .

وأقول : إن وجود « غضا » إلى جانب « أغضى » في كلام العرب

(١) الحائر : ما أمسك الماء . المفرط : المملوء . البرث : الأرض السهلة
اللينة . تبوأته : أقمن به .

يقضي بالحق « غاضِر » بـ « غضا » ، و « مُغَضِر » بـ « أغضى » ، ويدفع دعوى مجيء « غاضِر » من « أغضى » على غير قياس . وقد أحسن صاحب (القاموس) حين ذكر الفعلين دون المشتقين ، لأنها قياسيان ، وسيلها معروف .

ح - أغطت الشجرة فهي غاطية . قال ابن السيد البطلوسي في (الاقتضاب) ، وقد استضعف ماحكاه : « أبقل فهو باقل ، وقيل : منه « غاطية » بدل « مطية » لائكثرة ، وقيل : بل تصحيف غاطية » . وكان عليه أن يجزم بتصحيف « غاطية » ، ويتوسع في الشرح ، ويبين وجه الشذوذ فيها بحملها على « أبقل فهو باقل » الذي أسلفت القول في تصحيحه . وما حكاه ابن السيد ، قد تردى الزبيدي في مثله صراحة فقال في (تاج العروس) : « غطت الشجرة : طالت أغصانها ، وانبسطت على الأرض ، فألبست ماحولها ، فهي غاطية ؛ كأغطت فهي غاطية أيضاً على خلاف القياس » . فجعل « غاطية » من الثلاثي والرباعي جيباً ، مع التصريح بشذوذ مجيء الثانية من الرباعي ، ولا برهان له عليه . ويلاحظ أن صاحب (القاموس) قد ذكر الفعلين ، ولم يذكر الوصفين منها ، لوضوح سبيلها في الاشتقاق ، ولكن شاء الزبيدي أن يتعلم فأعجم ومأعرب . ومن قبل أغفل الجوهري في (غ / ط / ا) ذلك جملة ، وذكر ابن منظور في (لسان العرب) الفعلين : غطا وأغطي ، ولم يذكر الوصف منها كما فعل المجد في (القاموس) ، ثم قال : « وقوله - أنشده ابن قتيبة :

ومن تعاجيب خلق الله غاطيةٌ يُعَصَّرُ منها ملاحبيٌ وغيرُيبُ

إنما عني به الدالية ، وذلك لسموها ويُسوقها وانتشارها وإلباسها : [قال] المفضل : يقال للكرمة الكثيرة التوامي [أي الأغصان] : غاطية ، .

وواضح أن « الغاطية » ، اسماً للدالية أو الكرمة الكثيرة الأغصان ، منقولة من الوصف المشتق من الفعل الثلاثي : « غطت الشجرة » ، وإنما

لجؤوا إلى اشتقاقها من الثلاثي ، لأن « غاطية » أخف على اللسان من « مغطية » كما هو ظاهر .

ط - أقربوا فهم قاربون . قال الجوهري في (الصحاح) : « وقد أقرب القوم ؛ إذا كانت إبلهم قوارب ، فهم قاربون ، ولا يقال : مقربون ، قال أبو عبيد : وهذا الحرف شاذ » .

قلت : هذا الذي ذهب إليه أبو عبيد ، قد رفضه أبو علي القالي ، وخرجه على النسب فقال : « إنما قالوا : قارب ، لأنهم أرادوا : ذو قرب ، ولم يبنوه على : أقرب » . عني أن « قارباً » لا فعل له ، وكذلك كل ما جاء على النسب ، مثل : لابن ، وقامر ، ودارع ، وسائف ، وتائج - فإن هذه ليست بمشتقات فيما قرّر علماء اللغة ، على أن العرب قد قالوا : قرّبت أقرب قرابة ، مثل : كتبت كتابة ، إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة ، وهذا يُبنى منه « قارب » اسم فاعل ، كما يبنى من أقرب : مقرب ، قياساً ، ومنعه تحكّم بارد .

ي - أحل البلد فهو ماحل . ادّعى ابن السكيت أن العرب لم يقولوا « مُمَحِّل » ، والصحيح أنه « حكي عنهم : « تحلّت الأرض » ، و« تحلّت » ، وأحل القوم : أجدبوا ، وأحل الزمان ، قاله ابن سيده . وقد جاء « مُمَحِّل » بن « أحل » في قول حسان بن ثابت :

إمّا ترّي رأسي تغيّر لونه شحطاً ، فأصبح كالشغام المُمَحِّلِ

وقالوا : أرض مُمَحِّلَة ، ومحل - وزعموا الأخيرة على النسب ، وليس مما نحن فيه .

ك - جاء في (الصحاح) : « وأتجت الفرس ، إذا حان قتاجها ، وقال يعقوب : إذا استبان حملها ، وكذلك الناقة ، فهي تتّوج ، ولا يقال : « مُتَيِّج » ، وكذا منع ابن قتيبة أن يقال ذلك . وهو معارض بالسمع

والقياس ، فقد قال بُوزيد : « انتجت الفرس ، فهي نتوج ومُنْتِج ، إذا دنا ولادها وعظم بطنها » ، وقوله أجدر بالقبول ، وهو نظير « أعقَّتِ الفرسُ فهي عقوق ومُعِيقٌ » الذي أسلفته قريباً .

ل — أودقت الفرسُ فهي وادق . قال ابن خالويه في (كتاب ليس) : « لم يأت اسم الفاعل من « أفل » و « استفل » على فاعل ، إلا حرف واحد ، وهو استودقت الأتان ، وأودقت ، فهي وادق : إذا اشتت الفحل ، ولم يقولوا : « مودق » ولا « مستودق » . وقد جاء عن العرب ما يرُدُّ عليه ، ففي (لسان العرب) : « ودقت الأتان تدق ودقاً ووداقاً وودوقاً ، وأودقت ، وهي مُودق ، واستودقت ، وهي ودِيق وودوق ، ويقال : أتان ودِيق ، وبغلة ودِيق » .

م — أورس الرمثُ ، وهو شجر ترعاه الإبل ، فهو وارس . وهذا اللفظ هو أحد لفظين زعم أبو عبيد أنها شذا عن القياس ، وعزا روايته إلى الأصمعي ؛ وأحد ثلاثة ألفاظ شذت عنه عند الكسائي ، وقد قال هؤلاء إن العرب لم يقولوا من « أارس » : « مَورِس » ، وإنما قالوا : « وارس » . والصحيح أن العرب قالوا : « ورَسَ النباتُ ورُوساً ، إذا اخضرَّ » ، فهو وارس ؛ وأورس فهو مَورِس . وقد حكى الأول : « ورَسَ فهو وارس » أبو حنيفة الدينوري صاحب (كتاب النبات) المشهور عن أبي عمرو .

ن — أورك النبات ، وهو وارق : طلع ورقه ، قاله كُراع السَّمَل . والصحيح أن العرب قالوا : « ورَقَ الشجر ، وأورق ، وبالألف أكثر وورق توريقاً مثله » عن الأصمعي ، وقال أبو حنيفة الدينوري : « ورقت الشجرة ، وورقت ، وأورقت : كل ذلك إذا ظهر ورقها تاماً » . ف « وارق ، من « ورَق » ، لا متحالة ، و « مورق » و « مَورِق » ، من : أورقت ؛ وورقت ، وهو واضح .

س - أَيْفَعُ فهو يَافِع . في (لسان العرب) : « قال أبو زيد : وقد أَيْفَع .. وهو يَافِع على غير قياس ، ولا يقال : مُوَفِع ، وهو من النوادر . قال كُرَاع : وتظيره - أَبْقِلُ فهو بَاقِل ، وأورق التبت وهو وارق ، وأورس الرِّمْت وهو وارس ، وأقرب الرجال وهو قارب إبله من الماء . وهذا اللفظ هو ثالث الألفاظ الثلاثة التي شذت عن قياس الباب عند الكسائي . والحق أن العرب قلوا : « يَفْعَ الغلام » ، وأَيْفَع : إذا شبّه وترعرع ، أو شارف الاحتلام وقادح البلوغ ، وكذا الفتاة . فَيَافِع من « يَفْع » الثلاثي ، ما في ذلك ريب . وأما مَنَعُ « مُوَفِع » من « أَيْفَع » ، فتحكمُ مرفوض . قال الأزهري : « هو قياس » .

ع - أَيْنَعُ الثمر فهو يَانِع ومُؤْنِع ، قاله ابن منظور في « لسان العرب » . والصحيح : يَنْعُ الثمر فهو يَانِع ، وأَيْنَعُ فهو مُؤْنِع ، كلاهما أدرك ونضج . وفي (القاموس) وشرحه : يَنْعُ الثمر ، كنع وضرب ، يَنْعًا ، بالفتح ؛ وَيَنْعًا وَيَنْوَعًا ، بضمها ، أي : نضج وحن قِطَافه .. ومنه قوله تعالى في « سورة الأنعام / الآية ٩٩ » : ﴿ انظروا إلى ثمرِهِ إذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ ، وقول الشاعر :

في قِيَابِ حَوَّلَ دَسَكْرَةً حَوَّلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا
وقول الآخر ، وهو : الأخوص ، أو يزيد بن معاوية ، أو عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت :

لقد أَمَرْتَنِي أُمُّ أَوْفَى سَفَاهَةً لِأَهْجُرَ « هَجَرًا ، حين أرطب يَانِعُهُ
أي « هَجَرًا » ، فسكن الجيم ضرورة .

* * *

هـ وزعموا ورود اسم الفاعل من « أفعل » الرباعي على « مُفْعَل » ، بفتح العين خلافاً للقياس ، وذلك في ألفاظ يسيرة اختلفوا في عِدَّتْهَا ، فقال ابن قتيبة . إن الذي شذ عن هذا الباب حرف واحد نادر لا يعرف

غيره ، وروى الأزهري عن ابن الأعرابي ثلاثة ، وزاد ابن خالويه لفظاً رابعاً ؛ وأصبت عشرةً ، اثنان منها على البدل :

أ - أجذع فهو مُجذَّع ، لا لا أصل له ولا ثبات . ذكر الزبيدي هذا بحروفه في (تاج العروس) ، في (س / هـ / ب) ، وعزاه إلى ابن (الفاموس) قائلاً : « وسيأتي للمصنف ، في (ج / ذ / ع) : أجذع فهو مُجذَّع ، لا لا أصل له ولا ثبات : نقله الصاغاني عن ابن عباد ، ولم أر أحداً ألحقه بنظائره ، فتأمل ذلك . »

وما ذكره صاحب (الفاموس) في (ج / ذ / ع) ، هو قوله : « والمُجذَّع ، كُكْرَمَ ومُعْظَمَ : كلٌ مالا أصل له ولا ثبات . » فهذه الصيغة في (ج / ذ / ع) ، هي غير الصيغة التي نسبها الزبيدي إليه في (س / هـ / ب) ، واختلافها بين واضح . ولما صار إلى (ج / ذ / ع) ، أسند نص المصنف إلى ابن عباد ، كما أسنده إليه في (س / هـ / ب) ، وأخرجه من عهده إليه ، وفي النص نجد التمثيل لـ « مُجذَّع » بـ « كُكْرَم » ، و « مُعْظَم » . ولما أحس أن هذين المثالين لا يوثقان شذوذ : « أجذع فهو مُجذَّع » ، عقب بقول : « ولو قال « كُكْرَمَ ومُعْظَمَ » بدل « كُكْرَم » ، [وأسقط : كُكْرَمَ] كما فعله الصاغاني ، لأشار إلى لحوقه بنظائره التي جاءت على هذا الباب . » والصاغاني ، بحسب قوله في (س / هـ / ب) ، « إنما نقل نصه عن ابن عباد ، وفيه « كُكْرَمَ ومُعْظَمَ » ، وليس فيه « كُكْرَمَ » . وقد أجهد الزبيدي نفسه ، ليزيد عدد هذه الشواذ المزعومة فما أولمه بالشذوذ ! على أن التمثيل لـ « مُجذَّع » بـ « مُعْظَم » ، غير مُجندٍ في تقريره شذوذه كما أراد ، لأن « مُحْصَنًا » جارٍ على القياس كما سأوضحه ، وأحب أن أزيد أن (الصحاح) و (لسان العرب) قد أهملتا « أجذع فهو مُجذَّع » .

ب - أحسن فهو مُحْصَن . عدّه ابن الأعرابي أحد ثلاثة ألقاظ شذت عن القياس في هذا الباب ، قال : « أحسن الرجل : تزوج ، فهو مُحْصَن ، بفتح الصاد فيها [يعني في المُحْصَن والمُحْصَنَة] : نادر ، » .

والتحقيق أن « أحسن » قد جاء في كلام العرب لازماً بمعنى تزوج أو عفاً ، وجاء متعدياً . والوصف من اللازم « مُحْصَن » بكسر الصاد ، ومن المتعدي « مُحْصَن » و« مُحْصِن » ، وهكذا يقال في المرأة . فمن كسر ، أراد اسم الفاعل . ومن فتح ، أراد اسم المفعول . وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعبد الله بن عامر ويعقوب بن حفص عن عاصم قوله تعالى في « سورة النساء » الآية ٢٥ : (فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَمِلْهُنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) بضم الهمزة ، أي : زُوِّجْنِ ، وهي قراءة مروية عن ابن عباس . وأما أبو بكر عن عاصم فقد فتح الهمزة ، وهكذا قرأها حمزة والكسائي : (فَإِذَا أَحْصَنَ ..) . وقال الزجاج في قوله تعالى في « سورة النساء » الآية ٢٤ : (وَأَحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكَُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) : « متزوجين ، غير زناة » ، وهذا يلغي ما زعم من شذوذ هذا اللفظ .

ج - أسهب فهو مُسَهَّب ، بفتح الهاء . وهذا عند ابن قتيبة الحرف الواحد النادر الذي لا يعرف غيره شاذاً عن قياس بابيه ، وأجد ثلاثة عند ابن دريد في (الجهرة) وابن الأعرابي في (النوادر) وابن خالويه في (كتاب ليس) . وقال غير هؤلاء : ويقال بالكسر أيضاً ، وأقر بعضهم الفتح والكسر . لكنه ذهب إلى عدم التفرقة بينها في المعنى ، وهو شيء يأباه منطق العقل . والصحيح أن لكلٍ من الفتح والكسر دلالة ومعنى . وموجز القول أن العرب قد استعملوا هذه المادة لمعانٍ عديدة ، وخصوا كل معنى بصيغة على جاري المادة ، فقالوا : أسهب الرجل ، إذا شربه وطمع حتى لا تنتهي نفسه عن شيء ، والصفة من هذا « مُسَهَّب » ، بكسر الهاء . وقالوا : أسهب ، على

ما لم يُسَمَّ قاعله ، للذاهب العقل من لدغ الحية أو المقرب ، فهو «مُسْتَهَب» ، بفتح الهاء . وكذلك قالوا : أُسْتِيب ، لمن تغير لونه من حب أو فزع أو مرض . ويثر «مُسْتَهَبَة» بفتح الهاء : بعيدة القمر ، من قولهم - كما رُوِيَ عن ثعلب : أُسهب فهو مُسْتَهَب ، إذا حفر بئراً فبلغ الماء . وأسهبوا الدابة إسهاباً : أهملوها ترعى ، فهي مُسْتَهَبَة ، بالفتح . قال بعضهم : «ومن هذا قيل المكثار «مُسْتَهَب» بالفتح ، كأنه ترك والكلام ، يتكلم بما شاء ، كأنه وُسِّعَ عليه أن يقول ما شاء .»

هذا هو الحق . ومن ذهب إلى خلافه ، اعتاراً بالرواية الفاذة ، فقد شُيِّتَ عليه ، وغلط على منطق العرب .

د - أسهم فهو مُسْتَهَم ، بالهمز على البدل ، وهو كأسهب فهو مسهب ، وحكمها واحد .

ه - سَيْلٌ مُفْعَمٌ ، قال الراجز :

فصَبَّحَتْ ، والطير لم تَكَلِّمْ جابيةً طُمَّتْ بَسِيلٌ مُفْعَمٌ

من قولهم : أفعمه ، إذا ملأه . الحقوه بشواذ الباب ، لأنه مسموع بفتح الدين . والصحيح أنه بُني على الجهول ، وأجري فيه الحذف والإيصال ؛ لأن أصل التعبير «سَيْلٌ مُفْعَمٌ» به الوادي ، أو الجابية كما في الرُّجَز ، فحذف الجارة ، فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول .

و - سِيلٌ مُفْتَمٌ ، بالهمز على البدل ، كمُفْعَمٌ ، وحكمها واحد .

ز - أَلْفَجٌ فهو مُلْفَجٌ . وهو عند ابن الأعرابي ومن تبعه ، أحد ثلاثة ألفاظ جاءت على «أفعل» فهو مُفْعَلٌ ، نوادر : أَلْفَجٌ فهو مُلْفَجٌ ، وأحصن فهو مُحْصَنٌ ، وأسهب فهو مُسْهَبٌ . وقد أُرِحتْ علة الشذوذ عن محصن ومسهب . وأما المُلْفَجُ ، فقد فرده أهل العربية بما يشمر بلزوم فعله وتعديه . ومن الأول أنه المفلس وعليه دين ، والعدم الذي لا شيء له ، واللازق بالأرض

من كرب أو حاجة . ومن الثماني أنه الذي يُجَوَّج إلى أن يسأل مَنْ ليس
لذلك بأهل ، على أن أبازيد الأنصاري حكى : « أَلْفَجَتِي إلى ذلك اضطراراً ،
كما جاء في (التكملة) و (لسان العرب) . وجاء « مُلَفِّج » بكسر الفاء
في إحدى روايتين ذكرهما ابن الأثير في (النهاية) ، في تفسير الحديث :
« أطمئنا مُلَفِّجِيكُمْ » . وقال البَلَوِي في كتابه (ألف باء) إنه « نقل من
بعض كتب أهل اللغة : مُلَفِّج » ثم أضاف : « والذي جاء في الحديث : مفرج
وقُيِّر بنحو هذا التفسير » . وأقول أما « مُلَفِّج » ، فإنه لا يعرف في
رواية هذا الحديث ، وإنما جاء في حديث رقية العيين ، وجاء أيضاً
بلفظ « الملاقيح » في حديث النهي عن الملاقيح والمضامين من بيع الفَرَر ،
وفي شذوذه كلام بطول ، ولا يعدو تخريجُه ماقلته في « الملقح » وأخواته .
وأما « مفرج » ، وروى بالحاء المهملة أيضاً ، فقد جاء في حديث الجِنَاية
والعاقلة ، وتفسيرها يختلف عن هذا .

ح - أَهْتَر فهو مُهْتَر . قال ابن منظور في (لسان العرب) : « الهْتَرُ ،
بضم أوله : ذهاب العقل من كِبَر أو مرض أو حزن . وَاِهْتَر : الذي فقد
عقله من أحد ثلاثة أشياء . وقد أَهْتَر ، بالفتح : نادر » . ثم قال : « وقد
قالوا : أَهْتَر ، واهْتَر الرجل ، فهو مُهْتَر : إذا فقد عقله من الكِبَر وصار
خَرِفاً » . ولم يَعرُ ابن منظور رواية الفتح إلى راويها ، وعزاها الزبيدي في
(تاج العروس) إلى ابن الأعرابي صاحب كتاب (النوادر) . وقد تفرد ابن الأعرابي
بروايته ولم تُعْضِدْ برواية راوٍ آخر . وقد حكى أبو عُبَيْد عن أبي زيد الأنصاري
أنه قال : « إذا لم يعقل من الكِبَر ، قيل أَهْتَر ، بالضم » . ولم يذكر الجوهري
في (الصحاح) كذلك غير ضم أوله وانحرَف من الكبر . وكذلك الصاغاني
في (التكملة) اقتصر على الضم وحده في معنى آخر من معاني الهْتَر ، وهو
الوَحْش بالقول في الشيء ، ولم يذكر غيره . وذلك هو الذي يجري مع منطق
العربية وقياسها ، فلا اعتداد بما تفرد ابن الأعرابي به من رواية الفتح .

ط - نخلة موقرة وموقر . قال الجوهري في (الصحاح) « و / ق /
 ر : « والوقر ، بالكسر : الحمل .. وقد أوقر بعيره .. وهذه امرأة موقرة ،
 بفتح القاف : إذا حملت حملاً ثقيلاً . وأوقرت النخلة ، أي : كثرت حملها ،
 يقال : نخلة موقرة وموقير ، وموقرة ، وحكي موقر ، وهو على غير القياس
 لأن الفعل ليس للنخلة ، وإنما قيل « موقير » بكسر القاف ، على قياس قولك
 امرأة حامل ، لأن حمل الشجر مشبه بحمل النساء . »

وقد تابعه المجد في (القاموس) ، والزبيدي في (تاج العروس) ،
 وابن منظور في (لسان العرب) - على القول بشذوذ موقرة وموقر ، بفتح
 القاف ، ولم يشر الأول إلى أخذه من (الصحاح) ، وأشار الثاني إليه ،
 ونقل الثالث كلامه بحروفه . والجوهري إنما ذهب إلى شذوذ موقرة وموقر ،
 بفتح القاف ، لأن الفعل فيما قال ليس للنخلة ، يعني أن فعلها لازم ،
 والوصف من اللازم على « مفعيل » ، لا على « مفعّل » . وقد ذهب عنه أن
 ماسم من موقرة وموقر ، بالفتح ، إنما يدل على اشتقاقهم لهما من الرباعي
 المتمدي ، وقد قلوا : أوقر بعيره ، وأوقر الدابة إيقاراً إذا حملوا على ظهرها
 وقرأ ، وامرأة موقرة ، ونحن نعلم أن الفعل ليس لهما ، وقد شبه هو حمل
 النخلة بحمل النساء ، والذي أوقر النساء - وهو الله عز وجل - هو الذي
 أوقر النخلة . فلا جرم أنها موقرة ، عند إرادة هذا المعنى ، وموقرة عند
 إرادة كثرة حملها .

ي - إجترأشت الإبل في بجرأشة . وهذا هو اللفظ الرابع عند ابن
 خالويه مما زعموا أنه جاء على « أفعل فهو مفعّل » ، خلافاً للقياس . وقد
 رُويت الثلاثة عن ابن الأعرابي ، وحكاها ابن خالويه في (كتاب ليس)
 عن ابن دريد ، ثم قال : « ووجدت حرفاً رابعاً : إجترأشت الإبل في
 بجرأشة ، بفتح الهمزة ، إذا سبنت وامتلأت بطونها » ، ونقله عن السيوطي

في (الزهر) بهذا اللفظ أيضاً، وأورده الزبيدي أيضاً في (تاج العروس)، في مادتي (س/ه/ب) و (ج/ر/ش)، ولكن في صورتين.. فنخالف في أولاهما صورة مادّون في (كتاب ليس)، وطابق في الأخرى صيغته. قال في (س/ه/ب) : «قال [ابن خالويه] : وجدت ، بعد سبعين سنة ، حرفاً رابعاً ، وهو أجْرَشَت الإبل فهي 'مَجْرَشَةٌ' ، فجعله رابعاً ، وزاد عبارة : «بعد سبعين سنة» . وقال في (ج/ر/ش) شارحاً عبارة (القاموس) «واجْرَشَت الإبل ، امتلأت بطونها وسميت ، فهي 'مَجْرَشَةٌ' ، بالفتح: شاذ..» : «قال [ابن خالويه] : وجدت هذه اللفظة بعد سبعين سنة ، فأبقى عبارة (القاموس) كما في (كتاب ليس) ، ولكن زاد عليها عبارة : «بعد سبعين سنة» ، ثم أردف ذلك بقوله : «قال الصاغاني : وأنا وجدت هذه اللفظة بعد سبعين سنة ...»^(١) . وقد أكّد الزبيدي هنا تصحيح هذه الصيغة حين عقب على قول الصاغاني هذا فقال : فإذا عرفت ذلك ، فقول شيخنا: «مراده [أي مراد مصنف القاموس] بالفتح ، صيغة اسم المفعول ، وليس بصواب إطلاقه ، لما فيه من الإبهام. ولو قال : كمكرمة لكان أظهر - انتهى » ، فيه تأمل ، وكأنه [أي شيخه] ظن أنه من : أجْرَشَت الإبل ، كـ «أكرم» ، وليس كذلك ، وقد نسي الزبيدي هنا ما كتبه في مادة (س/ه/ب) مخالفاً لأصله في (كتاب ليس) ، إن لم يكن هذا من تصرف النساخ . ولقد أهمل الجوهري في (الصحاح) هذا اللفظ . وذكره الصاغاني في (الكملة) بصيغته القياسية ، ولم يمرّج على الصيغة الشاذة ، وهذا لفظه : «وقال ابن شميل : إَجْرَشَتْ ، إذا تاب جسمه بعد هزال . وقال أبو الدقيش : هو الذي هزل

(١) قام كلامه : «والحمد لله على طول الأعمار ، وتردد الآثار ، ومصاحبة الأخيار ، ومجانبة الأشرار ، والإكثار من الازديار ، والحج والاعتار ، جعلني الله من أوليائه الأبرار» . ومن عجب أن أقع الآن على هذا اللفظ ، وأنا أشارك السبعين ، وحالي ما وصف الصاغاني من حاله على التمام !

وظهرت عظامه . وقال الأصمعي : « الجُرْثُش » ، الغليظ الجنب . وقال ابن الأعرابي :
المجتمع الجنب . وقال الليث : هو المتفخ الوسط من ظاهر وباطن ؛ أنشد ابن
الأعرابي « جاف عريض » « جُرْثُش » الجنب . « واجرُوثش » من مرضه ، مثل :
اجرُوثش . « وجرُوثش » الأرض : أعاليها . « اجرُوثش » : ارتفع . فهذا النص من
الصاغاني في (التكملة) ، قد خلا من « جُرْثُش » ، ومن العبارات التي نسبها
الزبيدي في (تاج العروس) إليه ، ودونتها عنه في الحاشية . فمن أين جاء
بها ، وهو عالم ثقة لا كلام في صدقه فيما يحكيه وينقله ؟ إن للصاغاني غير
(التكملة) كتباً أخرى في اللغة كـ (العُباب) و (جمع البحرين) و (الشوارد
في اللغات) أو (شوارد اللغة) ، فلعله من أحدها نقل ذلك عنه .

وقد صنع صاحب (لسان العرب) صنيع الجوهري في (الصحاح) ،
والصاغاني في (التكملة) ، فذكر « الجُرْثُش » ، القياسي وحده ، وأغرب المجد
في (الفاموس) حين ذكر الصيغتين : اقياسية ، والزعم شذوذها ، لمعينين
مدلولهما قريب من قريب ، وخص « الجُرْثُش » ، بالغليظ الجنب ، و « الجُرْثُش » ،
بالذي امتلأ بطنه وسمن من الإبل ، وكأنني به قد تأثر في حكاية الزعم شذوذها
بابن خالويه ، وما أكثر مجازفات هذا وغرائب ذلك !!

* * *

٦ - وروى الرواة ألفاظاً غير قليلة ، قالوا إنها جاءت من « أفعله » ، على
« مفعول » ، خلافاً لقياسها « مُفْعَل » ، وأوردوا النحاة ومصنفو المعاجم كما
« سمعت » ، وقل من حاولوا تخريجها بما يزيل عنها الالة جملة ، ويردها إلى قاعدة
سليمة ، ومن فعلوا ذلك اختلفت أنظارهم فيها ، فما زادوها إلا تعقيداً .

وإني . ورد ما أصبته من هذه الألفاظ ، ومناقشها لفظاً لفظاً ، ورادها
إلى قنونها من العربية :

أ - « أَپَرَّ الله جنَّه » فهو مبرور . حكى ابن سيده في (المختص) ،

وابن منظور في (لسان العرب) : أن الفراء قل : « بُرَّ حَجَّكَ فهو مبرور ، فإذا قلوا : أَبَرَّ الله حَجَّكَ ، قالوا بالألف ، فهو مبرور . »

والعرب فيما روى أهل اللغة إنما قالوا : بُرَّ عمله ، وبُرَّ بُرّاً وبُوراً ، وأَبَرَّ ، وأَبَرَّه الله . وقال الجوهري : وأَبَرَّ الله حَجَّكَ ، لغة في بُرَّ الله حَجَّكَ ، أي قبيله . ومثل ذلك في (لسان العرب) وغيره . فـ « المبرور » من بُرَّ ، ولو أردناه من أَبَرَّه وقلنا « مُبَرَّ » لكان قياساً صحيحاً في العربية .

ب - أبرزه فهو مبروز . قال الجوهري في (الصحاح) : وكتاب مبروز ، أي : منشور ، على غير قياس ، وقال ابن منظور في (لسان العرب) : « وأبرز الكتاب : أخرجه ، فهو مبروز ، وأبرزه : نشره ، فهو مُبَرَّرٌ . ومبروز شاذ على غير قياس ، جاء على حذف الزائد . ، يعني ألف أبرزه . وهذا التقريب بين المبروز والمُبَرَّر ، وتخصيص كل منها بمعنى ، وفعلها واحد ، وهو أبرزه ، لا وجه له في منطق العقل . وقد أنكر أبو حاتم « المبروز » في قول لبيد يصف رسم الدار ويشبهه بالكتاب :

أَوْ مَذْهَبٌ جَدَّدْتُ ، عَلَى أَلْوَاحه الناطقُ المبروزُ والمختومُ

وقال : لعله المزبور ، وهو المكتوب ، واستظهر عليه بأن لبيداً قال في كلمة أخرى :

كما لاحَ عُنوانُ مبروزة يلوحُ مع الكفِّ عُنوانُها

قال الجوهري : « فهذا يدل على أنه لغة ، والرواة كلهم على هذا ، فلا معنى لإنكار من أنكروه . »

وأقول : إن العرب ، وقد قالوا : برزه وأبرزه ، لزم أن يكون المبروز من الأول وهو لغة بني عامر قوم لبيد ، وأن يكون المبرز من الثاني وهو لغة قبيلة أخرى . وتطائر ذلك كثيرة في كلام العرب .

ج - أحبه فهو محبوب . قال أبو زيد : « .. محبوب على غير قياس ،

هذا الأكثر . وقيل : 'مَحَبٌ' ، بالفتح ، على القياس ، وجاء مثله عن الأزهري في أحد ثلاثة أقوال له ، والثاني هو قوله : 'حُبُّ الشيء' فهو محبوب ، ثم لا تقل : حَبَبْتُهُ ، كما قالوا : جُنْتُ فهو مجنون ، ثم يقولون : أحبته الله ، ، والثالث أن 'حَبَبْتُهُ' لغة حكاهما الفراء . قلت : وحكى سيويه : أحبته 'وحَبَبْتُهُ' ، وجاء في (المصاحح) مثله ، قال : أحبته 'فهو 'مَحَبٌ' ، وحبته 'يَحِبُّه' ، بالكسر ، فهو محبوب ، . هكذا رد كلاً إلى فعله ، وأصاب شاكلة الصواب . وحبته وأحبته ، لغتان فصيحتان شائعتان كثيراً في كلام العرب . وعلى اللغة الأولى قرأ أبو رجاء المطاردي قوله تعالى في 'سورة آل عمران' الآية ٣١ ، : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ، وقال غيلان بن شجاع النهشلي :

أحِبُّ أبا مروان من أجل ثمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق
ووالله لولا ثمره ما حَبَبْتُهُ وكان عياض منه أدنى ومشرق
وأنشده أبو العباس المبرد في (الكامل) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَطِيلَابٌ مَصْرٍ لَكُمُ زِدَادٌ مِمَّا حَبَّ بُعْدَا

وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتني :

'حَبَبْتُكَ قَلْبِي مِثْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وقد كان غداراً فكن أنت وافيًا

وعلى اللغة الثانية 'أحب فهو 'مَحَبٌ' ، ، جاء بيت عنتره العبسي :

واقدر زلت ، فلا تظنني غيره ، مـني بمنزلة 'المحَب' 'المكرم' .

وقالت هند بنت أبي سفيان ، ترقص به ابنها عبد الله من زوجها الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، ولقد لقبته 'بَبَّة' ، وهو حكاية صوت الصبي :

لَأَنْكِيحَنَّ بَبَّةً جَارِيَةً خِدْبَةً
مُكْرَمَةً مَحَبَّةً تَجَبُّ أَمَلِ الْكَمَةِ (١)

وقال الآخر :

ومن يُنَادِ آلَ يَرْبُوعٍ بِمَجَبٍّ يَا نِكَ مِنْهُمْ خَيْرُ فَيَانِ الْعَرَبِ
الْمُنْكَبِ الْأَيْمَنِ وَالرِّدْفِ الْمَحَبِّ (٢)

د - أحزنه الله فهو محزون . قال بعض رواة اللغة : « شاذ ، لأنه لا يقال : حزنه الأمر ، لكن يقال : أحزنه فهو محزون » . وهذا الراوي إنما حكى ما تأدّى إلى سمعه ، ولم يحققه ؛ ولم يجتث أن العرب قالوا : « حزنه الأمر » أيضاً . وحزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وكلتاها لغة فصيحة ، وقد قرئ بها قوله تعالى في «سورة يوسف/ الآية ١٣» : ﴿ إِنِّي لَبِئْسَ خَزَنَتِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ ، ومن هنا قال بعض الرواة : « نسمع : مخزن ، كما في (لسان العرب) فمحزون من حزنه ، ومخزن من أحزنه ، قياساً وسماعاً .

هـ - أجنه الله فهو مجنون . قال الجوهري في (الصحاح) : « جن الرجل جنوناً ، وأجنه الله فهو مجنون ، ولا تقل : « مجن » ، وقال ابن منظور في (لسان العرب) : « أجنه الله فهو مجنون ، على غير قياس ، وذلك لأنهم يقولون : جن ، فبني المفعول من : أجنه الله ، على هذا . والصحيح أن العرب إنما بنوا « جن » من « جنه » ، لا من « أجنه » ، كما نص عليه سيويه في (الكتاب) . وقد يجوز أن يقال إنهم استغنوا به عن « مجن » ، من أجنه ، ولكنه لا يمتنع إذا احتيج إليه ، لأنه قياس

(١) خدبة : ضخمة . تجب - أهل الكعبة : تغلب نساء قريش بحسبها .

(٢) الردف : هو الذي يخلف الرئيس أو الملك ويعينه ، نحو الوزير .

في العربية . وكذلك حكم كل ما جاء من هذا النوع من ألفاظ الباب التي زعم شذوذها ، وإليه سأردّها .

و - أحمّه الله فهو محموم . قال الجوهري في (الصحاح) : « وحُمّ الرجل من الحمي ، وأحمّه الله عز وجل فهو محموم ، وهو من الشواذ » . وقال ابن منظور والزيدي : إن ابن دريد قال في تخريج محموم : « هو محموم به » ، وقال ابن سيده : « ولست منها على ثقة » ، وهي أحد الحروف التي جاء فيها « مفعول » من « أفعّل » ، لقولهم « فَعِلْ » ، وكان « حُمّ » وضعت فيه الحمي ، كما أن فُتِن جعلت فيه الفتنة . والصحيح أن المحموم جارٍ على قياسه من الثلاثي المتعدي « حَمَّه » ، كنظيره « جَنَّه » ، أو من « حُمّ » ، المبني للجهول ، لا من « أحمّه » ، ولا معنى لقولهم : أسقطوا منه الألف ، ثم بنوا منه « حُمّ » وقالوا منه « محموم » . و« حَمَّ » من أحمه ، قياس صحيح في العربية . وجائز أن يقال : استغني عنه ب« حُمّ » فهو محموم .

ز - آرضه الله فهو مأروض . جاء في (تاج العروس) : « الأَرْضُ : الزكّام ، ثقله الجوهري . والأرض : النفقة والرّعدة » . والمأروض : المزكوم ، وقال الصاغاني : وهو أحد ما جاء على أفعله فهو مفعول . وقد أَرْضَ ، كعَسَيْي ، أَرْضاً ، وآرضه الله إرضاً ، أي : أزكّه ، ثقله الجوهري . وهو - كما زى - من جنس : أجبّه الله فهو مجنوب ، وأحمّه فهو محموم ، وأقول في نقي الشذوذ عنه ما قلته فيها ، فذلك هو المذهب الذي يلائم منطق العربية .

ح - أزعقه فهو مزعوق . قال الجوهري في (الصحاح) : « قال الأصمعي : يقال أزعقته فهو مزعوق ، علي غير قياس » ، وقال ابن منظور

في (لسان العرب) : « زَعَقَه ، وزَعَقَ به ، وأزَعَقَه — وهو مزعوق وزَعَقَ : أفزَعَه ، على غير قياس ، ومعناه فهو مذعور ، . وفي عبارته اضطراب وغموض ، فقد ذكر ثلاثة أفعال : فعلاً ثلاثياً متعدياً ويجيء منه مزعوق ، وفعلاً ثلاثياً لازماً متعدياً بالباء ويجيء منه مزعوق به ، وفعلاً رباعياً متعدياً ويجيء منه مُزَعَقٌ . غير أنه ألحق بها مشتقين ، وأردف قائلاً : « على غير قياس » ، فلم يبين ما عناه . وأحسن ما في كلامه أنه نص على « زَعَقَه » ، وهو يسقط دعوى مجيء مزعوق من : أزَعَقَه . وبعضه نقل الجوهرى عن الأموي ، بعد حكايته قول الأصمعي السابق : « وزَعَقْتَهُ فهو مزعوق » ، وأنشد :

تعلّمي أن عليك سائقاً^(١) لا مبطلتاً^(٢) ولا عتيفاً زاعيقاً

لبناً بأعجاز المطي^(٣) لاحقاً^(٤)

لكن ابن سيده حكى في (المخصص) عن أبي عبيد عن الأموي^(٥) العكس ، أي أنه قال : أزَعَقْتَهُ فهو مزعوق ، ؛ ثم قال : « وقال غيره : زَعَقْتَهُ ، بغير ألف ، فازعق ، أي : فزع » . قال : فإذا كان هذا ، فمزعوق على انقياس .

ط — أزكّه الله فهو مزكوم . قال الجوهرى في (الصحاح) : « وقد زَكِمَ الرجل ، وأزكّه الله فهو مزكوم ، بُني على زَكِمَ » . أقول : إن البناء على زَكِمَ ، المبني للمجهول ، يستلزم وجود زَكَمَ ، بغير ألف ، وقد أغفله (الصحاح) ، وذكره (القاموس) ، قال « وقد زَكِمَ ، كَمُنِي » ،

(١) في المخصص ١٤ / ١٧٧ : « تعلّمن ... » ، وفي لسان العرب : « إن عليها فاعلن سائقاً » .

(٢) في لسان العرب : لا متعباً .

(٣) اللب : اللزم لها لا يفارقها .

وزَكَمَهُ ، وأَزَكَمَهُ ، فهو مزكوم ، وهذا تخليط ، والنص على « زَكَمَهُ »
بغير ألف يقطع باشتقاق مزكوم منه ، لا من أَزَكَمَهُ الرباعي ، فلا شذوذ
فيه عن القياس .

ي — أَسْعَدَهُ الله فهو مسعود . قال الزَّيْدِيُّ في (تاج العروس) :
« .. ولا يقال « مُسْعَدٌ » ، كَمُكْرَمٍ ، مجازاة لأَسْعَدَ الرباعي ، بل يقتصر
على « مسعود » اكتفاءً به ، كما قالوا : محبوب ، ومحوم ، ومجنون ،
ونحوها من أفعال رباعية » .

وأقول : إن العرب قد قالوا : سَعِدَ الرجل فهو سعيد . وسُعِدَ من
سَعْدَةٍ ، لا من أَسْعَدَهُ الرباعي . قال الأزهري : « وسعيد يجوز أن
يكون بمعنى مسعود ، من : سَعْدَهُ الله » . فوجب إلحاق « مسعود »
بفعله الثلاثي المتعدي ، واستعمال « مُسْعَدٌ » من : أَسْعَدَهُ ، إذا احتجج
إليه ، وهو قياس في الرتبة ، ومنعُهُ تحجيرٌ للواسع وتحكمٌ باطل .

ك — أَسَلَّهُ الله فهو مسلول . قال ابن منظور في (لسان العرب) :
« سُلٌّ » ، وأَسَلَهُ الله فهو مسلول : شاذ على غير قياس . قال سيويه :
« كأنه وُضِعَ فيه السل » . والصحيح أن بناء مسلول عند سيويه على
« سَلَّ » ، ولكنه فيما رأى « استغني عن سله بأسله » ، فإذا قالوا : سُلٌّ ،
فإنما يقولون : جُعِلَ فيه السُلٌّ » . هذا ما صرح به في (الكتاب) ،
والاستغناء بلفظ عن لفظ شيء ، والشذوذ شيء ، ولكن هذا الاستغناء
لا وجه له في منطق العقل ، ولا يذهب بحق استعمال « المُسَلَّ » من : أسله
الرباعي متى احتجج إليه .

ل — أَضَادَهُ فهو مضؤود . قال الزَّيْدِيُّ في (تاج العروس) : الضؤود :
الزكام ، وقد ضُئِدَ كني ضؤاداً وضؤوداً : زُكِمَ ، فهو مضؤود . وأضاده

الله فهو مَضُود ومُضَاد ، ثم ساق كلام ابن سيده في تخريج مَضُود على طرح الراءد ، أو كأنه جُعِلَ فيه ضَادٌ ، ثم قال : وأباها أبو عُبَيْد . وهذا النص في (لسان العرب) أيضاً ، ما عدا عبارة « فهو مَضُود » ، بعد « زَيْم » . وقد أصاب في الأول ، إذ بني مَضُوداً على ضُئِد . وضُئِد مبني على ضَادِه ، لا على أضاده ، ولا معنى لطرح ألفه ونقله إلى الثلاثي . وخلط في الثاني ، إذ بني مَضُوداً ومُضَاداً معاً على أضاده ؛ بعد أن قرر بناء مَضُود على ضُئِد الثلاثي المبني للمجهول .

م - أضعفه المرض فهو مضعوف . قالوا : جاء على غير قياس ، عن أبي عمرو - كما في (الصحاح) ، واستشهدوا بيت لبيد العامري :
وعالين مضعوفاً وفرداً^(١) سموطه عجمان وممرجات يشك المفاصلا
وقال المعري في (عبث الوليد) معلقاً على بيت البحري في رثائه وصيفاً التركي :

تغيّب أهل النصر عنه ، وأحضرت سفاهة مضعوف وتكثير فاصح
: « مضعوف : كلمة قليلة الاستعمال . وإذا حملت على القياس ، فإنما يراد رجل فيه ضعف ، ولا يستعمل ضعف [هـ] فهو مضعوف . وهذا مثل قولهم : مجنون ، أي : به جِنَّة ، ولا يقولون : جِنَّة الله ، وإنما يقولون : أجِنَّة . ولهذا نظائر ، مثل قولهم : مكذوب [كذا] ، والصواب : مكزوز [] ، إذا أصابه الكذاذ [كذا] ، والصواب : الكُزاز [] ، ومقرور إذا أصابه القُر . فاذا رد الفعل إلى الفاعل ، دخلت الهمزة ، ف قيل :

(١) في لسان العرب والمخصص : « ودُرّاً » ، وفي شرح القاموس : « وفرداً » وفي عبث الوليد : « كثيراً » .

أقرّه الله ، وأكذّه [كذا ، والصواب : وأكزّه] ، ونحو ذلك ، .
ثم قال : « وأما قول لبيد :

وعاليتن مضموفاً كثيراً مسموطه هجاناً ومترجناً يشكّ المتفاصلا

فهو راجع إلى مثل حال الأول ، إلا أن « المضموف » في قول لبيد مراد به الكثرة ، من قولهم : أضعفت الشيء ، وضاعفته ، إذا أضفت إليه مثله أو أكثر .

وكيف كان المراد بـ « مضموف » فإن دعوى شنوده غير مسلمة ، وما قاله المعري في محاولة حمله على القياس ، هو قول سيبويه في تخريج « المجنون » و « المسلول » ، ولكن فات المعري صدر كلامه من تخريجه بناءهما في الأصل على « جنته » و « سألته » ، وهذا هو الحق ، وما جاء من كلامه بعد ذلك إنما هو صناعة نحوية متكلفة لا حاجة بنا إليها . وقد أسلفت في الكلام على « أبرزه فهو مبروز » يتين للبيد صاحب هذا البيت ، واستدلال الجوهري بها على أن « مبروزاً » هو لفته ، وقد جرى في هذا البيت على لفته أيضاً ، فلا شنود فيه . وإذا اغفلت المعاجم « ضَعَفَهُ » بمعنى « أضعفه » ، فإن في فرعه الوارد في الكلام الفصيح دليلاً شاهداً عليه لا محالة .

ن - أقرّه الله فهو مقرر . قال الجوهري في (الصحاح) : « وأقرّه الله من القَرَّ [البرود] فهو مقرر ، على غير قياس ، كأنه بُني على : قَرَّ » . وزاد ابن منظور في (لسان العرب) : « ولا يقال : قرّه » . وخرجه ابن سيده على طرح الزائد ، وبنائه على المجهول . والصحيح هو مذهب سيبويه في نظائر هذا اللفظ ، كالمجنون والمسلول ، فقد قرر أن « جُنَّ » ونحوها إنما بُنيت على « جَنَّهُ » لا على « أَجَنَّهُ » ، واستغني بـ

«فعل» عن «أفعل» ، والقول بالاستغناء بلفظ عن لفظ جائر ، ولكنه لا يسقط حق استعمال المتروك متى دعت الحاجة إليه .

س - أكربه فهو مكروب : قالوا إنه شاذٌ على غير قياس ، وهو خطأ من قائله ، فإنَّ العرب قالوا : كَرَبَ فلاناً الأمر والغَمَّ ، وكربه العيبُ ؛ إذا اشتدَّ عليه وثقل فهو مكروب . وفي الحديث : « كان النبي ﷺ ، إذا أتاه الوحي كُرِبَ له » .

ع - أكرَّه الله فهو مكروز . قال ابن منظور في (لسان العرب) : « وقد كُرَّ الرجل على صيغة ما لم يسم فاعله ، زُكِمَ ، وأكْرَّه الله فهو مكروز ، مثل : أحمره فهو محموم ، وهو تشنجٌ يعيب الإنسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير ، واقتصر الجوهري في (الصحاح) على كُرَّ الثلاثي فقال : « وقد كُرَّ الرجل فهو مكروز ، إذا تقبَّض من البرد ، ولم يَزِدْ عليه . وكُرَّ ، بناؤه على كُرَّه ، والكاف والزاي أصل للانقباض واليبس كما تدلُّ عليه جملة معاني المادة ، وقد جاء فيها : « كرزت الشيء فهو مكروز ، أي : ضيقته ، كما في (الصحاح) وغيره .

ف - أكمده فهو مكمود . أغفله الجوهري في (الصحاح) ، وذكره ابن منظور في (لسان العرب) والمجد في (القاموس المحيط) والزبيدي في (تاج العروس) . وقد خصَّه ابن منظور بمداواة موضع الوجع بالكيادة وقال : « وقد أكمده فهو مكمود : نادر ، وخصَّه المجد بالحزن والغَمَّ كما يهدي إليه سياق كلامه ، ويفسره صنيع الزبيدي ثم اعترضه من بعدُ بأن يكون موضع « أكمده فهو مكمود » في الكلام على مداواة

موضع الوجد بالكيادة كما هو صنيع ابن منظور في (لسان العرب) .
والذي يعيننا من ذلك هو دعوى اشتقاق مكمود من أكمده ، وهي
مرفوضة أصلاً ، فإن أكمده مفعوله ، مكمد ، لا محالة ، والمكمود
من كمدته ، ولا عبرة بعدم إثباته في المعاجم كمنظائر له ، فما أغفلته شيء
وافر ، وإنما أن نستدل بالفرع على الأصل دون اللجوء إلى المخارج
النحوية . المتكلفة .

ص - ملقوحة . جاء في (المصباح) : « أَلْقَحَ الفحل الناقة . .
فهي ملقوحة ، على غير قياس . وهي عند أبي عبيد من قولهم : لَقِحتُ ،
كالمحموم من حم ، والمجنون من جن . وعند ابن الأثير في (النهاية) من :
لَقِحتِ الناقة ، وولدها ملقوح به ، إلا أنهم استعملوه بجذف الجار ،
والناقة ملقوحة . وأجراها الجوهري على قياسها ، قال : « الملاقح : الفحول
الواحد ملقح ، والملاقح أيضاً : الإناث التي في بطونها أولادها ، الواحدة
مُلْقَحَة ، بفتح القاف » . ولا ريب في أن ملقوحة من لقحته ، لا من
ألقها . وفي (لسان العرب) : « قال الأزهري : في قول أبي النجيم :

وقد أجنثت علقاً ملقوحاً

« يعني : لقحته من الفحل ، أي : أخذته » .

ق - أملاء الله فهو مملوء . قال الجوهري في (الصّحاح) : « والملاءة ،
بالضم ، مثال المتعة : الزكام ، ومليء الرجل ، وأملاء الله ، أي : أركمه ،
فهو مملوء ، على غير قياس ، يحمل على : مليء » . ومثل هذا في (لسان
العرب) و (تاج العروس) . ولا ريب أن القول بحمل مملوء على : مليء ،
معناه نفي صفة الشذوذ عنه ، ومليء يستلزم وجود ملأه كأملاء ، وهو
عند سيبويه مما استغني بالاستقاق منه عن الاشتقاق من الرباعي ، ولكن
ذلك لا يمنع منه متى احتيج إليه ، لأنه قياس في العربية .

و - أثبت الله النبات فهو منبوت . ذكره الجوهري في (الصّحاح)، وقال : هو « على غير قياس » . وذكره المجد في (القاموس المحيط) بإسقاط هذه العبارة ، وأعادها الزبيدي في شرحه مصرحاً بنسبتها إلى الجوهري . وأهمله ابن منظور في (لسان العرب) جملةً في (ن ب ت) ، وذكره في (س ر ر) استطراداً عن ابن سيده ، وجاء « المنبوت » وفعله في عبارته مصحّفين بالثاء : « المنبوت » و « أثبتته » ، قال : « والمثتل » الذي جاء : « كلُّ مُجْتَرٍ بِالْخَلَاءِ مُسَرٌّ » ، قال ابن سيده : حكاه أقيار بن لقيط ، إنّما جاء على توهم « أسر » ، كما أنشد الآخر في عكسه :

وبلد يُغْضِي على النُّعُوتِ يُغْضِي كإغضاء الرّديّ المَثْبُوتِ (?)

أراد : « المَثْبُوت » (?) ، فتوم : « ثَبَّتَهُ » (?) ، كما أراد الآخر « المسرور » فتوم « أَسَرَّهُ » .

وزعمُ التوهمُ هذا ، تعليلٌ جديدٌ يقرّره ابن سيده ، وقد قلت مافيه الكفاية في الكلام على : « مَرَّةٌ » فهو مُسَرٌّ . وقد عوّدنا ابن سيده توجيهَ نظائر هذا اللفظ - كما سبق - بأنها على طرح الزائد . فما عدا بما بدا؟ ولو كان له ولنظرائه من اللغويين منهج علمي متبّع ، لجرى على سنّته ، ولم يعدد صور التعليل والتوجيه في الألفاظ المتماثلة . وأعيد هنا ماقلته في « مره فهو مُسَرٌّ » : إن « المنبوت » يستلزم « نبته » بمعنى « أثبتته » ، لا محالة ، حقيقة لا توهمًا ، لكن أصحاب المعاجم أثبتوا الفرع وأهملوا الأصل ، ولذلك نظائر كثيرة ، ولنا أن نستدل بالفرع على أصله ، ونستهدي بالوصف إلى فعله ، وهو مذهب اعتمده أبو علي الفارسي وابن جني ، ونقرهما عليه لوجهاته .

ش - أهمته فهو مهموم . ذكره الشيوطي في (المزهر) عن (الغريب

المصنف (لأبي عبيد في جملة ألفاظ من هذا الضرب ، ولفظه : « .. وأهمه الله من المهم ، وكل هذا يقال فيه « مفعول » ، ولا يقال « مفعول » . ، ولم أجد النص على شذوذه في (الصحاح) و (لسان العرب) و (القاموس المحيط) و (تاج العروس) ، وإنما ذكر فيها : « مهمه الأمر ، وأهمه : إذا حزنه وأقلقه ، ليس غير ، من الأول يقال : مهموم ، ومن الثاني : مهم قياساً . غير أنه يظهر من شروع « مهموم » في مستعمل الكلام أنهم اكتفوا به عن الاشتقاق من الرباعي ، ولو أرادوه لساغ لهم ، لأنه قياس في العربية .

ت - أهته الله فهو مهنون ، من الهتانة - بضم الهاء وتخفيف النون - وهي الشحمة في باطن العين تحت المقلة ، وبقية المنع . ذكره الجوهري في (الصحاح) ، وأحمد بن فارس في (المعجم) ، وابن منظور في (لسان العرب) ، والمجد في (القاموس المحيط) ، ولم ينصوا على شذوذه لظهوره ، ونص عليه الزبيدي في (تاج العروس) بأنه كأحمه فهو محوم ، وقال : « وله نظائره . وقد بينت الرائي في « أحمه فهو محوم » ونظائره ، وماقلته فيها أقوله في هذا .

ث - أوجده فهو موجود . في (لسان العرب) « ووجد الشيء عن عدم فهو موجود ، مثل : حم فهو محوم » وأوجده الله ، ولا يقال : وجدّه ، كما لا يقال : حمّه ، وفي (تاج العروس) : « وأوجد الله الشيء من العدم ، فوجد ، فهو موجود من الثوارد ، مثل : أجنّه الله ، فجئن ، فهو مجنون .

يلاحظ أن الأول بني « الموجود » على « ووجد » ، لما لم يُسم فاعله ، قياساً على « حم فهو محوم » ، ولم يربطه بـ « أوجده » ، ومنع « وجدّه » بمعناه كما منع « حمّه » . والثاني جعل « ووجد » مطاوعاً لـ « أوجده » وبني منه « الموجود » ، وقرّر ندرته أي شذوذه ، كأنه لم يبرح يلاحظ صلته بالرباعي واشتقاقه منه ، وهو تناقض واضح . والصحيح في هذا مذهب سيويه ، وهو أن « جئن » ونحوه إمّا بُني على « جنته » ، لا على الرباعي ، واستغني

بالاشتقاق منه عن الاشتقاق من الرباعي ، فالصلة بين « الموجود » و « أوجده » على هذا منقطعة من حيث الاشتقاق ، كما أن قوله بالاستغناء عن البناء على الرباعي ليس مؤدناه حظوة ، ولكل موضع في الكلام .

خ - أودعه فهو مودوع . ذكره ابن جني في (الخصائص) عن شيخه أبي علي الفارسي ، قال : « ومثله [مثل : أحبه وأجته وأزكه . .] ما أنشدناه أبو علي من قوله :

إذا ما استَحَمْتُ أرضه من سماءه جرى وهَوَ مودوع وواعد مُصَدَّق
قال : « وهو من : أودعته ، وينبغي أن يكون جاء على : ودِعَ » .
أقول : هذا البيت قائله خفاف بن ثدبنة ، وفي لفظ : « مودوع » فيه - ثلاثة أقوال :

الأول أن معنى « مودوع » : متروك ، لا يضرب ولا يزجر . وهو تفسير الجوهري .

الثاني أنه هاهنا من الدعة التي هي السكون ، لا من الترك ، أي : أنه جرى ولم يتجهّد . وهذا قول ابن بري ، ويقال من هذا المعنى : ودع يدع دعةً ووداعةً ، وودعه فهو وديع ووادع . وقال ابن بزرج : فرس وديع ومودوع ومودع .

الثالث أن ودعته أي تركه فهو مودوع ، على أصله . وهذا القول ، وهو ينسب إلى ابن جني كما في (لسان العرب) ، مبني على إمانته هذا الفعل وما يتصرف منه ، فلا يقال : ودعته يدعه ودعاً ، ولكن يقال : تركه يتركه تركاً ، ولا : دَعُ ، ولكن : أترك ، ولا وادع ومودوع ، ولكن : تارك ومتروك ؛ وأن ما جاء منه في الشعر ضرورة . وذلك قول

باطل مُطَّرَح ، كيف وقد ورد كل ذلك في أفصح الكلام ، في القراءات والحديث ، كما ورد في الشعر القديم جاهليته وإسلاميته ؟

فأمّا في القراءات ، فقراءة عُرْوَة بن الزُّبَيْر قوله تعالى في « سورة الضحى / الآية ٣ » : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ بتخفيف الدّال ، أي : ما تركك ربك ، وهو بمعنى « ودّعك » في القراءة الأخرى .

وأمّا الحديث ، فقول النبي عليه الصلاة والسلام : « لَيَسْتَهَيِّنَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ » ، أي : على تركهم الجمعات والتخلف عنها .

وأمّا الشعر ، فمنه قول أبي الأسود الدؤالي ، ويروى ببعض الاختلاف لأنس بن زعيم الليثي ولسؤيد بن أبي كاهل أيضاً :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودّعه
أي : تركه . وقول الآخر :

فسعى مسعاته من قومه ثم لم يدرك ولا عجزاً ودّع
أي : ترك . وقول معن بن أوس :

عليه شريب ليلن وادّرع العصا يساجلها حمّاته وتساجلته
أي : تارك العصا . ومثله قول الآخر ، أنشده أبو علي الفارسي نفسه في (البصريّات) :

فأيّسها ما أتبعن ، فأنني حزين على ترك الذي أنا وادع
ثم قول خفاف بن ثدبة ، الذي أنشده أبو علي أيضاً فيما حكاه ابن جني :
إذا ما استعجبت أرضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق

أي : متروك ، على تفسير الجوهري ، وفعله : « وَدَعَهُ » ، لا . أودعه ، وبه يظهر خطأ أبي علي الفارسي في بناءه له على : « وَدِعَ » .

* * *

٧ - جاء في (المزهري) : « لم يأت اسم المفعول من « أفعل » ، على « فاعل » ، إلا حرف واحد ، وهو قول العرب : « اُسْمِتُ الماشية في المرعى فهي سائمة » ، ولم يقولوا : « مُسَامَةٌ قال تعالى : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ » ، من : « أُسَام يُسِيم » . واستظهر السيوطي على تخريجه بقول ابن خالويه : « أحسب المراد : اُسْمِتُهَا أنا ، فسامت هي » ، كما تقول : « أدخلته الدار فدخل فهو داخل » .

ودعوى أن العرب لم يقولوا « مُسَامَةٌ » ليست بسليمة ، وما خاله ابن خالويه في تحريرها ليس بالذي يركن إليه .

أما الدعوى فتحريرها أن « سائمة » لفظ مشتق ، وكذلك « مسامة » لفظ مشتق أيضاً ، وكلاهما يجري عليه من الحكم ما يجري على المشتقات في كلام العرب على إطلاقه بلامع ولا قيد ولا شرط ، ولا يركن في ذلك إلى السماع ، لأن تعريف كل لفظ تنطقه العرب من طريقه متعذر وممتنع عقلاً وعرفاً ، ومن المجازفات الباردة أن يقال غير هذا .

وأما تخريج ابن خالويه ، فإنه إنما تكلم فيه على « سام » الثلاثي اللازم وما يشتق منه ، لا على « أُسَام » الرباعي المتعدي ، فجعل الثاني مطاوعاً للأول ، وخرج إلى الاشتقاق منه ، تركاً « أُسَام » جانباً لتعلق ذهنه بصورة الدعوى وحسابه إياها سليمة ، فما زاد على أن فسر الماء بعد الجهد بالماء .

والأمر في المشتقات إنما يرجع في جملة إلى القياس دون السماع ، وما يخص السماع إنما هو الفعل . وفي هذه المادة نجد العرب قد قالوا : « سامت الماشية » ، إذا رعت حيث شاءت ، وأجروا اسم الفاعل منه على قياسهم فقالوا « سائمة » ، ثم توسعوا فيها فأطلقوها اسماً لما يرى من الإبل والحيل

والغنم .. وسمّوا الموضع الذي تسومه أي ترعاه ولا تبرح منه « المسام » ، وهو قياس أيضاً . ثم احتاجوا عند إرادتهم إخراجها إلى الرعي ، إلى تعديته فقالوا أسامها إسامةً ، وسوّمها تسويماً ، وجيء اسم المفعول منها في كلامهم « مُسامة » و « مُسَوِّمة » قياساً مطرداً لا يتوقّف فيه ولا يطلب فيه السماع . وقد جاءت « المُسَوِّمة » في قوله تعالى في « سورة آل عمران / الآية ١٤ » : ﴿ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمةِ ﴾ وفسرت تفسيرين : المرسل للرعى ، والمعائمة ذات الغرّة والتجليل .. هذا هو كلام العرب ومنطقه .

- ٤ -

تلك هي جملة ما أصبته في دواوين اللغة وكتب النحو من المشتقات ، التي زعموها جاءت شواذاً على غير القياس ، في بابي اسم الفاعل واسم المفعول ، ويلحق بها ما فاتني منها فتورد إلى القانون الذي أجرته عليها ، انطلاقاً من مراعاة أصلين اعتمدتهما فيما تدارسته ، وأقيمت عليها عمود البحث والنقاش والتوجيه .

فأما الأصل الأول ، فهو هذا القانون اللغوي العام الذي استقر في فطرة العرب ، وصدروا عنه في كلامهم ، تصريحه وإعرابه ، سجية وطبعاً ، وأجروه في ذلك قياساً مطرداً لا يتوقف ، بقوة الطبع ورهافة الحس ، وتأبّث سلاتقهم الانحراف عنه كما رويت في صدر البحث من شواهد ، من حديث أبي عمر الجرمي مع الأعرابي الذي أراد امتحان فصاحته قبل أخذه اللغة منه تحريماً للفصيح الصحيح ، والتزاماً للأمانة ، على جاري سنة علماء العربية الثقات الأمانة في صدر عهود الرواية .

وأما الأصل الثاني فهو التهديسي إلى الأصول التي لم تدون في دواوين اللغة ، وفي هذا كلام يطول ، بالفروع التي وردت في كلام الفصحاء من طريق الروايات الصحيحة ، والبناء عليها فيما أوردت وناقشت من مزاعم الشنوذ .

وقد تنبه الى هذا الأصل أبو علي الفارسي من أئمة اللغة في المائة الرابعة الهجرية، وحكاها عنه تلميذه ابن جني إذ قرر « أن الفرع يدل على أصله ، والوصف يهدي الى فعله ، فإذا صحت الصفة فالفعل حاصل في الكف » أو كما قال . ولكن العجيب أنها لم يطبقاه قط ، ولم يستفيدا منه في تخريج بعض ما عنّ لهما من هذه الألفاظ ، فتسكعا كأمثالهما فيما تسكعوا فيه من بُنَيَّات الطريق ، وأخذوا فيما أخذ فيه غيرهما يضربان ذات اليمين وذات الشمال ، وتعثروا كما تعثروا ، إذ لم يسلكوا الجَدَدَ ليأمنوا العِثَارَ ، وانتشرت أقوالهم في ذلك على مناحي شتى ، وقد أرادوا الخارج فوقعوا في الخارج ، ولم يلتقوا فيها - وما عرضوا له أشباه مائة - على رأي بعينه ، يزيح عنها العلة ويرجعها إلى نصابها ، بل ربما قالوا قولاً في لفظ ثم قالوا خلافه في نظيره ، فما زادوا مزاعم الشذوذ إلا تهويشاً وتشويشاً وتعقيداً . وقد بسطت ذلك بسطاً ، وما أقول هذا القول اقتتاتاً أو عجرفة ، فما بي - والله الحمد - شيء من هذا ، وهذه أقوالهم بين أيدينا ، قريبة من نظرنا ، وما في العهد بها من قِدَمٍ فتُنسى !

ولعل اتباعي هذين الأصلين قد هداني لإتيان الأمر من بابه ، ودخوله مستأنساً غير واغل ولا متجرىء ، وأبلغني ما قصدت إليه : من ازاحة العلل التي ألحقت بهذه الطوائف من ألفاظ « العربية » وإبطال القول بشذوذها ، ودإخالها كلها جمعا في القانون الذي يجري على أمثالها . وهو مطلب أرجو أن تتلاحق نظائره ، لإبراز عبقرية هذه « العربية » العظيمة ، وأستغفر الله من الزلل ، وعليه قصد السبيل .

انتفاضات العرب القومية

بين سقوط بغداد

وحكم الملك فيصل في بلاد الشام^(١)

الأستاذ محمد جميل بهم

سيداتي وسادتي :

أشعر باعتزاز إذ أتيت لي الفرصة للتحدث إلى نخبة من أمثالكم ، في صرح كهذا ، غابق بعبير الثقافة والعلم . لذلك كنت علي أن أستهل كلامي بالشكر إلى طلاب التاريخ في هذه الجامعة المحترمة ، الذين دعوني لإلقاء هذه المحاضرة . وكان علي أن أشفع هذا الشكر بآخر مثله ، أوجه إليكم أيها السادات والسادة الذين ليتم الدعوة .

وبعد فإن دور الملك فيصل بن الحسين في بلاد الشام ، هو حلقة من سلسلة انتفاضات عربية لم تنقطع منذ سقوط بغداد ، لذلك فإني أرى من المفيد التمهيد لهذه الحلقة بكلمة موجزة أتناول فيها ماسبقها من حلقات ، ولا سيما ما كان منها مغموراً في تاريخ العرب ، لربط الأسباب بالمسببات ، وللتدليل على أن أسلافنا لم ينبوا قوميتهم في غفون زوال حكمهم ، وتغائب الأعاجم عليهم .

سيداتي وسادتي :

وضع ابن خلدون مقدمته في أواخر القرن الرابع عشر ، وقد التفت

(١) محاضرة للأستاذ محمد جميل بهم في قاعة الوست هول بالجامعة الأميركية في بيروت.

منة ويسرة يتفقد قومه - أولئك الذين سادوا وشادوا وبنوا ، وطبعوا العالم بطابعهم خلال القرون الثلاثة : الثامن والتاسع والعاشر للميلاد - فلم ير سيداً مستقلاً منهم خارج شبه جزيرتهم ، وحينئذ سمح لنفسه أن يقول : « وتوحشوا كما كانوا ، ولم يبق لهم من الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم » . ومضى يقول : « ولما ذهب أمر الخلافة منهم ، وانحى رسمها ، انقطع الأمر جملة من أيديهم ، وغلب عليهم العجم دونهم ، وأقاموا في البادية القفر لا يعرفون الملك ، ولا سياسته . بل قد يجبل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم » .

والواقع فإن العرب في أيام ابن خلدون ، وإن لم يكونوا على ما وصفهم به صاحب المقدمة ، إلا أنهم كانوا في الجملة قد خسروا سلطانهم السياسي ، ولم يبق لهم منه إلا دولة بني الأحمر في غرناطة (١٢٣١ - ١٤٩٢) وكانت يتيمة في الأندلس تدافع عن البقية الباقية من حكم المسلمين في تلك الديار . وذلك بالإضافة إلى إمارات في شبه الجزيرة العربية لاشأن لها ، وعلى رأسها الدولة الرسولية في اليمن (١٢٨٨ - ١٤٥٤) .

وصادف أن ولد في مدينة سكود بالأناضول ابن الأمير ارطغرل التركي أحد عمال سلاجقة قونية وذلك في عام ١٢٥٨ أسماء أبوه عثمان . وهو العام الذي احتل فيه هولاكو بغداد . والذي يعتبر عام انتقال لعلم الزعامة من يد العرب إلى يد الأتراك . فقد قدر لهذا المولود أن يكون مؤسس السلطنة العثمانية سنة ١٢٩٩ ، كما قدر لهذه السلطنة أن تقوم على أنقاض الامبراطورية البيزنطية - تلك التي كانت وقتئذ أعظم دول الغرب في الثقافة والسياسة - ولأن تنطلق من عاصمتها القسطنطينية لفتح العالم . وقد أتبع لها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) احتلال الشرق الأدنى والأوسط ، فضلاً عن شمالي افريقيا ، وشرقي أوروبا ، وتبديد مدينتي فينا وروما . ولما كانت

الحروب تتسم في تلك العصور بالروح الدينية ، فإن العرب ، في اعتزازهم بهذه الامبراطورية ، تناسوا قوميتهم طوال تلك الحقبة .. ولما فتح السلطان سليم (١٥١٢ - ١٥٢٠) مصر وسوريا في مطلع القرن السادس عشر رحبوا به هنا وهناك ، واستسلمت له جزيرة العرب ، ونادوا به في كل مكان : سلطان البرّين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، وغضّوا الطرف عن انتزاعه اخلاقة منهم .

ولكن ما إن ذهب عصر آل عثمان الذهبي ، واستحوذ الضعف عليهم ، وانجبت دولتهم نحو الانحلال ، حتى أخذ العرب يفقدون قوميتهم ، ويحنون لاستقلالهم . وكان ظلم عمال هذه الامبراطورية ، الذي رافق عهد انحطاطها ، واستبداد جيشها الانكشاري ، حافزين للعرب إلى التفكير في الخروج عليها ، ولاسيما في شبه جزيرتهم . وكانت اليمن ذات الحضارة القديمة والعريقة في الاستقلال ، أول من تمرد على الأتراك ، وقامت بثورات متوالية انتهت بجلائهم عنها سنة ١٦٣٠

وكان أشرف مكة يدعون أئمة الزيد سرّاً بالمساعدات في غضون ثورات اليمن . ولما أحرز هؤلاء الاستقلال نشط الأشراف للخروج على آل عثمان ، وظلوا يقاتلونهم حتى اضطروهم للاعتراف باستقلالهم سنة ١٦٩٥ ، ولكن هؤلاء وأولئك لم يستطيعوا الحفاظ على هذا الاستقلال إلاّ ردها من الزمن .

وقد روى لي ابن العم المرحوم راشد بيهم أن الشريف عبد المطلب في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١) فكّر في الخروج على آل عثمان على أن يكون هذا بثورة عربية عامة . فاتصل بالأمير عبد القادر الجزائري بدمشق ، وبالأمير محمد أرسلان ببلقان ، وبالحاج يحيى الدين بيهم في بيروت ودعاهم إلى القيام بثورة مشتركة . ولكن حكومة استانبول تداركت الأمر قبل وقوعه ودعت الشريف المشار إليه ، إليها حيث اعتقلته ، وبددت آماله .

هذا وفي غرة القرن الثامن عشر برزت أعظم ثورة عربية على الأتراك في جزيرة العرب ، وأعني بها الثورة الوهابية الإصلاحية التي استولت على الحجاز ، وعلى قسم من جنوبي العراق ، وبلغت طلائعها مشارف الشام . ولكن السلطنة التي استعانت وقتئذ بصر استطاعت أن تردّ الوهابيين إلى بلادهم .

وأما في خارج جزيرة العرب فإن هزائم الأتراك في الحروب التي شنتها عليها الدول الأوروبية منذ القرن الثامن عشر ، تلك الحروب التي كان يسميها الأوروبيون مقدسة ، شجعت البلاد العربية الأخرى على التفكير في الاستقلال : « ففي العراق بسط آل مهنا حكمهم على النجف وما حوله حتى فالوجة ، واستولى آل أبي ريشة في عانة على أراض واسعة تمتدّ من هيت إلى يردجك ، بينما كان آل شيب في المتفك يهدّون البصرة . ولما تمكن كبة^(١) بغداد من أسر أعدم الشيخ سعدون بجيلة نصبها له ، اتهمه صراحة بأنه كان يعمل لاستعادة الحكم للعرب .

وإلى هذا فقد شهدت بلاد الشام ثورات متعددة على الأتراك ، وكان أبرزها ثورة الأمير فخر الدين المعني الثاني التي كانت ذات طابع عربي . ومن الدلالة على ذلك ما رواه الشيخ أحمد الخالدي في الكتاب الذي نشرته مديرية المعارف في لبنان بعنوان « لبنان في عهد الأمير فخر الدين » . فقد جاء في هذا الكتاب : « وكل (الأمير) إلى كتخداه بالآستانة الحاج درويش أمر الحصول على فرمان من السلطان يمنحه الولاية على ديرة عربستان فأنته البشري والفرمان السلطاني سنة ١٦٢٤ على أن يكون متولياً على ديرة عربستان من حلب حتى حدود القدس » . وأما الأدلة الأخرى فقد وردت في كتابي : عروبة لبنان الذي صدر في العام الماضي .

ثم كانت ثورة الشيخ ظاهر العمر بـفلسطين . فهو بالاتفاق مع روسيا -

(١) كبة : تعبير تركي أريد به الحاكم .

خلال حربها ضد السلطنة العثمانية - فتح عكا سنة ١٧٤٩ ، وانطلق منها فاستولى على سواحل بلاد الشام من تخوم مصر حتى طرابلس . وقد حدثني المرحومة عمتي أن الأسطول الروسي احتل وقتئذ ، بيروت ، وأرسل منادياً ينادي في أسواقها « سلطان ملطان مافي ، ما في إلا القيصرة كثرينا » .

وأما في مصر فقد نشبت في عهد المماليك ثورات أخرى كانت ذات طابع قومي ، وكان على رأسها ثورة علي بك الملقب بشيخ البلد في القرن الثامن عشر . فهذا استطاع بالاتفاق مع الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا ، وبمساعدة روسيا أن يستولي على قسم من جزيرة العرب ، وأن يحتل من جهة أخرى دمشق . ثم كانت ثورة محمد علي الكبير مؤسس الأسرة الحديوية في القرن التاسع عشر الذي اتخذ لنفسه لقب : « ساري عسكر الجيش العربي » ، في محاولة لإقامة دولة عربية في الجزء العربي من السلطنة العثمانية .

وكل هذه الانتفاضات كانت ذات نزعات قومية ، لأن العرب كانوا في تلك الأوقات يتذمرون من حكم الأتراك ويتمنون الانفصال عنهم على ما يستفاد من الكتب الأجنبية في سياق حديثها عن الأحداث السياسية : فالمؤرخ الفرنسي سديو يروي في كتابه « تاريخ العرب » مايلي : « أرسل نابليون سنة ١٨٠٤ مسير ليستاريدس إلى جزيرة العرب والعراق وسوريا بغية الاتفاق مع أمرائها وشيوخها على تسهيلهم المرور للجيش الفرنسي في بلادهم لاكتساح الهند . فكانت التقارير التي رفعها إليه ، تشير إلى أن عموم العشائر البدوية ماعدا عنزة ، كانت تكره تركيا وتتمنى التحرر منها . وقد ورد في كتاب « رحلات في بلاد العرب » لشارل دوكتي ، الذي صدر سنة ١٨٨٥ ما يؤيد قول سديو . إذ جاء فيه : « إن العرب يعتبرون الأتراك دخلاء على بلادهم وأنهم لا يضمرون لهم الخير » .

الانتفاضات العربية في مظهرها الحديث

كان القرن التاسع عشر ، الذي اختمر فيه مبدأ القوميات ، أشبه شيء بركان يلقي الحمم على الشعوب الممتطشة إلى الحرية فيشعلها ، ويدفعها إلى الثورة في سبيل الاستقلال ، وكانت الدول الأوروبية الطامعة باقتسام تركيا تتخذ من هذا المبدأ مبرراً لها لإثارة الشعوب غير التركية في هذه الدولة - ولا سيما في شرقي أوروبا . ولما دوت أصوات مدافع أساطيلها سنة ١٨٠٨ في مرفأ نافارين اليوناني ، وذلك في غضون الثورة اليونانية على السلطنة العثمانية ، واحترقت نيرانها العمارتين العثمانية والمصرية زعم ساسة أوروبا وقتئذ بأن هذه الطلقات كانت تزف إلى العالم بشري انتصار المبدأ القومي . فكان ذلك مشجعاً لسائر بلدان شرقي أوروبا للخروج على استانبول تباعاً ، ولأن تحوز استقلالها واحدة بعد أخرى .

ثم جاء بعد ذلك دور البلدان العربية في عهد السلطان عبد الحميد وبعده . وهذا حديثه يطول ولعلي احدثكم عنه بمحاضرة أخرى . وقد نوهت اللجنة الملكية الإنكليزية التي جاءت سنة ١٩٣٧ للتحقيق في قضية ثورة فلسطين ، نوهت بما كان للكلية السورية الإنجيلية في بيروت من الفضل في بث القومية العربية بين الشبيبة السورية ، وفي تحويلها إلى المطالبة بالحكم الذاتي . ثم كان ما كان بعد ذلك من خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ، واستبداد جمعية الاتحاد والترقي تحت ستار الطورانية ، ومن قيام الجمعيات العربية التي بدأت بالمطالبة بالعدالة الاجتماعية والمساواة ، وانتهت بنشدها الاستقلال التام ، ومن جراء ذلك وقع النفور بين العرب والترك . وقد عبر عن ذلك النفور الشيخ عبد الرحمن سلام لمناسبة وافدة غمرت بلاد الشام وقتئذ حيث قال :

اتيتَ بيروت ضيفاً يا أبا الركب فكنت ضيفاً ثقيلاً سيء الأدب
يا بن الجراثيم لا تسكن منازلنا فقد كرهناك كره الترك للعرب

ولكن الحرب العالمية الأولى بدلت الوضع بين العرب والترك ، لأن الخوف من الدول الأجنبية كان حافزاً للعرب في بداية الأمر إلى تناسي الماضي القريب وميثاق الأتراك ، وحافزاً لهم إلى مشاركة هؤلاء المواطنين في تمني إدراك النصر ، كما أن حاجة الأتراك إلى العرب ساقطتهم في أول الأمر لاسترضائهم ، وإلى نشد المعونة منهم باسم الأخوة والإسلام.

النعامة التي انقلبت إلى أسد

لما دخلت السلطنة العثمانية الحرب ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ كانت جمعية الاتحاد والترقي تستأثر بالسلطة ، وكان على رأسها عسكريان أنور باشا وجمال باشا، ومدينان طلعت بك وجاريد بك : فاختار هؤلاء أحدهم جمال باشا ليتولى زمام بلاد الشام باسم قائد الجيش الرابع ، ومنحوه الصلاحية المطلقة ..

وكانت سورية وقتئذ بساحتها وداخلها قاعدة للحركات العربية . لذلك فإن جمال باشا جاءها على حذر وهو يرتدي ثوب النعامة . فشرع يلوح بالإسلام الذي لا يفرق بين عربي وتركي ، ويحذر من الخطر الأجنبي الذي يهدده داعياً إلى الأخوة والتضامن . كما أخذ يتبرأ من الطورانية ويشير إلى حق العرب في الاستقلال . وعلى الرغم من الوثائق التي كشف النقاب عنها وقتئذ في القنصليتين الفرنسيتين في بيروت ودمشق ، تلك الوثائق التي تدبر كثيرين من السوريين واللبنانيين فقد تجاوز جمال باشا عنها واكتفى بمحاكمة نخلة باشا المطران الذي حكم عليه بالنفي مدى الحياة . بيد أنه أراد أن يجعله عبرة لغيره فأمر بتشهيره بدمشق على شكل تقشمر منه الأبدان . وقد قدر لي أن أشاهد هذا التشهير فرأيتهم يركبونه عربة مكشوفة وهو واقف فيها بثوب كره كوز مطلي الوجه بالمساحيق الملونة ، وأمامه رجل غليظ القلب يصفعه بنعله تارة من اليمين وتارة من الشمال ، ويكيل له الشتائم بين تصفيق الرعاع وهتافهم . ثم ساقوه إلى المنفى ، واغتالوه في طريقه إليه .

وهنا يبرز السؤال لماذا تجاوز جمال باشا وقتئذ عن الآخرين ولم يسقهم إلى المحاکمة ؟ ذلك بأنه كان يُعدّ العدّة لفتح مصر ، ويتربّب من العرب في سورية وغيرها المساعدة . ولكن ما إن فشلت حملته على مصر في غضون ما كانت الحرب تبسم في وجه ألمانيا وحلفائها خلال السنين الأولى من الحرب ، حتى طرح ثوب النعمة واستأمد . وحيث ذ نصب ميزان الحـاب ، وساق المتهمين إلى المشائق في بيروت ودمشق على ثلاث دفعات خلال ستي ١٩١٥ و ١٩١٦ وأمر بنفي آخرين ، واقتل المجاعة ولا سيما في بيروت ولبنان ، كما يصرف الناس إلى التماس الرغيف . وهو في لامبالاته كان لا يتورع عن الترفيه عن نفسه كأن شيئاً من ظلمه لم يقع ، فقد كان هذا السفاح مصطفى في قصر آل كرم بصوفر ، فتسنّى لي - وأنا مصطفى في دارنا بمحطة بجمدون - أن أشاهد ، في أكثر الليالي ، موكبه عائداً بعد منتصف الليل من المآدب والحفلات التي كان بعض أعيان البلد المستهينين يقيمونها له بسخاء ، في غضون ما كان أكثر الناس يشتهون الرغيف ، وإبان ما كانت أرواح الشهداء تحوم حول الوطن متفقدة ما يجري فيه من المآمي .

الشريف حسين والثورة الكبرى

لم تكن الامبراطورية العثمانية في أواخر أيامها مطمئنة إلى أشرف مكة ، ولذلك كانت تدعو المرشح منهم للإمارة للإقامة في استانبول ، وتشمله بالرعاية بغية اتخاذ سلاحاً لها في وجه الشريف الحاكم إذا راودته نفسه الخروج عليها . وعلى ذلك فإن الشريف حسين كان يقوم في العاصمة خلال حكم سلفه ، وقد عينه السلطان عبد الحميد سنة ١٨٩٦ عضواً في مجلس الشورى . وكانت صفوة باشا يشرف على تربية أولاده : علي وعبد الله

وفصل . وقد قال لي عندما كنت في بغداد سنة ١٩٢٧ أزور الملك فيصل ، إنه كان يرى علامات النجاة بادية على الأمير عبد الله أكثر من أخويه .

وقد كان لهذه الإقامة الجبرية في عاصمة السلطنة ، وما كان يرافقها من إكرام للشرفاء أثر بالغ عليهم من حيث الولاء للدولة . ولذلك فإن الشريف حسين ما إن تولى إمارة مكة حتى كان هو وأولاده ، يقودون الغزوات ضد كل متمرد على آل عثمان . ولكن الأمير عبد الله كان أقلهم إخلاصاً للسلطنة . فما إن أخذت تركيا تتأهب لدخول حرب حتى واثى وجهه نحو بريطانيا . وكان يدفعه إلى ذلك تنكر الأتراك للعرب وإشفاقه على مصير الحجاز الاقتصادي إذا اشتركت دولته في تلك الحرب . ولذلك فإنه في طريقه إلى استانبول خلال شهر شباط ١٩١٤ مر بالقاهرة ، واتصل بكتشنر المعتمد البريطاني ببصر ، وحاول أن يعرف منه موقف لندن إذا ما نشب صراع سافر بين العرب والترك ، ثم وإلى اتصالاته به بعد أن عين وزيراً للحربية ، وذلك بواسطة خلفه رونالد ستورز بالقاهرة . وفي ٣١ تشرين الأول ١٩١٤ أبرق كَتشنر إلى دار الاعتماد البريطانية ببصر رسالة موجهة إلى عبد الله بمكة ، وطلب منها أن تبعث بها إليه ، يعلمه فيها دخول تركيا الحرب ، واستعداد الحكومة البريطانية ، في حالة وقوف الشريف حسين في صفها ، أن تحميه من كل اعتداء خارجي ، وأن تساعد العرب على إدراك حريتهم . وجاء في ختام هذه الرسالة تلميح مفاده أن الشريف حسين يستطيع أن يطمئن إلى اعتراف انكلترا إذا بويع بالخلافة .

وهذه البرقية جعلت شريف مكة المتردد بين رأي ابنه فيصل ، الذي لم يكن يريد الخروج على دولة الخلافة ، وبين رأي ولده عبد الله الذي

كان يمنح إلى المشي في صف الحلفاء ، جعلته يميل إلى رأي عبد الله . وكان الحافز له على ذلك أيضاً وضع الحجاز الاقتصادي خلال الحرب ، ذلك بأن الحجاز كان بلداً فقيراً يعيش من موارد الحج ومن العطايا ، ويستورد كل حاجاته من الخارج . وإذا نشبت الحرب لا يبقى له مورد ، ولا اتصال بالبلاد الأخرى طالما أن البحر الأحمر يتفرد فيه الأسطول الإنكليزي . ومع ذلك فإن الشريف حسين ظل يتظاهر بالولاء لتركيا في غضون ما كانت انكلترا تبذل وسعها لتفادي مخاطر دعوة خليفة المسلمين إلى الجهاد . هذا ولما نشبت الحرب واشتركت فيها تركيا مع المحور طلب جمال باشا من الشريف حسين إعلان الجهاد ، وأن يرسل له راية الرسول إلى دمشق ، فأرسل الـراية ، ووعد بإعلان الجهاد . ولكن هذا الوعد لم يرض جمال باشا ، بل جعله يرتاب في إخلاصه . فأمر وهيب بك بمكة سرّاً أن يعزله ، ولكن هذا الأمر وقع صدقة في يد الشريف ، فسلك سبيل الحذر ، وأخذ يفكر في الثورة تفكيراً جدياً .

وخلال ذلك كان هنري مكماهون قد تولى عمله في القاهرة ابتداء من كانون الثاني ١٩١٥ وشرع يعمل جاهداً لاستمالة العرب في كل مكان . ومنذ ٣٠ آب ١٩١٥ إلى ١٨ شباط ١٩١٦ تبودلت الرسائل بينه وبين الشريف مكة ، وبذلت الوعود الإنكليزية للعرب عامة والعهود للشريف حسين خاصة . وقد أطلعني جلالته عليها عندما زرتة في منفاه بقبرص سنة ١٩٢٩ وكانت مرصوفة في كيس من الكتان . ولما طلبت منه أن يأذن لي بتوثيقها في إطار مذكرات له قال لي : « اتركها على بركات الله » .

هذا وفي سنة ١٩١٥ زار الأمير فيصل بن الحسين دمشق وهو في طريقه إلى العاصمة ، لحضور « مجلس المبعوثان » . وهناك اجتمع بأعضاء جمعية العهد المؤلفة من العسكريين ، وبأعضاء جمعية « العربية الفتاة » ودخل

في هذه الجمعية . وأقضى للجمعيتين برسالة كتشتر التي أتيت على ذكرها ثم لما عاد إلى دمشق في أواخر أيار من ذلك العام وجد زملاءه في الجمعيتين ، الذين كانوا مترددين على صعيد الخروج على تركيا خوفاً من الأجانب ، وجدهم قد أجمعوا رأيهم على خطة للعمل مدارها اعتراف لندن باستقلال البلاد العربية ، والاتفاق معها على مخطط حربي على أن يكون لها فيما بعد الأفضلية في المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية المستقلة . ثم كان هذا الميثاق بمثابة الأساس لمطالب الشريف حسين في مراسلاته مع مكماهون .

ولما علم أمير مكة بأن قوة عسكرية عثمانية زحفت لليمن بطريق الحجاز ، وأدرك أن الغاية منها الحجاز لا اليمن ، فكر جدياً بالتعجيل بالثورة ، خصوصاً لما أخبره ابنه فيصل ، الذي كان لا يزال موجوداً بدمشق ، أن جمال باشا رفض شفاعته بالقافلة الأولى من المحكومين ، والتماسه إبدال حكم الإعدام بغيره وساقهم في آب ١٩١٥ إلى المشائق . ولكن الشريف مكة كظم غيظه ، وظل يتظاهر بأنه على أهبة إرسال النجدة العسكرية للجيش العثماني ، التي كان طلبها جمال باشا على انتظار عودة ابنه فيصل .

وبعد أيام قليلة من المشائق تلقى فيصل أمر أبيه بالعودة إلى مكة . فجاء إلى جمال باشا وأوممه أن والده قد جمع الجنود في المدينة ، وهم على أهبة الزحف في اتجاه دمشق وتساءل أمامه عما إذا كان يستحسن الباشا أن يكون على رأس هذه الحملة أحد أبناء الشريف ؟ فقال جمال باشا : بلى ، واقترح على فيصل أن يذهب ويتولى قيادتها . وقد وصل الأمير فيصل إلى المدينة قبل أن تدركها الحملة التركية التي أعلنت استانبول أنها كانت متجهة إلى اليمن . وحينئذ أعلن الشريف حسين الثورة في المدينة يوم ٥ حزيران ١٩١٦ لمجابهة هذه الحملة بينما أرجأ إعلان الثورة في مكة إلى اليوم العاشر من هذا الشهر . وهناك رواية أخرى غير هذه التي ذكرها جورج انطونيوس في

كتابه : بقظة العرب رواية سمعتها من الأمير سعيد الجزائري ، واعتمدت عليها في كتابي : « العهد المحترم في سوريا ولبنان » . ولكن الروايتين وإن اختلفتا في الصيغة تتفقان على سعيد نجاح الحيلة ، ونشوب الثورة .

وقد مشى شريف مكة منذ ذلك في صف الحلفاء ، وتنضم إليه لفيف من أحرار العرب فأبلاوا بلاء حسنا في الحرب العالمية الأولى ، وكان لهم الفضل الكبير في إحراز النصر على ما نوه بذلك المؤرخون وبعض الساسة الإنكليز .

الحكومة الشريفة في بيروت

صباح أول تشرين الأول ١٩١٨ دخلت مفرزة من الحيلة الإنكليز دمشق تصحبها ثلثة من الجيش العربي على رأسها الشريف ناصر بن راضي ونوري باشا الشعلان شيخ مشايخ عنزة . وبعد مضي يومين دخلها الفيلد مارشال النبي القائد الأعلى للحملة التي أسموها الحملة المصرية للتغريب بالعرب . وفي ١٠ تشرين المذكور جاءها الأمير فيصل بن الحسين على رأس قوة من الحيلة يناهز عدهم الألفين . وقبل انتهاء هذا الشهر تم احتلال سائر سورية وسط فرح عظيم لا يستطيع القلم وصفه ، فرح لا يعود إلى هذا الاحتلال فحسب ، وإنما يرجع أيضاً إلى الآمال الكبيرة التي كان يعقدها العرب على وعود حلفائهم المنتصرين .

وقبل جلاء الأتراك عن دمشق كان الأمير سعيد الجزائري قد استلم زمام الحكم باسم الحكومة العربية ، وذلك بتفويض من الشريف ناصر بن راضي المشار إليه ، بينما يصل الأمير فيصل . فأبرق الأمير سعيد في ٧ تشرين الأول إلى رئيس بلدية بيروت عمر الداعوق لاستلام الحكم من الأتراك باسم ملك العرب الشريف حسين . وكان هؤلاء قد فت في عضدهم بعد

سقوط دمشق ، فلم يجد عمر بك صعوبة في إقناع المسؤولين منهم في الانسحاب . وسرعان ما سلم إسماعيل حقي بك والي ولاية بيروت ، سلم رئيس بلدية بيروت بلاغاً موجهاً إلى مأموري الولاية يبلغهم فيه - بناء على إعلان الحكومة العربية - أن وظائفهم أصبحت متفية . وعلى أثر ذلك خف المجلس البلدي بالاتفاق مع بعض أعيان الثغر على تشكيل جهاز الحكم .

فاختاروا أحمد مختار بيهم مديراً للأمن العام بدلاً عن قومندان الجندرية والبوايس ، على أن يكون كل من جان فريج وسليم الطيارة معاونين له ، وعينوا حسن قرنفل ونسيم مطر مديرين للإعاشة . واحتفظ عمر الداعوق لنفسه بإدارة المؤسسات الخيرية لمساعدة المحتاجين ، على أن يكون محمد الفاخوري ويوسف عودة معاونين له . وأما بقية الموظفين فيبقى كل منهم في منصبه إلى إشعار آخر . وقد نشرت هذه الحكومة الموقته بلاغاً إلى الشعب وزعته على الصحف ، ولكن أكثرها لم ينشره بسبب تشتت الأهواء ، أو حذراً من العواقب . وقد اختتم البيان المذكور ببند سابع هذا نصه : « بما أن المأمورين من الأتراك وعيولهم ، وسائر الغرباء هم وديعة عندنا فيجب على كل فرد تمام الاعتناء برفاهتهم وراحتهم كما تقتضيه الشهادة العربية » .

وبعد أسبوع من ذلك جاء إلى بيروت شكري باشا الأيوبي بطريق طبرية بأمر من الأمير فيصل ، ورفيع راية الشريف حسين على سارية السراي الكبير وسط حماس الجماهير وتصفيقهم ، ولكن القيادة العسكرية المحتلة سرعان ما اعتزضته استناداً إلى معاهدة سايبس - بيكو بين الإنكليز والفرنسيين التي تمنع هؤلاء السيطرة على سورية ولبنان . وفي صباح ١٨ تشرين الأول ١٩١٨ أحاطت مفرزة من الجيش الفرنسي بالفندق الذي كان ينزل فيه شكري باشا ، ومنعته من مغادرته ، بينما ساق الفرنسيون

مفروزة أخرى بقيادة الكولونيل يباب ، وأتزلت العلم العربي عن السراي الكبير . وكان من الطبيعي وقوع أزمة عقب ذلك بين حكومة دمشق وبين حكومة بيروت العسكرية الفرنسية انتهت بالاتفاق على أن ينسحب شكري باشا من بيروت ، وأن يبقى فيها مرافقه جميل بك الإلشي بصفته رئيساً و لدار الاعتماد العربية . . وكان هذا الحل بموافقة الإنكليز ، فلم يرتفع له الجانب العربي . وبدأت الشكوك تساوره منهم إبان ما استلم الفرنسيون زمام الحكم على بلاد كانت تسمى بلاد العدو المحتة .

الاتفاقات السرية بين الحلفاء ومضاعفاتها

بينما كان العرب يحاربون بإخلاص دولة الخلافة إلى جانب الحلفاء نشبت الثورة الشيوعية في روسيا . ولما انتصرت واستلم زعماءها زمام الحكم سنة ١٩١٧ نشر هؤلاء جميع المعاهدات السرية التي سبق لحكومات القيصرية أن عقدها ، أو كانوا طرفاً آخر فيها . وكان بين هذه الوثائق معاهدة سايكس - بيكو بين الإنكليز والفرنسيين سنة ١٩١٦ التي اتفق فيها هؤلاء وهؤلاء على اقتسام تركة السلطنة العثمانية في الشرق الأوسط بعد الحرب ، وإحراز النصر . ولما علم بها الشريف حسين بواسطة الأتراك سارع إلى الكتابة للسير ما كماهون يستوضحه عن حقيقة الخبر . فأكد له هذا : « أن الإنكليز لا يزالون على عيدهم له ، وأنهم مصممون على إعلان الحرية للعرب والوحدة العربية ، وإن هذه الإشاعات إن هي إلا أكاذيب لفقها الترك لإلقاء الشكوك والاختلافات بين القوى المتحالفة وبين العرب الذين يجاهدون بشرف من أجل استرجاع حريتهم القديمة » .

وكان الأمير فيصل في ذلك الوقت يحارب مع النبي في اتجاه بلاد الشام ، ولما اتصلت به هذه الإشاعة بعث إليه باحتجاج شديد الالهجة أعلن

فيه أنه لن يستطيع كبح جماح القوات العربية إلا إذا صدر فوراً تحديد رسمي لتوايا الخلفاء . فخفت لندن وباريس في أعقاب هذا الاحتجاج إلى إصدار تصريحات نفت فيها هذه الشائعات ، مؤكدة للعرب مرة أخرى حقهم في اختيار مصيرهم بعد الحرب . ولكن الوقائع لم تلبث أن كشفت النقاب عن صحة تلك الشائعات ، وعن خداع وتضليل الدولتين للعرب . فلما احتلت الحملة المصرية بقيادة النبي بلاد الشام داخلها وساحلها دخلت هذا القطر باسم بلاد العدو المحتلة . ولكن لما تقررت الهدنة بين الحلفاء وتركيا في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ تقاسم الإنكليز والفرنسيون احتلال بلاد الشام وغيرها وفقاً لمعاهدة سايكس - بيكو المذكورة ، فكان من نصيب الإنكليز فلسطين والعراق ومن نصيب فرنسا ولاية بيروت ، ومتصرفية جبل لبنان وكيليكيا . وأما المنطقة الشرقية من سوريا أي ولايتي دمشق وحلب فقد ظل الجيش العربي يحتلها بانتظار القرار الدولي بشأن الانتدابات وكان من عواقب تقسيم بلاد الشام على هذا الوجه بروز الاحتكاك بين الحكومة العربية بدمشق وبين حكومة الفرنسيين في بيروت ، ولأسيا بعد انسحاب الجيش الإنكليزي في ٥ شباط ١٩١٩ من البلدين . واتقلب هذا الاحتكاك إلى ثورات هنا وهناك ضد الاحتلال الفرنسي .

وكان من عواقب هذا التقسيم أيضاً بروز انقسام داخلي في بيروت ولبنان وسائر المناطق المحتلة من الفرنسيين في الساحل : فبينما كانت كثرة أهالي ولاية بيروت تطالب بالوحدة السورية بشدة ، كانت كثرة أهالي لبنان ترفض بقوة أي انضمام إلى البلاد العربية ، وتطالب بالحماية الفرنسية وبمعاونة فرنسا . ومن أجل ذلك انتدب وقتئذ مجلس إدارة متصرفية لبنان وفداً منه للذهاب إلى باريس ، كما أن البطريرك الياس الحويك خف أيضاً إليها علي رأس وفد آخر في صيف ١٩١٩ ، ثم قدم إلى مؤتمر الصلح في ٢٥

تشرين الأول من ذاك العام مذكرة طالب فيها باسم اللبنانيين جميعاً باستقلال لبناني تحت حماية فرنسا ، وإعادة الكيان اللبناني إلى حدوده التاريخية . وفي الأسباب الموجبة لهذا الطلب أشار غبطة البطريرك الماروني إلى الأبعاد القائمة بين لبنان وبين البلاد العربية في التاريخ ، كما أشار إلى الفارق الكبير بين مستواهما الاجتماعي في الحاضر .

مؤتمر الصلح ولجنة كينج - كراين

لما عقد مؤتمر الصلح في باريس لبس الأمير فيصل دعوة أبيه ، وذهب إلى العاصمة الفرنسية لتمثيله في هذا المؤتمر . وكان يتكلم هناك باسم الأحزاب السورية في الداخل والساحل . وقد لفت أنظار المؤتمرين بزيه العربي ، وبمناقشته القضايا مناقشة خير عليم على أساس حق الشعوب في تقرير مصيرها ، هذا المبدأ الذي كان يدعو إليه الرئيس الأميركي الدكتور ويلسون . وقدم مذكرة إلى المؤتمر في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٩ حدد فيها بإيجاز حق العرب في الاستقلال التام .

ولكن الفئة الموالية لفرنسا من اللبنانيين كبر عليها تكلم فيصل باسم سورية داخلها وساحلها فتصدت له ، ونددت به . وقد بعث الأستاذ شكري غانم رئيس الجمعية السورية اللبنانية في باريس كتاباً مؤرخاً في ١٤ حزيران ١٩١٩ إلى جورج كليمنصو رئيس مؤتمر الصلح ، احتج فيه على تصريحات فيصل ، تلك التصريحات التي تشير إلى أن الأحزاب السورية كلها قد ناطت به أمر الدفاع عن مصالحها .

فهذا وذاك جعل مؤتمر الصلح يحتاج إلى تقصي الحقائق في بلاد الشام نفسها ، وبناء على اقتراح الرئيس ويلسون قرر المؤتمر إرسال لجنة من الدول الأربع إليها للاسترشاد برغبات أهلها . ولكن هذا القرار ذهب أدراج

الرياح بسبب معارضة فرنسا الشديدة له ، وجعل الرئيس ويلسن يقتصر على إرسال لجنة أميركية إلى بلاد الشام للاستفتاء ، عرفت بلجنة كينج - كراين . وقد وصلت هذه اللجنة إلى يافا في العاشر من حزيران ١٩١٩ . وبعد أن قامت ببعثتها في سورية ولبنان وفلسطين عادت إلى باريس في ٢٨ آب ١٩١٩ . وسلمت نسخة من تقريرها إلى سكرتيرية وفد الولايات المتحدة الأميركية في مؤتمر الصلح . وقد استهلت اللجنة هذا التقرير بالتنويه برغبة كثرة بلاد الشام في الاستقلال الناجز . ولما تحدثت عن الانتدابات قالت : « فقد وجدت اللجنة أن جماع الرأي في سورية يرفض الانتداب ، ويعمل بقوة إلى المعونة على شرط أن تجيء من الولايات المتحدة ، وإن لم يتيسر ذلك فلتكن من بريطانيا العظمى . ولكن ليست من فرنسا على أي حال . » . وختمت اللجنة تقريرها بما يلي : « إذا كانت فرنسا تتشبث بما لها من المصالح في سورية تشبثاً لا تبالي معه بالعلاقات الودية بين الحلفاء ، فمن الممكن إعطاؤها وصاية على لبنان كما ترغب جماعة كبيرة من أهله » .

المؤتمر السوري في دمشق

رغبة من الأمير فيصل وحكومته في أن تجعل لجنة كينج - كراين أمام الأمر الواقع دعت حكومة دمشق السوريين في الداخل والساحل وفي فلسطين ، إلى مؤتمر يعقد في العاصمة ، يعهد إليه تحديد مطالب هذه الأقاليم في نطاق تقرير المصير . وقد عقد هذا المؤتمر في ٢ تموز ١٩١٩ ، وافتتحه الأمير فيصل بكلمة يتن فيها أسباب هذه الدعوة . وقال إن مهمة المؤتمر تمثل الأمة السورية أمام لجنة كينج كراين ، ثم وضع قانون أساسي يكون بمثابة دستور للبلاد .

وفي ذلك الوقت كان الفرنسيون يستعدون كذلك لاستقبال اللجنة المذكورة ، فيبدلون الأموال بسخاء ، ويرسلون الوعود البراقة للأفراد والجماعات في سبيل تأمين المزيد من المؤيدين لهم . وقد وقعوا في ذعر حينما بلغهم خبر المؤتمر السوري ، ولا سيما حينما علموا بأن الدعوة إليه شملت لبنان . وفي ذعرهم هذا حاولوا بالترهيب والترغيب أن لا يتمثل الساحل السوري في هذا المؤتمر . ولكنهم لم يوفقوا ، إذ اجتمع المنتخبون الثانويون الذين انتخبوا في عهد آل عثمان ، وانتخبوا في ٢٣ تموز ١٩١٩ بالطريقة السرية أعضاء بيروت للمؤتمر السوري . وكنت واحداً من الفائزين . وقد ذهبنا إلى دمشق واشتركنا في جلسات المؤتمر في ذلك الوقت وبعده ، ثم حوسبنا على ذلك من قبل الفرنسيين بعد أن تقرر انتدابهم على سورية ولبنان ، ولكن نقراً منا خشوا من هذا الحساب ، فغادروا دمشق ، ثم لم يعودوا إلى لبنان إلا بعد الاستقلال . وكان المرحوم توفيق باشا مفرج واحداً منهم .

المساومات بين لندن وباريس وانمكساتها على بلاد الشام

بينما كان الأمير فيصل يعتبر نفسه نائباً عن والده ملك العرب في دمشق ، ويتصرف تصرف صاحب الحق - بناء على الوعود والتصريحات التي أدلى بها المسؤولون خلال الحرب في لندن وباريس - كانت فرنسا ومعها انكلترا تعتبرانه قائداً للجيش العربي الملحق بالحملة التي كانت بقيادة النبي . ومن جراء هذا التناقض في الاعتبارات برزت الاختلافات بين باريس ودمشق خلال عام كامل ، أي منذ تشرين الأول ١٩١٩ .

وخلال ذلك كانت انكلترا وهي تساوم على الموصل ، تقف موقفاً متارجماً وتتخذ من سورية مطية لإدراك مطامعها . ولكنها لما تقاضت مع باريس قلبت ظهر المجن لفصل ، وأبرق لويد جورج له في شهر آب ١٩١٩

يدعوه إلى زيارة لندن مرة أخرى . وفي أول مقابلة بينها ، أطلعه على ماتم بين الدولتين من الاتفاق القاضي باحتلال الفرنسيين كل الساحل السوري ، وبجلاء الجيش البريطاني عنه ، وضغط عليه للذهاب إلى باريس ، وللدخول في مفاوضات مباشرة مع الرئيس كليمنصو . وحينئذ أدرك فيصل أن الاعتماد على لندن بات عديم الجدوى . وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٩ بدأت المفاوضات في باريس بين الأمير فيصل وبين كليمنصو ، وانتهت في ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ بالاتفاق على اعتراف فرنسا بالدولة العربية السورية ، على أن توجه إلى فرنسا وحدها من أجل أية معونة تحتاج إليها ، وذلك لقاء اعتراف هذه الدولة العربية باحتلال فرنسا للبنان وسائر الساحل السوري . أما منطقة البقاع فتبقى محايدة تفصل البلدين . وفضلاً عن ذلك فقد تقام الزعميان على أن يبقى هذا الاتفاق في حيز الكتان ، ريثما يعود الأمير فيصل إلى باريس مزوداً بموافقة حكومته على هذا الاتفاق . وحينئذ يتم التوقيع عليه من الفريقين ، ويقدم إلى مؤتمر الصلح . ولكن كل ذلك ذهب أدراج الرياح ، لأن الأمير فيصل ما إن رجع إلى عاصمة بلاده بعد غياب أربعة أشهر ، حتى شعر بثقل العبء الذي أخذه على عاتقه ، إذ وجد نفسه أمام شعب هائج لا يرضى إلا بالاستقلال التام ، وهو مهياً للثورة إذا فوجئ بهذا الاتفاق . وحينئذ لم يسعه إلا أن يضرب صفحاً عن التصريح للسوريين بهذا الاتفاق ، وأن يمشي مع التيار الجارف فيعود إلى المطالبة بما كان يطالب به قبلاً ، ولا سيما الوحدة السورية .

وفي ٣ آذار ١٩٢٠ دعا الأمير فيصل المؤتمر السوري للاجتماع ، وافتتحه بخطاب استعرض فيه مجرى القضية العربية ، وختمه بقوله : « فدولتنا الجديدة التي قام أساسها على وطنية أبنائها الكرام ، هي في حاجة اليوم إلى تعزيز شكلها ، ووضع دستور لها » .

وبناء على ذلك ، اجتمع المؤتمر السوري بعد خمسة أيام ككرة أخرى ،

وأعلن استقلال سورية بمحدودها الطبيعية ، وبايع الأمير المشار إليه ملكاً عليها. وقد كنت حيناً وقعت هذا القرار أعقد عليه كبار الآمال أسوةً بالآخرين ، ظناً مني أن الحق لا بد وأن ينتصر ، وشاركت الشعب في أفراحه التي كانت مشقوعة بالاعتزاز . وهذا الفرح الشامل لا يستطيع قلبي أن يصفه ، ولذلك فإني استعيد كلمة قالها عنه الأستاذ جبران منسى في كتابه الفرنسي: الانتدابات حيث قال :

« فالذين زاروا دمشق خلال سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ قدر لهم أن يروا في الاجتماعات والأندية ، وأن يسمعوا بالخطب وإذاعات الأحزاب ، أشياء تتم عن غليان سيامي عام ، يعتبر من الأمور الخارقة التي تشبه ما يعقب الثورات الحرة الكبرى . وقد ذهب بعضهم إلى تشبيه دمشق وقتئذ بفرنسا سنة ١٧٨٩ . ولكن هذا الفرح كان سحابة صيف لم يلبث أن تبدد ، وتبددت معه النشوة والآمال . »

خروج الملك فيصل من دمشق

أعلنت لندن وباريس أنها لاتعترفان بما قرره المؤتمر السوري ، وقد عبرت فرنسا عن استنكارها لهذا القرار ، بمحاولة قام بها الجنرال غورو لمنع خطباء المساجد في لبنان من الدعوة للملك فيصل ، وبإزالة العلم السوري عن دار المعتمد العربي في بيروت .

ثم ما إن عقد مؤتمر سان ريمو في ٢٢ نيسان ١٩٢٠ ، ومنح فرنسا الانتداب على كل من سورية ولبنان ، حتى خف مسيو ميلران^(١) إلى توجيه بلاغ مؤرخ في أول مايس إلى الملك فيصل ، يعلمه فيه وضع سورية تحت الانتداب . ولكن الملك فيصل ، الذي استنكر هذا القرار ، رد بريقة شديدة اللهجة أعلن فيها رفض بلاده الانتداب ، ورافق ذلك نشوب ثورات متعددة

(١) كان رئيساً للجمهورية إذ ذاك « لجنة المجلة » .

في أطراف سورية الجنوبية والشمالية ، واستعداد من قبل الحكومة العربية للدفاع عن كيانها .

أما وقد جد الجد فإن باريس رضيت بعقد هدنة مع مصطفى كمال ، لم تكن متلائمة مع كرامتها ، وتخلت له عن كيليكيا ، كما كانت قد تخلت لإنكلترا عن الموصل ، ثم شمرت عن ساعدها للتفرغ لمجابهة الوضع في سورية .

ولمّا أراد الملك فيصل أن يذهب إلى لندن ، وإلى مؤتمر الصلح لتفادي الحرب ، منعه الجنرال غورو من السفر ، إلا أن يعترف - قبل ركوب البحر - بالانتداب الفرنسي ، وأن يعيد الجيش السوري إلى ما كان عليه في شهر شباط . وعندما تردّد الملك فيصل في قبول هذين الشرطين ، والإذعان للبلاغ الذي أرسله غورو له في ٢٠ تموز ١٩٢٠ ، زحف الجيش الفرنسي على دمشق واحتلها في ٢٥ تموز ١٩٢٠ . وكان ما كان بعد ذلك من تجريد الملك من السلطة ، وحلّ الجيش السوري ، ووضع غرامة على سورية فضلاً عن مغادرة فيصل دمشق . وبذلك ختمت حياة دولة علق العرب عليها الآمال . ولكن تذوق السوريين لذة الحرية ، خلال سنتين ، خلف في قلوبهم شغفاً بالاستقلال استهانوا في سبيله الموت في سبيل الحياة ، فكان لهم من بعد ما أرادوا عندما استعادوا استقلالهم . ولا بدع فمن جدّ وجد ولكل مجتهد نصيب .

وبعد ، فهذه قصة العرب مع حلفائهم في مطلع القرن العشرين ، وهي قصة مؤلمة ، جديرة بأن تكون لنا عبرة وذكرى ، ونحن على عتبة توديع القرن المذكور ، فلا نتكل من بعد إلاّ على أنفسنا ، ولا نتمد إلا على تضامتنا ، ويد الله مع الجماعة .

(١)

التعريف بابن زهر

الدكتور ميشيل الخوري

١ - تاريخ مولده ووفاته

ابن زهر على التخصيص هو الطبيب العربي الأندلسي أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن زهر الإيادي المولود في اشبيلية والمتوفى فيها سنة ٥٥٧ هـ . ولم يور ابن الأبار (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) في التكملة لكتاب الصلة وابن أبي أصيبعة (٥٩٦ - ٦٦٨) في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، وغيرهما من المؤرخين العرب في أية سنة ولد عبد الملك بن زهر ، ولذلك

(١) في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٧٢ احتفل المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية بالذكرى التسعمائة لمولد الطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي الاشبيلي ، وذلك في نطاق أسبوع العلم الثالث عشر الذي أقيم في حلب من ١٨ إلى ٢٤ منه . وكان أبرز مافعله المجلس الأعلى للعلوم لتخليد ذكرى العالم العربي ابن زهر أن أصدر كتاباً يقع في نحو ٢٠٠ صفحة ، ويتألف من ثلاثة أبواب يتضمن أولها ما كتبه المؤرخون العرب والأجانب عن ابن زهر واسرته ، ويتضمن الثاني مظان مؤلفات ابن زهر وأبيه أبي العلاء زهر . وأما الباب الثالث فيتضمن دراسات متفرقة عن ابن زهر وسائر الأطباء من بني زهر وعددهم ستة أطباء .

وكان الحدث الثاني في الاحتفال بالذكرى ابن زهر أن أقام المجلس في مدرج كلية الطب بجامعة حلب حفلاً خطابياً تكلم فيه الأستاذ عمر رضا كحالة من جمع اللغة العربية بدمشق والدكتور شوكة الشطي رئيس منظمة الهلال الأحمر السوري والدكتور سلفادور غوميز نوغاليس الأستاذ في جامعة مدريد والدكتور عبد الكريم اليبافي الأستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق والدكتور ميشال الخوري عضو جمع اللغة العربية بدمشق .

فإن لوكليز L. Leclerc الفرنسي قال في كتابه تاريخ الطب عند العرب أننا نجعل تاريخ مولده ، ولكن هؤلاء يجمعون على أنه توفي سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢ م . ويروي لوكليز نقلاً عن كُليّات ابن رشد أن ابن زهر عاش ١٣٥ سنة وبذلك يكون تاريخ ولادته سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م . وجاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية أن ابن زهر ولد نحو السنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٧٣ م ، وتوفي سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١ - ١١٦٢ م . وردد معجم لاروس الموسوعي ولاروس القرن العشرين هذا القول فذكرا أن ابن زهر ولد سنة ١٠٧٣ وتوفي سنة ١١٦٢ م . ويقرب من هذه الروايات ما ذكره خير الدين الزركلي في الاعلام وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين من أن ولادة ابن زهر كانت سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢ م وأنه توفي سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢ م .

وبما أن التاريخ الحقيقي لمولد ابن زهر لا يزال مجهولاً كما اتضح مما تقدم ، فإن المؤرخين المحدثين ممن عنوا بدراسة مؤلفات ابن زهر لجأوا إلى المقارنات التاريخية لوضع تاريخ تقريبي لمولده . ويستدل من هذه المقارنات أن ابن زهر ولد خلال السنوات ٤٨٤ - ٤٨٧هـ / ١٠٩١ - ١٠٩٤ م كما هو مبين على الصفحة ٧٨٧ من هذا المقال .

٢ - نسبه

يتصل نسب ابن زهر بإياد بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وهي إحدى قبائل العرب التي كان لها في القرن الثالث الميلادي شرف في أهل تِهَامَة ومنزلة عظمى وعز ومنعة بينهم . وهاجر بعد الفتح الاسلامي عدد من الإياديين مع من هاجر من العرب إلى الأندلس قزلوا في الجنوب الشرقي منها ثم تفرق أحفادهم في أنحائها . وينسب بنو زهر إلى زهر الجد الأعلى للقرع

الأندلسي من قبيلة إباد ، وكان من أهل القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ومنه تفرع أبناء زهر . وروى سارتون G. Sarton الأميركي في كتابه المدخل إلى تاريخ العلم نقلاً عن ابن الأبار أن أسرة زهر المنتسبة إلى قبيلة عدنان العربية استقرت في جفن شاطبة^(١) في شرقي الأندلس في أوائل القرن العاشر الميلادي أي في زمن الأمير عبد الله بن محمد الأموي (٢٧٥ - ٣٠٠ / ٨٣٠ - ٩١٢ م) أو في أوائل حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ / ٩١٢ - ٩٦١ م) وكان الجد الأعلى للفرع الأسباني يسمى زهراً ومن اسمه أخذت الكنية ابن زهر .

٣ - أسرته واسمه باللاتينية

ويؤخذ بمقاله ابن الأبار في التكملة أن أبناء زهر بدءاً بجدهم زهر الأبادي نشؤوا بشرق الأندلس إلى أن وحل أحدهم ، وهو الفقيه أبو بكر محمد (٣٣٦ - ٤٢٢ هـ) إلى أشيلية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وأقام فيها وأصبح في عداد فقهاءها ، ولذلك غلب على الأمرة لقب الأشيلي ، ولم يلقب أحد من أفرادها بالشاطبي . على أن سلتون يروي نقلاً عن ابن الأبار أن بعضاً من أسرة زهر بقي مقيماً في جفن شاطبة إلى أن تملكها الأسبان وأجلوا عنها المسلمين سنة ١٢٤٧ - ١٢٤٨ م / ٦٤٥ هـ . ويؤخذ مما ذكره ابن الأبار في التكملة وما رواه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء أن

(١) للجفن في المعجمات معانٍ لا تمت بصلة إلى المعنى المراد بجفن شاطبة . وفي الملحق بالمعجمات العربية لمؤلفه دوزي R. Dozy الهولندي أن الجفن داخل المدينة الذي تحيط به أسوارها . ونقل عن الإدريسي قوله : وهي مدينة عامرة الجفن رائعة الحسن كثيرة المياه والأشجار . فمعنى جفن شاطبة كما يفهم من هذا النص مدينة شاطبة باستثناء شطرها الذي تقوم فيه أسوارها وحصونها .

أبا مروان عبد الملك صاحب الترجمة هو ابن أبي العلاء زهر بن عبد الملك ابن محمد بن مروان بن عبد الملك بن خلف بن زهر ، وأنه حين مولده كان قد انتفضي على أسرة زهر في الأندلس مايقرب من قرنين من الزمن . وهو الذي سماه مترجمو كتبه إلى العبرية واللاتينية Abumeron Avenzoar أو Abhomeron Avenzoar أو Avenzoar . وجاء عنه أن اسمه اللاتيني جاء عن طريق العبرية وأن أسبان الأندلس سمّوه Avenzohar . على أنه اشتهر بالاسم اللاتيني Avenzoar ، وهو الاسم الذي يرد في المعجمات الطبية ودوائر المعارف الأجنبية ، فإذا ذكر هذا الاسم اللاتيني أو ذكر الاسم العربي ابن زهر لُغنيَ بها أبو مروان عبد الملك . وأما وجب التفريق بينه وبين سواه من بني زهر لأن أسرة زهر الأندلسية كانت على حد ما ذكره سارتون أعظم أسرة طيبة في أسبانيا المسلمة ، فقد أنجبت هذه الأسرة الشهيرة ستة أطباء وطيبين ، وهؤلاء جميعاً شاع ذكرهم في الأندلس خلال ثلاثة قرون ، بل تجاوز حدود الأندلس إلى مشرق الدولة العربية الإسلامية وإلى أوروبا الغربية حيث اشتهر بخاصة أعظمهم جميعاً وهو أبو مروان عبد الملك . وبلي أبا مروان في الشهرة أبوه أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن زهر (- ٥٢٥ هـ) . ووم لوكير فأطلق الاسم اللاتيني لأبي مروان عبد الملك على الأطباء بني زهر جميعاً فقال la famille des Avenzoar ، وقال Abou Bekr Avenzoar ، وأبو بكر هذا هو ابن أبي مروان عبد الملك وهو شاعر الموشحات المعروف بالحفيد ابن زهر (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) ، وكان الأصح أن يقول la famille des Ibn Zuhr وأن يقول Abou Bekr Ibn Zuhr . ووقع مياي الإيطالي A . Mieli في كتابه العلم عند العرب في الخطأ نفسه حين أشار إلى أبناء زهر بقوله les Avenzoar . وأما سارتون فاجتنب الوقوع في هذا

الخطأ فقال أن الاسم Ibn Zuhir أو Avenzoar لا يطلقان إلا على أشهر أطباء بني زهر وهو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر ، لاسيما وأن لأبي العلاء اسماً إسبانياً لاتينياً آخر هو Alguazir Albuleizor أي الوزير أبو العلاء زهر ، وأتينا لقب كذلك لأنه كان وزير المرابطين في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كما أن ابنه أبا مروان عبد الملك نفسه كان وزيراً لأبي محمد عبد المؤمن بن علي أول الخلفاء الموحدين ، وهكذا كان ابنه الحفيد أبو بكر بن زهر الذي استوزره أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي . وهذا مادعا ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) إلى القول في وفيات الأعيان عن الحفيد أبي بكر إنه كان من أهل بيت كبار علماء رؤساء وحكام وزراء ، نالوا المراتب العلية عند الملوك ونفذت أوامرهم . وامتدح الشعراء بعضاً منهم ، ومن ذلك مارواد ابن الأبار في المقتضب لابن خلدون وهو قوله في أبي العلاء زهر من قصيدة :

تقلد فيك الدهر عِقْداً وصارماً بهاءً لجيدٍ أو سناءً لعائِقٍ
ولو قُسمت أخلاقك الغر في الدُّنَى لما صُوِّحت خضرُ الرُّبَى والحدائقِ

ووجدت على غلاف مخطوطة لندن لكتاب التيسير لأبي مروان عبد الملك بيتين مدحه بها أحد أدباء الأندلس ، وهما على تقيض البيتين السابقين اللذين قيلاً في أبيه أبي العلاء ، ليس فيها غير بساطة التعبير والتزام الوصف بما هو واقع لامغالة فيه ولا أسراف ، والبيتان هما :

لا تعجبوا من ابن زهر في الوري فأنه خصه بوافر جَدَمِ
فهو الحكيم هو الوزير هو الذي ورث الصناعة عن أبيه وجده

٤ - شهرته

وقد قيل أن أبا مروان كان أعظم أطباء عصره وأنه كان أعظم

سُرري^(١) في الاسلام وفي القرون الوسطى ، واعتبره ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ) أعظم طبيب بعد جالينوس (١٣٠ - ٢٠٠ م) . وقال لوكلير أن ابن زهر لا تجوز مقارنته إلا بالرازي (٢٤٠-٣٢٠هـ) وابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) ، وقد يقضي ذلك باستبعاد الثاني إذا شئت أن تكون المفاضلة بين طبيين حقيقيين فلا يبقى إذ ذاك من منافس لابن زهر غير الرازي . وأوجز سارتون كل ما قيل في ابن زهر فقال إنه كان في عصره أعظم طبيب في العالمين الإسلامي والمسيحي . وبما لا ريب فيه أن ابن زهر حقق هذا التفوق لأنه قصر همه على الطب دون سواه ، فلتنا نجد فيه الطبيب الفيلسوف كإبن سينا ، ولا العالم الموسوعي كالرازي ، وفضلاً عن انقطاعه إلى الطب ، فإنه حقق تفوقه بتجوده إلى حد بعيد من قيود التقليد الذي كان يسيطر على أطباء عصره ، وباعتماده على دقة الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها . ومع أنه كان جالينومي المذهب ، أي أنه كان ممن يعتقدون نظرية الأخلاط الأربعة التي تعزى إلى جالينوس ، فإنه تجرأ على الانحراف عن الكثير من أساليب التشخيص والمعالجة التي وضعها جالينوس .

(١) لفظة السُرري هي النسبة إلى سُور ، والسور جمع سرير ويجمع أيضاً على أسرة . ولو نسب إلى سرير لقبل سريري . ويراد بالسُرري الطبيب الذي يولي السريريات عنايته الخاصة ، وهو clinician بالانكليزية و clinicien بالفرنسية . وأما اللفظة سريري فتقابلها الصفة clinical بالانكليزية و clinique بالفرنسية ، وهذه الألفاظ مأخوذة عن طريق اللاتينية من الأصل اليوناني kline ومعناه سرير .

٥ - مؤلفاته

ثم أن ابن زهر نال شهرته الواسعة بما ألفه من الكتب التي اشتهرت في المغرب والشرق ، فقد روى ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء أن لابن زهر سبعة كتب منها كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، وكتاب الأغذية .

وذكر ابن الأثير في التكملة أن ابن زهر ألف كتاب التيسير في مداواة الأدوية على أعضاء الانسان ، وألف أيضاً قبله كتاب الاقتصاد في إصلاح الأجساد . وقد استند لوكير وسارتون وميالي إلى ما قاله ابن أبي أصيبعة وابن الأثير فذكروا أن لعبد الملك ستة كتب على الأقل ، وأنه لم يسلم منها غير ثلاثة كتب هي بحسب الترتيب التاريخي لتأليفها كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد وكتاب التيسير في المداواة والتدبير مع ذيله المسمى بالجامع وكتاب الأغذية غير أن الدكتور صلاح الدين المنجد كان كتب في مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة ، نوفمبر ١٩٥٩) أن المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس تملك مخطوطات ستة كتب من كتب ابن زهر وبينها الكتب الثلاثة المذكورة آنفاً ، وهي خير ما ألفه ابن زهر ولا سيما كتاب التيسير كما سيحي .

(١) كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد

(أ) مخطوطاته وتاريخ تأليفه

ألف ابن زهر كتاب الاقتصاد للأمير المرابطي ابراهيم بن يوسف بن تاشفين صاحب أشبيلية (٥١٢ - ٥١٦) ولم يتح لنا الاطلاع عليه إلا في

مصور مخطوطته ذات الرقم ٢٩٥٩ التي تملكها دار الكتب الوطنية في باريس . وقد جاء عن هذه المخطوطة في فهرس دي سلان de Slane للمخطوطات العربية في دار الكتب المذكورة ، أنها نسخت في القرن السادس عشر الميلادي . وفي مكتبة الاسكوريال باسبانيا نسخة أخرى لكتاب الاقتصاد رقمها ٨٣٤ . وهي عربية النص ولكنها كتبت بالحرف العبراني الراشي . وقد اطلعنا أيضاً على هذه المخطوطة فإذا في نهايتها إشارة إلى أن نسخها تم في آخر نيسان عام خمسة آلاف واثنى عشر للخلقة ، ويرافق هذا التاريخ العبري سنة ٦٤٩ للهجرة وسنة ١٢٥١ للميلاد . وفي مقال صلاح الدين المنجد الذي سبقت الإشارة إليه أن في المكتبة العبدية بجامع الزيتونة في تونس نسخة أخرى من كتاب الاقتصاد رقمها ٩/٢٨٦٧ ولكننا لم نطلع بعد عليها .

(ب) مقارنة روزا كوهنه

قال ابن الأبار في التكملة أن ابن زهر فرغ من تأليف كتاب الاقتصاد في سنة ٥١٥ هـ ، ويعني ذلك أنه كان في الحُسين من عمره حين ألف هذا الكتاب على اعتبار أن مولده كان سنة ٤٦٥ هـ على ما جاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية . غير أن روزا كوهنه Rosa Kuhne الإسبانية الاستاذة في جامعة مدريد تقول في تحقيقها لكتاب الاقتصاد أن ابن زهر توفي سنة ١١٦٢ م / ٥٥٧ هـ ، وألف كتاب الاقتصاد للأمير المرابطي ابراهيم بن يوسف حاكم أشبيلية (١١١٨ - ١١٢٢ / ٥١٢ - ٥١٦ هـ) فالكتاب إذن لم يؤلف بعد هذه السنوات ولا قبلها . ونحن نعلم أيضاً أنه صنف هذا الكتاب عندما كان شاباً ناضجاً ، أي عندما كان بين الثامنة والعشرين والثلاثين من العمر ، وبهذا يكون تاريخ مولده بين سنة ١٠٩١ و ١٠٩٤ م / ٤٨٤ و ٤٨٧ هـ .

(ج) مقارنة غبريل كولان

ويطابق هذا الرأي المتقدم ما استنتجه كولان G. Colin من مقارنة أجواها على نحو آخر وذكرها في كتابه ابن زهر حياته وآثاره ، فان هذا المؤلف استند إلى ما رواه ابن الأبار وياقوت (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) فقال ان ابن زهر وُلد ابنه محمد الذي عرف فيما بعد بالحفيد أبي بكر بن زهر سنة ٥٠٤ أو ٥٠٧ هـ ، فإذا فرض أن عمره كان حين ذاك على التقريب نحو عشرين سنة ، فيكون مولده بين السنتين ٤٨٤ و ٤٨٧ هـ (بين ١٠٩١ و ١٠٩٤ م) . وقد كرر كولان قوله في مقاله الذي كتبه عن بني زهر في دائرة المعارف الإسلامية ، كما نقل سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلم ومبالي في كتابه العلم عند العرب ما ذهب إليه كولان فذكر أن ابن زهر ولد في أشبيلية بين السنتين ١٠٩١ و ١٠٩٤ م . ونقل ذلك أيضاً أرناالديز R. Arnaldez في المقال الذي كتبه عن أبناء زهر في الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية ، وهو المقال الذي حل محل ما كان كتبه كولان عن أبناء زهر في طبعاتها السابقة .

وعليه فإننا إذا اعتبرنا أن ابن زهر ولد بين السنتين ٤٨٤ و ٤٨٧ هـ ، وذلك بالاستناد إلى المقارنة التاريخية التي أجواها كل من كولان وروزا كوهنه ، فإنه كان بين السبعين والثلاثة والسبعين حين وفاته سنة ٥٥٧ هـ ، وأما إذا ذهبنا إلى ما ذهبنا إليه دائرة المعارف الكبرى الفرنسية وسواها من المراجع الفرنسية ، من أنه ولد نحو السنة ٤٦٥ هـ ، فإنه كان في الثانية

والتسعين حين وفاته ، ويكون الفرق بين من قالوا بالعمر الواحد ومن قالوا بالعمر الآخر نحواً من عشرين سنة . وإنما نجم هذا الفرق لأن المؤرخين كما سبق بيانه متفقون على أن ابن زهر توفي سنة ٨٥٥٧/١١٦٢ م ، ولكنهم غير متفقين على السنة التي ولد فيها لأن كتاب التراجم العرب لم يذكرها سنة ولادته .

(٢) كتاب التيسير في المداواة والتدبير

(أ) تاريخ تأليفه

أما كتاب التيسير في المداواة والتدبير فجاء عنه في كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة أن ابن زهر ألفه للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد . وذكر ليون الافريقي في كتابه وصف افريقية أن ابن رشد شهد مجلس ابن زهر واستمع إلى دروسه فأعجب به أيما إعجاب ، ونزل من نفسه منزلة عظمى ولذلك قال عنه في كتابه الكليات في الطب أن ابن زهر أعظم طبيب بعد جالينوس ، وهذا يعني أن ابن رشد فضل ابن زهر على حنين بن إسحق (١٩٤ - ٢٦٤ هـ) والرازي وابن سينا وغيرهم من أعلام الطب العربي . ونقل سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلم ما ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء فقال إن ابن زهر ألف كتابه التيسير قبل منتصف القرن الثاني عشر الميلادي أي قبل السنة ١١٤٥ هـ وكان ذلك بناء على طلب ابن رشد . وقد يتبادر إلى الذهن من هذا القول أن ابن رشد ألف كتاب الكليات قبل السنة ١١٤٥ هـ أي قبل أن ألف ابن زهر كتاب التيسير ، على أن الحقيقة قد تكون عكس ذلك لأن ابن رشد لو ألف كتابه الكليات قبل السنة ١١٤٥ هـ لكان عمره حين تأليف كتابه دون الخامسة والعشرين ، وهذا بما يصعب تصديقه . والواقع أن ابن زهر

صنف أولاً كتاب التيسير ، ثم ان ابن رشد صنف كتابه الكليات فجنح فيه إلى الفلسفة ، ولما رأى نفسه في شغل شاغل عن إلحاقه بكتاب آخر يتناول التفاصيل في علمي الأمراض والمداواة طلب إلى ابن زهر أن يكون كتابه التيسير تكملة لكتاب الكليات . وهكذا تقاسم الصديقان العمل فتناول الأول في كتابه فلسفة الطب ، وسلك الثاني في كتابه طريق الطب التجريبي . وقد وصف بعض المؤلفين كتاب التيسير بأنه ذيل لكتاب الكليات . ولكن الأقرب إلى الصواب أن يقال ان الكتابين صنوان يتم أحدهما الآخر .

(ب) قول ابن رشد فيه

وقد أشار ابن رشد إلى كتاب التيسير في آخر كتاب الكليات فقال مانحه :

« فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا تبينه ، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض عرض من الأعراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء . وهذا وأن لم يكن ضرورياً لأنه منطوق بالقوة فيما سلف من الأقوال الكلية فقيه تميم ما وارتياض لأننا نتول فيها إلى علاجات الأمراض بحسب عضو عضو وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنانيش^(١) ، حتى نجتمع في أقاربنا هذه إلى الأشياء الكلية الأمور الجزئية .

(١) جمع كناش ولم يرد الكناش ولا الكناش في ناسخ العروس ولكن ورد فيه أن الكناشة عند أهل المغرب أوراق تجعل كالدفتر يقيد بها الفوائد والشوارد ، وأكثر استعمالها عند الأطباء . وفي معجم دوزي كناش وكناشة ونجمعان على كنانيش ، وأصلها آرامي ومعناها مجموع وبالتخصيص مجموعة مذكرات طبية ، وقد يتوسع في معنى الكناش فتطلق على كل مجموعة تبحث في غير ذلك . وأطلق ابن البيطار (- ٦٤٦ هـ) في المفردات لفظة الكناش على

فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن ، إلا أنا تؤخر هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغاً لعنايتنا في هذا الوقت بما هم من غير ذلك . فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء وأحب أن ينظر بعد ذلك في الكنائش فأوفق الكنائش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر . وهذا الكتاب سأله أنا إياه وانتسخته فكان ذلك سيلاً إلى خروجه . وهو كما قلنا كتاب الأقاويل الجزئية التي جعلت فيه شديدة المطابقة للأقاويل الكلية ، إلا أنه مزج هنالك مع العلاج العلامات واعطاء الأسباب على عادة أصحاب الكنائش . ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا إلى ذلك بل يكفي من ذلك مجرد العلاج فقط . وبالجمل من تحصل له ما كتبناه من الأقاويل الكلية أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنائش في تفسير العلاج والتركيب . . .

فيفهم بما تقدم أن ابن رشد رأى أن كتابه الكليات الذي تناول فيه النظريات العامة في معالجة الأمراض غير كاف لمن شاء التوسع في المعالجة الخاصة بكل مرض على اعتباره مستقلاً عن سواه من الأمراض ، فأشار على من يرغب في ذلك باللجوء إلى كتاب التيسير الذي سبق أن صنفه ابن زهر بعد أن سأله ابن رشد إياه . وبما يستوقف النظر أن ابن رشد عد كتاب التيسير كنشاً تفصل فيه ضروب المعالجة ، على حين أن ابن زهر

كتاب يفصل فيه وصف النباتات ، وذكر أبو الريحان البيروني (٣٦٢ - ٤٤٢ هـ) في مقدمة كتب الصيدنة في الطب كنش أورباسيوس ، وهو كتاب أدرجت فيه أسماء الأدوية باللغة اليونانية . والكنش والكُنْشَة تعريب كنش السريانية ، وتعني مجموعة أشياء وخصوصاً الأشياء المكتوبة ، مأخوذة من الفعل السرياني كنش أي جمع ، ومن الأصل نفسه أخذت الكلمة كنيشة التي يسمي بها معبد المسيحيين وهي بالسريانية كنوشتا ، وسمي بها في الأصل كنيس اليهود .

نفسه لا يبدو راضياً بأن تكون لكتابه صفة الكناش الصرف ، وهو الكتاب الذي رفعه إلى المرتبة الأولى بين أطباء زمانه ، فهو اذن يقول في مستهل كتابه التيسير :

« أني والشاهد الله لم أضع^(١) هذا الكتاب إلا وقد لزمني الاضطراب بشدة العزم وبالأمر القوي الجزم إلى وضعه . ومع ذلك فمزجت بما قصرت عليه من الطريق الكناشي المنموم عند أهل البصار في العلوم بسبل اخوى علمية وبأمور في الطب قياسية . وعلى كل حال فقد أخلت بالتوايف العلمية بإشتالها على القديم من الألفاظ الكناشية^(٢) . ولم أقصر فيه على مقتضى الأمر النافذ فيه فقط . . . وأما في هذا الكتاب فإنما التزمت الطريق التي وصفت ونهجت التوسط بحسب الإمكان فيما ألفت ونحررت بحيث لم أقع في أنشودة العصيان فيما أتيت فأخذت بالطرفين^(٣) وجمعت فيه بالأمرين » . (انظر الرسم ١).

(ج) ترجمته إلى اللاتينية

ذكر سارتون وميالي أن ابن زهر لم يكد ينتهي من تأليف كتابه التيسير حتى تناقلته أيدي النساخ والمترجمين فوضعت له على الفور ترجمتان عبريتان ولكنها مغفلتان . وانتقلت هاتان الترجمتان إلى ايطاليا فترجم احدهما إلى اللاتينية الماجستير يعقوب العبري Magister Jacobus Hebraeus البندقي بالاشتراك مع طبيب من بادوا Padua اسمه بارافيسيوس Paravicius . ويرجح أن الأول نقل الترجمة العبرية إلى لغة

(١) هكذا في مخطوطة باريس ، وفي مخطوطة اكسفورد : لم أصنع .

(٢) في مخطوطة باريس : وعلى حال . فقد أخلت بالتوايف العلمية على القديم الألفاظ الكناشية . وفي مخطوطة اكسفورد : على العديم الألفاظ الكناشية .

(٣) هكذا في مخطوطة اكسفورد ، وفي مخطوطة باريس : فأخذت بالطريقين .

البندقية العامة حول السنة ١٢٨١ ، ثم نقل الثاني هذه الترجمة إلى اللاتينية وجعل عنوانها *Adjumentum de medela et regimine* ومعناه الإسعاف بالدواء والغذاء . وقد طبعت هذه الترجمة في البندقية في السنوات ١٤٩٠ و ١٤٩٦ و ١٤٩٧ و ١٥١٤ و ١٥٣٠ ، وطبعت مرتين في ليون سنة ١٥٣١ ، وأخيراً طبعت في البندقية سنة ١٥٥٤ . وبما يجدر ذكره أن كل هذه الطبقات لكتاب التيسير كانت تحتوي على الترجمة اللاتينية لكليات ابن رشد المسماة باللاتينية *Colliget* . ويبدو أن جيوفاني دي كابوا *Giovanni de Capua* الإيطالي وضع لكتاب التيسير قبل ذلك بسنوات قلائل ترجمة لاتينية أخرى نقلاً عن العبرية ، وربما كانت هذه الترجمة هي التي جعل عنوانها *Facilitatio adjumentum scilicet regiminis et medela* ومعناه تسهيل الإسعاف بالتدبير والمداواة . وتفضل هذه الترجمة تلك التي وضعت بعدها ولكنها لم تطبع ، على أن كلتا هاتين الترجمتين تحتوي على الكثير من الأخطاء ومواطن الإيهام والغموض .

(د) أهميته

وبما ينبغي الإشارة إليه أن كتاب التيسير بترجماته العبرية واللاتينية أحدث أعمق الأثر في تطور الطب خلال القرون الوسطى التي كان فيها الطب الأوربي عاجزاً عن التحليق بجناحيه ، وكان من جراء كتاب التيسير الذي يعد بحق بين أعظم الكتب التي عرفت في تاريخ الطب ، أن استمر تأثير ابن زهر في الطب الأوربي حتى نهاية القرن السابع عشر ، وذلك بما حمل الكثيرين من المؤرخين كما سبقت الإشارة إليه ، على عدّ ابن زهر أعظم طبيب سُرُريّ عرّفته القرون الوسطى بعد الرازي . ومن الغرابة بمكان أن ابن زهر ، على الرغم من شهرته التي طبقت الحافقين خلال أشد عصور البشرية ظلاماً وهي القرون الوسطى ، لم ينل بعد الشهرة التي يستحقها في

هذا القرن . وأصدق الأدلة على ذلك أن من المراجع العلمية والتاريخية الكبرى كدائرة المعارف البريطانية ما لم يتعرض لابن زهر ولكتابه التيسير إلا بوضعة أسطر ، على حين أن دائرة المعارف العالمية الفرنسية ، وهي من أحدث دوائر المعارف التي تنشر في هذا الحين ، أغفلت ذكره اغفلاً تاماً .

(هـ) الجامع في الأشربة والمعجونات

وقد سبقت الإشارة إلى أن لكتاب التيسير ملحقاً يعرف بالجامع . وقال حاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون أن الوزير أبا مروان عبد الملك بن زهر ألف كتاب التيسير في المداواة والتدبير وذلك بكتاب سماه الجامع . والجامع عبارة عن اقرباذين أو كتاب أدوية يحتوي على مجموعة كبيرة من صيغ وصفات طيبة لأشربة ومعجونات وترياقات وحبوب ولعوقات . وقد ذكر فيه لكل مركب أجزاؤه التي يصنع منها وكيفية تركيبه ، والأمراض التي يستطب به فيها ومقدار ما يؤخذ منه في المعالجة ، والأوقات التي يجب تناوله فيها . وذكر سارتون أن كتاب الجامع ملحق بكتاب التيسير ولكن بعده البعض كتاباً مستقلاً لأن بعض نسخ التيسير المخطوطة جاءت خالية من الجامع . وهذا هو السبب الذي دعا خير الدين الزركلي إلى القول في الأعلام أن عبد الملك بن زهر صنف كتاباً منها التيسير في المداواة والتدبير والأغذية والجامع في الأشربة والمعجونات . وشبه بذلك ما جاء في دائرة المعارف لثؤاد افرام البستاني في البحث الخاص بابن زهر فقد قال هذا المؤلف في كلامه على مؤلفات ابن زهر إن له كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، وكتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد ، وله غير ذلك كتاب الأغذية وكتاب الجامع في الأشربة والمعجونات . وعليه فإن ما قاله هذان المؤلفان يحمل على الظن بأنها بعدان الجامع كتاباً مستقلاً عن كتاب التيسير .

وبما يدل على أن ابن زهر عدّ الجامع جزءاً متمماً لكتاب التيسير ،
ما ذكره في مقدمته وهو قوله :

« ولقد دخل عليّ في خلال وضعي له (أي لكتاب التيسير) من كان
كالوكل عليّ فيه ، فلم يرضه مني ذلك وقال إن الانتفاع به لمن لم يجذب
شيئاً من أعمال الطب بعيد وإنه ليس على ما اقتضى الأمر ولا على غرض
ما يريد . فذيلته حيثئذ بجزء منط الرتبة سميت الجامع وألفته مضطراً
وخرجت فيه عن الطريقة المثلّى كارها ووضعت بحيث لا يخفى على المريض
ولا على من حول المريض . »

(و) مثال ما في الجامع من الأشربة

وما إن ينهي ابن زهر من تدوين ما أراد تدوينه في كتاب التيسير
حتى يبدأ الجامع بقوله :

« وهذا جزء لمن كلّف بمزول عن الطب القياسي وعن النظر الصناعي
يشتمل على علاجات بأشربة ومعاجن وأدهان بما يحدث في البدن من الأمراض
والأعراض بحول الله . شراب ينفع الأصحاء ويبقي عليهم بحول الله صحتهم ويديها
وينفع من الأسباب التي تحدث عنها أوجاع المفاصل بحول الله . إهليلج
أصفر وبرشمان وشان وإهليلج هندي وعود سوس بحرود وزهر
بنفسج من كل واحد أوقية واحد قشراً ترج مدقوق وساذج هندي وصندل
وزهر ورد وبزر خيار من كل واحد ثمانية دراهم عتاب وإذخر من كل
واحد أربعة دراهم أغاريقون درهم واحد . يرض ما يجب رضة من الأدوية
فرادى وينقع ليلة في خمسة عشر وطلاً من ماء شديد الغليان حاشا الإهليلج
الأصفر والإهليلج الهندي والأغاريقون فإنها تنقع وحدها الثلاثة في إناء آخر

فيما يغمرها من ماء مغلي ويضاف إليها نصف رطل من عصارة الرازيانج ثم ترفع غدوة على نارٍ لينة ، حاشا الثلاثة الإهليلجين والأغاريقون فإنها لا ترفع على نار ، حتى يذهب من الجملة النصف فحينئذ يضاف إلى الصفو من السكر سبعة أرطال ويطبخ حتى يأتي شراباً مفرط الانعقاد فحينئذ يمس الإهليلجان والأغاريقون باليد ويضاف صفوها إلى الشراب المذكور ويحرك الشراب وهو شديد الحرارة ويرفع^(١) الجميع في إناء زجاج أو حتم^(٢) ويأخذ منه كل يوم زنة أوقيتين بأربعة أمثالها من ماء فتر فإن هذا الشراب ينفع من أوجاع الرأس التي تكون من أبخرة تصعد إلى الرأس من المعدة ويقوي المعدة ويستقرغ عنها الأخلاط بتلين الطبيعة ويدبر البول من الأخلاط^(٣) وينفع من السدد ويفتحها وفيه بعض المقاومة للسموم الرديئة ولمضار المياه الفاسدة بحول الله .

وفيما يلي الأسماء العلمية اللاتينية والأسماء الشائعة باللغتين الانكليزية والفرنسية ، للنباتات الطبية التي يتركب منها الشراب المذكور في أعلاه :

(١) في اللسان الحتم جرار مدهونة خضر ثم اتسع فيها فليل للخزف كله حتم واحدها حنتم .

(٢) هكذا في مخطوطتي باريس واكسفورد ، وفي مخطوطة لندن : ويدبر في البول من الأخلاط ، وربما كان ما قاله ابن زهر في الأصل ويدبر البول أو ويدبر في البول الأخلاط . وما تجدر الإشارة إليه أن قولنا در البول ودواء يدبر البول أو مدر للبول إنما هو استعمال مولى للفعل دتر ومشتقاته ، وهو ما لم تذكره المعجمات ، باستثناء المعجم الوسيط . ونحن في هذا الاستعمال تجاري ابن زهر الذي توسع في استعمال الفعل دتر فقال : دواء يدبر البول . والأصل أن يقال على ما في التاج دتر اللبن والدمع ، ويقال دثرت الناقة بلبنها وأدثرت ، والدثرة والدثرة اللبن ، ويقال غير ذلك مما لا مجال لذكره فتستطاع مراجعته في المعجمات .

<u>Latin</u>	<u>English</u>	<u>Français</u>	
Myrobalanus citrina	Citrine myrobalan	Myrobalan citrin	املیلیج اصفر
Adiantum capillus veneris	Maidenhair	Cheveu - de - Vénus	برشاوستان
Myrobalanus indica	Indian myrobalan	Myrobalan indien	املیلیج هندی
Glycyrrhiza glabra	Liquorice	Régλισse	سوس
Viola	Violet	Violette	بنفلیج
Citrus medica	Citron	Cédrat	انروج
Cinnamomum citriodorum	Malabar cinnamon	Cannelle de Malabar	ساذج هندی
Santalum	Sandalwood	Santal	صندل
Rosa	Rose	Rose	ورد
Cucumis sativus	Cucumber	Concombre	خیار
Zizyphus vulgaris	Jujube	Jujube	عناب
Andropogon schoenanthus	Camel's hay	Jonc aromatique	اڈخیر
Agaricus .	Agaric	Agaric	آغار یغون
Foeniculum	Fennel	Fenouil	و از یا نیج

(ز) مخطوطات التيسير والجامع

وقد اطلعنا على مصورات كتاب التيسير التي حصل عليها بجمع اللغة العربية بدمشق وهي التالية :

١ - نسخة دار الكتب الوطنية في باريس : وهي تقع في مجموع رقمه ٢٩٦٠ ويحتوي على ثلاثة كتب أخرى هي كتاب الأغذية لعبد الملك بن زهر وكتابا التذكرة والمجربات لأبيه أبي العلاء زهر . وقد ذكر في نهاية هذا المجموع أن نسخة تم في برجلونة سنة ٥٦١ هجرية أي بعد وفاة ابن زهر بأربع سنوات .

٢ - نسخة المتحف البريطاني في لندن : رقمها ٩١٢٨ ، وهي خالية من التاريخ ولكن القائمين على قسم المخطوطات في المتحف يرجحون أنها كتبت بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد .

٣ - نسخة المكتبة البودلية في اكسفورد : رقمها ٣٥٥ ، وهي نسخة كتبت في اوائل القرن العاشر الهجري أو قبله يدل على ذلك أنها قبل انتقالها إلى المكتبة البودلية اقتناها أحد م فكتب على غلافها هذه العبارات : من كتب الفقير إلى رحمة العلي أمير حسن بن سيد علي . استعاره من الزمان افقر الخلق إلى الحق سنة ست وأربعين وتسماية هجرية بقسطنطينية المحمية .

٤ - نسخة دار الكتب الوطنية في غوتا بألمانية الشرقية ملحق كتاب التيسير المعروف بالجامع في الأشربة والمعجونات . وبما يجدر ذكره أن النسخ الثلاث المذكورة لكتاب التيسير تحتوي جميعاً في نهايتها على الجامع .

وفضلاً عن نسخ التيسير التي سبق ذكرها فإن منه في دار كتب مديشي في فلورنسة بإيطاليا نسخة رقمها ٢١٦ . وكما سبقت الإشارة إليه ، فإن بين

مخطوطات كتب ابن زهر التي تملكها المكتبة البديلة بجامع الزيتونة في تونس نسخة من كتاب التيسير رقمها ٧/٢٨٦٧ ونسخة مستقلة من الجامع رقمها ٨/٢٨٦٧ والمعروف أيضاً أن للتيسير ترجمة لاتينية في مكتبة ليدن بهولندا . وقد يكون له نسخ أخرى عربية أو لاتينية في غير مذكروها من دور الكتب ، ولكن ليس لدينا أي علم عنها .

(٣) كتاب الأغذية

(آ) مخطوطاته وتاريخ تأليفه

أما كتاب الأغذية لابن زهر فقد امكن التعرف اليه بوساطة نسختين أولاهما النسخة التي تؤلف جزءاً من المجموع ذي الرقم ٢٩٦٠ الذي تملكه دار الكتب الوطنية في باريس . ويشتمل هذا المجموع كما سبقت الإشارة إليه على ثلاثة كتب أخرى كتبت بقلم ناسخ واحد وهي التذكرة والمجربات لأبي العلاء زهر وكتاب التيسير مع ذيله المعروف بالجامع لعبد الملك بن زهر . وقد جاء في نهاية نسخة كتاب الأغذية مايلي :

« تم الكتاب والحمد لله حق حمده والصلاة على جميع أنبيائه وسلم يبرجلونة على يد ابن فرج بن عمار في منسلخ شهر صفر عام اثنين وستين وخمس مائة فك الله أمره ورحم من قال آمين حين يقرأ بعزته وقدرته » .

وأما النسخة الثانية التي أطلعنا عليها من كتاب الأغذية فهي جزء من المجموع ذي الرقم ٢٠٦٨ الذي تملكه مكتبة أحمد الثالث في استانبول ، وتم الحصول على مصوره من معهد المخطوطات العربية في القاهرة . وقد أثبت المختصون في المعهد على غلافه أنه نسخ في القرن الثامن الهجري . ويشتمل هذا المجموع على كتاب آخر هو كتاب جمع الفوائد المنتخبة من الحواصص المجربة لأبي العلاء زهر . أما المخطوطات الأخرى لكتاب الأغذية

فكل مانعه عنها أن منها واحدة في المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس ورقمها ٢٨٦٧/١٢ ونسخة ثانية تملكها مكتبة الاسكوريال في اسبانيا ورقمها ٨٢٩ ، وهي نسخة عربية ولكنها مكتوبة بالحرف العبري . ولكتاب الأغذية في مكتبة مونيخ ترجمة عبرية رقمها ٢٢٠ . وقد أشرنا فيما تقدم قوله إلى أن ابن البار كتب عن ابن زهر في كتابه التكملة لكتاب الصلة ، ومع أن ابن البار كان أندلسي المولد والنشأة فإنه لم يذكر كتاب الأغذية في عداد الكتب التي نسبها إلى ابن زهر ، وفي ذلك من الغرابة ما فيه . وربما كان ابن أبي أصيبعة الذي كان مشرقياً وعاصر ابن البار ، أول من أشار في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء إلى أن كتاب الأغذية هو أحد الكتب التي وضعها ابن زهر وأنها ألفه لأبي محمد عبد المؤمن بن علي أول الخلفاء الموحدين في اشيلية (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) . وقد المعنا في ما تقدم إلى أن كتب ابن زهر الثلاثة كانت من حيث تتبعها التاريخي كتاب الاقتصاد وكتاب التيسير وكتاب الأغذية ، وذكرنا نقلاً عن ابن البار أن ابن زهر أكمل تأليف كتاب الاقتصاد سنة ٥١٥ هـ ، وقدروا أنه فرغ من تأليف كتاب التيسير نحو سنة ٥٤٥ هـ . وبما أن ابن زهر ألف كتاب الأغذية للخليفة عبد المؤمن ، وبما أنه توفي سنة ٥٥٧ هـ فيكون التاريخ التقريبي لتأليف كتاب الأغذية بين السنتين ٥٤٥ و ٥٥٧ هـ .

(ب) - مضمونه

كتب سارنوت في كتابه المدخل إلى تاريخ العلم عن كتاب الأغذية مايلي :

« أن هذا الكتاب أقل شأناً من كتابي ابن زهر الآخرين وهما الاقتصاد والتيسير . وهو يبحث مختلف أنواع الأطعمة وينبه إلى مايتناول منها بحسب فصول السنة . وإلى جانب ذلك فإنه يلم بإيجاز بالأدوية المفردة وبعض مبادئ

حفظ الصحة ، ويشير إلى المنافع الناجمة من التخم بالياقوت والزمرد وغيرها من الحجارة الكريمة bezel stones ، بما يحمل على الظن بان ابن زهر لم يكن خالياً كل الخلو من المعتقدات الخرافية .

ومن الجلي أن سارتون ينسب إلى ابن زهر الاعتقاد بالخرافات قياساً على الرقي العلمي الذي يتصف به هذا العصر ، لا قياساً على ما كان سائداً من المعتقدات في القرن الثاني عشر وهو القرن الذي عاش واشتهر فيه ابن زهر ، ولئن اتهم سارتون ابن زهر بأنه كاذب يطأطئ الرأس في بعض الأحيان لسلطان الخرافات ، وما هي بالخرافات في زمن ابن زهر وإنما هي خرافات في هذا الزمن ، فان ادير F. Adair الأميركي كتب في دائرة المعارف البريطانية أن ابن زهر حارب الخرافات والأباطيل وكأنح الدجالين والمنجمين ، وكان في زمانه مثال الرجل الذي يحطم قيود التقليد ويحكم المنطق في تفكيره ، ويصدر في كل أعماله عن أساليب التجربة والقياس .

(ج) ما جاء فيه عن الحجارة الكريمة

ويلوح لنا أن مقاله ابن زهر في كتاب التيسير والأغذية عن المداواة بالزمرد كان سبب اتهامه بتصدق بعض الخرافات التي كانت شائعة في زمانه ، فقد جاء في التيسير عن الزمرد قوله :

« وكذلك متى شرب من به الإسهال الموصوف زنة تسع حبات من الزمرد مسحوقاً منخولاً بجرعة ماء على الصوم . ويجب لآخذ الترياق ولآخذ الزمرد ألا يقرب غذاء مأكولاً ولا مشروباً حتى يمر عليه من وقت أخذه الترياق أو الزمرد من سبع ساعات إلى ما حول ذلك . والزمرد متى علق على من به إسهال وزلق الأمعاء فإنه يبرأ بإذن الله . »

وقال عن الزمرد في كتاب الأغذية : « الزمرد إذا شرب منه زنة تسع

حبات قاوم جميع السموم ولا يقرب شاربها طعاماً حتى لا يشك في أنه قد نفذ عن المدة وعما حوالها وبان عما هنالك . . . الفاوينا (١) إذا علقت على المصروع ارتفع صرعه وكذلك زعموا يفعل الزمرد الفائق .

(د) ما قاله القدماء عن المداواة بالحجارة الكريمة

ولا يحسن أن ابن زهر انفرد في زعمه أن من الحجارة الكريمة ما له صفة الشفاء من الأمراض ، فإن الأقدمين قبل زمنه وبعد زمنه بثبات السنين كانوا يعتقدون أن لبعض الجواهر قوة غريبة تبرىء من الأمراض إذا هي أدنيت من المريض أو علقت عليه أو غير ذلك . أما قبل ابن زهر فقد ذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الصيدنة في الطب نقلاً عن كتاب النخب أن اليشب (٢) هو حجر الغلبة يستعمله الترك ليغلبوا وأن لا توجعهم المعدة بالآشياء العسرة الانهضام . وقال نقلاً عن جالينوس : اليشب الأصفر

(١) الفاوينا أو الفاوانيا نبات كان يتداوى به من الصرع . والكلمة من اليونانية *paionia* المأخوذة من *Paion* وهو اسم طيبب الآلهة عند قدماء اليونان ويطلق اليوم على جنس هذا النبات الاسم العلمي *Paconia* ، وتسمى أنواعه بالانكليزية *peony* وبالفرنسية *pivoine* . وفي معجم الألفاظ الزراعية للشهابي هو الفاوانيا وعبود الصليب . وهو جنس جنبيات للتزيين من الفصيلة الشفارية ، وله أنواع جميلة ذات أزهار مختلفة الألوان .

(٢) اليشب بالانكليزية *jasper* وبالفرنسية *jaspe* وهما من اللاتينية *jaspice* وهذه من اليونانية *iaspis* . وفي التاج اليشب معرب يشم . وهو جوهر بعد ضرباً من المرو *quartz* وهو مختلف الألوان وبخاصة هو ضرب أخضر من الخلفيدوني ، وهذا الأخير بالانكليزية *chalcedony* وبالفرنسية *calcédoine* وهما من اللاتينية *chalcedonius* وهذه من اليونانية *Chalkedon* أي خلفيدونية وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على البوسفور تجاه استانبول .

يضعه قوم في المخلقة وينقشون عليه ذلك النقش الذي له شعاع ، وقد امتحنه فنقم غير منقوش كما ينفع المتقش . وقيل نوع من اليشب أكهب نافع في تسكين العطش والأصفر في تقوية المعدة تعليقاً عليها .

وقد نقل البيروني ما قاله جالينوس عن اليشب الأصفر في كتاب الأدوية المفردة الذي ترجمه حنين بن إسحق إلى العربي فقد قال جالينوس في هذا الكتاب ما ترجمته : حجير اليشب الأصفر : أنه ينفع المرىء وفم المعدة إذا علق ويبلغ به إلى فم المعدة . وبعد ابن زهر فإن داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ ذكر في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب عن الياقوت أنه ينفع من الطاعون وتغير الهواء والوسواس والصرع والخفقان وجمود الدم والنزف تعليقاً وأكلأ وغير ذلك . وقال عن الزمرد أنه مفرح منذهب للهم والحزن والكسل والصرع كيف استعمل ولو حملاً ، ويقطع السم شرباً وشرط منعه من الصرع أن يلبس قبل وقوعه ، ويزيل الخفقان والجذام وذات الرئة والجنب وضعف المعدة والكبد شرباً وتعليقاً ، وإن لبس في خاتم ذهب منع الطاعون وغير ذلك .

ولم يكتف الإقدمون باستعمال الياقوت والزمرد وغيرهما من الجواهر تعليقاً ولبساً وشرباً لداواة المصروعين والمجنومين والمطعونين ، فإنهم كانوا يستعملون في الداواة أجساماً أخرى كالكهربا مثلاً وهو المادة النباتية المعروفة التي نعوها اليوم من المتحجرات وكانوا يزعمونها صمغ بعض الأشجار . وقد قال الانطاكي عن الكهربا إنه يمنع ضعف المعدة والخفقان شرباً وتعليقاً ، ومن خواصه أن تعليقه على المعدة يمنع السخم وحمله يقوي القلب ويدفع الخوف إلى آخر ما هنالك من وجوه الداواة التي نعوها اليوم من قبيل الترهات والحزعلات .

(هـ) ما قاله ابن زهر عن الجلبان : ثم اتنا إذا قلنا أوراق كتاب

الأغذية لاستوقفت نظرنا هذه العبارة التي يقولها ابن زهر عن خبز الجلبان :
 وخبز الجلبان ردي قد خُير منه إذا أديم أكله أرخى الأعضاء ولا خير في
 ادامة استعماله . وإنه لمن المدهش أن نرى أن هذه الملاحظة التي أبداهـا
 ابن زهر بشأن الضرر الناجم عن الادمان على تناول خبز الجلبان إنما هي
 ملاحظة أثبت صحتها الطب الحديث . فقد عرف منذ أوائل القرن أن الجلبان
Lathyrus sativus إذا أدام الإنسان أكله سبب له داء عصياً يعرف
 بداء الجلبان *lathyrism* وأبرز صفات هذا الداء أن يصاب فيه الطرفان
 السفليان بالشلل التشنجي والألم وفرط الحس .

(و) مقارنة بين ابن زهر وجالينوس فيما يقولانه عن الأغذية
 ينحو ابن زهر في تأليفه كتاب الأغذية نحو جالينوس في كتابه قوى
 الأغذية (١) . وليان التقارب بين ما كتبه ابن زهر عن الأغذية وما كتبه
 عنها جالينوس قبل ألف سنة نقتطف من كتاب الأغذية لكل منها ما قاله
 عن اللحوم . قال جالينوس عن اللحوم ما ترجمته : « فأما لحم البقر فغذاؤه
 أيضاً غذاء ليس يسير ولا سريع التحلل ، إلا أن الدم المتولد منه أغلظ
 من المقدار الذي يحتاج إليه . وإن كان الذي يأكله صاحب مزاج مسيل
 إلى السوداء بالطبع أصابه منه أحد الامراض التي تحدث عن السوداء ... »

(١) قال جمال الدين القفطي (٥٦٨ - ٦٤٦ هـ) في كتاب إخبار
 العلماء بأخبار الحكماء أن كتاب قوى الأغذية لجالينوس نقله حنين بن إسحق
 إلى العربي . وقد اطلعنا على مخطوطة هذا الكتاب وهي جزء من المجموع ذي
 الرقم ٨٠٢ الذي تملكه مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهو يتألف من أربعة
 كتب لجالينوس هي كتاب الأغذية وكتاب الأدوية المفردة وكتاب تدير الصحة
 وكتاب حيلة البرء . وقد جاء في آخر هذا المجموع أنه مما عني باختصاره
 أبو عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي لموسى بن يوسف بن ساسون
 سنة ٥١٧١ هـ عبرية الموافقة لسنة ١٤١٣ ميلادية .

وأوفق لحوم البقر للشباب ذوي الأبدان الحصة ، ما كان منها لم يبلغ
متهى الشباب ، وذلك أن الحيوانات التي في مزاجها بالطبع فضل يتسر
فالصغير بينها أجود مزاجاً من كبيرها . أما الحيوانات التي مزاجها بالطبع
أرطب فإنها إذا صارت بمتهى الشباب ، أكسبها ذلك ما كان يعجزها من
غو المزاج الملائم لها . ولذلك صارت لحوم العجايل أفضل انضماماً من
لحوم كبير الماعز ، وإن كان كبير الماعز أقل يبساً من مزاج متكمل البقر .

« ولحم الحملان أيضاً من اللحوم التي غذاؤها أرطب وأكثر توليداً
للبلغم ، ولحوم النعاج أكثر فضولاً وأكثر خلطاً ، ولحوم الماعز أيضاً
يولد خلطاً ردياً مع حدة . وأما لحوم التيوس فيولد خلطاً ردياً جداً
واستمراؤه وانضمامه عسر جداً ، وبعد لحم التيوس في ذلك لحم الكباش ،
وبعد لحم الكباش لحم البقر . ومن جميع هذه الحيوانات لحم الخصي
أفضل من لحم ما لم يخص . وكل هرم من الحيوان أردأ حالاً في انضمامه
وفيا يتولد منه من الدم وفيما يناله البدن منه من الغذاء ، حتى أن
الخنزير وإن كانت لحومها رطبة المزاج ، إلا أنها إذا هرمت صار لحمها
صلباً شديداً بالليف يابساً ، وتصير بهذا السبب عسرة الانضمام . فأما لحوم
الأرانب فالدم المتولد منها دم غليظ إلا أنه أجود من الدم المتولد من لحم
البقر والكباش والنعاج . »

وهذا ما قاله ابن زهر في اللحوم :

« ذكر اللحوم من المواشي على أربع : أكثر ما يستعمله الناس لحم
الغنم وهي حارة رطبة أفضلها مالمس بالصغير ولا بالمسن الكبير من الذكران
خاصة ، ثم لحم الخصي من الذكران المعتدل بين الصغير والكبير ، ثم
الإناث المعتدلات في العمر . وأما صغار الغنم ففيها رطوبة كثيرة جداً وهي
لذيذة الطعم ولكنها تحدث في الإبدان رطوبات فضلية كثيرة ولذلك يجب

تجنبها ، فإن استعملت فشواء في السفود أو في الفرن أو بالتهري^(١) .
وبالجملة فإن لحم الضأن كله انما يجب أن يستعمل بما يجفف من رطوباته
مثل الطبخ بالتهري ومثل الطبخ بالزيت الكثير ومثل طبخها بالحل ، وشر
ما تستعمل إذا استعملت في ثريد أو مضيرة فإن مضرتها حينئذ تتضاعف
أضعافاً . ذكر المتعز : أفضل لحوم المعز لحوم صغارها وخاصة الذكران
منها وشرها كلها المسن ، وفحول الضراب منها شر من الحصيان والذكران
شر من الإناث ، تغذي صغارها باعتدال وتزيد في اللحم زيادة محدودة وأما
لحوم الجداء فإنها كادت تخرج في إفراطها في الجودة عن لحوم ذوات الأربع .

« وأما لحم البقر فإنه غليظ الجوهر سوداوي يابس بارد . ولحوم البقر
كلها فيها عسر وبطء في الانهضام وصغيرها الراضع لابس به في جوده الجوهر
وأنا لأقول إنه سريع الانهضام إلى بقياسه إلى مسنها وكذلك لأقول إنه
بطيء الانهضام إلا بقياسه إلى الدجاج والدراج ولحم الجدي الصغير » .

« ذكر الأرناب : الأرنب حار رطب ومُسْنَه بطيء الهضم يابس
المزاج رديء الجوهر وفيه خير من الكبير المسن ، وأما صغار الأرناب
وهي الخرائق^(٢) فحارة رطبة تغذي بسرعة وخاصة الأرنب أنه يفتت

(١) هكذا في نسخة باريس ، وفي نسخة استانبول بالمرى ولا معنى له .
ويلوح لنا أن أصل اللفظة بالهراء فخففت الهمزة إلى الياء وذلك كثير في كلام
ابن زهر . مأخوذ من قولهم هراً اللحم يهراً هراً أجاد انضاجه حتى تفسخ .
والهريء من اللحم الذي أجيد انضاجه فتها حتى سقط عن العظم . ولم نجد
مادتي مرأ ومرى ما يفيد معنى انضاج اللحم بإطالة طبخه كما يفيد الفعل هراً .
(٢) الخرائق جمع خرق بالكسر وهي الأثى من أولاد الأرناب . وقيل
الخرق ولد الأرنب للذكر والأثى وجاء في قول المتنبي :

ألم يحذروا مسخ الذي يسخ العدى ويجعل أيدي الأسد أيدي الخرائق

وجاءت الخرائق في نسخة باريس لكتاب الأغذية ، وفي نسخة مكتبة أحمد

الثالث باستانبول الخزان واحدا مخزّر وهو ذكر الأرناب أو ولدها .

الحصى وخاصة رأسه إذا طبخ تقايا^(١) أيضاً وإن أكله المرتعش نفسه .
وذكروا إن دمه إذا وضع على الوجه أزال النمش والكلف عنه
وأذهب ذلك ، .

يدل النسان اللذان تقدم ذكرهما على أن ابن زهر ، وإن أتى ببعض
الآراء الخاصة بشأن الأغذية الحيوانية ، فإنه كان ينسج على منوال جالينوس
في وصف هذه الأغذية وفي تعداد فوائدها ومضارها لأنه كان من القائلين
بنظرية الاخلاط الأربعة التي تعزى إلى جالينوس .

(ز) نظرية الاخلاط الأربعة لجالينوس

أساس هذه النظرية هو ما زعمه القدماء قبل جالينوس من أن الطبيعة
تتألف من أربعة عناصر هي الماء والهواء والتراب والنار ، وأن لهذه العناصر
ماسموم صفات أو خواص فللماء الرطوبة وللحواء ليوسة والتراب البرودة
والنار الحرارة . وبما أن الأغذية من حيوانية ونباتية مستمدة من الطبيعة
فلا بد أن تكون لها الخواص المماثلة لخواص العناصر التي تتألف منها
الطبيعة . واستند جالينوس في نظرية الاخلاط الأربعة إلى مذهب العناصر
الأربعة في الطبيعة فقال أن في البدن أربعة أخلاط تقابل العناصر
الأربعة في الطبيعة وهي الدم والمرارة السوداء والبلغم والمرارة الصفراء ، وإن
ثمة تماثلاً بين عناصر الطبيعة الأربعة واخلط البدن الأربعة فالدم مستقر
لرطوبة الماء والمرارة السوداء مستقر ليوسة الهواء والبلغم مستقر لبرودة
التراب والمرارة الصفراء مستقر لحرارة النار . وأما صحة البدن ومزاجه فيها

(١) لم تذكر الكلمة تقايا في المعجمات ولكن ذكرها دوزي في الملحق
بالمعجمات العربية فقال إنها كلمة مغربية وتعني طعاماً مطبوخاً يتألف من اللحم
والتوابل وكزبرة البئر والزيت والملح والماء . وتعرف بالتقايا الخضراء متى كانت
الكزبرة غضة ، فإن كانت الكزبرة يابسة عرفت بالتقايا البيضاء .

نتيجة تناسب الأخلاط الأربعة وتوازنها واعتدالها ، وعلى العكس فإن المرض يكون نتيجة اختلال توازنها وسوء توزعها ، ولذلك فإن عمل الأغذية هو المحافظة على توازن الاخلاط ، كما أن عمل الأدوية هو إعادة التوازن إلى الاخلاط حين اخلال المرض بحالة التوازن القائمة بينها .

بعد هذا البيان المقتضب لنظرية العناصر والاخلاط التي هيمنت على الطب القديم نستطيع أن نفهم أن جالينوس حين يقول « مزاج مائل إلى السوداء بالطبع » ، فهو يعني أن خلط المرة السوداء هو الغالب في ذلك المزاج على الاخلاط الثلاثة الأخرى ، وحين قوله : « الحيوانات التي في مزاجها فضل ييس » فإنه يعني أن هذه الحيوانات تناولت مقداراً وافراً من ييوسة الهواء فغلبت فيها المرة السوداء . وكذلك فهو حين قوله « الحيوانات التي مزاجها بالطبع أرطب » ، يعني أن بنيتها اكتسبت فضلاً من رطوبة الماء فغلب فيها خلط الدم على سواه من الأخلاط .

وأنا نستطيع بعد ما تقدم بيانه أن نفهم أيضاً أن ابن زهر حين قوله « الغنم حارة رطبة » فهو يعني أن في لحمها فضلاً من حرارة النار فغلبت فيها المرة الصفراء ، وأن فيه فضلاً من رطوبة الماء فغلب فيها خلط الدم . وهو حين يقول « لحم البقر سوادوي يابس بارد » ، يعني أن المرة السوداء هي الغالبة فيه ، ولذلك فإن آكله قد يختل توازن الأخلاط في بدنه فتغلب فيه المرة السوداء ، كما يعني أن في لحم البقر فضلاً من ييوسة الهواء وبرودة التراب ، ولذلك تغلب فيه المرة السوداء والبلغم على الخلطين الآخرين وهما الدم والمرة الصفراء . وهكذا فإن كل ما يقوله ابن زهر في الأغذية ، حيوانية كانت أو نباتية ، يستطاع تأويله بالرجوع إلى نظرية العناصر والاخلاط وما يشترك بينها من الخواص ، وهي النظرية التي تعزى إلى جالينوس ومن تقدمه من قديما الأطباء والفلاسفة على ما سبق الاماع إليه .

ما تقدم يوضح ما بني عليه الطب القديم من الأقاويل المستندة إلى القليل من الملاحظة والتحري وإلى الكثير من الظن والتخمين. وهي مع ذلك كانت أساساً لطب الأمم القديمة قبل زمن ابن زهر بنحو ألف سنة وبعده بنحو خمسمائة سنة. ولم ينبذ العالم طب الأقدمين وما ذهبوا إليه من الأوهام والخرافات إلا بعد أن بزغ عصر العلوم الحديثة بدءاً بالقرن الثامن عشر، فتوالت منذ ذلك الحين الكشوف العلمية التي قلبت المفاهيم القديمة رأساً على عقب ولا سيما في مجالي الكيمياء والفيزياء وغيرهما من العلوم الطبيعية والتطبيقية. فنحن اليوم نصف الأغذية، لا بمقدار ما يتروكب فيها من اليوسة أو الرطوبة أو البرودة أو الحرارة، بل بما تحتوي عليه من المواد المغذية من عضوية وغير عضوية وبما تشتمل عليه من الفيتامينات، وبما يطلقه انضمامها من الكالوريات. ولكن هل بلغ العلم في هذا العصر نهاية المطاف وهل استنفد كل ماله من طاقات؟ هذان سؤالان تستطاع الإجابة عنهما في ضوء حوادث الماضي، فقد علمتنا التجارب أن عقل الإنسان لا يعرف الاكتفاء ولا يأوي إلى الاستكانة ولا يستسلم للجمود، وسيكون شأنه في الزمن المقبل شأنه في الزمن الغابر، فكشوف العقل البشري اذن ستوالي والمعرفة الناجمة عنها سوف تزداد إلى ما لا حد له، ولا نهاية له.

٦ — إيمان ابن زهر وتقواه

لئن نشأ ابن زهر في بيت يظله شعار الطب ويخيم عليه جناح العلم، فإنه ترعرع في أسرة تفقحت في علوم الدين وتمكنت من اللغة والأدب، فنبغ من أفرادها الفقهاء والأطباء والأدباء ولا سيما أبو مروان عبد الملك صاحب الترجمة، فإنه بعد أن مهر في علوم الدين والأدب، أخذ الطب عن والده

أبي العلاء زهر ، وعن سواه من أطباء زمانه ، ولكنه بعد ذلك أعرض عن الفقه وانقطع إلى الطب علماً وعملاً وتصنيفاً ، إلى أن أصبح أشهر أطباء عصره . وذلك مادعا ابن رشد ، الذي كان معاصراً له ولكن كان أصغر منه سناً ، إلى ملازمته والأخذ عنه وإلى الاقتداء به في تأليف كتابه الكليات في الطب ، ليكون هذا الكتاب صنواً لكتاب التيسير الذي سبق أن ألفه أبو مروان بن زهر . وقد أثبتت السون التي قلت هذا الحدث ذا الشأن في تاريخ الطب القديم صحة رأي الصديقين ابن زهر وابن رشد ، فإن التيسير والكليات عادة وكأنها كتاب واحد ، فترجما معاً إلى العبرية واللاتينية حتى أن الترجمات اللاتينية التي طبعت لهذين الكتابين في إيطاليا وفرنسا ، وكان آخرها في أواسط القرن السادس عشر ، كانت لهما معاً .

وقد تقدم أن ابن زهر بدأ حياته العلمية بدراسة علوم الدين واللغة . وروى ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة أن أبا محمد بن عثمان تناول من ابن زهر موطأ مالك والصحيحين والدلائل لقاسم وغير ذلك بتاريخ شعبان سنة ٥١٢ . وكتب إليه وإلى أبيه أبي العلاء أبو محمد الحريري (٤٤٦ - ٥١٦هـ) (١) من بغداد . وفي نظرنا أن أقل ماتبىء به هذه الرواية هو أن الشهرة العلمية والأدبية لأبي العلاء زهر وابنه أبي مروان بن زهر ما عمت أن بلغت شرق الدولة العربية فطرت أسماع اللغوي الأديب أبي محمد الحريري في بغداد ، فراسلها بغية توثيق عرى التعارف والمودة بينه وبينها .

وجلي أن علوم الدين التي تبحر بها ابن زهر قبل انصرافه إلى الطب

(١) الحريري هو الشيخ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري صاحب المقامات المشهورة التي قال فيها :

أقسم بالله وآياته ومثعّر الحج وميقاته
أن الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقاماته

جعلت منه مُسْلِماً تقيّاً ورعاً يؤمن بأن الله خلق الانسان ، ويقرون نجاح الطبيب في طبه بالمشيئة السمائية ، ويعتقد أن البرء من العلل ، يتعذر إن لم يكن بإذن الله وبحول الله . وما أكثر ما يرد في كتاب التيسير وذيله الجامع من الأدلة التي تم عن هذه العقيدة الراسخة التي كان يعتقها ابن زهر . فهو يقول في كتابه التيسير : وإنما تهضم الأعضاء بالحرار الغريزي الطبعي الذي تفيضه الكبد على الأعضاء وتقسطه بحسب احتياج كل عضو وما خلقه الله له (١) . ويقول أيضاً : وحذره من أن يتعرض برأسه لشعاع الشمس مع لزوم ما ذكرته من العلاج حتي يرتفع بإذن الله (٢) . ثم يقول : ولم يبق بما يعرض في ظاهر الرأس من غير سبب بادٍ شيء فانا مبتدىء بما يعرض لأسباب بادية بإذن الله (٣) . وهو يقول عن كسر القحف : وإنما يصعب هذا الأمر لأننا لم نرى محسناً في ذلك ولا سمعنا في وقتنا هذا بمن يجيد عمله ، ولو كان المجيد لذلك موجوداً ، لم يكن أحد يموت من كسر عظم في الرأس في الأكثر ، فإن ذلك كان ، يكون من الأسباب التي قدرها الله سبحانه للبرء كما أن تعذر المحسن في ذلك الآن سبب بقدرة الله لهلاك من يصيبه ذلك في الأكثر (٤) .

وابن زهر على ما سبق التمثيل به لا ينقطع عن ذكر امم الله جل جلاله في كتاب التيسير ، حتى أن هذا الكتاب لا تكاد تخلو ورقة منه من ذكر اسمه تعالى . وهذا شأنه في كتابيه الآخرين وهي الاقتصاد والإغذية ، فإنه يتبع فيها الأسلوب الانشائي نفسه فيرجع كلامه بين آن وآخر بذكر امم

(١) هكذا في مخطوطتي باريس واكسفورد وفي مخطوطة لندن : وتقسطه بإذن الله .

(٢) هكذا في مخطوطتي باريس ولندن وفي مخطوطة اكسفورد بإذن الله تعالى .

(٣) هكذا في مخطوطة باريس ، وفي مخطوطة اكسفورد : لأسباب بادية إن شاء الله . وفي مخطوطة لندن : لأسباب بادية إن شاء الله عز وجل .

(٤) هكذا في مخطوطة باريس وفي مخطوطتي اكسفورد ولندن : بقدرة الله .

الله عز وجل . وما اخال ابن زهر ، وهو الذي ربي على اجلال الدين ،
ونشأ نشأة الفقيه الحافظ والمحدث الأديب ، ألا أنه كان يعتمد في أنشائه
الطبي إلى ماتعه حافظته من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، فيقتبس
منها بين آن وآخر ماتشتمل عليه من فصاح الكلم التي تضي على أنشائه
شيئاً كثيراً من البهاء والوضوح والقوة . فلنسمعه كيف يستعمل كلمة حسنب
مثلاً في كتابه التيسير :

« وأما إذا غلبت الرطوبة عليه (أي على الدماغ) فالرطوبة قلما تغلب ،
وافرض انها غلبت فحبك بدهن الاقحوان . وإن كان مع ذلك سوء مزاج
بارد فزيت قشر الاترج أو ضمده بقشر الاترج غصاً أو بالبساسة^(١) معجونة
بالماء العذب وحبك ذلك فيه . »

وهو يقول أيضاً :

« حسب (أي المريض) في الأغذية اليام والعصافير مشويات وتقايا بيضاء ،
وأن يلتزم التصرف قبل أخذ الغذاء ويلتزم الدعة بعده . »

أفلا يسوغ لنا اذن ، حين يخاطب ابن زهر الطالب المؤتمم به فيقول
له حسبك ، أو حين يشير إلى المريض فيقول حسبه ، أن نرجح أنه يقتبس
هذه اللفظة من الآية الكريمة : « وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالإثم
فحبسه جهنم وبئس المهاد . »

أولسنا نرجح أيضاً أن ابن زهر حين يقول في كتابه التيسير :

« فليس المضم بما يزعمه من يجهل الصواب أن كل حرارة تعين على المضم

(١) البساسة هي جوز الطيب أو قشره . واستعملها العرب اسم علم للنساء ،
قال امرؤ القيس :

ألا زعمت بساسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن الطعن أمثالي

فضلوا وأضلوا، وإنما تهضم الأعضاء بالحرار الغريزي الطبيعي الذي تفيضه الكبد على الأعضاء وتقسيطه^(١) بحسب احتياج كل عضو وما خلقه الله له .

فهو يقتبس العبارة البليغة « فضلوا واضلوا » من الحديث الشريف : « أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم ب موت العلماء حتي إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وقد اكتفينا باقتباس الأمثلة المقدمة من كتاب التيسير معتمدين على مخطوطاته الثلاث وهي مخطوطات باريس ولندن واكسفورد التي سبق الاطلاع اليها

وقد كانت الأمثلة كما هو ظاهر مأخوذة من متن الكتاب باستثناء فاتحته وخاتمة لأننا وجدنا أن الفاتحة والخاتمة في النسخة الواحدة يختلف نصها بعض الاختلاف عما هو عليه في النسختين الأخريين مما يدل على أن النساخ يتصرفون في تدوين فاتحة الكتاب وخاتمة بما يجعل النص الذي يثبت النسخ الواحد غير النص الذي يثبت النسخ الآخر ، على حين أن نص الأمثلة التي أوردناها من متن الكتاب يكاد يكون واحداً في النسخ الثلاث مما يدل على أن النساخ لا يستطيعون التصرف بنص المتن لأي كتاب كان ، كما يفعلون في نص الفاتحة والخاتمة .

٧ — إسلامه

(٦) تفنيد الزعم القائل بيهوديته

وقد كانت ترجمة كتاب التيسير وسواه من مصنفات ابن زهر إلى العبرية

(١) قسط الشيء يقسطه قسطاً وقسوطاً : فرقه ووزعه . والقسط الحصنة والنصيب ج أقساط .

قبل أن ترجمت إلى اللاتينية بما دعا بعض الباحثين إلى تصديق ما سبقت اشاعته من أن ابن زهر انحرف عن تعاليم الدين الإسلامي واعتنق اليهودية ، وأختص هؤلاء الباحثين كازيري Casiri فإنه زعم في Bibliotheca arabico - hispana (١٧٦٠) أن ابن زهر كان يهودياً ، على حين أن هذا الزعم ليس فيه أي أثر من الصحة . وكان جراء هذا الزعم الباطل أن انبرى باحثون آخرون إلى تفنيده وإثبات خطئه ، قصّدَ في ذلك عدد من الدراسات نخص بالذكر منها ما نشره وستفيلد F . Wustenfeld في Gesch . der arab . Aerzte (١٨٤٠) وستينشneider M. Steinschneider في Arch.fur pathol. Anatomie (١٨٧٣) وشمس الدين سامي في قاموس الأعلام التركي (١٨٨٩) وكولان في كتابه ابن زهر حياته وآثاره (١٩١١) ، وفي دائرة المعارف الإسلامية (١٩٢٧) ، وسارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلم (١٩٣١) . وبما قاله شمس الدين سامي في قاموسه : « أن ترجمة كتاب التيسير إلى العبرية أولاً ومنها إلى اللاتينية دعت إلى الظن بأن ابن زهر كان يهودي المذهب والواقع أن أبا جده وهو أبو بكر محمد بن مروان بن زهر (٣٣٦ - ٤٢٢ هـ) كان من مشاهير الفقهاء والمحدثين في اشيلية ، فلا شك بأن ابن زهر كان مسلماً وكذلك كل من انتمى إلى أسرة بني زهر » . وقال كولان في كتابه المذكور آنفاً ما ترجمته :

« وينبغي لنا ألاّ تقع في وهم تورط فيه بعض المستشرقين عندما حسبوا ابن زهر يهودياً بعبارة أن بعض فواتح كتبه قد حذف منها ما يدل على إسلامه ، والحق أن هذا الحذف إما أن يكون من عمل النساخ النصارى أو أن يكون من عمل مترجم كتبه إلى اللاتينية الذي كان طبيباً يهودياً من البندقية ، وإما أن يكون سببه أن لابن زهر كتاباً يشبه اسمه

كتاب طيب آخر اسمه أبو يعقوب اسحق بن سليمان الامرائيلي . ولكن الحقيقة الثابتة جلالها وستنقلد وستينشيدر ومؤداها أنه واجداده مسلمون . ويؤخذ من المراجع التي توافرت لدينا وذكرناها فيما تقدم ، أن كولان كان أكثر الباحثين محاولة لكشف النقاب عن الأسباب التي دعت إلى تهويد ابن زهر ، ولكنه يذكر في جملة هذه الأسباب أن من كتب ابن زهر ماتخلو فاتحته من العبارات المعبودة التي تدل على إسلامه أو أن بعض المستشرقين نظير كازيري ظنوا أن من كتب ماتخلو من القوائم الدالة على الاسلام فنسبوه إلى اليهودية . وقد شئنا التحقق من صحة هذا الادعاء فراجعنا مالى جمع اللغة العربية بدمشق من مصورات المخطوطات المنسوبة إلى ابن زهر ، وهي كما ذكرنا سابقاً مخطوطات كتب الاقتصاد والتيسير والأغذية فتبين لنا لدى هذه المراجعة مايلي :

(ب) ماجاء في كتاب الاقتصاد عن اسلامه

تبين لدى مراجعة كتاب الاقتصاد في اصلاح النفس والاجساد أن مخطوطة باريس لهذا الكتاب تبدأ بالفاتحة المألوفة الدالة على اسلام المصنف وهي : بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين ، فهي إذن لا تترك مجالاً للارتباب بالمذهب الذي يعتنقه ابن زهر . ولو فرضنا أن الفاتحة ليسب في النسخة الأصلية من الكتاب وإنما هي زيادة من الناسخ فإن في متن كتاب الاقتصاد دليلاً آخر لا يمكن أن يكون من صنع الناسخ وهو دليل فيه من القوة والوضوح ما يكفي لاثبات اسلام ابن زهر ، فقد جاء على وجه الورقة الرابعة من كتاب الاقتصاد مايلي :

« وإذ ذكرت من اصلاح النفس مافيه كفاية ، إذ كانت طبائعها خلقت بالطبع فاضلة ، فانا آخذ في ذكر اصلاح البدن فأقول : ولما كان اللسان

آلة لذكر الله عز وجل ، وبه نقرأ القرآن وترجم عن أنفسنا الناطقة بما يُخصُّ بتصرفه الانسان لا الحيوان وجب أن يُقدم علاجه^(١) .

(ج) ما جاء في كتاب التيسير عن اسلامه

أما كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، فلا يخفى أنه أهم كتب ابن زهر وأخطرها شأنًا ، فما يجيء فيه إنما هو صورة حقيقية لمؤلفه من حيث الاقتدار الطبي واللغوي والمذهب الفلسفي والمعتقد الديني وما إلى ذلك . وقد تصفحنا كتاب التيسير في مخطوطاته الثلاث التي سبق ذكرها فوجدنا أن فاتحته يرد فيها اسمه تعالى كما يرد فيها اسم النبي الكريم ، وهي تكاد تكون واحدة في المخطوطات الثلاث وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم يارب^(٢) .

كتاب التيسير في المداواة والتدبير .

قال عبد الملك بن زهر الحمد لله الذي كل مايقع الحواس عليه يشهد له بالوحدانية والقدرة وصلى الله على محمد المرتضى ورضي عن أصحابه^(٣) (انظر الرسم ١) .

(١) أصل هذا النص غير منقوط في نسخة باريس لكتاب الاقتصاد وقد جاء مشوشاً بتصحيح بعض ألفاظه وتقديم أو تأخير بعضها الآخر .

(٢) هكذا في مخطوطة باريس ، وفي مخطوطة لندن البسمة فقط ، وفي مخطوطة اكسفورد جاء بعد البسمة : رب يسر يا كريم .

(٣) هكذا في المخطوطات الثلاث ، وأضاف الناسخ في مخطوطة باريس بعد الكلمة أصحابه : أعلام الدين ومصايح المهتدين وسلم تسليماً . وجاء في مخطوطة اكسفورد بعد الكلمة أصحابه : وسلالة المهتدين . أما في نسخة لندن فالخط غير واضح بعد الكلمة أصحابه .

ثم إن متن كتاب التيسير يحتوي على عدد من الأدلة التي تنم عن ابن زهر لم ينحرف قط عن مذهب آبائه وأجداده ، فضلاً عن أن منها ما يدل على أنه كان يسلك طريق الاجتهاد فيما يراه خطأ أو صواباً ، ومن ذلك قوله في بحث أمراض الرئة :

« و ذكر جالينوس أن الترياق الحديث إذا شرب منه من أصابته هذه العلة انتفع بذلك . وذكر أن شرب ابن الأئسن حين مات حلب من غير أن يتمكن الهواء من اللبن طريقة عين مثلاً بمقدار معتدل على الصوم ينفع منها . ولما كانت ألبان الاتن تابعة للحومها ولحومها محرمة علينا معشر المسلمين ، رأى الأطباء في ذلك ابن المعز الفتاوى^(١) الحسنة المزاج . ويجب أن تطعم أغصان العليق و عيون العوسج و عيون الكرم وأوراقها ، والزبيب يجب أن تطعم إياه . ويكون ماء شربها غيراً قراحاً برياً من كل عفن وكيفية مذمومة^(٢) . »

(د) ماجاء في كتاب الأغذية عن اسلامه

أما كتاب الأغذية فإن فاتحه على ماجاء في مخطوطة باريس هي كما يلي:

وبسم الله الرحمن الرحيم وبك يارب استعين .

قال عبد الملك بن زهر : أني أريد أن أتكلم في الأدوية^(٣) التي يسهل

(١) لم ترد الفتاوى في المعاجم . وفي اللسان الفتنية الشابة . وفي التاج الفتي الشاب من كل شيء ، وهي فتنية ج فتاء . وفي الصحاح الأفتاء من الدواب خلاف المسان ، واحدهما فتي مثل يتيم وأيتام . واعتبر ابن زهر الفتاوى جمعاً لفتية المؤنث لقوله ابن المعز الفتاوى ، وذلك قياساً على صبيبة وصبايا وهدية وهدايا .

(٢) نص هذه النبذة واحد في الأصول الثلاثة .

(٣) ذكر كلمة الأدوية وهم من الناسخ والأصح أن تكون الأغذية .

وجودها ولا يتعذر في أكثر المواطن إمكانها كلاماً مختصراً من غير تقليل ولا تطويل ، بدأت بمثلًا وكتبت مطيعاً وأنت كنت عارياً من كتي لما علم من طول محنتي . وأرجو أن يكون كلامي أول قول رفع في علم الطب إلى الدولة الظاهرة العلية . وجمع للطائفة الكريمة ، فأرجو بذلك شرفاً يخلد ، وذكراً في طاعة الله بحمد ، والله ولي التوفيق بقدرته .

أما مخطوطة استانبول لكتاب الأغذية فذات فاتحة يدل طول مقدمتها ومافيها من السجع على أن للناسخ يداً في إنشائها وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت . الحمد لله باري النسم ، مولى النعم ، موجدنا من العدم ، مخرجنا إلى النور من غياهب الظلم وصلواته على سيدنا محمد سيد الأمم ، المبعوث إلى العرب والعجم ، صلاة دائمة إلى يوم بعث الرمم . لما أمرت أيدك الله أن أكتب في الأغذية التي يسهل وجدانها ولا يتعذر في أكثر المواطن إمكانها كلاماً مختصراً من غير تقليل ولا تطويل ، بدأت بمثلًا وكتبت مطيعاً والله المستعان واسأله التوفيق بقدرته .

وكما جاء في مخطوطتي باريس واستانبول فإن ابن زهر اختتم كتاب الأغذية بهذه العبارات :

« . . . وانعمان البشر تقصر عن معرفة شيء إلا ما جعل الله في وسعها معرفته ، ولولا ما أنعم الله علينا من العقل والحواس لم نعرف شيئاً مما نعرفه ولا تخيلنا شيئاً مما نتخيه ، والذي ندركه كثيراً جداً ، ونحمد الله على ما أنعم به وهدانا إليه ، وإياه نسأل أن يلهمنا مرشدنا وأن يوفقنا ويسددنا وأن يجعل لابتغاء مرضاته أعمالنا بقدرته .

وقد جاء في خاتمة مخطوطة استانبول بعد الكلام المتقدم ، عبارة الصلاة على النبي الكريم وآله وصحبه ، فإذا استثنينا من فاتحة كتاب الأغذية

وخاتمته العبارات التي يظن أن الناسخ أضافها من عنده إلى مخطوطة استانبول فإن البسمة الواردة في فاتحة المخطوطتين تكون إذ ذاك الدليل الوحيد في كتاب الأغنية على اسلام ابن زهر ، لاسيما وأن مخطوطة باريس الخالية من إضافات الناسخ هي أقرب إلى الأصل الذي وضعه ابن زهر ، على اعتبار أنها نسخت قبل مخطوطة استانبول بنحو مائتي سنة .

وعليه فإن ماتقدم بيانه يثبت بطلان الزعم القائل بأن بعض فواتح كتب ابن زهر تخلو مما يدل على اسلامه ، إذ أن كل فاتحة من كل كتاب من كتبه الثلاثة وهي الاقتصاد والتيسير والأغنية ، بما يدل على أنه كان مسلماً ولا سيما فاتحة كتاب التيسير التي يذكر فيها اسم النبي الكريم وذلك في النسخ الثلاث لهذا الكتاب . فضلاً عن ذلك فإن متن كتاب التيسير في نسخته الثلاث أيضاً ، يتضمن في مواضع منه ما يدل على اسلام ابن زهر . فمن العجيب إذن أن ينهم بعض المستشرقين بالمروق من الاسلام ، وكانت الأجدر بهم قبل ذلك أن يطلعوا على مخطوطات كتبه التي سبق ذكرها ، وأن لا يكتفوا بترجماتها اللاتينية التي قد تخلو فواتحها مما يدل على الاسلام .

(هـ) مستند لاتيني يثبت اسلامه

فيؤخذ مما تقدم ذكره أن من المستشرقين من حسب أن ابن زهر كان يهودياً لأن كتبه ترجمت أولاً إلى العبرية ثم إلى اللاتينية ، كما أن من هؤلاء المستشرقين من اخطأ فظن أن بعض فواتح كتبه تخلو مما يدل على اسلامه ولذلك عدّ يهودياً . وقد بينا فيما تقدم خطأ هذين الزعمين وذلك بالاستناد إلى دراسات قام بها مستشرقون آخرون ، وإلى ما جاء في مخطوطات كتب ابن زهر من الأدلة التي تثبت اسلامه . ونضيف إلى ذلك أن من الباحثين من رأى أن يهودية ابن زهر إنما هي محض اختلاق من اليهود أنفسهم ،

يؤكد هذا الرأي تعليق باللغة اللاتينية دونه كاتبه في أول المخطوطة ذات الرقم ٢٩٦٠ التي تملكها دار الكتب الوطنية في باريس . وقد نشرنا على الصفحة التالية صورة زنكوغرافية لهذا التعليق للتدليل على صحته ، وهو طويل فلا فائدة من نقله برمتيه فنكتفي بأن نقل منه الفقرة المتعلقة بيهودية ابن زهر وهي كما يلي . (انظر الرسم ٢) .

Author huius eperis , Al vazir Abou Maruan Abdel - melék Ben Zohr qui ab hispanis inter quos erat , Avénzohar vocitatur . Judaeus fuisse , vel saltem a quodam Judaeo interpolatus videtur , nusquam enim de Mohamméde sed de Prophetis in génere mentiouem facit .

وهذه ترجمتها بشيء من التصرف :

« مؤلف هذا الكتاب هو الوزير أبو مروان عبد الملك بن زهر ، وهو الذي كان يسميه مواطنوه الأسبان Avénzohar . ويظن أنه كان يهودياً ولكن الأرجح على ما يبدو أن اليهود نسبوا إليه الانتماء إلى اليهودية زاعمين أنه لا يذكر في أي مكان من كتبه اسم محمد بل يذكر الأنبياء بصورة عامة » .

فأنت ترى أن كاتب التعليق يرجح أن يهودية ابن زهر إشاعة روجها اليهود أنفسم ، ولكنه بخطيء حين يستطرد فيقول أن كتب ابن زهر تخلو من العبارات الدالة على إسلامه ، ولو أنه ألقى نظرة على ما بعد الصفحة التي دوّن عليها تعليقه لوجد أن ابن زهر يبدأ كتاب الأغذية بالبسملة ويتبعها بقوله وبك يارب استعين ، ثم أنه لو انتقل إلى كتاب التيسير الذي يتضمنه المجموع نفسه ، لوجد فيه ما يكفي للتدليل على إسلام ابن زهر .

ويرجح أن التعليق المشار إليه كتب في اسبانيا ، أو أن يكون أحد الاسبان يكتبه بخارج اسبانيا ، وذلك لأن بعض حروفه التي كتبت ليقابل

لفظها الحروف العربية ، لا تلفظ كذلك إلا في اللغة الإسبانية ، فضلاً عن أن إثبات علامات نبرة الصّوت على بعض الحروف يدل على أن الكاتب إسباني لأن هذه العلامات تستعمل في الإسبانية لافي اللاتينية . أما تاريخ كتابته فمجهول ولكن بما لا شك فيه أنه كتب قبل سنة ١٨٧٦م لأن لوسيان لوكير في كتابه تاريخ الطب عند العرب (١٨٧٦) يستشهد ببعض ما جاء فيه ، وذلك في سياق كلامه عن مخطوطة باريس ذات الرقم ١٠٢٨ (رقمها الجديد ٢٩٦) ، وهي كما سبق ذكره المخطوطة المتألفة من أربعة كتب هي الأغذية لعبد الملك بن زهر ، والتذكرة والمجربات لابي العلاء زهر ، والتيسير لعبد الملك بن زهر .

الدكتور ميشيل الحوري

ملاحظة :

بعد كتابة المقال المتقدم علمنا أن المكتبة العبدية بجامع الزيتونة في تونس انتقلت بما فيها من الكتب المخطوطة والمطبوعة إلى المكتبة الوطنية في تونس . ولدى الاستعلام من مديرتها عن مخطوطات كتب ابن زهر الملمع إليها على الصفحة ٧٨٦ من هذا المقال ، أجب بأن مخطوط ابن زهر رقم ٢٨٦٧ غير موجود بالمكتبة الوطنية ضمن مخطوطات العبدية .

مصادر البحث

١ - المخطوطات

مخطوطة دار الكتب الوطنية في باريس ذات الرقم ٢٩٦٠ والمتضمنة كتاب الأغذية لعبد الملك بن زهر وكتابي التذكرة والمجربات لأبي العلاء زهر وكتاب التيسير في المداواة والتدبير مع ذيله المعروف بالجامع في الأشربة والمعجونات لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة المتحف البريطاني في لندن ذات الرقم ٩١٢٨ لكتاب التيسير في المداواة والتدبير وذيله المعروف بالجامع لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة المكتبة البودلية في أكسفورد ذات الرقم ٣٥٥ لكتاب التيسير في المداواة والتدبير وذيله المعروف بالجامع لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة دار الكتب الوطنية في غوتا بألمانيا الشرقية للجامع في الأشربة والمعجونات لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة مكتبة أحمد الثالث في استانبول ذات الرقم ٢٠٩٨ لكتاب جمع الفوائد المنتخبة من الخواص المجربة لأبي العلاء زهر وكتاب الأغذية لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة دار الكتب الوطنية في باريس ذات الرقم ٢٩٥٩ لكتاب الاقتصاد في اصلاح الأنفس والأجساد لعبد الملك بن زهر .

مخطوطة مكتبة الاسكوريال في اسبانيا ذات الرقم ٨٠٢ والمألفة من الترجمة العربية لأربعة كتب لجالينوس هي كتاب الأغذية (ترجمة حنين بن اسحق) وكتاب الأدوية المفردة ، وكتاب تدبير الصحة ، وكتاب حيلة البرء .

مخطوطة مكتبة المتحف العراقي في بغداد ذات الرقم ١٩١١ لكتاب
الصيدنة في الطب لأبي الریحان محمد بن أحمد البيروني .

(ب) المصادر العربية المطبوعة

- ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ج ٢ (١٨٨٦ م) ص ٦١٦ .
ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ (١٢٩٩ هـ /
١٨٨٢ م) ص ٦٤ - ٧٥ .
جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (١٣٢٦ هـ) ص ٩١ .
داود الانطاكي : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب ج ١ و ٢ (١٢٨١ هـ)
عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م)
ص ٣٠ - ٢٠٤ .
خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٤ (١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م) ص ٣٠٣ .
عمرو رضا كحالة : معجم المؤلفين ج ٦ (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م) ص ١٨٢ .
----- : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج ٢ (١٣٨٨ هـ /
١٩٦٨ م) ص ٤٨١ .
سامي خلف حمارة : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الطب
والصيدلة (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ١٧٤ - ١٧٦ .
عمرو رضا كحالة : العلوم العملية في العصور الاسلامية (١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م) ص ٥٥ .

المصادر الأجنبية

Lucien Leclerc: Histoire de le Médecine Arabe,
vol . 2 (1876), pp. 82 - 95 ,

Baron de Slane: Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale (1883), pp. 528 – 529 .

V. - Lucien Hahn : La Grande Encyclopédie , vol. 4, p. 877.

Gabriel Colin: La Tedkira d'Abū'l - Ala (1911), pp. 1 – 10.

----- : Avenzoar , sa Vie et ses Oeuvres (1911) .

----- : Encyclopédie de l'Islam, vol. 2 (1927), pp. 456 – 457 .

Larousse du XXe Siècle, vol. 1(1928), p. 470.

George Sarton : Introduction to the History of Science, vol. 1 (1927), p. 453; vol. 2 (1931), pp. 133 – 134, 230 – 234, 853 – 854; vol. 3 (1948), pp. 437 , 1678 .

Aldo Mieli : La Science Arabe (1938). pp. 203 – 205 .

Philip K . Hitti History of the Arabs (1956) pp. 577 – 578 .

Grand Larousse Encyclopédique, vol.1 (1960) , p. 781 .

R. Arnaldez: Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle Edition , vol. 3 (1971), pp.1001 – 1003 .

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes, vol . 1 (1881), pp.147 , 201; vol. 2, p. 494 .

Fred L. Adair: Encyclopaedia Britannica, vol. 2 (1965), p. 888.

محمل البحث

الصفحة	
٧٨٠	١ - تاريخ مولد ابن زهر ووفاته
٧٨١	٢ - نسبه
٧٨٢	٣ - امرته واسمه باللاتينية
٧٨٤	٤ - شهرته
٧٨٦	٥ - مؤلفاته
٧٨٦	(١) كتاب الإقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد
٧٨٦	(آ) مخطوطاته وتاريخ تأليفه
٧٨٧	(ب) مقارنة روزا كوهنه
٧٨٨	(ج) مقارنة غبريل كولان
٧٨٩	(٢) كتاب التيسير في المداواة والتدبير
٧٨٩	(آ) تاريخ تأليفه
٧٩٠	(ب) قول ابن رشد فيه
٧٩٢	(ج) ترجمته إلى اللاتينية
٧٩٣	(د) أهميته
٧٩٤	(٥) الجامع في الأشربة والمعجونات
٧٩٥	(و) مثال ما في الجامع من الأشربة
٧٩٨	(ز) مخطوطات التيسير والجامع

الصفحة

- (٣) كتاب الأغذية ٧٩٩
- (آ) مخطوطاته وتاريخ تأليفه ٧٩٩
- (ب) مضمونه ٨٠٠
- (ج) ما جاء فيه عن الحجارة الكريمة ٨٠١
- (د) ما قاله القدماء عن المداواة بالحجارة الكريمة ٨٠٢
- (هـ) ما قاله ابن زهر عن الجلبان ٨٠٣
- (و) مقارنة بين ابن زهر وجالينوس ٨٠٤
فيما يقولانه عن الأغذية
- (ز) نظرية الأخلاط الأربعة لجالينوس ٨٠٧
- ٦ - إيمان ابن زهر وتقواه ٨٠٩
- ٧ - إسلامه ٨١٣
- (آ) تفنيد الزعم القائل بيهوديته ٨١٣
- (ب) ما جاء في كتب الاقتصاد عن إسلامه ٨١٥
- (ج) ما جاء في كتاب التيسير عن إسلامه ٨١٦
- (د) ما جاء في كتاب الأغذية عن إسلامه ٨١٨
- (هـ) مستند لا تبني يدل على إسلامه ٨٢٠
- ٨ - مصادر البحث ٨٢٤
- (آ) المخطوطات ٨٢٤
- (ب) المصادر العربية المطبوعة ٨٢٥
- (ج) المصادر الأجنبية ٨٢٥

(*)

فتنة عبد الله بن الزبير

للمستشرق الأستاذ رودلف زلهام

تعريب الأستاذ : حسام الصغير

ليست الروايات التاريخية أقوالاً دقيقة بمفهوم العلوم الطبيعية ، فهي خاضعة للصدفة ، ولا يمكن أن تقارن في مجموعها إلا بقيم تقريبية ذات اتجاهات معينة ، ترتبط هذه الاتجاهات بالرواة أنفسهم في عصرهم وبمجتمعهم ، كما يرتبط كشفها وفهمها في ماضيها وحاضرها بالباحثين الذين يحاولون عرضها وتأويلها من وجهة نظر العلم . وبما أن العلم في تبدل مستمر ، فإن زاوية نظره تتبدل أبداً ، وتتبدل معها الشروط المساعدة في إيجاد حكم ما ؛ وهكذا نجد الحكم قابلاً للتمييز بين لونيته الدقيقة على الأقل ، إن لم نقل للتغير أو حتى للقلب الجذري . علماً بأن التبدل أو السير المستمر لا يطابق التقدم بالضرورة ، بل ربما ساوى التأخر في ظروف اجتماعية معينة^(١).

(*) العنوان الأصلي :

Rudolf Sellheim , Der zweite Buergerkrieg im Islam (680 - 692) — Das Ende der mekkanisch — medinensischen Vorherrschaft . Wiesbaden 1970 (Sitzungsberichte der Wiss. Gesellschaft an der Johann Wolfgang. Goethe - Universitaet Frankfurt am Main , Bd . 8 , Jahrgang 1969 , Nr . 4) .

(١) من أجل مشكلة الصلاحية المحدودة للأقوال التاريخية راجع مقالة « مفهوم القانون في العلوم التاريخية :

Der Gesetzesbegriff in den historischen Wissenschaften

للمؤرخ الألماني F. G. Maier في مجلة Studium Generale ١٩٦٦/١٩٦٧-٦٨٧ وانظر أيضاً شرح ابن خلدون لمشكلة الدورة التاريخية في مقدمته .

إن الرواية التاريخية الإسلامية محدّدة في اتجاهها الرئيسي - وكما هو متوقع - بنظرة معينة إلى العالم صادرة عن الدين الإسلامي ؛ وهي محاطة بميول رئيسية سادت بين المسلمين . لقد انطلقت هذه الميول من القرآن والسنة وانتهت إلى إدعاء الإيمان الصحيح لنفسها ، تستمد منه في الوقت ذاته أحقية الحكم والسلطان في الميدان السياسي . كما يحيط بهذه الميول ثلاثة من الميول الثانوية ، تترج بـكل رواية تاريخية على حدة وتحدد معالمها : وهي موقف الراوي أو المؤرخ نفسه ونظرته الشخصية للأمور - سيّان أوعى ذلك وقصده أم لا . لقد بذل المؤرخون بالعربية في صدر الإسلام جهدهم في جمع هذه الروايات المفردة المتفرقة ، ووضعوها في إطار زمني ، دون أن يتجودوا من ميولهم الخاصة ؛ لكنهم أحجموا غالباً عن صهر هذه الروايات وإدماجها بعضها في بعض ، وبذلك فقد يَسَرُّوا للعلم الحديث إمكانية مراجعتها وتدقيق النظر فيها خبراً خبراً في معظم الأحيان ، لاستقصاء تلك الاتجاهات الرئيسية والثانوية ، وكشف ميول المؤرخ نفسه ، والتي ينم عنها اختياره لمصادره التاريخية قبل كل شيء .

فمت باول محاولة في هذا السبيل في مقالي « النبوة والخلافة وتدوين التاريخ » . ابن اسحق وكتابه (١) ، فقد تساءلت فيها عن الاتجاهات الرئيسية في تاريخ ابن اسحق لسيرة النبي ، كما تساءلت - إن جاز لي استعمال تعبير جيولوجي لذلك - عن طبقات الروايات المترسبة فيه . انطلقت من الطبقة الأساسية التاريخية ، فوجدت طبقة أولى يبدو لنا فيها النبي ﷺ على شكل أسطوري بارز ؛ وتعود تبعة تكوينها في الدرجة الأولى إلى ذلك العصر

(١) Prophet, Chalif und Geschichte - die Muhammed-Biographie des Ibn Ishaq

نشرت في مجلة Oriens ١٨ - ١٩ / ١٩٦٥ - ١٩٦٦ / ٣٣ - ٩١ ، ستنشر بتعريبي قريباً (المترجم) .

منذ بدء الصراع حول الخلافة ، وخصوصاً عندما تحول إلى نزاع دموي بين علي ومعاوية في موقعة صفين ؛ في تلك الأوقات المضطربة دينياً وسياسياً والتي سلب المرء فيها أمنه وطمأنينته . نشأت هذه الروايات التي تتجسد وحدة الأمة الإسلامية الماضية ، وترفع النبي إلى مراتب فوق الواقع البشري . كما وجدت طبقة ثانية ، ترجع تبعة تكوينها إلى نشوء القطبين السياسيين الكبيرين : حزب الأمويين في جانب وحزب العلويين في الجانب الآخر ؛ ومن ثمّ فقد انضم العباسيون إلى صفوف العلويين وأحكموا مراكز قوتهم وانتصروا معاً على الأمويين ، ولكنهم انفردوا بالسلطة وحرّموا حلفاءهم منها . والذين كانوا في أشد حالات الانشقاق والتمزق - عمل بتكرار في التاريخ البشري ، كلما تعاون طرفان على الوصول إلى الحكم - . أما روايات الطبقة الثانية فتحمل آثاراً واضحة من كل هذه المنافسات والاختلافات الدينية - السياسية .

هذه المقالة هي محاولتنا الثانية في هذا المضمار ، وهي تعالج أسباب وأحداث ونتائج الفتنة الثانية في الإسلام (٦١ - ٥٧٣ / ٦٨٠ - ٦٩٢ م) ، فتنة الخليفة عبد الله بن الزبير - أو لنقل : الخليفة المعارض ، إذا نظرنا إليه من خاتمة الأحداث . لن تتمكن في نطاق هذه المقالة - وهي بمثابة رسم تخطيطي - من حل مسألة طبقات المصادر في النصوص التاريخية ، فالروايات غزيرة ، ولما أنهينا النصوص بعددٍ لمثل هذا العمل ؛ ومع ذلك فيمكننا أن نتيقن :

١ - تركّزت جهود عبد الله وانصب هدفه في إعادة السلطان السياسي لمدينتي مكة والمدينة إلى ما كان عليه في عهد النبي وخلفائه الراشدين من بعده .

٢ - لم ينظر المؤرخون العرب إلى هدف عبد الله وجهوده بشكل

متصل بشخصه . وإن وجدنا لديهم بدايات واهية لذلك ، فإنما نرى أن هذا الاتصال يحظى بتقييم سلبي ، يكمن سببه في إخفاق عبد الله في مساعيه نتيجة تطورات أخرى أقوى منه . ومن ثم فإن المؤرخين العرب لم يروا إلا المجرى الظاهر للحوادث ، وتأثروا ورواتهم بضغط التيارات الدينية - السياسية المضادة ، وفي الدرجة الأولى بضغط وتفوذ الشيعة في العراق ، كما سبق ونبت ابن خلدون في مقدمته إلى هذا الأمر (٥٦/١ وما بعدها) .

٣ - لقد ساهمت المنازعات الدينية - السياسية في العشر السادس من القرن الأول الهجري / العشر الثامن من القرن السابع الميلادي ، إلى حد بعيد في ظهور روايات بالغت في إعلاء النبي ﷺ بشكل يبعده عن الواقع ويجعل منه قديماً فوق البشر .

إذا نظرنا للأمر من هذه الزاوية أمكننا أن نعتبر هذه المقالة متممة لتاريخ نشوء طبقة الروايات الأولى في محاولتنا المذكورة حول ابن إسحاق وكتابه .

- ١ -

لقد أحدث العشران الأولان من القرن السابع الميلادي تغييرات عميقة في بلاد جنوبي وشرقي البحر الأبيض المتوسط ، وكان لهما تأثير شديد على مجرى التاريخ العالمي . ففي مطلعها هاجر النبي ﷺ مع حفنة من أصحابه إلى يثرب - مدينة رسول الله فيما بعد . هجرة لم يعرها أحد خارج الجزيرة أي اهتمام في ذلك الحين . ومضت عشر سنين ، وقبض الرسول هناك وهو على يقين من اقتراب هدفه الرامي إلى بناء دار الإسلام في جزيرة العرب . وفي مطلع العشر الثالث من الهجرة (٦٤٢ م) استسلمت الاسكندرية - مركز الإغريقية والنصرانية في الشرق - أمام

جيش عربي فاتح . تغيرت الأحوال الدينية - السياسية من جذورها في مناطق العالم القديم ؛ وتقدمت جماعات البدو من صحارى جزيرة العرب إلى الشمال والشرق مقتحمة بلاد الحضارات القديمة مثل بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين . لقد أغاروا قديماً على هذه البلاد وغنموا ، ثم عادوا إلى مواطنهم ، أما الآن فقد اختلف السبب المباشر لظهورهم : أما قدفقوا بعد إسلامهم إلى مركز العقيدة الجديدة ، مكة والمدينة ، لأنها أثارت في أنفسهم كثيراً من الآمال والتوقعات ؛ منها ما كان حسياً مادياً نظراً لقسوة حياتهم في الصحراء وفقرها ؟ ولكن أتى لمكة والمدينة المحاطتين بالصحراء أن تستوعبا هذه الكتل البشرية . وهذا ما حدث الخليفة أبا بكر (١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) وعمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م) من بعده على التفكير في حل ملائم لما أثر عن النبي ، فقاما بإرسالهم إلى المناطق الخصبية دون الرمال والصحور لنشر الدين الجديد ، كما أرسلوا معهم جماعات المهاجرين والأنصار الذين وقفوا بعد وفاة النبي ﷺ ضد القبائل المرتدة . حققت هذه الأنفاج في موجة اندفاعها الأولى ما لم يكن في التوقع والحسبان ، فقد فتحت الأقاليم البيزنطية سورية وفلسطين ومصر ، واقتحمت دولة الفرس . وبذا بات العرب ورثة مناطق واسعة من الامبراطورية العالمية ، التي أسسها الاسكندر المقدوني يوماً واقتسمها الروم والفرس بعد انحطاط خلفائه من بعده . بقي علينا أن نتساءل : كيف يمكن لمجتمع بدوي أن ينهض بأعباء هذا الإرث على مرور الزمن ، ولو حقق أهم شرط لذلك وهو النظام السامي - الاجتماعي التابع من تعاليم الإسلام ؛ فلولا هذا النظام لما تمكن أصلاً من الدخول في منافسة جدية مع المجتمعات البيزنطية - النصرانية والإيرانية - الزرادشتية - المانوية .

بعد حوالي خمسين عاماً من هذه الفتوحات خمدت الفتنة الثانية في

الإسلام بمقتل الخليفة (المعارض) عبد الله بن الزبير وبانهزام مكة أمام الحجاج أمير كتائب منافسه الأموي عبد الملك (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) . لقد جلا هذا النزاع الدموي بين المسلمين خلال اثني عشر عاماً إمكانيات وحدود الإسلام كسلطان ودين ؛ كما أجاب عن السؤال المطروح حول كيفية مواجهة ومعالجة ذلك الإرث ، بأن غدا قطب الرchy في بناء صرح الدولة العربية - الإسلامية ، ومن ثم منطلقاً للتطور الذي أدى إلى انهيار حكم الأمويين ، واستلام العباسيين زمام السلطة ، وشروعهم بتوسيع أنظمة وإدارة الحكم معتمدين بذلك على تقاليد الفرس في هذا المجال .

- ٢ -

لننظر قليلاً إلى الفتنة الأولى في الإسلام (٣٥ - ٤١ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م) ، فهي التي مهدت لنشوب الفتنة الثانية . امتنع والي بلاد الشام معاوية عن مبايعة علي بن أبي طالب ، وعلى ذلك بتلقي علي منصب الخلافة من أيدي قتلة الخليفة الشرعي عثمان ، الذي بايعته جماعة الشورى . كما اعتبر معاوية نفسه طالب ثأر لدم قريبه عثمان ، وأثار على علي حرباً شعواء خرج منها منتصراً ، فقد سقط علي ضحيةً بسيف أحد المتآمرين قبل أن يحسم النزاع بينها .

لقد نتج عن هذا الصدام الدموي الكبير بين المسلمين ، أن ادعى معاوية أحقيته بالخلافة ، لأنه انتصر في ثأره لدم عثمان . لم يجرؤ أحد على مناوأته في ذلك ما دامت القوة والسلطة في يده . كان معاوية داهية ومخططاً بارعاً وموفقاً ، فلا عجب إذا رأيناه يبحث عن وسيلة يقيد بها يد المعارضين لخلافته إلى الأبد ، ويترك لذلك كل سبيل ليتنازل الحسن عن أي حق له في

الخلافة . إن كلت محاولته بالنجاح ، فالفضل في ذلك للأموال التي قدمها -
للحسن الراغب أصلاً عن الحكم والسياسة . لقد أسفر اتفاق معاوية مع
الحسن عن نتائج باهرة ، فقد حطم معاوية عن طريقه وعلى رؤوس الأشهاد
معنويات العلويين الذين والوا الحسن بعد علي ، وأجبر الجماعات المكية -
المدينة المعادية على الصمت والهدوء ، فباتوا يأملون أن يعمل الزمن لصالحهم ،
ويرون في نقل مقر الخلافة من المدينة إلى دمشق دليلاً على الوضع العابر
لبلاد الشام . حجبتهم في ذلك خروج معاوية بهذه الخطوة عن نطاق السنة ،
وما سيجره عليه من استنكار المؤمنين وسخطهم ، لأن المؤمنين - في رأيهم -
لا يمكنه أن يتصور سوى المدينة ومكة مقراً حقيقياً ووحيداً للحكومة
الإسلامية ، ولم لا ، أما كانت هاتان المدينتان مركز الحكم الديني في عهد
النبي وخلفائه الراشدين من بعده .

لقد كان واضحاً للعيان ، أن معاوية يتتبع مصالحه الشخصية ، وخصوصاً
عندما اتخذ دمشق عاصمة للدولة ، لكونها مقر ولايته في بلاد الشام من قبل
ولثته بولاء وجدارة جيش الشام ، التي أظهرها في معاركه ضد علي بن
أبي طالب . وهكذا ظن الناس في الحجاز ، أن تغير الحكومة سيؤدي يوماً
إلى حل المشكلة ، وباتوا يعلقون على ذلك آمالاً عريضة ويترقبون الموت
العاجل للخليفة التمر . ما كان معاوية ليجهل ذلك ، فراح يبحث عن وسيلة
يقضي بها على أي نزاع حول الخلافة في المستقبل قد يضر بمصلحة الأمويين .
بدا له حل المشكلة في تأمين خلافة ابنه من بعده ، وأخذ يدعو إلى مبايعة
يزيد في حياته (تاريخ ابن خياط ص ١٩٩ وما يليها ؛ والمقتبس للبرزباني
ص ٢٣٦ وما يليها) . كان هذا بدعة في الأمة الإسلامية أثارت سخط كثير
من المسلمين وخصوصاً أهل مكة والمدينة . لم يعين النبي خلفاً له في حياته
ولم يترك وصية في هذا الأمر ؛ كما لم يفعل الخلفاء الراشدون ذلك من

بعده . كل ما هنالك أن عمر بن الخطاب عهد قيل وفاته إلى جماعة الشورى باختيار الخليفة . لقد بدت مقاومة هذه البدعة يائسة ، مادام معاوية على قيد الحياة ومادام أهل وجيش الشام يقفون وراءه صفاً واحداً لدعم مخططاته في استخلاف ابنه يزيد آملين ألا تفقد دمشق بذلك مكانتها كمقر رئيسي للدولة .

عندما بلغ المدينة في ربيع عام ٦٦٠ / ٦٨٠ م نعي معاوية ، امتنعت المعارضة عن مبايعة يزيد متخذة بذلك أول موقف علني ضد الخلافة الشامية . ولما كلف والي المدينة الأموي بارغام أهل المدينة على المبايعة ، لجأ زعماء المعارضة إلى مكة ، وقنع باب الفتنة الثانية على مصراعيه . فإن كانت مكة قد منحت الخارجين إليها ملجأ أميناً ، فإنها لم تكن تصلح كقاعدة ومنطلق للقتال ، الذي أضحي ضرورة للتغيير الفعلي في تلك الأوضاع ؛ فمعرفة القرآن والسنة والانتماء إلى أهل النبي أو أهل أصحابه المقربين ، كل ذلك كان شرطاً أساسياً للمطالبة بأحقية الخلافة ، ولكن أنسى لذلك أن يكفي إن لم تدعمه القوة وتفرضه . انتقلت الخلافة إلى يزيد في الشام وفي بقية أوصال الدولة الإسلامية دون متاعب أو صعوبات . ويعود الفضل في ذلك للخليفة الراحل معاوية ، ولما اتخذ من إجراءات عسكرية مسبقة ، منها إيقافه - بعد مبايعة ابنه - معاركه الطويلة مع البيزنطيين ، والتي طرق خلالها أبواب القسطنطينية مرتين ، وعقد معهم هدنة طويلة الأمد ليتفرغ لمعالجة الصعوبات السياسية الداخلية ، فقد كان يعلم أنها ستزداد بعد تولي ابنه الخلافة من بعده . أدت هذه الإجراءات المحكمة والعرض المنظم لقوة الأمويين إلى هدوء المناوآت المتوقعة ، بعد أن كان قد مخطط لها فعلاً وتعالى صوتها في بعض الأرجاء . ومع ذلك فقد بقي الوضع يشبه

الهدوء قبل العاصفة ، واستعصى على المسلمين إغلاق باب الصدام المسلح بينهم^(١).

- ٣ -

حكم الخليفة الجديد يزيد (٦٠ - ٦٤ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م) في بلاد الشام ، يحيط به جيشه الموالي له والمتأهب للقتال في كل لحظة . وكان أهل الشام - كما ذكرنا - يؤيدون خلافة ، كما ساد التسامح في معاملة أهل الكتاب كالأصاري ، الذين كانوا أقلية - كبيرة العدد نسبياً - في المدن وأكثرية في بعض الضواحي والقرى ؛ وكانوا يشغلون حتى في الدواوين الحكومية مناصب لم تزل بانتقال الخلافة إلى يزيد ، بل ازدادت لثقة المسلمين إلا كفاء آنذاك . كان المسلمون قد أخذوا نظام البريد - أو الجهاز الإخباري - عن البيزنطيين ، وأدخلوا عليه تحسينات كبيرة ، وأصبحت الحكومة تحصل بواسطته من عمالها وقوادها على الأخبار والحوادث من كل ولايات الدولة بصورة مستمرة وسريعة . كما كانت الشام غنية قادرة على تكوين الجيش والسكان . أما الأسطول العربي الذي كان معاوية قد أنشأه وأعدّه من أجل معاركه مع البيزنطيين ومحاصرة القسطنطينية بجزراً ، فقد ساعد الآن بلاد الشام على الخروج من عزلتها ومضاعفة قوتها بالرجال والعتاد . كما كانت مصر والعراق في قبضة الحكومة الأموية ويدير شؤونها ولاية حازمون^(٢) .

إذا ما قارنا الموقع الجغرافي - السياسي للمعارضة المكية - المدينة بموقع الأمويين وجدناه في حالة يائسة ؛ فككة والمدينة محاطتان بصحراء رملية

(١) قارن : M . J . Kister في مقالته Maqam Ibrahim, a Stone with

an Inscription في مجلة Le Muséon ١٩٧١/٨٤ - ٤٧٧ - ٤٩١

(٢) قارن E. Eickhoff في كتابه Seekrieg und Seepolitik

zwischen Islam und Abendland . Das Mittelmeer unter byzantinischer und arabischer Hegemonie 650 - 1040 ، برلين ١٩٦٦

حجرية مترامية الأطراف ، ولذا فإنها عاجزتان عن تموين جيش كبير نسبياً لمدة طويلة ، سواء أعسكر قريباً منها أم بعيداً عنها . ولا غرو في ذلك ، فقد كانتا تعتمدان على واردات منتظمة من واحات الشمال ومن مصر في الدرجة الاولى ، كما كان الحصول على جنود صعباً للغاية إن لم يجتدوا من سكان المدينة ذاتها . فإن تدفقت جموع القبائل في عهد أبي بكر وعمر إلى المدينة ومكة لتنضم إلى صفوف الفاتحين ولتستوطن البلاد المفتوحة ، فقد انحسرت الآن موجة ذلك التدفق البشري من الصحراء . ومع أن هذه الظاهرة لما تُبحث عن قرب ولا توضح بشكل قاطع ، فإننا لا نخطئ إن قلنا بأن ظهور النبي ﷺ قد اقترن بتكاثر وتوسع لأهل جزيرة العرب أدى إلى آخر موجة من الهجرات السامية ، وبما أن هذه الهجرة ارتكزت على دين جديد ، فإنها لم تحظ بمجد ذاتها بأي اهتمام يذكر حتى الآن .

لقد أخطأت المعارضة إذ توهمت أن وضعها الحالي يناظر وضع الخليفة أبي بكر (١١ - ١٣هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) بعد وفاة الرسول عليه السلام . لقد اضطرت الحكومة المركزية في مكة والمدينة آنذاك لقتال المرتدين في جزيرة العرب نفسها . أما الآن فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتدت من شمال إفريقيا حتى خراسان . فإن كانت المدينة ومكة سابقاً مركز جزيرة العرب ومنطلقاً للسيطرة على قبائلها - وذلك لوقوعها على تماس الدوائر الحضارية القديمة وبفضل تنظيم الجماعة الإسلامية الأولى الحازم - فإنها فقدتا الآن بعد الفتوحات وبعد انحسار موجة نشر الإسلام الأولى ذلك الوضع المركزي . لم يكن وضع المعارضة يشبه أيضاً الوضع بعد مصرع علي (٤١هـ / ٦٦١ م) ؛ ولكن هل ظلت المعارضة عشرين عاماً تنتظر موت معاوية لكي تنازع الآن ابنه على الحكم فقط ؟

تشكل دمشق مركز المحور الشرقي الغربي للدولة الإسلامية المترامية الأطراف ؛ وإذا أردنا أن نقارن بها موقع مكة والمدينة السيء ، فيكفي أن نرسم دائرة مركزها مكة ونصف قطرها ألف كيلو متر ، لنجد أن دمشق والقدس والقاهرة والاسكندرية والكوفة والبصرة تقع جميعها خارج نطاق النصف الشمالي من هذه الدائرة وتفصل مكة عنها صحراء قاحلة ضئيلة السكان لاتصلح إلا للبدو الرحل . أضف إلى ذلك أن ازدهار العراق وإنشاء مدينتي الكوفة على نهر الفرات والبصرة على مصبه في الخليج العربي قد أفقد غرب جزيرة العرب قسماً من أهميته الاقتصادية ، التي كان يتمتع بها قروناً طويلة في العالم العربي وتتجلى في كونه مركز القوافل التجارية الهندية في طريقها الى البحر الأبيض المتوسط . لقد عرف الخليفة علي بن أبي طالب - عندما جهز جيشاً لقتال خصمه معاوية ، وغادر المدينة ليعسكر مع جيشه في العراق - أن هذا البلد يتمتع بإمكانات اقتصادية هائلة وكذا بقوة عسكرية أيضاً . لم لم يصبح العراق إذاً مقراً للدولة قبل دمشق ؟ يكمن سبب ذلك في موت علي المبكر ، الذي كان بمثابة هزيمة لحزبه . ومع ذلك فسيبقى الأمر موضع الشك ، فيما إذا كان العراق سيبلغ تلك المكانة المركزية التي احتلها فعلاً بعد قرن من الزمن تحت الحكم العباسي ، لو أن مجرى التطورات السياسية أدى إلى نتيجة عكسية . لقد بينت أحداث الفتنة الثانية أن العراق لم يكن أبداً كلاً ملتجئاً رغم موقعه وإمكاناته ، بل كان إقليماً مزعزجاً من الناحية الدينية - السياسية والبشرية - الاجتماعية ؛ كما لم تكن تتقصر الإدارة الحازمة فقط ، وإنما بضعة أجيال من الزمن لتوازن أو تزول التناقض الاجتماعية فيه ، وليسود الاستقرار في ربوعه . كانت هذه التناقض تظهر جلية في الحياة اليومية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين العرب وغيرهم وتسبب تنازعهم وتصادمهم ؛ واقد زالت حقاً

م (١٠)

بعد مضي ثلاثة أجيال ، وبما يدانا على ذلك توطن الحكم للسلالة العباسية وإنشاء المركز الحكومي الجديد في بغداد في العشر الرابع من القرن الثاني الهجري / مطلع النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . إذا نظرنا إلى شمال إفريقيا والولايات الفارسية إلى ما وراء النهر والسند ، وجدنا أن الاضطراب السائد فيها قد شغل أهلها عن المنازعات الإسلامية الداخلية ؛ كما أنها كانت بلاداً مفتوحة ، لم يعتنق الإسلام من أهلها إلا قسم ضئيل ؛ لذا فإننا سنركز اهتمامنا على ذلك المثلث الذي تشكل دمشق والقدس رأسه الغربي الشامي والمدينة ومكة رأسه الجنوبي الغربي والكوفة والبصرة رأسه الشمالي الشرقي .

- ٤ -

نعد في حديثنا إلى مكة . أصبح يزيد بن معاوية خليفة معترفاً به من الجميع ، والتجأ المعارضون إلى مكة في ربيع عام ٦٨٠ هـ / ٦٨٠ م ، وبات زعمائهم - وعلى رأسهم الحسين - يشعرون بانغزالهم ويتربصون الفرصة المواتية للخروج منه . سنحت هذه الفرصة ، عندما تلقى الحسين بن علي دعوة من جماعات مختلفة في الكوفة - وعلى رأسهم مؤيدون قداماء لأبيه - بحثونه فيها على الخروج إليهم لمبايعته وليقود زحفهم نحو الشام ضد الأمويين . لم يكن أملهم تجديد القتال تحت زعامته الشرعية فحسب ، بل أن تصبح الكوفة أيضاً مقراً حكومياً ، كما كانت عندما اتخذها علي بن أبي طالب منطلقاً لمقاتلة معاوية . قبل حسين الدعوة ، ولكنه لم يبلغ الكوفة قط ؛ ففي العاشر من محرم عام ٦٨٠ هـ / ١٠ تشرين الأول ٦٨٠ م ، وقبل وصوله نهر الفرات لقي مصرعه مع معظم مرافقيه القلائد في كربلاء على يد نفر من جند والي العراق الأموي عبيد الله بن زياد . كان الأمويون قد شعروا طبعاً بدسائس العلويين ودبروا أسر الحسين ، ظناً منهم بأنهم يقتلعون بذلك الخلاف من جذوره ؛ وخلافاً لتوقعهم فقد فضل حفيد الرسول

الموت على خزي الأمر وعاره . لقد غيّرت فاجعة كربلاء الأوضاع تغييراً تاماً وزادت في حدة النزاع الشحون باليول والأهواء بين المسلمين حتى زعزع وحدة الأمة الإسلامية نهائياً .

— ٥ —

لقد بدا وكأن النظام قد أعيد بمصرع الحسين ، وبالإجراءات الشديدة التي اتخذها والي الكوفة الأموي ضد الذين جاهرُوا بتأييدهم للحسين ؛ كما ساد الهدوء بين الناس لأنهم باتوا ينزعون إلى الحذر والصمت تجنباً للوشاية أو إثارة الشبهات حولهم . لم يرقّ للحكومة المشقية ما انتهت إليه محارلة أمر الحسين ، ولكن أتى لها من تغيير هذه المجزرة بعد حدوثها ؛ لذا فإنها عاملت الناجين معاملة كريمة وأمدتهم بأعطيات من بيت المال ، وأمرت باصطحابهم إلى بيوتهم في مكة والمدينة . لا بُدَّ وأن ركب العائدين قد أثار في نفوس الناس الحزن والهلوع ، وأصابهم بالذهول للوهلة الأولى ، فلم يجرؤوا على مطالبة الحكومة بترضية رسمية لدم حفيد الرسول المسفوح .

حدث في المدينة ردّ فعل وحيد ، تبين فيما بعد أنه كان ذا أثر خطير على مجرى التاريخ الإسلامي : لقد بايع الناس سرّاً رجلاً يناهز الستين ، رفيع النسب ، قريب النبي عن طريق جدته ، وقريب أبي بكر عن طريق أمّه ، من أصحاب الحسين الذين خرجوا معه إلى مكة ؛ هذا الرجل هو عبدالله بن الزبير ؛ شارك في شبابه في فتوحات بلاد الفرس وشمال إفريقيا ؛ انضم وأعوانه إلى صف عائشة في نزاعها مع علي ، وعكّر بذلك صفو علاقته بالعلويين ؛ أما صلته بالمدينة - مقر الخلفاء الراشدين حتى علي - فكانت مستمرة ووثيقة ؛ وبهذا عاش تجارب تلك الحقبة ، وساعد في ظروف ومواقف هامة على تكوينها ؛ كما كان من طراز الرعيل الأول في فجر الإسلام ، عزيزاً واعياً لكرامته ، ولذا فلم يتمتع بالمرونة السياسية

ولم يكن ليتزعزع عن مواقفه الدينية ؛ جذوره متأصلة في أرض الحجاز ،
 حذر كاهل جزيرة العرب ، قنوع وكثيراً ما أسيء تأويل قناعته فوصف
 بالبخل (من أجل هذه التأويل الشيعة . أنظر : أنساب البلاذري ١٩٥/٥
 و ١٧ وما بعدها ، [قارن : تهذيب التهذيب ، ترجمة علي بن زيد] ؛
 تاريخ يعقوبي ٣١٩/٢ ؛ المعارف لابن قتيبة ص ٢٢٥ [١١٦]) .
 إن كانت هذه الصفات تليق بأصحاب الرسول ، فإنها ما كانت لتوهل
 عبد الله على مقارعة الأمويين المتوسمين بالسياسة ، والمتمركزين في أنحاء
 الدولة ومناصبها ؛ أضف إلى ذلك ، أن نظرات عبد الله السياسية لم تتطور
 وبقيت على مستوى عشرينيات وثلاثينيات القرن الأول الهجري / أربعينيات
 وخمسينيات القرن السابع الميلادي . لم يقدر عبد الله وأعوانه أن يروا أن
 الزمن لم يتوقف رغم انتظامهم ، وأن التطور تابع مسيرته - موقف كثيراً
 ما نجد له شبيهاً في التاريخ الغابر والحاضر - . كان الإسلام في نظر عبد الله ،
 سواء من الناحية الدينية أو السياسية ، هو الإسلام كما عهدته في صغره
 أيام الرسول ونشأ عليه واشتهر به ؛ أمّا كان عبد الله أول مولود للمهاجرين
 في المدينة ؟ (نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٧ ؛ تاريخ ابن خياط
 ص ٣٤ ؛ تاريخ البخاري ٣ قسم ٦/١ ، العقد الثمين للفاصي ١٤١/٥) .
 كان عبد الله يشعر بعد مصرع الحسين أن واجبه يحتم عليه إعادة مكة
 والمدينة إلى ما كانتا عليه من مكانة في عهد النبي ؛ وكانت تتجلى له تلك
 المكانة في المجال الديني - السامي أكثر منها في الميدان السياسي -
 العسكري ؛ فالخليفة في نظره هو رأس الدولة الإسلامية بنظام حكمها
 النابع من تعاليم الله ، وعليه أن يسير شؤونها من مقره في مدينتي النبي
 مكة والمدينة كما فعل ذلك الخلفاء الراشدون ؛ وبقي عبد الله مخلصاً لهذا
 المبدأ حتى الموت .

لقد أوّل هذا الموقف الجليل على نحوٍ شوه صورة عبد الله وجعل منه رجلاً مسناً متردداً متقاعساً بخيلاً ، ساقط إلى المقادير الخلاقة برهة من الزمن . لعمرى إنه تأويل واحد ، أبسط ما يزعمه أن أهل مكة ناصروا عبد الله رغم الصعاب والمشاق حتى النهاية ، بل وبعد أفول نجمه أيضاً . ومن الروايات - وعالم الأساطير أولى بها - ما يزعم أن عبد الله أوعز للحسين بالخروج إلى الكوفة ، ليقعه في أيدي جند الأمويين ويتخلص منه بذلك . إن أخباراً كهذه تتجاوز حدود الرواية التاريخية تجاوزاً ينم عنه الشكل الأدبي للحوار (أنساب البلاذري ٤ قسم ب/١٣ و ٢٠ وما بعدها ؛ غير ذلك في : نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٩ ؛ وقارن : تاريخ ابن خياط ص ٢١٩) . هذه الروايات تمت إلى الطبقة المترسبة فوق الطبقة التاريخية الأساسية ، ففيها يتناول الراوي الملتزم لمذهب أو وجهة معينة أحداثاً وأشخاصاً غير واضحة المعالم لبعدها الزمني ، وينقلها إلى عصره بعد أن يعيد صياغتها معدلاً فيها ما يشاء ، ومضيفاً إليها بخياله ما يريد . أبسط وأصلح مثال لذلك فاجعة كربلاء ؛ فالرواية حولها غير متسقة مترابطة (قارن Wellhausen في كتابه Parteien ص ٦٨ وما بعدها) والحادثة المفزعة مفككة إلى أخبار جزئية كثيرة ، مع أنه كان يمكن رؤيتها ككل متصل منذ البداية . إن مكان البحث عن أسبابها البعيدة المترابطة هو في تعاليم الإسلام نفسها ، التي لم تعالج مشكلة الخلافة وبالتالي لم تحلها . لقد غاب ذلك عن الرواة والمؤرخين ، لأنهم لم يروا مع بقية المسلمين هذه المشكلة وجوداً على الإطلاق . كانت مشكلة الخلافة لديهم بجميع اتجاهاتهم هي مسألة الإيمان الصحيح وتأويله ؛ وهذه إمكانية أصلاً - أعني إمكانية التأويل - هي التي كانت بمثابة المحنة التي واجهتها وحدة الأمة الإسلامية . لقد حُجبت عن الرواة والمؤرخين رؤية المسيئات الأولية

الأساسية - وهذا ما ينطبق على كل كتابة للتاريخ مقيدة بنظرة أو عقيدة ما - فراحوا يبحثون في ميدان الأسباب المباشرة الظاهرة عن يحملونه تبعه ذلك ؛ وبدا وكأن مأساة حفيد الرسول الإنسانية تتطلب مثل هذا العمل . لا ريب أن الأمويين هم المسؤولون الرئيسيون عن هذه الفاجعة ، ولكن الخلافة والسلطة كانتا بأيديهم ، وإن أرادت المعارضة انتزاعها منهم . يختلف أمر عبد الله بن الزبير عن الحسن ، فقد بدأ صراعه مع الأمويين بعد موت الحسين وانتهى وحيداً مغلوباً على أمره . إذا ما صُوِّر عبد الله بهذا الشكل ، سهل فيما بعد إلصاق الشبهة به ، بأنه كان يطمع بالخلافة منذ البداية ، أي قبل مصرع الحسين ، وأنه هو الذي رغب حفيد النبي في الخروج إلى العراق لغرض خفي في نفسه ، وهو التخلص منه ، ليظفر لنفسه بالخلافة . لقد رأى في عدم خروجه مع الحسين إلى العراق برهاناً على ذلك ؛ ولكن كيف كان بوسعه أن يرى مسبقاً ، أن خروج الحسين سيؤدي إلى فاجعة كربلاء ؟ وإن أخفى عبد الله نواياه هذه ، فكيف استطاع الرواة معرفتها ؟ وكيف بايعه الناس بعد تلك الفاجعة ؟ ألا توقع هذه الرواية نفسها في حائل الإخبار المغرض الملفق ؟

- ٦ -

عادت أسرة الحسين نساءً ورجالاً ومواليً إلى الحجاز ، وراحت الحكومة الأموية - كما ذكرنا من قبل - تطرق سبيل التفاهم . ويبدو أن يزيد حاول جاهداً الوصول إلى اتفاق مع عبد الله الذي ظل مستتراً عن أهل مكة ، وتسربت إشاعة مبايعة أعوانه له . لم تتوفق مساعي يزيد ، ولم تنجح بعد عام منها محاولة عمرو بن الزبير لإخضاع شقيقه عبد الله بقوة السلاح ، لتصميم عبد الله وسرعة رد فعله . ومع ذلك فقد رأى عبد الله أن أوان المبادرة لما يحن بعد ، وبقي شهوراً مستتراً يذكي

أوار النار ضد الأمويين . لم يحقق عبد الله في هذا ، كما كسب احترام الناس لموقفه الحازم الثابت (قارن : أنساب البلاذري ٥٧/١١ ؛ تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول ، ورقة ١٢٦ ب) .

حدث في أواخر صيف عام ٦٢ - ٦٣ هـ / ٦٨٢ م تغير في منصب الولاية في المدينة . ولكي يعمل الوالي الجديد على تهدئة السخط العام ضد الأمويين ، توسط بإرسال وفد من أعيان المهاجرين والأنصار إلى بلاط الأمويين في دمشق ، ظاناً أنهم قد يغيرون موقفهم ضد الأمويين ، إذا كانوا في مقر الدولة ونالوا الأعطيات الوافرة . لقد حدث العكس من ذلك تماماً ، إذ استنكر المهاجرون والأنصار على الخليفة الفاسق نهالكه على الصيد وشربه للخمر (مروج الذهب للمسعودي ١٦٠/٥ وما بعدها) ، وشعروا بغربتهم عن أمة ونحرر المحيط الذي يقيم ويحكم فيه الخليفة الأموي ، وأين منه بساطة وتشف العهد الإسلامي الأول ، اللتان حافظت المدينة عليهما ، بالرغم من حدوث كثير من التغيرات منذ ذلك الحين . فلما عادوا وحدثوا عما شاهدوه في دمشق ، ثار غيظ أهل المدينة على الخلافة الأموية وأخذوا ينظمون أعمال عنف ضد الحكومة وضد أفراد الأسرة الأموية في المدينة وضواحيها ، مما دفع حكومة الشام إلى إرسال جيش لقمع هذا التمرد والسيطرة على الموقف . وفي أواخر ذي الحجة عام ٦٣ هـ / آب ٦٨٣ م هزم جيش الأمويين المنظم والمتمرس بالقتال أهل المدينة في الصحراء الصخرية أمام أبواب المدينة هزيمة نكراء ، قتل فيها عدد كبير من الأنصار والمهاجرين ، وأبيحت مدينة النبي بعدها للسلب والنهب ثلاثة أيام بكاملها .

ما مدى علاقة عبد الله بن الزبير بهذا التمرد ؟ إننا لا نعلم تفاصيل الأمر ، فمصادرنا التاريخية لا تذكر شيئاً حوله ؛ ويمكننا أن نرجع صحتها إلى

الأسباب التالية : ١ - لم تكن رؤية الرواة والمؤرخين للترابط بين الأحداث واضحة جلية . ٢ - كان عبد الله منزوياً وراء الستار ، ومن المستبعد أن تصل اتفاقياته الخفية إلى أسماع الناس . ٣ - لم يؤد إذلال المدينة إلى أية نتيجة من الناحية الدينية - السياسية ، بل انحصر أثره في نطاق الفتنة وأضر بعبد الله ومخططاته . لا بد أن لعبد الله صلة وثيقة بأحداث المدينة . وإلا فكيف تفسر متابعة الجيش الأموي لزحفه نحو مكة ؟. حاصر الأمويون مكة عدة أسابيع دون أن يصلوا إلى نتيجة حاسمة ، ففي أواخر خريف عام ٦٦٤ هـ / ٦٨٣ م جاء نعي الخليفة يزيد وهو في كمال سن الرجولة ، وتمكن عبد الله من استمالة قائد الجيش الأموي ، فأبدى استعداداه لمبايعة عبد الله ، إذا ما خرج معه إلى بلاد الشام وجعل دمشق مركزاً لحلافته . لم يكن باستطاعة عبد الله أن يقبل هذا الشرط دون التنصل من قضيته ؛ وإن رفضه لهذه البيعة المشروطة يؤكد لنا ثباته وتمسكه بهدفه في إعادة مكانة مكة والمدينة . وإن صار هذا الهدف - خصوصاً بعد الأحداث الأخيرة - أقرب إلى الأمنيات منه إلى الواقع . كيف تمكن عبد الله من استمالة القائد الأموي بهذه السرعة ؟ ألا يدلنا ذلك على أن ارتباط الخلافة في مطلع العهد الأموي كان بشخص الخليفة وليس بسلالته ، وأن مبدأ وراثة الخلافة كما ابتدعه معاوية لم يتأصل حتى في وعي رجاله وأعوانه . إذا نظرنا إلى الأمر من هذه الحيثية وجدنا أن إمكانية نجاح عبد الله في مناوأة الأمويين لم تكن معدومة تماماً .

— V —

بقي عبد الله في الحجاز بعد انسحاب جيش الشام ورضي بمبايعته علناً ، وتوالت الولايات إلى بلاد خراسان في إعلان مبايعتها له ، ولا سيما أهل

العراق فقد هالوا لطرح نير الأمويين عنهم . أما في الشام فقد ظل الوضع غامضاً بالرغم من انتقال الخلافة إلى معاوية بن يزيد ؛ وبعد فترة وجيزة مات هذا الغلام موتاً مبهماً ، وبدأت كفة عبد الله وكأنها تكاد ترجع في بلاد الشام أيضاً (أنساب البلاذري ١٢٧/٥ وما بعدها) ، وخصوصاً عندما أعلنت قبيلة قيس ولاءها له . أما قبيلة كلب فظلت بدافع قرابتها للأمويين في صفوفهم (قارن : الأغاني ١١/١٧) .

في هذه الأثناء قرر عبد الله طرد أفراد الأسرة الأموية من المدينة ، ظناً منه أن هذا يقربه من تحقيق أهدافه . مهما كان قراره حازماً ونابعاً من تصوراته ، فقد أخطأ عبد الله في ذلك وبرهن على أن مثل هذا العمل لا يجدي في تلك الظروف لتحقيق أهداف سياسية ، وأن المعارضة قد تتحجر بسهولة وتخطيء في تقدير الظروف الحقيقية ، إن طال الزمن على صمتها وهذونها . كان مروان بن الحكم شيخ المطرودين سناً ومكانة ؛ وبالرغم من سوء علاقته بقريبه يزيد ، فقد اضطر للتوجه إلى أقاربه في الشام ، وانبثق عن وجوده هناك أمر هام : خشي الأمويون ومؤيدوهم أن يخسروا الخلافة ويفقدوا امتيازاتهم — ولا سيما وإلى العراق المطرود عبيد الله بن زياد — فخطر لهم مبايعة مروان بوصفه أكبر أفراد الأسرة الأموية ، مع أنه كان قبل إخراجه من المدينة مستعداً لأن يقسم لعبد الله قسم الولاء (راجع : العقد الفريد ٣٩٦/٤) ، ولكنهم عدلوا عن هذه الخطوة ، لأنها — كما بدا لهم — تفتقد الشرعية اللازمة ، واكتفوا بتنصيبه وصياً على ابن يزيد الثاني لحداثة سنه . وهكذا حصل الحزب الحاكم على قيادته وبقي الوضع مع ذلك معقداً ؛ ولو انتظر الأمويون وترددوا ، لازداد الموقف حدة وتعقيداً ، لذا فقد أصاب أعوان مروان عندما أصروا على قرار عسكري سريع

وحاسم ، يوحد بلاد الشام في قبضتهم . لقد دفعهم ضغط الأوضاع عليهم إلى العمل وقادهم إلى النجاح . تمكن مروان بمساعدة قبيلة كلب أن يهزم في سهل مرج راطط (أواخر عام ٦٤ هـ / تموز ٦٨٤ م) الجماعات المنشقة وعلى رأسها قبيلة قيس ، بالرغم من تفوقها العددي ؛ كما استطاع أن يُعده لإرجاع مصر إلى سلطان الأمويين لأهميتها الاقتصادية ولخطرها على ميعتهم .

دفعت هذه الاحداث عبد الله إلى إرسال شقيقه الأصغر مصعب بجيش صغير لاقتحام فلسطين ، فأخفق مصعب في ذلك ؛ كما أخفق مروان فيما بعد في محاولة للثقل على المدينة . وتمكن الأمويون من العودة إلى مواقعهم الحصينة في بلاد الشام . كان الزمن — كما يبدو — يسير لصالحهم ، إذ لم يبق لهم إزاء خلافة عبد الله لبدنها المستند على الأمة الإسلامية في عهد الرسول وخلفائه الراشدين سوى طريق واحد ، وهو التثبت بالدولة العربية الفاتحة ، كما بناها معاوية خلال عشرين عاماً من حكمه تقريباً ؛ وبعبارة أخرى : تمكنت مدنية الحاضرة المتفوقة أن تعيد بعد خمسين عاماً الضربة لبدأوة جزيرة العرب ؛ أما انتصارها فكان نصراً للإسلام وللغة العربية داخل الجزيرة وخارجها ، لأن القيادة كانت في قبضة المسلمين العرب دون العجم أو الروم . لقد أدت وهلة ركود في ربيع السياسة العالمية حوالي منتصف القرن السابع الميلادي إلى إيجاد تلك الشروط الحارقة ، وكم كانت الحاجة ماسة إلى شخصية كبيرة لتلا تضيع هباء .

كان أهم قرار اتخذته مروان بعد نجاحه مستهجاً فيه سبيل معاوية هو استخلافه لابنه عبد الملك من بعده وتحمله تبعه نكت العهد حيال ابن الخليفة السابق . وإن أصابت الروايات التاريخية فقد دفع مروان بعد القرار بقليل (أواخر رمضان ٦٥ هـ / أيار ٦٨٥ م) حياته ثمناً لذلك (راجع العقد الفريد ٤ / ٣٩٨) . وهكذا فاز حزب الأمويين بالخليفة الجديد عبد الملك بن مروان — وهو يناهز الأربعين — على الرجل الذي

يحقق كل الشروط الضرورية للتأهب والانتصار في نزاعهم مع عبد الله بن الزبير في مصر والشام وغيرها من الأمصار .

إذا أردنا أن نتصور جدية الموقف ، حينما آلت الخلافة إلى عبد الملك ، وضالة اعتقاده بإمكانية التغيير الجندي في زمن قريب - أي اعترافه بالوضع القائم - فعلياً أن نتأمل الواقعتين التاليتين :

١ - لم تلق خلافة أية مقارمة في الشام حتى ولا من قبيلة كلب مع حرصها على بقاء الخلافة في يد أسرة يزيد لمصالحها الشخصية ؛ فلا بد أن ظروفًا قاهرة حدث بها إلى مثل هذا التنازل .

٢ - كانت مدينة القدس منذ عهد النبي مكاناً مقدساً للمسلمين إلى جانب النصارى واليهود ؛ ولكي يمنح عبد الملك ما تبقى في يد الأمويين من الأمصار قيمة دينية - سياسية خاصة بها ، فقد سعى لجعل القدس مكاناً يوازن مكة وينافسها في اجتذاب الحجاج المسلمين . لقد كان وجود عبد الله في مكة يجعل الحج إليها متعذراً على عبد الملك وخطراً على أعوانه ؛ إذ كان عبد الملك يخشى على مؤيديه أن يستميلهم عبد الله ويضمهم إلى جماعته أو أن يكرههم على الاعتراف بخلافته . لذا فقد سعى عبد الملك إلى تأويل أحاديث مختلفة ونشرها بين الناس ، من أن النبي ﷺ ساوى بين مكة والمدينة والقدس كما كان للحج ، بل ورفع القدس عنها درجات ؛ وطلب عبد الملك من أتباعه المسلمين أن يحجوا إلى الصخرة الشريفة في القدس ، التي عرج النبي منها إلى السماء ، كما تزوي قصص الإسراء والمعراج . ولكي يضيف على أمره هذا تعبيراً حسيّاً ، أوعز عبد الملك ببناء قبة الصخرة الشريفة المشهورة . وبالرغم مما جرّ عليه هذا التجديد من سخط المسلمين ، فقد استطاع عبد الملك أن يردّ على الاتهامات بمثلها . ألم يقيم عبد الله ببناء كعبة جديدة تماماً بعد احتوائها أثناء حصار جيش الشام لمكة أسابيع

طويلة في خريف عام ٦٦٤/٦٨٣ م ؟ هل صان هو نفسه هذه السنة التي يتشبت بها الآن ؟ إن فعل عبد الملك هذا يدل على استغداده لقبول انشقاق الأمة ، إن كان في ذلك ما يوطد موقفه ويدعمه (١).

- ٨ -

بينما كان الأمويون يسعون بكل وسيلة ممكنة إلى إعادة الاستقرار وتوطيد دعائم حكمهم وتقوؤهم ، كان عبد الله يعتقد أن بإمكانه وهو في مكة إدارة شؤون البلاد النائية الموالية له ؛ لكن الأحوال تبدلت وولّى عهد الفتوحات الكبرى الذي كان يمكن التفريق فيه بين الغالب والمغلوب . منذ أن نشب النزاع بين المسلمين أصبحت الولايات تحتاج إلى إدارة دقيقة صارمة أكثر من أي عهد مضى ، إذ لم يعد الأمر بانقرآن والسنة كافياً (أنساب البلاذري ١٩٥/٥) ، ولو حمل عبد الله بن الزبير الدرة تشبهاً بالخليفة الشديد عمر بن الخطاب (أنساب البلاذري ١٨٩/٥ وما بعدها) . لقد باتت الحاجة ماسة إلى ولاية حازمين وإلى عدد هائل من العاملين بالإدارة والتنظيم . ولكن وجود هؤلاء الولاة يرتبط بوجود خليفة قادر على تحمل أعباء ومسؤولية مهامهم ومراقبتها ، وأثنى لعبد الله الطاعن أن ينهض

(١) قارن المراجع التالية: W. Caskel, Der Felsendom und die Wallfahrt nach Jerusalem. Köln-Opladen 1963 (Arbeits - gem. Nordrhein - Westfalen , Geisteswiss . Heft 114) ; W. Caskel Ein sonderbarer Anonymus des ersten Jahrhunderts d. H. , in: Oriens 16/1963/89 — 98; M. J. Kister, « You shall only set out for three mosques » , a Study of an Early Tradition, in : Le Mnséon 82/1969/173 — 196; Chr. Kessler, « Abd al — Malik's Inscription in the Dome of the Rock : A Reconsideration, in : Journal of the Royal Asiatic Society 1970/2 - 14; E. Sivan, Le caractère sacré de Jerusalem dans l'Islam aux xiie - xiiie siècles, in : Studia Islamica 27 / 1967 / 149 — 182; E. Sivan, The Beginnings of the (Fedā'il al Quds) Literature, in : Der Islam 48/1972/100 - 110 .

بذلك ، فقد انزوى منتظراً أكثر من عشرين عاماً في مكة والمدينة بعيداً عن الأحداث الكبرى . وكما حاولنا أن نبين في هذه المقالة ، فإن عبد الله كان يرفض مغادرة مكة عن اقتناع ديني - سياسي ، ولذا فإنه ما كان يتوقع من ولاته تحفزاً للعمل يتجاوز حدود طموحهم الشخصي بالمحافظة على مناصبهم ويفسح المجال للتفكير بدولة إن لم تكن إسلامية فعربية كما كان ينشدها عبد الملك سيراً على طريق معاوية . وبما صعب الأمر على عبد الله ، أن الشقاق الديني - السياسي استمر في العراق لدى شيعة علي ، وأن غلاة الخوارج بثوا فيها الرعب والفوضى . لم ينس الناس مقتل الحسين ، وبقي مصرعه يصرخ في نفوسهم ضد الأمويين ، فإن نشب القتال مراراً ولم يسفر عن نتائج حاسمة فما ذلك إلا لفقدان الرأس المدبر ، وكما يبدو لعدم رغبة ولادة عبد الله في الاستفادة من انفعالات الناس وعاطفتهم بتسخيرها لمخططاتهم . ومع مرور الزمن جرّ ذلك كله على العراق وضعاً قلقاً مضطرباً بكل ما يصاحبه من نتائج سلبية في مجال التجارة والتنقل والأمن والنظام .

لم يعد يحتاج الأمر إلا إلى وقت قصير حتى قلب الشيعة لعبد الله وأنصاره ظهر المجن ، لسخطهم على سياسته الرامية إلى جعل الحجاز مركزاً للدولة ولجفاف علاقته بأهل العراق . سبق أن ذكرنا أن علي بن أبي طالب كان قد اتخذ الكوفة حتى مصرعه منطلقاً لمعاركه ضد معاوية في دمشق ، أما الآن فقد بات السخط يأخذ فيها شكلاً منظماً ، وبدأت تتضح معالم الدعوة للخلافة العلوية التي أوشك خطرها أن يحيق بعبد الله ، عندما ظهر المختار - أحد أعوان علي القدماة - على رأس هذه الجماعات الشيعية . كان عبد الله يعرف المختار تمام المعرفة ، فقد قضى لديه في مكة زمناً طويلاً آملاً أن يوليّه علي الكوفة . لم يقلده عبد الله هذا المنصب لعدم

ثقة به بالرغم من خدماته وبلائه الحسن ، إذ كان ماضيه شاهداً على تكالبه ومهارته في خدمة غاياته الشخصية . لقد أفلح المختار فيما بعد دون مساعدة عبد الله في كسب نفوذ وسيطرة في بلد العراق المتنافر المضطرب ، وراح - وهو خطيب بارع - يبشر في الكوفة وضواحيها بقرب ظهور المهدي الذي سيعيد برجوعه عصر ودولة الدين الحق . انتهت هذه الدعوة أهل الشيعة ، فقد كانوا يرون أنهم حرموا من حقهم الشرعي في الخلافة ؛ واستألت كذلك الموالي ، الذين لما يمنحوا بعد آذاك رغم إسلامهم كل حقوق العرب الفاتحين وإخوانهم في الإسلام ، وكانوا في الواقع مسلمين من الدرجة الثانية ؛ إذا أضفنا إلى هذا عاملاً آخر ، وهو الأصل واللغة الفارسية المشتركة بين معظمهم ، وجدنا أن ذلك كله قد مهد لعملية التفاعل والتضامن بينهم تجاه الحاكمين العرب ، أي تجاه أعوان عبد الله في العراق .

استغل المختار هذا التضامن لصالحه وأخذ يوجه مجراه لينصب في دعوة سياسية لخلافة علوية ، رشح المهدي لها ، وهو محمد ، الابن الثالث لعلی ابن أبي طالب من غير زوجته فاطمة ؛ وبعبارة أخرى : لقد كان محمد - ويسمى غالباً على اسم أمه محمد بن الحنفية - سليل الأسرة العلوية ولا تجري في عروقه نقطة من دم الرسول ﷺ .

كثر أنصار المختار في الكوفة والضواحي ، واستطاع في ربيع الأول من عام ٦٦٦ هـ / تشرين الأول ٦٨٥ م أن يخرج والي عبد الله منها ، وأن يتزعم بهذا العمل أهل الشيعة ويسيطر بذلك على العراق عدا جنوبه ، وعلى مناطق واسعة من الولايات الفارسية . لم يبال المختار ، وهو في هذا الوضع من القوة والسيطرة ، بعدم اتخاذ محمد بن الحنفية في مكة أبة خطوة تشير إلى اعترافه به ورضاه بدعوته ، مع علمه بأن المختار قد زور كتاباً منه ؛ ولا بد أنه خشي عبد الله بن الزبير فتدود في الإقدام على

ذلك . أما المختار فكان يعلم أن مكة البعيدة المتزوية لنا تشكل خطراً يبدده ، وأن عليه أن يستغل موجة الخمسة الأولى لتحقيق انتصارات عسكرية ظاهرة ، وأن يساوي بين العرب والموالي حقاً ، إذا ما أراد ألا تنهار حركته تجمداً وتفتتاً من الداخل . تكللت جهود المختار في محرم ٦٧ هـ / آب ٦٨٦ م بنصر ساحق شرقي الموصل على جيش أموي بقيادة والي العراق السابق المكروه عبيد الله بن زياد . وهنا تدخل عبد الله وأرسل شقيقه مصعب إلى البصرة ، وهي آخر ما كان يواليه من المدن العراقية . تتجلى أهمية البصرة في كونها ميناء على الخليج العربي ، وفي موقعها الاستراتيجي في البطائح الممتدة بين دجلة والفرات ، مما يجعلها منطلقاً إلى داخل العراق ، يعسر الوصول إليها ، ويسهل الدفاع عنها بعتاد ضئيل ؛ لهذا لم يحاول المختار اقتحامها إطلاقاً ، وظلت مرتعاً للفرقة المتعصبة كغلاة الخوارج يتخذون منها مقراً لتجمعاتهم بعد انسحابهم من معاركهم ؛ كما كانت تتمركز هناك لمقاومتهم كتائب منتقاة ، ذات خبرة وروح قتالية بعيدة عن تقلبات الأحداث السياسية اليومية . هذه هي المقومات التي جعلت مصعب يفكر بعد وصوله إلى البصرة ببدء محاربة المختار . كان المختار في هذه الأثناء في أزمة مع أعوانه ، رغم انتصاره الكبير على الأمويين ، وكان خطر التمزق يبدد حركته ، منبعثاً من معضلة مساواة الموالي بالعرب . لم يرض العرب بنقص امتيازاتهم ، ورأى الموالي أنفسهم على طريق المساواة مع إخوانهم المسلمين العرب ، فأبوا أن يرجعوا القهقري . وأخيراً خاب ظن بعض زعماء القبائل بالمختار ، وتحولوا عنه إلى مصعب فضمهم إلى صفوفه ، وتجراً حينئذ على التصدي للمختار في معركة مكشوفة لم يقرر مصيرها عدد الكتائب ، وإنما حسن تدريبها ونظامها . هُزمت

كتائب المختار مرتين ، وحوصر مع بقية أعوانه في قصر الكوفة مدة أربعة أشهر ؛ وفي شهر رمضان عام ٦٧هـ / نيسان ٦٨٧م قتل أثناء محاولة يائسة للخروج من القصر ، وخلف وراءه إرثاً ثقيلاً العبء .

بانت وحدة العراق ومها . فقد اشتدت حدة التناقض الدينية - السياسية بين المسلمين ، ولم تنزل المشاكل الاجتماعية النابعة من تعدد أجناس أهل العراق ؛ وساءت الحالة الاقتصادية نتيجة الاضطرابات المستمرة والمعارك المتعددة ؛ كما كانت الضرائب قد أثقلت كاهل العراق في السنوات الأخيرة . فعندما حلّ الآن الهدوء ظاهرياً وراح مصعب يستنهض أهل العراق لقتال الأمويين من جديد ، تناقلوا ولم يبالوا بالأمر . ولربما اختلف الوضع لو كان الخليفة عبد الله نفسه بينهم ؛ أمّا كان عليه أن يجازف بحياته من أجل خلافة ؟ ولكن أمير أمة المسلمين ظل قابلاً في مكة البعيدة ، وكان في الواقع أميراً بلا أمة . يختلف الأمر لدى الخليفة الأموي عبد الملك ؛ لقد اتخذ مقره في مركز مناطق سلطانه . وكان يرى ويعلم أن الثمار أينعت خلف بادية الشام ، وحن أوان قطافها . لذا فقد هادن البيزنطيين ليضمن لنفسه مجالاً واسعاً في العمل . لم يستطع توسيع نطاق معاركه ضد مصعب مباشرة ، إذ أعاقته بجاعة حلت بالشام ، ومن ثم مؤامرة خلعه دبرها أحد أقاربه ، وهو في طريقه إلى العراق في صيف ٥٧٠هـ / ٦٨٩م . اضطر مصعب أن يركز على إجراءات دفاعية ؛ ولكن انتصار الأمويين كلّه يقترب خطوة خطوة ؛ فنقوذ الدولة الأموية المترابطة بدأ يتوسع نحو الخارج عموماً ، ويبدو بشكل واضح في بلاد الرافدين . لم تلعب دسائس أعوان الأمويين في ذلك إلا دوراً ثانوياً ، فالهوة الدينية - السياسية الشاسعة بقيت تحول هناك دونهم ؛ ولكننا كثيراً ما نلاحظ أن السلطة الموطدة الخازمة

في بلد ما تريد مع مرور الزمن من حدة الظروف المزعزعة في البلد المجاور ظاهرة قد تكون عواملها لا عقلانية أكثر منها عقلانية ، ولعله يكمن فيها أهم سبب في توسع نفوذ الأمويين . عندما تحطم التمرد في البصرة في صيف عام ٨٧١ / ٢٩٦ م ، كان عبد الملك ينفذ وجيشه على الحدود الشمالية للعراق ، ولكنه أحجم عن بدء الهجوم ، ولم يجرؤ مصعب طبعاً على المبادرة . جرت المحاولة الثالثة بعد عام من هذا ، وقادت إلى النتيجة الحاسمة .

اتبع عبد الملك خطة تحقيق انتصارات صغيرة في شمال العراق ، ووفق في معاركه ضد جماعات الشيعة وقيّة قيس ؛ كما لم يقتصر على تحييدهم في نزاعه مع عبد الله ، بل استطاع بخنكته وتساهله أن يكسبهم لنصرته في القتال . لقد جر هذا على مصعب بن الزبير نتائج كبيرة ، إذ أن المشقات والهواجس كانت قد أوهنت عزم أعوانه واستعدادهم للقتال ، فلم تكن هذه الحوادث طبعاً عاملاً مشجعاً لهم ، بل لا بد وأنها حطمت بقيّة روحهم المعنوية . فعندما تلاقى الجيشان في خريف عام ٨٧٢ / ٦٩١ م بالقرب من دير الجائلين على نهر دجلة ، وقبل أن يبدأ القتال ، أخذ أمراء جيش مصعب ينسلون إلى عبد الملك ويتفاوضون معه مراراً . وهكذا وضحت نتيجة المعركة منذ البداية . لقد قرر انكسار مصعب وموته مصير شقيقه عبد الله وجعله أمراً مقضياً . خضع العراق للأمويين ، وحان الأوان لهم للتخلص من عبد الله وإخضاع مكة ؛ فأرسلوا لها جيشاً ، وعززوه بكتائب أخرى بعد سقوط المدينة ، ومع ذلك فقد دام حصارها نحو سبعة أشهر (أنساب البلاذري ٤٦/١١ وما بعدها) . ولما أدرك عبد الله أن الحالة غدت يائسة لا تطاق ، وأن أعوانه يعانون من أهوال الحصار ، خرج يقاتل

مستميتاً أمام أبواب مكة ، حتى لقي مصرعه في يوم الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى من عام ٧٣ هـ / تشرين الأول ٦٩٢ م (١) .

- ٩ -

خمدت الفتنة بعد اثني عشر عاماً . أثبتت عندما أنكر الناس علناً في المدينة ومكة شرعية الخلافة الأموية ، وتعمقت عندما سفح دم حفيد الرسول فشق الأمة الإسلامية إلى معسكرين كبيرين ، ومن ثم عندما جعل

(١) تتفق المصادر على أن عبد الله قتل في يوم الثلاثاء (انظر العقد الثمين للفاسي ١٥٩/٥ و ١٥٠) ؛ إلا الخوارزمي (ص ٣٤) فيذكر يوم الاثنين ؛ وقسم من المصادر يضيف : في السابع عشر من جمادى الأولى . مثلاً : ابن سعد (لدى الطبري ٨٤٩/٢ ، وكذلك في تهذيب الأسماء للنووي ص ٣٤٢) ؛ المحبر لابن حبيب ص ٢٤ ؛ تقييد المسعودي ص ٣١٣ وما بعدها ؛ صفوة الصفوة لابن الجوزي ٣٢٥/١ ؛ البداية لابن كثير ٣٣١/٨ ؛ شفاء الغرام للفاسي ١٦٩/٢ . أما القسم الآخر فيقول : في السابع عشر من جمادى الآخرة ، مثلاً : تاريخ ابن خياط ص ٢٦٦ (ولكن قارن ص ٢٦٧ وطبقات ابن خياط ص ٢٣٢) ؛ الأخبار الطوال للدينوري ص ٣١٥ ؛ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٦٣/٢ ؛ والخوارزمي أيضاً ص ٣٤ . ولكن كلا التاريخين المذكورين لا يقيمان - حسب الجداول الزمنية - في يوم الثلاثاء من عام ٧٣ هـ ، بل في يوم الجمعة (؛ تشرين الأول ٦٩٢ م) ، وفي يوم الأحد (٣ تشرين الثاني ٦٩٢ م) ؛ وأما المسعودي في مروج الذهب ٢٦٥/٥ فيعطي تاريخاً صالحاً ، وهو الثلاثاء في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣ ، وهذا يعني الثلاثاء في ١ تشرين الأول ٦٩٢ م . ويدعم صحة هذا التاريخ أولئك الرواة ، كابن حبيب في المحبر ص ٣٤ (يقال) ، الذين لا يذكرون يوماً محدداً لمقتل عبد الله ، وإنما يقولون : في نصف جمادى الأولى . كما أنه من السهل أن تلتبس قراءة سبع عشرة وتقرأ أربع عشرة . وقد يرجع الخطأ إلى ابن سعد ، قارن تهذيب الأسماء للنووي ص ٣٤٢ : « هكذا نقله ابن سعد عن أهل العلم » لمراجعة أمثال هذه الالتباسات انظر كتابي حول المخطوطات العربية في ألمانيا (تحت الطبع) .

الأمويون بعد موت يزيد أحقية الخلافة نهائياً في سلاطهم . إن فعل أهل الشام هو الذي أوجب ردّ الفعل عند أهل المدينة ومكة . أخفقت الفتنة بالضرورة ، لأن زعيمها عبد الله بن الزبير انطلق من شروط خاطئة لتأخرها عن أوانها ، أضف إلى ذلك انقسام المعسكر المعادي للأمويين إلى حزب الزبير وإلى الطليعة الداعية للخلافة العلوية . فإن كان الحزب الزبيري ينشد إعادة مكة والمدينة إلى ما كانتا عليه من منزلة وسلطان في عهد النبي ﷺ ، فقد سعى الحزب العلوي في سبيل خلافة علوية مقرها العراق تدفعه لذلك المصاحبة السياسية المحلية التي كانت - كما يظهر - تعني للموالي أيضاً إحياء التراث الفارسي العظيم ، كما كان في عصر الشاه في المدائن . وتفاقم الصدع بين صفوف معارضي الحكم الأموي ، وأضحى هوة شاسعة ، عندما تزعم المختار الشيعة في العراق ، لأنه لم يتوان عن تحريف الإسلام كما جاء به الرسول ، لجعله مطية لطموحه الشخصي في الحكم والسيطرة .

من العبث أن نتساءل ، عما كان يمكن أن يحدث لو انتصر عبد الله ابن الزبير في أمره ؟ لو أنه غادر مكة أثناء خلافته ، وهو الذي قاد جيوشاً عديدة للنصر في حياته . لقد كان يتصور أن بقاءه في الحجاز أمر بديهي ، لأنه يبيع على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، (أنساب البلاذري ١٨٨/٥ و ١٩٧) ولم يخرج الخلفاء الراشدون مع الجيوش الفاتحة ، بل تركوا ذلك للأكفاء من قوادهم ، أما الخليفة علي فلم يكتب له النجاح . كما كان علي عبد الله بصفته رأس الأمة الإسلامية أن يتولى كل عام أمر الحجاج وطوافهم حول الكعبة (تاريخ ابن خياط ص ٢٤٩ و ٢٥٧ ؛ تاريخ اليعقوبي ٣٢٠/٢ ؛ تاريخ ابن عساكر ٤١٢/٧) : وبهذا بقي عبد الله على اتصال شخصي مستمر بالأمصار الإسلامية ، وهو الذي شارك أيضاً في عهد عثمان مشاركة جلّى في جمع القرآن وتوحيده . لم يكن هذا الاتصال طبعاً كافياً للحفاظ على خلافته ، وليكتنبا لا يمكن

أن تتوقع من عبد الله أن يرى ذلك من زاوية نظره ، إذ أنه كان مخطئاً خطأ عرّبي في الجزيرة يشعر أن واجبه صيانة الحكم الديني كما جاء به الرسول ﷺ ، ولم يستطع - ولا شك في صدق إيمانه - أن يدرك أن مدينتي النبي مكة والمدينة لا تصاحبان كمرکز سياسي لدولة كانت على أهبة الوثوب لتصبح دولة عالمية .

قويت جذور الأمويين بنحمود الفتنة الثانية في الإسلام واستقر المبدأ الوراثي في الخلافة ؛ كما انتهى دور مكة والمدينة كنقطة للخلافة في فجر العهد الإسلامي ، ولكنها حافظتنا إلى يومنا هذا على أهميتها كمكانين مقدسين عند المسلمين في شتى أنحاء العالم . أما أهل شعبة العراق فأضحوا بعند نكبات سياسية متكررة رافداً قانونياً متشعباً في الإسلام ؛ وكم استغلتهم أحزاب سياسية طامحة في الحكم والسلطان لتحصل عن طريقهم على الشرعية اللازمة ، دون أن يكون لهم نيئة أو يد في ذلك . وهكذا استطاع العباسيون بعد جيلين من الزمن أن يسقطوا ، باسم أولاد عمهم العلويين ، الدولة الأموية الفاتحة ويعلنوا ظهور الدولة العباسية بنظام حكمها الديني . لقد اعتمد العباسيون على الفرس ، واتخذوا العراق منطلقاً في تأسيس الدولة الإسلامية الموحدة . يكمن أهم سبب لضعف وسقوط الأمويين في إخفاقهم في حل مشكلة تحرر الموالى الاجتماعية ، والتي ظهرت للمرة الأولى على شكل سياسي في عهد المختار في العراق . لم يعد الذين خرجوا يوم صفين من حزب علي إلى صفوفه ، بل كوّنوا أول فرقة دينية منفصلة في الإسلام ، ألا وهي فرقة الخوارج . استطاعت هذه الفرقة أن تصمد فترة طويلة في العراق وفي جزيرة العرب ثم في شمال إفريقيا ، وأصبحت أنموذجاً للفرق الدينية - السياسية فيما بعد . أما المختار فقد أدخل في الإسلام تراثاً غريباً عنه ، وبقيت فكرة المهدي حية إلى عصرنا هذا ، بعد أن أثرت مراراً في مجرى التاريخ الإسلامي ، تغذياً بذلك الحركات الاجتماعية الثورية .

لم يحاول الأمويون إزالة المنافسات الدموية بين قبيلتي قيس وكنب في الهلال الخصيب والمناطق المجاورة ، بل استخدموها للحفاظ على سلطانهم ، هذه المنافسات هي التي أعاقت مدّ توسع الإسلام ، فظلت القسطنطينية في عشرينيات وثلاثينيات القرن الثامن الميلادي عسيرة المنال . كما أثارت هاتان القبيلتان في الوقت ذاته منازعات داخلية عنيفة في إسبانيا ، تعذرت وتوقفت بسببها غزواتهم للمناطق خلف جبال البرانس . يطلق المؤرخون العرب على هذه الفتنة بحق اسم عبد الله بن الزبير ، زعيم الحزب الرامي إلى إعادة الأوضاع الغابرة . ولقد غدت هذه الفتنة عاملاً موجهاً لتطور الإسلام ، مقررأ لمعالمه كدين ، ولحدوده الجغرافية - السياسية كسلطان في أوج الخلافة العباسية ؛ وهذا يعني - خلافاً للتصور التاريخي الأوربي الشائع - أن حدود الإسلام في مرحلة توسعه الأولى لم تفرض عليه بشكل حاسم من قبل البيزنطيين في الشرق أو الأفرنج في الغرب .

فرانكفورت « المانيا الغربية »

رودلف زولهام

ثبت لأهم مصادر ومراجع
ترجمة عبد الله بن الزبير
حسب الترتيب الزمني

١ - المصادر العربية :

- كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد (ت ٢٣٠ / ٨٤٥ م) — تحقيق E. Sachau وآخرين ، ١ - ٩ . ليدن ١٩٠٤ - ١٩٤٠ ؛ [سقطت ترجمة عبد الله من أول الجزء الخامس ، القسم التاسع (تراجم التابعين في المدينة) ، لأن مخطوطة Cotha المعتمدة في التحقيق ناقصة في هذا الموضع ؛ كما سقطت من مخطوطة شيد علي باشا ١٩٠٥ التامة (؟) — راجع H. Ritter في مجلة Der Islam ١٨ / ١٩٢٩ / ١٩٦ - ١٩٩ ؛ وكذلك K. V. Zetterstéen في - Sonderausgabe aus den Sitzungsberichten der Preussischen Akademie der Wissenschaften برلين ١٩٣٣ ، ١٧ / ٧٩٠ - ٨٢٠ ؛ — أما دليل وجودها أصلاً فهو استشهاد الطبري بها ٨٤٩ / ٢ ، والنووي أيضاً ص ٣٤٢] .
- الحواري د ت د ٢٣٢ / ٨٤٦ م ، في Fragmente syrischer und arabischer Historiker — تحقيق F. Baethgen ليزج ١٨٨٤ [تبعاً للمخطوطة السريانية العربية Chronographie des Elias von Nisibis (ت بعد ١٠٤٦ م)] .
- نسب قريش ، للمصعب بن عبد الله الزبيري د ت ٢٣٦ / ٨٥٠ م — تحقيق E. Lévi — Provençal ، القاهرة ١٩٥٣ « ذخائر العرب ١١ » .
- التاريخ ، لخليفة بن خياط د ت ٢٤٠ / ٨٥٤ م — تحقيق أكرم ضياء العمري ، ١ - ٢ . بغداد ١٣٨٦ / ١٩٦٧ م .

- الطبقات ، خليفة بن خياط - تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- المحبر ، لابن حبيب د ت ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م ، - تحقيق I. Lichtenstaedter حيدر آباد ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م (راجع - مع مقال المحقق أيضاً في Journal of the Royal Asiatic Society ١٩٣٩ / ١ - ٢٧) .
- المنق في أخبار قريش ، لابن حبيب - تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، حيدر آباد ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- البيان والتبيين ، للجاحظ د ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م ، - تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١ - ٤ ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م - ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- التاريخ الأكبر ، للبخاري د ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ، ١ - ٤ . حيدر آباد ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م : الجزء الثالث ، القسم الأول ص ٦
- جبهة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار د ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م - تحقيق محمود محمد شاكر ، الجزء الأول . القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- فتوح مصر وأخبارها ، لابن عبد الحكم د ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م ، - تحقيق Ch. C. Torrey ، نيوهافن ١٩٢٢
- المعارف ، لابن قتيبة د ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، - تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠ (راجع محمد جواد في : مجلة الجمع العلمي العربي ١٩٦٢ / ٩ - ٤٣٣ - ٤٥٩) .
- عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، ١ - ٤ . القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م - ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م .

- فتوح البلدان ، للبلاذري د ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ، — تحقيق M. J. de Goeje ، لندن ١٨٧٠ .
- أنساب الأشراف ، للبلاذري ، ع ب - ٥ - تحقيق M. Schloessinger و S. D. F. Goitein ، القدس ١٩٣٦ - ١٩٣٨ [أعيد طبع هذه النشرة الممتازة قبل زمن يسير بطريقة التصوير] .
- أنساب الأشراف ، للبلاذري ، ١١ - تحقيق W. Ahlwardt ، جرايسفالد ١٨٨٣ .
- الأخبار الطوال ، للدينوري د ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، — تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٠ .
- التاريخ ، لليعقوبي د ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، — تحقيق M. Th. Houtsma ١ - ٢ . لندن ١٨٨٣ .
- الكامل ، للمبرد د ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م ، — تحقيق W. Wright ، ليزج ١٨٦٤ - ١٨٩٢ .
- أخبار القضاة ، لوكيع د ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ، — تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ١ - ٣ . القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م - ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- أخبار الرسل والملوك ، للطبري د ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م ، — تحقيق M. J. de Goeje وآخرين ، ١ - ١٥ . لندن ١٨٧٩ - ١٩٠١ .
- الاشتقاق ، لابن دريد د ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، — تحقيق عبد السلام محمد هارون ، [القاهرة] ١٢٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- العقد الفريد ، لابن عبد ربه د ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ، — تحقيق أحمد أمين وآخرين ، ١ - ٧ . القاهرة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م - ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م : وخصوصاً ٣٩٢/٤ وما بعدها [تبعاً لأبي عبيد عن أبي معشر !] .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي د ت ٨٣٤٥ / ٩٥٦ م ،
تحقيق A. J. B. Pavet de و Ch. A. C. Berbier de Maynard
Courteille ، ١ - ٩ . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .
- التنيه والإشراف ، للمسعودي - تحقيق M. J. de Goeje
لندن ١٨٩٤ .
- المبدأ والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي د ت حوالي ٨٣٥٥ / ٩٦٦ م ،
تحقيق Cl. Huart ، ١ - ٦ . باريس ١٨٩٩ - ١٩١٩ ؛ وكذلك :
الفهارس ، لعبد الله الجبوري ، بغداد ١٣٨٥ / ١٩٦٥ م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الإصهاني د ت ٨٣٥٦ / ٩٦٧ م ، ١٤ - ٢٠ .
بولاك ١٢٨٥ / ١٨٦٨ م ؛ وكذلك الفهارس Tables alphabétiques
نشرها I. Guidi وآخرين ، لندن ١٩٠٠ .
- نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزباني د ت ٨٣٨٤ / ٩٩٤ م ،
تحقيق R. Sellheim ، الجزء الأول . فيسبادن - بيروت ١٩٦٤ .
- تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول (من القرن ٥ / ١١ م) - تحقيق
P. A. Grjaznevic وآخرين . موسكو ١٩٦٧ ، صورة طبق الأصل .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الإصهاني د ت ٨٤٣٠ /
١٠٣٨ م ، ١٠ - ١٠ . القاهرة ١٣٥١ / ١٩٣٢ م - ١٣٥٧ / ١٩٣٨ م :
٣٢٩ / ٣٣٧ .
- جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم د ت ٨٤٥٦ / ١٠٦٤ م ،
تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٨٢ / ١٩٦٢ م
« ذخائر العرب » ٤٢ .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي د ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، ١٤ - ١٤ .
القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٢١ م : ٣٨ / ١٤ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر د ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ،
— تحقيق علي محمد البجاوي ، ١ - ٤ . القاهرة ١٩٦١ .
- تاريخ البيهقي ، لأبي الفضل البيهقي د ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ،
— ترجمه عن الفارسية بحبي الحشاش وصادق نشأت ، القاهرة
(١٩٥٦ !) .
- تهذيب تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) ، لابن عساكر د ت ٥٧١ هـ /
١١٧٦ م ، — تحقيق عبد القادر أفندي بدران وأحمد عبيد ، ١ - ٧ .
دمشق ١٣١٩ هـ / ١٩١١ م - ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - : ٣٩٦ / ٧ - ٤٢٣ .
- صفوة الصفوة ، لابن الجوزي د ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، ١ - ٤ .
حيدر آباد ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م - ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م : ١ /
٣٢٢ - ٣٢٥ .
- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير د ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ، ١ -
١٣ . بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ١ - ٥ . بولاق ١٢٨٤ هـ /
١٨٦٧ م - ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م .
- تهذيب الأسماء ، للنووي د ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ، — تحقيق
F. Wuestenfeld جوتنجن ١٨٤٢ - ١٨٤٧ .
- مختصر تاريخ البشر ، لأبي الفداء د ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ، ١ - ٤ . القاهرة
١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م [مأخوذ إلى حد ما من ابن الأثير « راجع مقدمة أبي الفداء »]
- كتاب العبر لابن خلدون د ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م ، ١ - ٧ . بيروت
١٩٥٦ - ١٩٥٩ : ٢ - ٣ / فهرس] .

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، للذهبي د ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م ، ١ - ٦ . القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م .
- العبر في خبر من غير ، للذهبي - تحقيق صلاح الدين المنجد ، ١ - ٥ . الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية د ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ، ١ - ٤ . القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، (في البداية حول فضائل مكة ، راجع R. Sellheim في دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة الجديدة ١٧٦٥/٢ - ٧٢٨ - ٧٢٩ . مادة فضيلة ؛ ومن أجل الأحاديث ، راجع A. J. Wensinck في كتابه - A Handbook of Early Muhammadan Tradition - ، لندن ١٩٢٧ : مادة مكة .. الخ) .
- فوات الوفيات ، للكتبي د ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م ، - تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ، ١ - ٢ . القاهرة ١٩٥١ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير د ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م ، ١ - ١٤ . القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، للنفاسي د ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م ، ١ - ٢ . القاهرة ١٩٥٦ : ١٦٨/٢ - ١٧٠ ؛ وكذلك تحقيق F. wuestenfeld لبعض المصادر العربية المختلفة مع ملخص باللغة الألمانية بعنوان Die Chroniken der Stadt Mekka ، ١ - ٤ . ليبزج ١٨٥٨ - ١٨٦١ : خصوصاً ١٢٧/٤ - ١٤٥ .
- العقد الثمين ، للنفاسي ، ١ - ٨ . القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م : ١٤١/٥ - ١٥٩ ، رقم ١٥٢٣ .
- شذور العقود في ذكر التقود ، للمقرئزي د ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ،

- تحقيق محمد السيد علي بجر العلوم ، الطبعة الخامسة ، النجف
١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني د ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م ، ١ - ١٢ . حيدر آباد ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م - ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي د ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ، ١ - ٢ . القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م - ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبري زاده د ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م ، ١ - ٤ . القاهرة ١٩٦٨ : ٣٦/٢ .
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، للديار بكري د ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م ، ١ - ٢ . القاهرة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م : ٢ / ٣٣٦ - ٣٤٢ .

٢ - المراجع الأجنبية :

- M. Quatremère, Mémoire historique sur la vie d'Abd -allah ben - zobeir, in : Journal Asiatique 9/1832/289 - 339, 385 - 437; 10/1832/39 - 82, 137 - 168 .
- G. Weil, Geschichte der Chalifen, 1 - 5. Mannheim - Stuttgart 1846 - 1862 .
- F. Wuestenfeld, Register zu den genealogischen Tabellen der Arabischen Staemme und Familien, mit historischen und geographischen Bemerkungen. Goettingen 1853 .
- R. P. A. Dozy, Geschichte der Mauren in spanien bis zur Eroberung Andalusiens durch die Almoraviden (711 - 1110), 1 - 2 . Leipzig 1874 .

- F. Wuestenfeld, Die Familie al - Zubeir. Goettingen 1878 .
- A. Mueller, der Islam im Morgen und Abendland , 1 - 2 . Berlin 1885 - 1887 .
- C. Snouck Hurgronje, Mekka, 1 - 2 . Haag 1888 - 1889 : 1/26 - 29 .
- J. Wellhausen, die religioes - politischen Oppositionsparteien im alten Islam. Goettingen 1901 .
- ترجمه عن الألمانية عبد الرحمن بدوي : أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام . الحوارج والشيعة - القاهرة ١٩٥٨ (دراسات إسلامية ٢٢) .
- J. Wellhausen, das arabische Reich und sein Sturz . Berlin 1902 .
- ترجمه محمد عبد الهادي أبو ريده : تاريخ الدولة العربية . من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية - القاهرة ١٩٥٨ (الألف كتاب ١٣٦) .
- H. Lammens , Le califat de Yazid Ier , in Mélanges de la Faculté orientale de l'Université St. Joseph de Beyrouth 4/1910/233 - 312; 5/1911 - 12 / 79 - 267, 587 - 724; 6/1913/401 - 492; 7 / 1914 - 21 / 211 - 244 .
- F.Buhl, Die Krisis der Umajjadenherrschaft im Jahre 684, in : Zeitschrift für Assyriologie 27/1912/50 - 64
- M. Seligsohn, Abd Allāh b. al - Zubair, in : El 1/1913 /34 - 35 .
- E. Sachau, Syrische Rechtsbücher, 1 - 3. Berlin 1907 - 1914 : 2/viiff.
- L. Caetani, Chronographia islamica ossia riassunto

cronologico della storia di tutti i popoli musulmani all'anno 922 d. H., fasc. 1 - 5 (anni 1 - 132 H. = 622 - 750 E. V.) . Paris 1912 - 1922 .

- H. Lammens, L'avènement des Marwānides et le califat de Marwān Ier, in : Mélanges de la Faculté orientale de l' - Université St. - Joseph de Beyrouth 12/1927/43 -147.
- G. Levi Della Vida, Il califfo Mu āwiya I. Rom 1938.
- H. A. R. Gibb, Abd 'Allāh b. al - Zubayr, in : El²/1 1954/54 - 55.
- W. Caskel, Gamharat an - nasab. Das genealogische Werk des Hisām ibn Muhammad al - Kalbi [gest. 204/819?], Leiden 1966 : 1/Tafel 19; 2/121 b.

٣ - سك النقود :

أ - المصادر العربية :

- فتوح البلدان ، للبلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) - تحقيق M. J. de Goeje
ليدن ١٨٧٠ : ص ٤٦٥ ، ٤٦٧
- نور القبس المختصر من المقتبس ، المرزباني (ت ٨٤٥هـ / ٩٩٤ م) -
تحقيق R. Sellheim ، الجزء الأول ، فيسبادن - بيروت ١٩٦٤ :
ص ٢٩٦
- شذور العقود في ذكر النقود ، للمقرئزي (ت ٣٨٤هـ / ١٤٤٢ م) -
تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم ، الطبعة الحامسة ، النجف ١٣٨٧هـ /
١٩٦٧ م : فهرس .

ب - المصادر الأجنبية :

- :- Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Ge -
sellschaft 12/1858/52.
- G.C.Miles. Some New Light on the History of kirmān
in the First Century of the Ilighrah, in : The world of
Islam, Studies in Honour of Philip K. Hitti. London
1960; P. 85 - 98.
- O. I. Smirnowa, Katalog monet s gorodisca pendzi -
kent. Moskau 1963.
- Bustan 4/1963 - 1/1964/84 Nr. 11.
- H. Gaube, Arabosasanidische Numismatik, Brauns -
chweig 1973, Index .

الفتنة لغوياً :

أصلها إذابة الفضة أو الذهب بالنار لتمييز الرديء من الجيد . وترد في القرآن الكريم بمعنى الاختبار والابتلاء والامتحان ، فانه يختبر الإنسان وإيمانه بالشيطان أو بالكافرين أو بالأموال والبنين : « يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ » (الأعراف ٢٧/٧) ؛ « لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ » (الحج ٥٣/٢٢) ؛ « إِنَّا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (التغابن ١٥/٦٤) ؛ « وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً » (الفرقان ٢٥/٢٠) . ومن ثمّ فقد اكتسبت الكلمة معاني حيادية كالإعجاب والوله والغرام .

أما الفتنة بمعنى القتل والحرب والاختلاف بين الفرق فتجدها لدى المصنفين العرب تتّرج بالمعاني القرآنية (راجع مثلاً تاريخ ابن خياط ص ٢٣٣ ، وقارن أيضاً ص ٢٢٣ ؛ العقد الفريد ٣٩٦/٤) : انظر أيضاً L. Gardet في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة ١٩٦٥/٢/٩٣٠ وما بعدها ، مادة Fitna ؛ وكذلك في هفت بيكر ، البيت ١٣ مقطع ٢٥ للشاعر الفارسي نظامي ، تحقيق H. Ritter و J. Rypka طبعة براغ ١٩٣٤ ؛ وقارن أيضاً J. - G. Vadet في مجلة Revue des Études Islamiques ١٩٦٩/٣٧/٨١ - ١٠١ ؛ و G. H. A. Juynboll في مجلة Arabica ١٩٧٣/١٤٢ - ١٥٩ .

جمعية الآداب العربية في القدس

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

كان تأسيس الجمعيات في عهد السلطان عبد الحميد صعباً ، والجمعيات القليلة التي أسست كانت معرضة للإغلاق ، كما حدث في سنة ١٨٨١ عندما أغلقت الحكومة جمعية المقاصد الخيرية واستولت على مدارسها بعد ظهور مناشير في بيروت ودمشق وغيرهما من المدن السورية تنتقد الإدارة العثمانية .

بحثت مادة هذه المناشير في مقالة نشرت في هذه المجلة^(١) تحت عنوان « نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية » . ومنذ ذلك الحين وأنا آمل اكتشاف جمعيات أو هيئات لم يذكرها مؤرخو الأدب العربي الحديث . فلما نشرت يوميات خليل السكاكيني^(٢) قرأت فيها جملة قصيرة هذا نصها : « قلت في خطاب قديم في جمعية الآداب الزاهرة : في ساحات الرياضة تتعلم الناشئة الإقدام والبسالة... وجاء في هامش الصفحة بقلم هالة السكاكيني ناشرة يوميات أبيها أن هذه الجمعية أسست سنة ١٨٩٨ في مدينة القدس . وكان رئيسها داود الصيداوي^(٣) ، وأعضاؤها عيسى العيسى^(٤) وفرج فرج الله واقثم مشبك وشبلي الجمل وجميل الخالدي ونخلة ترزي و خليل السكاكيني . وهؤلاء كلهم نصارى الا جميل الخالدي .

(١) المجلد ٤٢ العدد ٤ (تشرين الأول ١٩٦٧) ص ٧٧٥ - ٧٩٣

(٢) كذا أنا يادنيا . المطبعة التجارية بالقدس (١٩٥٥) ص ٤٨

(٣) كان مدير بنك كريدي ليوني في يافا .

(٤) أسس فيها بعد جريدة فلسطين في يافا وكان محررها منذ ١٩١١

لم أجد شيئاً عن هذه الجمعية زيادة على ذلك . فلما ظهرت الترجمة العربية لكتاب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي^(١) راجعناها بعناية لأنه زار القدس في سنة ١٩١٠ ، ولكنه يذكر ذلك ذكراً مقتضياً ، دون الإشارة إلى جمعية ما ، مع أن الصورة الشمسية التي ينشرها تبين جميل الخالدي و خليل السكاكيني ومعها إسعاف النشاشيبي^(٢) وبندي الجوزي^(٣) .

يشكو السكاكيني في اليوميات ضيق المجال أمامه للعمل في ميدان التعليم . فقد تعلم في المدرسة الأولية لطائفة الروم الأرثوذكس ثم في مدارس المبشرين الانكليز ، ولكنه وجد أن هؤلاء لا يوظفون من طلابهم القدماء إلا من اعتنق المذهب البروتستانتي واستعد للعمل تحت إرشادهم قساً أو مبشراً أو معلماً . ولم يخالفوا خطتهم هذه إلا مرة واحدة ، عندما عينوا معلماً للغة العربية في مدارسهم في مدينة القدس أرثوذكسياً اسمه نخلة زريق^(٤) يعتبره السكاكيني أستاذه سواء أعلمه في مدرسة أم لم يعلمه^(٥) .

(١) مع المخطوطات العربية (موسكو ١٩٦٣) ص ٥٦ (والصورة مقابل ص ٤١) .

(٢) أصبح فيما بعد مفتشاً للغة العربية في مدارس الحكومة في فلسطين وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق .

(٣) من القدس ، واستاد جامعة قازان ثم جامعة باكو .

(٤) ١٨٥٩ - ١٩٢١ ولد في بيروت وتعلم في مدارس الطائفة الارثوذكسية . أتم بالانكليزية . « حضر مجالس رجال النهضة » وحفظ كثيراً من القرآن والحديث والشعر . حافظ على زيه العربي طول حياته . كان عضو شرف في المجمع العلمي العربي (راجع كلمة رشيد بقدونس في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٥١ - ٣٥٢) . وصفه رئيس المجمع بأنه من علماء اللغة الواقفين على أسرارها (المجلد الثاني من مجلة المجمع ص ٣٦٤) .

(٥) راجع تأييده بقلم خليل السكاكيني في مجلة المقتطف (المجلد ٩ ص

٤٦٧ - ٤٧١ و ٥٤٠ - ٥٤٤)

يقول السكاكيني : إن مدارس المبشرين الانكليز في مدينة القدس كانت تعلم اللغة العربية ولكنها « العربية النصرانية » أي لغة التوراة والإنجيل ، لا لغة القرآن والأدب العربي . فلما أصبح نخلة زريق معلماً في أم مدرسة من تلك المدارس جعل منها « مدرسة وطنية تخرج مبشرين بالوطنية كما كانت تخرج مبشرين بالدين » . وهذا كلام فيه مبالغة ظاهرة ، فالمبشرون لم يغيروا خطتهم ، وتعليم العربية ظل عديم واسطة لا غاية . أما تعليم الوطنية فكان بعيداً عن أفكارهم وغاياتهم . ولا نعلم لا من السكاكيني ولا من غيره مادة ما علّمه زريق أو على الأقل أسماء الكتب التي علّم منها .

يظهر من انقريئة أن نخلة زريق بدأ التعليم في القدس قبل نهاية القرن التاسع عشر ، ويمكن الاستنتاج أنه كان في تلك المدينة عندما أسس بعض طلابه جمعية الآداب العربية . فهل كان ذلك بإرشاده ؟ ولكن يستتج من حديث دار في منزله في ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ عن « جمعية العلماء » بحضور حسين سليم الحسيني أن السكاكيني وأستاذه كانا يفضلان أن تكون هذه مشتركة بين المسلمين والنصارى . فهل معنى ذلك أن جمعية الآداب التي كانت مشتركة بين هؤلاء وهؤلاء قد ماتت قبل ذلك التاريخ ؟ يرجح ذلك لأنه لم يذكرها أحد في تلك السنة عندما تأسس بمساعي إسماعيل بك الحسيني فرع للجمعية الإخاء العربي (١) في مدينة القدس ، وهذه الجمعية كانت للمسلمين والنصارى على السواء .

(١) اسمها الكامل جمعية الإخاء العربي العثماني . أسست في استانبول في سبتمبر سنة ١٩٠٨ بعد إعلان إعادة الدستور . كان من غاياتها رفع شأن اللغة العربية في الولايات العربية في الدولة العثمانية ونشر التعليم فيها . أغلقتها الحكومة العثمانية بعد ثمانية أشهر من تأسيسها وذلك بعد خلع السلطان عبد الحميد وتسلط جمعية الاتحاد والترقي على الدولة .

- ٢ -

فرضتُ بناءً على هذه القرائن أن جمعية الآداب العربية لم تعمّر طويلاً ، وأنه يجوز القول أنها لم تعمّر أكثر من عشر سنوات . ولكنني ظلت حائراً في أمر هذه الجمعية الفريدة في عهدها ، متسائلاً : هل تركت أثراً لغوياً أو أدبياً ؟ لا شك أنها غابت بالخطابة كما يظهر من إشارة السكاكيني إلى خطاب له فيها . ولكننا نجعل أسماء غيره من الخطباء ، ولا ندري هل نشرت خطبهم في مجلات عاصرت الجمعية كمجلة الأصمعي ومجلة القدس ومجلة النفائس^(١) .

تركتُ الموضوع أسفاً حتى كانت المفاجأة السارة ، وهي اكتشاف أوراق مهمة عن جمعية الآداب العربية في سجلات تبشيرية بريطانية تثبت اهتمامها بشؤون التعليم واللغة العربية .

ونمهداً لبحث مادة هذه الأوراق أقول كلمة عن مدارس المبشرين الانكليز في مدينة القدس وعلاقتها مع المطران الانكليكاني في تلك المدينة ومع رؤساء الطوائف النصرانية الشرقية . كان من أغراض هذه المدارس تغيير المذهب ، أي أن طلابها من أبناء الطائفة الأرثوذكسية مثلاً كانوا يُدرَّبون أثناء الدراسة حتى يعتنقوا المذهب البروتستانتي قبل إكمالها . وقد أثار ذلك احتجاج الرؤساء الرومانيين في فلسطين واحتجاج بعض رجال الدين في انكلترا ، ولكن السياسة لم تتغير حتى عُين الدكتور جورج بلايث^(٢) في سنة ١٨٨٧ مطراناً جديداً في القدس وطلب منه خلافاً لسياسة من سلفه أن يكون التعليم مجرداً من غاية تغيير المذهب . فأسس هو مدرسة

(١) راجع الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن لناصر الدين الأسد

(القاهرة ١٩٥٧) ص ٤٤

(٢) راجع كتابنا بالانكليزية — British interests in palestine 1800

229 — 222 (o x ford, 1961) 1901

جديدة باسم سان جورج اشتهرت بمدرسة المطران ، وذلك بجانب ما سبقها من مدارس المبشرين وخاصة مدرسة المطران غوبات التي عُرفت بمدرسة صهيون لأنها أقيمت على الجبل المسمى بهذا الاسم في مدينة القدس ، ثم المدرسة الكلية الإنكليزية .

وقد علّم نخلة زريق في هاتين المدرستين القديمتين لا في مدرسة المطران الجديدة . كانت مدرسة صهيون أهم مدارس الإنكليز التي بُعِثت بتعليم أبناء النص - اري العرب ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ المبشرون يدربون بعض طلابها لاستخدامهم في التعليم في المدارس الأولية التبشيرية ، ثم فتح المبشرون في أوائل القرن العشرين الكلية الإنكليزية للغاية نفسها ، ووضعت المدرستان تحت إدارة مدير واحد . وقبل إعلان الحرب العالمية الأولى كان في الكلية نحو ثلاثين طالباً ، وفي مدرسة صهيون ضعف ذلك (١) .

لم يتصل مؤسسو جمعية الآداب العربية لا مع مدرسة صهيون ولا مع الكلية الإنكليزية ، مع أن الصيداوي والسكاكيني تعلما في الأولى ، وكان نخلة زريق أستاذ السكاكيني في الثانية . ولا شك أن سبب إثارة مدرسة المطران هو السياسة الجديدة في التعليم التي اتبعتها مؤسساها الدكتور بلايث . والوثائق التي اكتشفناها تفصل غرض جمعية الآداب ، وهذا بيان عنها :

١ - كتاب مؤرخ في ١٨ تموز ١٩٠٣ باللغة العربية والإنكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيابة عن « جمعية الآداب العلمية العربية » إلى المطران بلايث .

(١) هذه الحقائق والأرقام مستمدة من التقارير السنوية التي أصدرتها الجمعية التبشيرية الكنسية وهذه هي تفصيلاً C. M. S., Annual Reports 1877 - 78 P. 60, 1904 — 1905, P. 144; 1913 - 1914, P. 90

٢ - كتاب مؤرخ في ٣ آب ١٩٠٣ باللغة العربية والإنكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيابة عن « الجمعية العلمية العربية » إلى المطران بلايث .

٣ - كتاب مؤرخ في ٥ آب ١٩٠٣ باللغة الإنكليزية موجه من المطران بلايث إلى السكاكيني .

٤ - اتفاق مؤرخ في ٢٤ آب ١٩٠٣ باللغة الإنكليزية بين المطران بلايث والصيداوي رئيس جمعية الآداب .

٥ - كتاب مؤرخ في ٢٦ آب ١٩٠٣ باللغة الإنكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيابة عن « جمعية الآداب » إلى المطران بلايث .

٦ - كتاب مؤرخ في ٩ كانون الثاني ١٩٠٤ باللغة العربية والإنكليزية موجه من الصيداوي وعيسى العيسى بالنيابة عن « جمعية الآداب » إلى المطران بلايث .

يظهر من نص الكتاب الأول وجود اتفاق سابق بين الجمعية والمطران أن تُعدّ الجمعية منزلاً لإقامة الطلاب الذين يتعلمون على نفقتها في مدرسة المطران . وقد نجح هذا المشروع في سنته الأولى ١٩٠٢ - ١٩٠٣ فزاد عدد الطلاب في المنزل من سبعة إلى سبعة عشر . والجمعية تشكر المطران في كتابها على مشاركتها في هذا العمل الصالح وتجبره أنها ستزيد عدد الطلاب إلى أربعة وعشرين وستدفع ثلاثة جنيات إنكليزية عن كل طالب . ولكنها ترجو المطران أن يبقى المنزل باسمه نيابة عن الجمعية ، وذلك تأكيداً لمحايتكم عملنا هذا . وقد تردد المطران في قبول ذلك ، وشاور القنصل البريطاني ، ثم فاض الجمعية إلى أن تم الاتفاق بين الطرفين في ٢٤ آب ١٩٠٣ وهو ينص على أن تكون إدارة المنزل بيد المطران كجزء من مدرسته التي

وافقت الحكومة التركية على فتحها، وأن تتولى لجنة إدارة المنزل يكون اثنان من أعضائها أعضاء في الجمعية، وأن يقبل المطران كل سنة ثلاثة طلاب مجاناً في مدرسته ويكون هؤلاء من أبناء الطائفة الأرثوذكسية.

وفي الكتاب المؤرخ في ٢٦ آب نص مهم هذه ترجمته : « نطلب أن لا يتعرض أحد لحرية هؤلاء الطلبة في أمور دينهم وأن يحرص ذوو الشأن على أن يؤدي الطلاب واجباتهم الدينية في كنيسة طائفتهم كل يوم أحد وأيام الأعياد ». والكتاب المؤرخ في ٩ كانون الثاني يدل على نجاح المشروع وفيه بيان وتحقيق بما تركته الجمعية في المنزل من أثاث وما بقي في حسابها من رصيد .

— ٣ —

ملحق بالوثائق المكتوبة باللغة العربية

(أ)

القدس في ١٨ تموز ١٩٠٣

ليادة الحبر الجليل السيد جورج بليث أسقف الكنيسة الانكليكانية في القدس .

أيها السيد الجليل . بمناسبة انتهاء السنة المدرسية الحالية قد قررت جمعية الآداب العلمية العربية في جلستها التي عقدت بتاريخ ٣ تموز ١٩٠٣ أن ترفع لسيادتكم خالص شكرها وممنونيتها لمساعدتكم إياها في العمل الذي أخذت على نفسها القيام به . وهي تؤمل من لطفكم أن لا تحرموها من هذه المساعدة الثمينة في المستقبل .

إن مضيفنا لما افتتحت أبوابه لقبول التلامذة في أول هذه السنة المدرسية

لم يكن فيه إلا سبعة منهم لكن عدهم أخذ بعد ذلك بالازدياد حتى بلغوا الآن سبعة عشر تلميذاً وكلهم قد اتبعوا دروس مدرستكم الخارجية بدون أن يستوفى منهم رسم التعليم وهذه مئة منكم تقدرها الجمعية حق قدرها ومساعدة نذكرها بالشكر الجزيل .

أما في السنة القادمة فقد قررت الجمعية أن تهيء محلاً لقبول أربعة وعشرين تلميذاً في مضيفها ولا تشك بأن يكون لهم محل في مدرستكم الخارجية وهي ستجهد أن تدفع عن كل واحد منهم رسم المدرسة المعلوم أعني ثلاث ليرات انكليزية .

ثم ان الجمعية تغتم هذه الفرصة لكي تعرب لكم عن ممنونيتها عما جاء في النشرة (التي تكرمتم بإرسال نسخة منها لها) من كلمات الشراء على عملها ... غير أنه لا بد لنا أن نقول إن المسؤولية التي تكرمتم سيادتكم بحملها عنا في هذه السنة نرجو أن لا ترفضوها في السنة المقبلة ... أما من جهة استئجار البيت فهذا بما لا يمكن أن يكون إلا باسم سيادتكم بالنيابة عن جمعية الآداب كما كان في هذه السنة وذلك تأكيداً لحمايتكم عملنا هذا ...

وهناك بعض أشياء آخر وردت في منشور سيادتكم تستدعي النظر والبحث . ولهذا فقد قررت الجمعية تعيين ثلاثة من أعضائها وهم الحاجات داود صيداوي وشبلي جمل وعيسى داود عيسى وفداً لينوبوا عنها في مقابلة سيادتكم ونرجوكم أن تعينوا الوقت الموافق لذلك ...

عن جمعية الآداب العلمية العربية

الكاتب

الرئيس

خليل سكاكيني

داود صيداوي

- ب -

أيها السيد الجليل

عرفنا من الوفد أن نتيجة الجلسة التي دعوتهم للمفاوضة معكم فيها
ثلاثة أفكار :

أولاً : أن تصرف الجمعية بمضيفها ولكن بدون حمايتكم .

ثانياً : أن يكون المضيف لكم بدون أقل علاقة مع الجمعية وتكونون
أنتم المسؤولين أمام الأهالي .

ثالثاً : أن تؤلف عمدة من ثلاثة أعضاء من الجمعية ، واحد منهم مدير
المضيف تحت رئاستكم لإدارة شؤون المضيف لمدة سنة .

فقرت الجمعية في جلستها المنعقدة في ٣١ تموز على استحسان الرأي الثالث
لأنها رآته أعدل إذ لا ينفرد فيه أحد الطرفين دون الآخر ، وأنسب لمصلحة
مضيفنا إذ لا يعدم مع هذا الرأي اهتمامكم ، وأبقى لهذه العلاقة القديمة الجميلة
التي بيننا وبينكم والتي نود من كل قلوبنا أن تكون دائمة .

والجمعية تنتظر جوابكم وترجوكم أن تقبلوا احترامنا الفاتقة .

عن الجمعية العلمية العربية

الرئيس الكاتب

داود صيداوي خليل سكاكيني

لسيادة الخبر الجليل اللورد بليث أسقف القدس والمشرق

عن القدس في ٣ آب غ سنة ١٩٠٣

- ج -

أيها السيد الجليل

لنا الشرف بأن نعرف سيادتكم أنه بحسب الاتفاق المتبادل بينهما وبين

الجمعية على قبول ثلاثة أولاد في مدرسة مار جرجس الخارجية مجاناً مقابل تسليمكم مضيفها صار إرسال ثلاثة أولاد من ذوي الحاجة انتخبهم الجمعية ... وفي هذه الفرصة لا ترى الجمعية بدأ من إحاطة علم سيادتكم بمجمل قيمة ما تركته الجمعية من الأثاث في المضيف وما تبقى من النقود بعد انتهاء السنة المدرسية الماضية ... تركت من الأثاث ما تبلغ قيمته بحسب دفاترها ألف ومائتان وخمسة عشر فرنكاً وخمسة وعشرين سنتيماً ... أما الرصيد النقدي الباقي في يد الخواجا شلي جمل فهو ثمانون فرنكاً وستون سنتيماً وقد طلبت الجمعية من الخواجا شلي جمل أن يطلع سيادتكم على تفاصيل ذلك ... هذا وفي الختام نرجو قبول فاتق احتراماتنا .

جمعية الآداب ٩ كانون ثاني غ سنة ١٩٠٤

رئيس جمعية الآداب عن كاتب الجمعية
داود صيداوي عيسى داود عيسى

— ٤ —

كل كتاب من هذه الكتب له ترجمة انكليزية بجانبه صفحة صفحة ، لأن بلايت لم يحسن العربية ، وجمعية أمست لإعلاء شأن اللغة العربية ينتظر منها أن تكتب بهذه اللغة . ذكرنا سابقاً على سبيل الاستنتاج اهتمام الجمعية بالخطابة ، وهذه الكتب برهان على اهتمامها بشؤون التربية والتعليم . ويلاحظ الباحث في هذه الناحية من نشاط الجمعية أنها اختارت مدرسة من بين مدارس كثيرة في مدينة القدس ، فلم تكن هذه من المدارس الرسمية التركية ، ولم تكن من المدارس الوطنية الطائفية ، بل كانت مدرسة أجنبية تبشيرية . ولكن الجمعية وضعت ما يلزم من الشروط حتى يستفيد طلابها من مدرسة حديثة المنهج مع الاحتفاظ بتقاليدهم الدينية . ولهذا الكتب فائدة أخرى وهي بيان أسلوب الكتابة في مطلع القرن

العشرين . فالتاظر فيها يرى أثر التركية والعامية في استعمال كلمة « الممنونية » ، وكلمة « الأهالي » ، وقوله : « صار إرسال » ، ولكنه يرى على وجه الاجمال أن اللغة صحيحة والعبارة واضحة والاسلوب سهل . وظني أنها من إنشاء السكاكيني فقد عرف بذلك منذ ذلك العهد ، بدأ الحياة معلماً وظل مشغلاً في شؤون التعليم حتى النهاية . كان قبل الحرب العالمية الأولى يعطي دروساً خاصة ، ويدير مدرسة خاصة عرفت بالدستورية لم تعمر طويلاً . والصورة التي نشرت في كتاب كراتشكوفسكي لأربعة من أدباء القدس وضع تحتها وصف لكل واحد منهم ، ووصف السكاكيني فيها بـ « المعلم » .

من الذين علمهم اللغة العربية من الأجانب رجل ألماني في قنصلية دولته في القدس . وكان هذا قد تعلم المبادئ والأصول قبل اتصاله بالسكاكيني . يقول هذا في يومياته عن ذلك : « أكملنا المقدمة لابن خلدون ، وقد كنت أحب أن لا يكون لابن خلدون هذه المقدمة الركيكة التي تلتزم السجع البارد المعقد » . ويقول عن نفسه في موضع آخر : « ليست معرفتي إلا نتفاً من هنا وهناك لا تملأ دماغ طفل فضلاً عن دماغ رجل في سني » . عُيِّن في إدارة معارف فلسطين مفتشاً ثانياً للغة العربية في مدارس الحكومة ، وكان المفتش الأول حينئذ إسعاف النشاشيبي ، فسبب ذلك خصاماً بين صديقين قديمين لكل منها كفاءة معروفة في ناحية من اللغة والأدب . كان النشاشيبي عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وأصبح السكاكيني عضواً في مجمع القاهرة بعد أشهر من وفاة نظيره . رحمهما الله .

حول نسبة الأبيات في كتاب سيبويه

الدكتور محمد علي سلطاني

نشر الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، مقالاً قيماً في مجلة الجمع في عددها الثاني من المجلد الحالي ، أماط اللثام فيه عن حقيقة «الأسطورة» ، العريقة ، حول أبيات سيبويه «الحسين» ! ، التي لم يعرف لها قائل .. مقدماً جملة هامة من الأرقام المثيرة حول هذه الأبيات ، جاءت حصيلة بحث متبّع ، وجهد علمي .. ذكر فيها أن :

- جملة غير المنسوب في كتاب سيبويه هو ٣٤٢ موضعاً .
- منها ٤٣ موضعاً ، سميت فيها قبيلة الشاعر فقط ، دون النص على اسمه .
- وأن الأعلام الشتمري ؛ قد نسب في شرحه لشواهد الكتاب ، المسمى «تحصيل عين الذهب» .. ٥٧ موضعاً .
- وأن جهود الدكتور صاحب المقال - على مر السنين - أسفرت عن اهتدائه إلى صاحب الشعر في ١٦٧ موضعاً .

وهكذا ، فإن ما يبقى بعد ذلك ، بما ينتظر جهود العاملين لعزّوه ، المجموعتان التاليتان :

- أ - خمسة عشر موضعاً نسب فيها الشعر إلى رجل من إحدى القبائل العربية .
 - ب - ١٠٣ من المواضع ، التي لم ينسب فيها الشعر إلى أحد حتى الآن .
- فرايت أن أقدم بما وصل إليه تتبّعي في هذا الميدان ، وجعلته على الشكل التالي :

- ١ - اسم القاتل فيما عرفت فيه قبيلة الشاعر .
- ب - اسم القاتل في الأبيات التي لم تنسب إلى أحد حتى الآن .
- ج - تصويب النسبة ، فيما ورد منسوباً عند سيبويه .

واليك البيان بالتفصيل :

- ١ - المواضع التي نسب فيها الشعر إلى رجل من إحدى القبائل :

١ - بقرصاد (بسيط) ٣٠٧/٢

- في الكتاب والأعلم للهذلي ، ولا وجود للبیت في أشعار الهذليين .
- وهو لعبيد بن الأبرص ، في ديوانه ق ١٦/١٥ ص ٤٩ . كما روي لعبيد في اللسان « قد د » ٣٤٦/٤

٢ - الحمُر / القَمَر (مجزوء الرجز) ٢٥٣/١

- في الكتاب والأعلم لرجل من أزد السراة .
- واليبتان ليليس الشمالي في : شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٦٣/أ ، وشرح أبيات سيبويه والمفصل لعفيف الدين الكوفي ٢١٤/أ . ولم يعترض الغندجاني في « فرحة الأديب » ، على هذا العزو .

٣ - المور / المهور / مسفور (رجز) ٣٠٢/١

- في الكتاب والأعلم لبعض السعديين .
- والأبيات لحُميد الأرقط في : شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ٤٥/ب ، وشرح ابن السيرافي ٦٥/أ ، وشرح عفيف الدين الكوفي ٢١٨/أ .

٤ - راعي (وافر) ٨٧/١

- في الكتاب لرجل من قبس عيلان ،

- والبيت لنصيب بن رباح المرواني في ديوانه د ط . بغداد - د .

سلوم ، ق ٨٧ / ١ ص ١٠٤

٥ - أصباه (كامل) ٣٩/١

- في الكتاب والأعلم لرجل من باهلة .

- والبيت لولة الجرمي في : شرح ابن السيرافي ٣٠/أ ، وشرح الكوفي ١٣٧ أ - ب .

٦ - فواديا (بسيط) ٥٥/٢

- في الكتاب والأعلم لبعض السعديين .

- والبيت للخطبة في ديوانه د ط . القاهرة - الشنقيطي ، ص ١١١ ، وكذا في شرح ابن السيرافي ٩٨/أ .

ب - المواضع التي لم ينسب فيها الشعر إلى أحد حتى الآن :

١ - هباء / المعزاء (كامل) ٨٨/١

- هما للشماخ بن ضرار الذبياني ، في ملحق ديوانه ق ٣-١ ص ٤٢٧

٢ - خنزرة / كمره (رجز) ١٠٦/١ ، ٢٩٣

- والبيتان للأعور بن براء الكلبي في : شرح ابن السيرافي ٣٠/ب ، وفرحة الأديب ١٨/ب في خبر .

٣ - المنصغر (رجز) ٢٤٢/٢

- البيت لغيلان بن حريث في : شرح ابن السيرافي ١٠٦/أ .

٤ - مناعيا / أرباعها (رجز) أولها في ١٢٣/١ ، وكلامها في ٣٦/٢

- وهما لراجز من بكر بن وائل في : شرح ابن السيرافي ٩٥/ب ، وشرح الكوفي ٢٦٣/ب .

٥ - والتكر (طويل) ٧٠/٢

البيت ليزيد بن عبد الممدان في : شرح ابن السيرافي ٩٣/أ .
وانظر حواشي المصدر نفسه بتحقيق ٩٨/ب «مقدم للطباعة» وفي شرح الكوفي
٢٦٠/ب ، واللسان «عين» ١٧٥/١٧ ، وانظر معه «قرش» ٢٢٦/٨

٦ - الرميحان / التهان (الكامل) ٢١/٢

- البيت لرجل من باهلة في : المخصص ١٦ / ١٥١ ، واللسان
«دبر» ٣٥٧/٥

ج - تصويب النسبة فيما ورد منسوباً عند سيويه :

١ - والحرب / صعب (طويل) ٢٥٠/١

- أوردتهما سيويه لذي الرثمة ، ولم ينسبها الأعلام .

- وهما للأخطل في ديوانه «ط - الكاثوليكية» ص ١٧ من قصيدة .
كما وردا للأخطل في : شرح ابن السيرافي ٥٤/ب ، واللسان
«وجب» ٢٩٥/٢ . وأولهما له في : الأغاني ٣٠٣/٨ ، واللسان
«يس» ٤١٤/٧

٢ - سكوب (طويل) ٤٧٨/١

- أوردته سيويه لهذبة بن الحشرم ، ولم ينسبه الأعلام .

- والبيت لساعة النعماني في : شرح ابن السيرافي ٧٧/ب ، وشرح
الكوفي ٢٤٣/ب ، واللسان «عسا» ٢٨٤/١٩ ، ورغبة
الآمل ٢٤٤/٢

٣ - هيوج (طويل) ٥٦/١

- أوردته سيويه والأعلام لأبي ذؤيب الهذلي .

- والبيت للراعي النشميري ، في ديوانه ق ٢/١٢ ص ٢٩ : كما

ورد للراعي في : شرح ابن السيرافي ٣/ب ، واللسان « هيج » ،
٨٣/٣ و « أخا » ٢١/١٨

٤ - تحديد (بسيط) ١١٨/١

-- أوردته سيويه والأعلم للراعي النشميري .

- والبيت لذي الرمة في ديوانه ق ١٦/١٧ ص ١٣٤ . كما ورد
لذي الرمة في : شرح ابن السيرافي ٢/أ ، واللسان « مرط » ، ٢٧٥/٩

٥ - ويقصد (طويل) ٤٣١/١

- أوردته سيويه والأعلم لعبد الرحمن بن أم الحكم .

- والبيت لأبي اللعالم التغلبي في : شرح ابن السيرافي ٨٣/أ ، وشرح
الكوفي ٢٢٨/أ ، والخزانة ٣/٦١٤ ، ورجح ذلك اللسان
« قصد » ٣٥٣/٤

٦ - بداد (كامل) ٣٩/٢

- أوردته سيويه للنايعة الجمدي ، وتورد الأعم بينه وبين ابن الخرع
والبيت لعوف بن عطية بن الخرع التيمي في : الأغاني ١١/١٢٩
وشرح ابن السيرافي ٩٥/ب ، وفرحة الأديب ٥٢/أ ، واللسان
« بدد » ٤٤/٤ و « حلق » ١١/٣٥٠ ، وكذا قال الشنقيطي في
حاشية المحض ٦٤/١٧

٧ - حمار (وافر) ٢٣/١

- أوردته سيويه والأعلم لجنداش بن زهير
والبيت لثروان بن فزارة بن عبد يغوث في : شرح ابن السيرافي
٢٧/ب ، وحماسة البحتري ق ١٠٩٦ ص ٢١٠ ، وفرحة الأديب
١٢/ب ، والخزانة ٣/٢٣٠

٨ - آبر (طويل) ١١/١

- أوردته سيويه والأعلم لحنظلة بن فاتك .
- والبيت لتليد العبشمي في : شرح ابن السيرافي ٣٠/أ ، وفرحة الأديب ١٨/أ ، وشرح الكوفي ١٣٧/أ .
- ٩ - غرار (وافر) ٨٥/١
- أوردته سيويه والأعلم للشليك بن الشلكة .
- والبيت لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه ق ٤٨/١٥ ص ٧٥ كما نسه إلى بشر كل من : ابن السيرافي في شرح أبيات الكتاب ٣٩/ب ، وشرح الاختيارات ق ٤٦/٩٨ ج ١٤٣٦/٣ ، واللسان ١٨١/٤ ، ورس ١٤٩/٨ ، ورغبة الأمل ١٨١/٤
- ١٠ - وزر (بسيط) ٣٧١/١
- أوردته سيويه والأعلم لكعب بن مالك الأنصاري .
- والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ق ٨/١٢٩ ص ٢٦٥ ، وشرح ابن السيرافي ٨٢/أ ، وشرح الكوفي ٢٤٨/ب .
- ١١ - عامر (طويل) ٤٢٧/١
- أوردته سيويه والأعلم لقيس بن زهير بن جذيمة .
- والبيت لورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي في : الأغاني ٨٩/١١ وحماسة البحري ق ٢٠٢ ص ٤٤ ، وشرح ابن السيرافي ٨٥/ب والكامل لابن الأثير ٣٣٨/١
- ١٢ - مورا (رجز) ٣١٢/١
- أوردته سيويه والأعلم للأحوص .
- والبيت للحارث بن خالد الخزومي ، في ديوانه ق ١٣/٧ ص ٦٢ ، وفي الأغاني ٣٣٦/٣ من قصيدة ، وفي شرح ابن السيرافي ٥٦/أ ، وشرح الكوفي ١٩٨/أ .

- ١٣ - قفاري (وافر) ١٠٩/١
 - أوردته سيويه والأعلم للناطقة الجعدي .
 - والبيت لشتيق بن جـزء بن رباح الباهلي في : شرح ابن
 السيرا في ٣٥/أ ، وفرحة الأديب ٢٣/أ من قصيدة في خبر طويل .
- ١٤ - مكور (رجز) ٩/٢
 - أوردته سيويه لرؤبة .
 - والبيت للعجاج في : مجموع أشعار العرب ق ١١٩/١٥ ، وفي
 أراجيز العرب ص ٩٢ ، وشرح ابن السيرا في ٨٩/ب ، والصاح
 «مكر» ٨١٩/٢ ، وشرح الأعلم ٩/٢ ، واللسان «أخر» ٧٠/٥
 و «مكر» ٣٣/٧ ، و «علق» ١٣٦/١٢
- ١٥ - نظار (رجز) ٣٧/٢
 - أوردته سيويه والأعلم لرؤبة .
 - والبيت للعجاج في : مجموع أشعار العرب ق ١٤/٥ ج ٢/٢٥ ،
 وأراجيز العرب ١٥٧ ، وشرح ابن السيرا في ٩٧/أ ، وشرح
 الكوفي ٢٦٤/أ .
- ١٦ - خلاص / عباس (بسيط) ٢٢٥/١
 - أوردتهما سيويه لصخر الغي الهذلي .
 - وهما لمالك بن خالد الهذلي في : ديوان الهذليين القسم ٣/١ ،
 وفي شرح أشعار الهذليين رواية السكري ٤٣٩/١ ، وشرح ابن
 السيرا في ٥١/ب ، وشرح الأعلم ٢٢٥/١
- ١٧ - مسمعا (طويل) ٩٩/١
 - أوردته سيويه والأعلم للمرار الأسدي .
 - والبيت لمالك بن زغبة الباهلي في : شرح ابن السيرا في ٩/أ ،
 وفرحة الأديب ٣/أ من أبيات في خبر .

١٨ - تمنعا (طويل) ١٥٢/٢

- أورده سيويه والأعلم لابن الخرج .
- والبيت للكميت بن معروف في : شرح ابن السيرافي ٩٣/ب
وشرح الكوفي ٢٥٨/أ ، واللسان « قشع » ، ١٤٥/١٠ . وذكر
البغدادي في الخزانة ٥٦٠/٤ أنه لم يجد البيت في ديوان ابن
الخرج ، وإنما هو من قصيده للكميت ، أوردها أبو محمد الأعرابي
في : ضالّة الأديب . وذكر القصيدة وفيها البيت .

١٩ - مختلف (منسرح) ٣٨/١

- أورده سيويه والأعلم لقيس بن الحطيم .
- والبيت لعمرو بن امرئ القيس الأنصاري الحزرجي في : شرح
ابن السيرافي ٣٢/أ ، وفرحة الأديب ٥٩/ب من قصيدة في
خبر طويل ، واللسان « فجر » ، ٣٥١/٦

٢٠ - حلاق (خفيف) ٣٨/٢

- أورده سيويه لمهمل .
- والبيت لعدي بن ربيعة التغلي ، أخو كليب ، يوثي أخاه
مهملًا في : الأغاني ٥/٥٢ ، وشرح ابن السيرافي ٩٠/أ ،
وفرحة الأديب ٤٨/أ ، ومعجم الشعراء ٢٤٨ ، وشرح
الكوفي ٢٥٦/ب .

٢١ - وكلكلا (طويل) ٧٥/١

- أورده سيويه والأعلم للمزار الأسدي .
- والبيت لعبد الله بن الزبير الأسدي في : شرح ابن السيرافي
٣٧/أ ، وفرحة الأديب ٦٥/أ من أبيات في خبر مفصل .

٢٢ - حاتم (طويل) ٢٨٣/١

- أورده سيويه والأعلم لسويد بن كراع العُكيلي .

- والبيت لدجاجة بن عبد القيس في : شرح ابن السيرافي ٦١/أ
وفرحة الأديب ٤٢/أ ، وشرح الكوفي ١٠٤/ب

٢٣ - لاثم (طويل) ٤٨٦/١

- أورده سيويه لرؤبة .

- والبيت للجحاف بن حكيم السلمي في : الأغاني ١٢/٢٠٢ ،
وشرح ابن السيرافي ٦٦/ب ، وشرح الأعلام ٤٨٦/١ ، وشرح
الكوفي ٢١٩/ب ، واللسان واندوم ، ٣٠٣/١٤

٢٤ - يدوم (طويل) ١٢/١

أورده سيويه لعمر بن أبي ربيعة .

- والبيت للمرار بن سعيد الفقعسي في : الأغاني ١٠/٣١٥ وشرح
ابن السيرافي ١٣/ب ، وفرحة الأديب ٥/ب ، وشرح الأعلام ١٢/١

٢٥ - فدعاهما (طويل) ٩٢/١

- أورده سيويه والأعلام لدُرَتَي بنت عجة من بني قيس بن ثعلبة .
- والبيت لدُرَتَي بنت سيار بن صبرة بن حطان بن سيار بن
عمرو بن ربيعة في : شرح ابن السيرافي ٢٦/أ ، وفرحة
الأديب ١١/ب في تسعة أبيات قالها الشاعرة في رثاء أخوها .

٢٦ - ياما (وافر) ٤٥/٢

- أورده سيويه والأعلام للراعي .

- والبيت لجرير في : شرح ديوانه « الصاوي - القاهرة » ص ٥٠٦
من قصيدة . وكذا في شرح ابن السيرافي ٩٥/أ ، وشرح
الكوفي ٢٦٢/أ .

٢٧ - يافاطما (رجز) ٣٣١/١

- أورده سيويه لهذبة بن الحشرم .

— والبيت لزيادة بن زيد العنري في : أسماء المقتالين ٢٥٦/٧ ،
وشرح ابن السيرافي ٤٩/ب ، وشرح الأعلام ٣٣١/١ ، وهو عند
الآخر زائدة بن زيد ، وصوابه كما أسلفت .

٢٨ - ودونا (وافر) ٤٧/٢

— أورده سيويه والأعلام للناطقة الجعدي .

— والبيت لابن أحر في : شرح ابن السيرافي ٩١/ب ، وشرح
الكوفي ٢٥٨/ب .

٢٩ - علينا (رجز) ١٥٠/٢

— أورده سيويه لكعب بن مالك . وليس في ديوانه .

— والبيت لعبد الله بن رواحة الأنصاري في : شرح ابن السيرافي

٩٨/أ ، وشرح الأعلام ١٥٠/٢ ، وشرح شواهد المغني

للسيوطي ص ٢٨٧

٣٠ - ألقاها (كامل) ٥٠/١

— أورده سيويه لابن مروان النحوي .

— والبيت للمتلمس الضبعي في ديوانه «تع. الصيرفي» ٤٣/١ ص ٣٢٧ .

وكذا في : شرح شواهد المغني للسيوطي ش ١٧٨ ص ٣٧٠ ،

كما أشار إلى هذه النسبة كل من العيني على هامش الخزانة ١٣٤/٤

والخزانة ٤٤٧/١

هذا ما وصلت إليه حتى الآن ، عسى الله أن ينفع به .

التعريف والنقد

فصول في المجتمع والنفس

تأليف الدكتور عبد الكريم الياقي . دمشق ١٣٩٤ - ١٩٧٤

٣٩١ صفحة « لاذكر للطبعة »

الأستاذ شفيق جبوري

ليس من السهل الاتيان على محتويات هذا الكتاب الجليل ، كما أنه ليس من الانصاف أن تقتصر على الاشارة إلى سعة اطلاع مؤلفه الدكتور عبد الكريم الياقي وإلى امتداد معارفه وانبساط آفاقه في أمور غير قليلة من العلم ، فقد كتب له نصيب كبير من مختلف العلوم ، قديمها وحديثها وأضاف إلى ثقافة المتقدمين ثقافة المحدثين ، مع كثير من التواضع ، فما سمعته في مجلس من مجالسنا يفخر بعلمه أو يتعاضد بعرفته .

وإذا أردنا أن نعرف ولو معرفة يسيرة ما يشتمل عليه كتاب : فصول في المجتمع والنفس ، فحسبنا أن نرجع إلى عناوين فصوله الخمسة : وهي الفصل الأول مبادئ في علم السكان ، والفصل الثاني ملامح من التحليل النفسي ، والفصل الثالث المسح الاجتماعي والعينات وبحوث نفسية اجتماعية ، والفصل الرابع النوم والتنويم والأحلام ، والفصل الخامس الطب والمجتمع ، وختمت هذه الفصول كلها بمعجم المصطلحات .

هذه فصول لا سبيل إلى تلخيصها فلا بد من الرجوع إلى جملتها وتفصيلها حتى نملأ أذهاننا من فوائدها الغزيرة ، فهي تدل على الأطوار التي دخل فيها العلم عصرنا هذا ، ولا سيما علم المجتمع والنفس ، كما أنها تدل على

امتزاج روح المؤلف بهذه الأطوار المختلفة ، وبدقة فهمه لأسرارها وخصائصها والظاهر أن المؤلف قد فطن إلى سعة فصول كتابه ، فأحب أن يلخصها في آخر كتابه ، على أنها كما قال في بدء التلخيص هي نفسها موجزة ، فذكر في الخاتمة خلاصة الفصول ، حتى إذا فرغ القارئ من قراءة كتابه النفيس حبس ذهنه على هذه الخاتمة فاستوعبها فأحيت في ذهنه ما مر به هذا الذهن في الكتاب .

حسبنا في آخر هذه الكلمة الموجزة أن نشير إلى مقدمة الكتاب التي ذكر فيها المؤلف ابن سينا ، ومرض العشق ، وماضي الطب ، والعصر الحديث ، والنظرية التحليلية ، والنظرة الشاملة التركيبية والتحليل النفسي ، وتقدم الطب ، وفلسفة الصيغ ، وتقدم علم الأعصاب ، وكشف الغدد الصم والفلسفة ، والنظرة التركيبية ، وتنظيم المجتمع ، والمرضى مشكلة اجتماعية ومهمة الطبيب ، والتطور الراهن ، وخطة الكتاب .

إني لم أذكر هذه الأمور عبثاً ، وإنما توخيت من ذكرها الإشارة إلى جلالة الموضوعات التي خاض فيها الدكتور عبد الكريم اليافي ، كما اني توخيت الإشارة إلى سعة اطلاعه على نحو ما ذكرت من قبل ، ولم يقتصر هذا الاطلاع على ما وصل إليه علم المجتمع والنفس في عصرنا هذا ، وإنما امتد إلى عصورنا القديمة ، فاستشهد بما كان يمر به في مطالعته من آراء المتقدمين كابن سينا وغيره .

فليهنأ الدكتور عبد الكريم اليافي مجده وانصرافه إلى العلم ، وبتواضعه في هذا الجد وهذا الانصراف .

وهل علي من حرج إن أثبت في خاتمة هذه الكلمة أربعة أبيات صدر بها المؤلف كتابه وهي :

يلخص سفريَ هذا بحثاً ويثبت في العلم بعض السير
وأحلى اللقاء لقاء العقول خلال تأملها والنظر
جنيت ثمار المعارف شتى ففي كل فصل جني الثمر
ويسعدني أن أرى رافين بني موطني بل جميع البشر
إنها أبيات تدل على عقل المؤلف الراجح ، ونفسه الكريمة ، ونزغته الانسانية .

الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار

تأليف الدكتور جودة الركابي . دمشق ١٣٩٤ - ١٩٧٤
صدر عن دار الفكر في ٣٥٠ صفحة « مطبعة زيد بن ثابت »

الأستاذ شفيق جبري

بواظب الدكتور جودة الركابي الأستاذ في جامعة دمشق على نشر
كتبه في اللغة والأدب ، فبعد أن نشر كتابه : طرق تدريس اللغة
العربية ، الذي ظهر في الوقت المناسب لظهوره على نحو ما أشرت إليه في
عدد من أعداد مجلتنا ، نشر كتابه : الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار .
موضوع الأدب في يومنا هذا من الموضوعات التي يجب علينا الاهتمام
بها ، فقد وصل بعض أدبنا إلى حال لا ندري كيف نصفها ، فما يضمننا
مجلس من مجالس الأدباء المحافظين إلا ميمنا استهجاناً لبعض شعر هذا العصر
ولبعض التراكيب وللخروج باللغة عن جورها وللبعض جمل لا هي عربية
ولا هي أعجمية ، ولنا ندري عواقب هذه الأمور ولا عواقب أدبنا إذا
طالت هذه الحال .

حسبنا الاقتصار على هذه الإشارة للانتقال إلى كتاب الدكتور جودة
الركابي ، وهو جملة من المحاضرات ألقاها على الطلاب توخى فيها ، على نحو
ما قال في مقدمته ، أن تكون مدخلا على أدب عصور الانحدار وأدب عصر
النهضة أكثر من أن تكون دراسة مفصلة شاملة لهذين الأدبين ، وذكر أن

هذه المحاضرات لا تزال تحتاج إلى التفصيل والتدقيق ، ولكنها على كل حال تلقي بعض الضياء على عصر هذين الأديين ، الذي تحيط به بعض الظلمات . تمتد العصور التي وقف المؤلف عند آثار طائفة من شعرائها وأدبائها من مطلع القرن السادس الهجري حتى استيلاء نابليون على مصر ١٢١٣ هـ وذكر الدول المتتابعة الثلاث التي ظهرت في الشام ومصر وهي : دولة الزنكيين ودولة الأيوبيين ودولة المماليك ثم جاء العصر العثماني ، ولم يقتصر المؤلف على العصرين المملوكي والعثماني وإنما تعرض لبعض مظاهر الأدب في العصر الزنكي والعصر الأيوبي ، لأن الأدب في رأي المؤلف قد حافظ على رونقه في هذين العصرين وتماسك بعض الشيء في العصر المملوكي ثم انحدراً واضحاً في العصر العثماني ، إلى أن ازدهر في عصر النهضة الحديثة .

أما فصول الكتاب فهذه هي :

القسم الأول : أدب عصور الانحدار - ما قبل الانحدار - الزنكيون والشعراء في أيامهم - الأيوبيون والشعراء في عصرهم - عصور الانحطاط أو الانحدار - الحياة الاجتماعية والدينية والفكرية - حال الأدب في عصور الانحدار - بعض مشاهير الشعراء والكتاب في العصرين المملوكي والعثماني .

القسم الثاني : أدب عصر النهضة الحديثة ومختلف العوامل في هذه النهضة ومختلف تيارات الأدب الحديث والحياة الأدبية ونزعاتها المتباينة في الشام ومصر .

من هذه الفصول كلها ومن أقسامها يتبين لنا الأفق المديد الذي جال فيه المؤلف ، فلا يقع نظر القارئ على هذه الفصول وهذه الأقسام إلا أحاط بما بلغ إليه الأدب في تلك العصور ، وليس من الضروري أن يطيل المؤلف الكلام عليها ، فحسبه أن يهدي القارئ سواء السبيل ، حتى يدرك خصائص ذلك الأدب ، أما الإطالة في مثل هذا الموضوع فهي تحتاج إلى أكثر من كتاب .

ومن محاسن كتاب الدكتور جودة الركابي أنه بعد الفراغ من ذكر بعض القصائد يعتمد للكلام على هذه القصائد ، فيشير ولو إشارة خفيفة إلى بعض معانيها وإلى أسلوبها وصورها وإلى الموسيقى في ألفاظها وغير ذلك بما يعين على ذوق حسن القصيدة ، ويدرب على التعمق في هذا الحسن .

ولست أريد أن أختم هذه الكلمة دون أن أذكر اهتمام المؤلف بدراسة النصوص ، فقد عقد في مقدمة كتابه فصلاً مهماً : دراسة النصوص الأدبية أشار فيه إلى الأمور التي تفتقر إليها هذه الدراسة ، مما يدل على حسن تقديره لهذه الدراسة وسمو فهمه لمنافعها ، فلا يحفظ الطالب شيئاً من الشعر والنثر لمجرد الحفظ ، وإنما يدرك حسن ما يحفظ ويفطن إلى خصائصه .

كل ما ذكرت يدل على أن الدكتور جودة الركابي أستاذ يشعر بعظم أستاذيته ، ويعطيها ما تستحق من العناية ويقوم بها أفضل قيام .

شعراء من أمريكا الجنوبية

الأستاذ سعد صائب . من منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٣٩٤ - ١٩٧٤
سلسلة الكتب المترجمة ١٧ « دار الحرية للطباعة ببغداد »

الأستاذ شفيق جبوري

لقد اختار الأستاذ المؤلف طائفة من كبار شعراء أميركا الجنوبية ، وعذج من ثمرات قرائحهم ، وغايته في ذلك على نحو ما قال في مقدمة كتابه أن يتاح للقارئ العربي فرصة الاطلاع على جوانب من أدب أجنبي كانت خافية عليه وأن يفسح للأديب العربي في مجال الاحتكاك بهذا الأدب .. إلى آخر ما بسطه في هذا المعنى .

ليس في الإمكان في هذه الكلمة الوجيزة الكلام على الشعراء الذين اختارهم المؤلف ، ففي تراجمهم المختصرة ما يعرف القارئ بهؤلاء الشعراء ،

وقد يبلغ عددهم أربعين شاعراً أو أكثر ، وكذلك ليس في الإمكان الاستشهاد ببعض نماذج من شعرهم ، فلأمندوحة للقارئ عن تقليد النظر في هذه النماذج والتدقيق فيها وسيقف بعد هذا التقيب وهذا التدقيق على صور من الشعر تختلف بعض الشيء عن الصور التي يجدها في أدبه ، وليس هذا الأمر بغريب ، فإن لكل أمة أدباً خاضعاً لمزاجها وتاريخها وبيئتها وغير ذلك من العوامل ، فالصور الشعرية التي تستفيض في شعر أهل البدو تختلف عن الصور التي تستفيض في شعر أهل الحضرة ولكن اختلاف أدب الأمم بحسب مزاجها أو تاريخها أو بيئتها لا يمنع عن تمازج ثقافات هذه الأمم . فالرومان أخذوا عن اليونانيين ، والأدب الفرنسي انبثق نوره من أفق الأدب اللاتيني ، والشاعر الانكليزي «تومسن» أثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسا ، وشاعرا الانكليز شكسبير وبارون أثرا في الأدب الفرنسي ، وأدبنا نفسه دخله شيء من حكمة الهند وفلسفة اليونانيين وأدب الفرس .

ما ينبغي للأدب أن يثبت على أساليب محددة ، وما ينبغي له أن يتملص من عوامل الحضارات والثقافات ، ففي كل يوم مذاهب تولد ومذاهب تموت وألفاظ تدفن وألفاظ تبعث وأساليب تعيش وأساليب تنقرض .

إلا أن المهم في هذا كله أن لا تخرج اللغة عن جوهرها وروحها في تمازج الثقافات ، المهم في هذا كله أن لا تصبح غريبة عن هذا الجوهر وهذه الروح . والخلاصة أن الأستاذ سعد صائب باختياره نماذج من شعر أميركا الجنوبية قد أضاف إلى أدبنا شيئاً جديداً ولقد أصاب الأستاذ أحمد سليمان الأحمد لما قال في تقديمه كتاب المؤلف :

« إن وترأ جديداً في قيامة الشعر يغني لنا الآن من خلال ترجمة
الاديب الاستاذ سعد صائب لهذه المجموعة الفاتكة من الشعر ، .

فما على شعرائنا إلا أن تجول خواطرم في هذه المجموعة ليفرغوا ما
استحسنوا منها في شعرم بأسلوب عربي لا عجمة فيه ، فحينئذ تم الفائدة
التي توخاها الاستاذ سعد صائب في كتابه « شعراء من أمريكا الجنوبية » .

شفيق جبري

فلسطين الشائرة

مسرحة شعرية من أربعة فصول لعدنان مردم بك
من منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٤

الدكتور جميل صليبا

لعدنان مردم بك مسرحيات شعرية كثيرة أغنى بها الأدب العربي الحديث ، منها مسرحية غادة أفاميا (بيروت ١٩٦٧) ، ومسرحية العباسة (بيروت ١٩٦٨) ومسرحية الملكة زنوبيا (بيروت ١٩٦٩) ، ومسرحية الحلاج (بيروت ١٩٧١) ومسرحية رابعة العدوية (بيروت ١٩٧٢) ، ومسرحية مصرع غرناطة (بيروت ١٩٧٣) .

ففي هذه المسرحيات التي تتشابه بيناتها الفنية ، وعملها المسرحي ، يتناول الشاعر موضوعات قومية ، وسياسية ، واجتماعية ، وإنسانية مختلفة ، يقتبسها من التاريخ القديم ليعبر بها عما في نفسه من الأفكار والأحاسيس المتولدة من الحياة الحاضرة . إنه يبدأ موضوعه بتصوّر فكرة مجردة ، ثم يبحث عن حادثة تاريخية معينة تصلح لتصوير هذه الفكرة تصويراً مشخّصاً . ففكرة نضال الشعب في سبيل حريته واستقلاله أوحّت إليه بمسرحية أفاميا ، وفكرة الصراع السيامي والتنافس على الحكم أوحّت إليه بمسرحية العباسة ، وفكرة الفداء أوحّت إليه بمسرحية الملكة زنوبيا ، وهكذا دواليك .

ولكن مسرحية فلسطين الشائرة التي أنحفنا بها في هذا العام تمتاز على غيرها من المسرحيات التاريخية السابقة بموضوعها المستمد من التاريخ المعاصر ، أي من حياة شعب ناضل كثيراً ، وجاهد طويلاً ، وما زال يناضل ويجاهد حتي الآن في سبيل استقلاله وحريته ، فموضوع هذه المسرحية إذن موضوع

واقعيّ حيّ ، أو قل إذا شئت موضوع سياسي خصب ، يعبر عن مأساة فلسطين أحسن تعبير .

قال الشاعر في مقدمة مسرحيته : « حاولت في مسرحيتي هذه أن أصف الواقع الأليم بمأساة فلسطين ، تلك البلاد التي تأمر عليها رجال السياسة البريطانيون الذين اتفقوا مع اليهود على إقامة دولة إسرائيل وتعاهدوا في الوقت نفسه مع الشريف حسين على إقامة إمبراطورية عربية حدودها من المحيط إلى الخليج » ، ص ١١ . وقال : « أثبت في مسرحيتي على وصف النواحي التاريخية المؤلمة ، وأشارت إلى الغفلة التي رانت على نفوس أكثر الحكّام في البلاد العربية ... وحاولت أن أصف النضال الفلسطيني مكثراً في شعب الشجاعة ، وأن أسطّر شيئاً عن ثورته ، واكتفيت بوقعة القسطل لأن الوقائع التي جرت كثيرة ، وكل وقعة تستحق بمفردها مسرحية خاصة » ، ص ١٢ .

وفي هذا القول إشارة واضحة إلى أن الشاعر لم يصور مأساة فلسطين تصويراً كاملاً ، لأن مأساة فلسطين أكبر من أن تحيط بها مسرحية واحدة ، إن وقائعها كثيرة ، وهي لكثرتها توقع الشاعر في الحيرة والتردد ، فلا يبدى من أين يبدأ ، ولا إلى أين ينتهي .

من أين أبدأ والحكاية شرحها شرح يطول ، ومع ذلك فإن الإحاطة بالجزء كثيراً ما تؤدي إلى معرفة الكل ، لما بينها من النواحي المشتركة ، وفي بناء هذه المسرحية ، وفي حركات شخصها ، وفي ألفاظها الدقيقة الموحية ما يعين على ذلك .

تشتمل مسرحية فلسطين الثائرة على أربعة فصول :

ففي الفصل الأول منها وصف للجنود البريطانيين المكلفين حفظ الأمن في مدينة القدس ، ووصف للعرب المظاهرين الذين تجمعوا في الشوارع

وأخذوا يقذفون الجنود بالحجارة . لقد أصبحت مدينة القدس ساحة قتال فالحوانيت مغلقة ، والطلقات النارية تدوي في الفضاء ، والمتظاهرون يعرفون أنفسهم للنار ، فيسقط منهم بعض القتلى ، ويشاهدون الدم المسفوح على الأرض فيزيد شغبهم وتعلو صيحاتهم ، ثم يجتمع زعماءهم للنظر فيما يجب اتخاذه من التدابير للمناوشات القادمة .

وفي الفصل الثاني وصف لزعماء المنظمات اليهودية الإرهابية الذين اجتمعوا في الملاجئ السرية للبحث عن طريقة يقضون بها على روح النضال العربية ، فبعضهم يخشى بأس العرب ، وبعضهم يسخر منهم ومن رؤسائهم وملوكهم ، وبعضهم يفخر بقتل الأبرياء «وكم بريء قتلنا - في فحمة الظلماء» ، وبعضهم يقف موقفاً وسطاً بين الجبن والنور ، ثم يلي هذا المشهد مشهد ثان يبين عن موقف الجنود البريطانيين إزاء هذه الحوادث . إنهم يتحدثون عما يشاهدون برارة وإطراق وتفجّع ، حتى إذا أصابت صدر أحدهم رصاصة طائشة هرع أحد الجنود إلى القوم طلباً للنجدة فلا يجد في طريقه إلا قتي عريباً ذا مروءة وإباء يتقدم من الجندي الجريح ، ويمسك به برفق ويحمله إلى إحدى المستشفيات وهو يقول

أنا من بني العرب الكرام م الذائقين عن المحارم
لا أستكين على أذى ذلاً ولا أغضي لظالم
وان استجار بي العدو بسطت كفاً غير نادم

وفي الفصل الثالث وصف لمجلس ضمّ « أم موسى » زوجة المجاهد « عبد القادر الحسيني » وقرينتها « أم بسام » تتحدثان عن المأساة الفلسطينية بألم ومرارة وخوف ، حتى إذا ارتفعت أصوات الطلقات النارية دخل عليهما غازي ابن أم موسى مضمد الذراع ، فتتظر إليه أمه بحزن يمازجه الزهو والفخر والإعجاب ، ثم تجبش بالبكاء عند سماع أصوات الشبان

وأصوات طلقات النار . وبلي ذلك وصف لاجتماع المجاهد عبد القادر الحسيني برفاقه المجاهدين في غرفة أرضية من داره بمدينة القدس ، اجتمعوا هنالك للتحديث عن خططهم وعن معركة القسطل التي اتفقوا على خوض غمراتها لأخذ النار من أعدائهم .

وفي الفصل الرابع حوار بين المجاهد عبد القادر الحسيني وزوجته أم موسى ، فقد جاءت الزوجة لتخبر زوجها أن ولدهما الصغير غازي يريد وداع أبيه ، فقال لها زوجها إنه يريد أن يتجنب هذا الموقف ، ولكنه انتقاد بعد ذلك إلى رغبة زوجته ، فدخل غرفة الأولاد وودعهم ، وأمرهم لا تكف عن البكاء والتوجع ، إلا أنها ما لبثت أن ملكت أعصابها . وودعت زوجها بشجاعة وهي تقول في نفسها :

« لا لن أثبط همة الزئ » ووج المفدسى بالعويل ، .

ثم ترى بعد ذلك على مشارف قرية القسطل شيخاً ورجلين يتحدثون عن المعركة ، فتسمع عن بعد بعض الأهازيج الحماسية ، ثم ترى عبد القادر وإخوانه على بعد أمتار من قرية القسطل يتقدمون وهم يزوجون ويهتفون بإيمان وعزم وشجاعة ، ثم تلهب نار المعركة ويشند أوارها ، ويتقدم المجاهدون إلى القسطل بعد لعلعة النيران واندلاع الحرائق ، وأهازيج النصر :

عبد القادر* ملء* الحاطر*
أعطى وجزى* كحياً غامر*

* * *

بالروح والمال* نفديك يا غالي*
ليك قد جئنا* نعدو كرتبال*

فأنت ترى أن موضوع مسرحية فلسطين الشائرة بصوت كفاح شعب ثار على الاحتلال الأجنبي ، وتحديث كل ما صاحب هذا الاحتلال من قتل

وإذلال . فما من عاطفة قومية يفرض وجودها في نفوس الثائرين إلا
مازجت قلب الشاعر ، وما من فكرة وطنية تلهج بها نفوس الناس إلا
خامرت عقله .

مثال ذلك نقد الدول الغربية لإعراضها عن العرب ونصرتها لليهود :

الغرب كثر دوننا عن ثابه ومضى يصول
نصر اليهود على الهوى شططاً وأعماه الدهول

ومثال ذلك نقد الشرق لغفلته وفساد حكمه ، وتنافس رجاله على الزعامة
في عمالة وهوى :

أمثال الزعامة فهي مه زلة بشرقنا طويله
ملككت على العرب السبي ل ولم تزل تعمي سبيله

فواقع الأمر يدعو إذن إلى التنازح :

واقع الأمر مظلم كان أدهى من العمى
ليس للعرب حيلة في قليل ولا غنى
نقطهم ليس ملكهم إنه الصيد للعدى
نقطهم كانت دونهم ظلمات من الدجى
سال تبرأ لغيرهم حيثاباً أو همما

ولكن الشاعر لا يأس من الشعب العربي وإن يش من حكمه :

أنا لست أياس من دمش ق وأهلها كانوا الشبول
لكن حكائم الشام م هم الألى ضلثوا السبلا

فلو استطاع أهل الشام أن يحصلوا على السلاح والمال لما مجلوا بها على
إخوانهم الفلسطينيين ، كيف لا وأهل الشام يطلقون على فلسطين اسم سورية

الجنوبية ، ويتوقون إلى الوحدة ، ويعدون الشعب السوري قسماً من الشعب العربي . دع أن أول عمل فكر فيه عبد القادر الحسيني هو الذهاب إلى دمشق لدعوة أهلها إلى الاشتراك الفعلي في ثورة فلسطين . فالشام عنده نهاية المطاف وقبلة المجد . أما البلاد العربية الأخرى فإنها وإن رثت لحال الفلسطينيين فإن حزنهم عليها لا يجاوز طور الالتعال ولا يتقلب إلى فعل :

إخواننا ما دهم	والنار تقدح جمرأ
ألم يروا ما ذهانا	والأمر لم يبق سرأ
لهم عتاد ونقط	يجري فيقذف تبرأ
وملكهم في اتساع	كملك « قيصر » قدرا

إن في هذه المسرحية صراعاً بين قوتين : قوة الخير ، وقوة الشر ، فقوة الخير يمثلها المجاهدون الفلسطينيون ، وقوة الشر يمثلها زعماء المنظمات اليهودية . والشاعر يعتقد أن قوى الخير ستتغلب على قوى الشر ، إنه يقدر الحق والعدل ، وينفر من الجور والظلم ، ويدعو إلى الرحمة والعطف ، ويكره الاعتداء على حرية الإنسان وكرامته . وأعل أجمل مشاهد المسرحية مشهد المجاهدين على مشارف قرية القسطل ، فإذا قال أحد المجاهدين :

هذه القسطل باتت من خطانا قيد شبر

أجابه قائدهم عبد القادر :

إنا عرفنا دربة منذ البداية حين جئنا

وإذا قال أحد الرجال :

من ذا يطيق النار إن عصفت ولا يخشى اللظى

قال القائد :

إن الذي شهد اللظى في داره خاض اللظى

والحرّ دوت عرينه يردّ المنية عن رضا
وطن الفتى تاريخه الـ غالي وعراب الهدى
ثم يردد المجاهدون أهازيجهم قائلين :

عبد القادر ملء الحاطر
أعطى وجزى كحياً غامر
فالقائد بالنسبة إلى شعبه كالوالد بالنسبة إلى أطفاله :

لا تقجع اللهم أطفالاً بوالدم ولا شعباً بقائد

تلك هي مسرحية فلسطين الثائرة ، إنها من النوع الكلاسيكي الذي يتغلب فيه العقل على العاطفة ، والمثال على الواقع ، وأهم موقف عاطفي فيها موقف أم موسى إزاء طفلها الجريح وزوجها الشجاع ، إلا أن هذا الموقف العاطفي الذي تجلّى في ساعة الوداع لا يدلّ على صراع عنيف بين الحب والواجب كالصراع الذي نجده في بعض مسرحيات « كورنيل » ، إنه صراع فطر الحرارة ، توزن عاطفة كل شخص من شخصه بميزان المنفعة والنجاح لا بميزان القلب ، فما بالك إذا كانت المسرحية خالية من وصف مشكلات الحب ، أعني حب الرجل للمرأة . ولعل إهمال الشاعر لمشكلات الحب يرجع إلى موقفه العام إزاء المرأة ، فهو يزدريها لبعدها عن الكمال :

أتريد من أنثى الكمال لقد طلبت المستحيلا

وهذا ظلم المرأة التي شاركت في النضال القومي ، والنشاط الاجتماعي ، وكانت خير عون للرجل في ساعات فرجه وحزنه ، وأمله ويأسه ، وكم وددت لو أن الشاعر استطاع أن يضمن مسرحيته وصف مجاهد يعشق إحدى بنات قومه ، ويضحّي بحبه في سبيل واجباته . إن الكلام على عاطفة الأمومة أو الأبوة لا يكفي لمعرفة حقيقة المرأة ، ولا لإيضاح علاقتها بالرجل .

إن معظم شخوص فلسطين الثائرة رجال أسوياء يعرفون ما يريدون ويهيئون جميع الأسباب المؤدية إلى تحقيق آمالهم . وما قصر الشاعر مسرحيته على وصف الأسوياء إلا لأنه رجل مثالي يؤمن بالعفة والحكمة والشجاعة وغيرها من القيم التقليدية . ومن عادة المثاليين أن يسبحوا في عالم العقل ، وأن يزدروا ما في عالم الواقع من وحل ودم .

ذلك هو مركز الثقل في موضوع تاريخي أو سياسي كموضوع فلسطين الثائرة ، إن تعبيره عن أحلام الشاعر وأفكاره وعواطفه أصدق من تعبيره عن الحقائق التاريخية ، دع أن الحقائق التي تضمنتها هذه المسرحية لا تعد مصدراً من مصادر التاريخ ، لأنها حقائق مقنعة بالآراء السياسية والأفكار الذاتية ، و الفرق بين الحقائق التاريخية المقنعة والحقائق التاريخية الموضوعية ، الأولى تكتفي كما يقول « لانسون » بالمشابهات الخارجية ، والثانية تغوص على الجوهر للكشف عن أمرار الحياة .

ويسعدني أن أقول إن شعر عدنان مردم بك يذكرني بشعر والله خليل مردم بك ، ففنته كلاسيكي ، وألفاظه متخيرة ، ولغته رفيعة . أما حوار هذه المسرحية فهو ألفت من الحوار الذي نجده في مسرحيات بعض الشعراء المعاصرين . إنه حوار رشيق ، يصحبه شعور صادق ، ووصف دقيق ، وأسلوب شفاف ، وشعر لطيف ، جعل المؤلف بحوره من المجزوء ، لتجبيء خفيفة على السمع ، صالحة للسرد ، قريبة من الطبيعة ، هذا عدا تقيد الشاعر في عمله المسرحي بوحدة الموضوع ، وإن لم يتقيد بوحدة الزمان والمكان تقيداً تاماً .

ولست أريد أن أتكلم الآن على الهنات اللفظية التي تضمنتها هذه المسرحية ، فإن لذلك مجالاً غير هذا المجال ، ولكنني أريد أن أقول :

إن هذه الهنات لا تَزري بقيمة العمل الفني الذي أتحفنا به الشاعر ، فما بالك
إذا كانت قراءة مسرحية تولد في نفسك شعوراً قوياً بالإقدام ، وإيماناً
عميقاً بالنصر ، وميلاً شديداً إلى البذل والفداء ، فتودُّ لو أنك استطعت
أن تلي النداء كغيرك من المجاهدين .

ولئن فات بعض شعرائنا أن يلبّوا نداء الثورة الفلسطينية ، وأن
يقتحموا الرّدى في معارك المجد ، فإنه لم يفتهم إيقاظ الهمم وإثارة السبيل ،
والتغني بالبطولات كغيرهم من قادة الجماهير .

جميل صليبا

دلائل النظام

تأليف : المعلم عبد الحميد الفراهي

صدر عن الدائرة الحميدية : مكتبها ومطبعها ١٣٨٨ هـ
عدد صفحاته ١٢٨ « مدرسة الإصلاح » أعظم كره - الهند

الدكتور شكري فيصل

العالم والمعلم الجليل عبد الحميد الفراهي - رحمه الله - من أبرز وجوه الحركة العلمية والإصلاحية في شبه القارة الهندية ، وعلم من أعلام المسلمين هناك . والذين لا يعرفونه معرفة دقيقة في شرقنا العربي الإسلامي يعرفون - على الأقل - كتابه المشهور (إمعان في أقسام القرآن) الذي ألقى فيه أضواء جديدة حقاً على ظاهرة القسم في القرآن الكريم .

ولقد كتب المعلم - كما يجب تلامذته والناهلون من فضله أن يلقبوه - عديداً من الكتب ، وطبع عدداً من الأبحاث في موضوعات من موضوعات القرآن الكريم ، ودراة ظواهره ، أو الوقوف عند بعض القضايا التي أثرت من حوله .. فهناك كتابه (فاتحة نظام القرآن) ، وكتابته الآخر (مفردات القرآن) ، وتفسيره (سورة الفيل) ، وتفسيره (سورة الهم) ، وكتابته (الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح) .

ويبدو أن المعلم الفراهي كان يدخر كثيراً من الدراسات القرآنية : ينوي بعضها ويأشر بعضها الآخر ، ويوشك أن يتمي من بعض تلك قبل أن يختاره الله لجواره . فلما انتقل بقيت هذه الثروة من الملاحظات والأبحاث ، أو بدايات الأبحاث ، تترب من ينظر فيها أو يخرج للناس ما يمكن إخراجها منها .

من هذه الدراسات التي كان المعلم الفراهي يُعدها هذه الدراسة التي طبعتها « الدائرة الحميدية » باسم (دلائل النظام) .

والواضح أن (دلائل النظام) لم يكتمل صناعة وتأليفاً .. إنه كما يقول الأستاذ بدر الدين الإصلاحي - « مدير الدائرة الحميدية وأحد تلاميذ المعلم الكبير » في مقدمته التي كتبها له : « مجموعة من أفكار الإمام التي أعدها لهذا الكتاب لم يتيسر له أن يرتبها ماعدا الفصول العشرة الأولى في أوله ، وهي تشغل الصفحات ٩ - ٣٢ ، أما ماعدا ذلك فهو مما كان مبثوثاً في مخطوطاته ، جمعته ورتبته حسب ملاحظته مناسباً ، فإن أصبت فيه فتوفيق ربي ، وإن أخطأت فمن نفسي ، والأستاذ الإمام - رحمه الله - بريء منه ، (من المقدمة ص ٦) .

وكذلك نواجه قصة من قصص التأليف التي يغادر أصحابها الدنيا قبل أن يستطيعوا إنجازها ... إنها قصة ذات وجهين : وجهها الأخلاقي ، ووجهها العلمي .

أما وجهها الأخلاقي فذلك الذي يتبدى في صنيع الأستاذ بدر الدين الإصلاحي .. فالأستاذ بدر الدين كان تلميذ المغفور له « اختر أحسن الإصلاحي » ، والأستاذ اختر كان تلميذ رشيداً - على حد وصف الأستاذ بدر الدين - للإمام الفراهي وأميناً لمخطوطاته . وقد أوصى الأستاذ اختر تلميذه بدر الدين في العام الذي توفي فيه قبل أن يعمل على طبع مخطوطات الفراهي ، بعد أن مضى عليها ما يزيد عن ربع قرن دون أن يطبع منها إلا التزوير اليسير .

من هذه الوصاة انطلق الأستاذ بدر الدين يعمل في جمع هذه الأفكار القرآنية وفي إلحاق بعضها ببعض .. فكان بذلك مثلاً للوفاء الذي تفرضه تقاليد الحياة العلمية الإسلامية على التلاميذ تجاه أساتذتهم ، وعلى المريدين

تجاه شيوخهم .. وكان جهده في ذلك هذا الجهد الذي يخاف ثقل المهمة ، ولكن الوفاء يجعل وصية الشيخ دائماً بين عيني تليده .

ويظهر أن الأستاذ بدر الدين عانى من ذلك بعض المعاناة القاسية ، إذ يقول في المقدمة : « فخشيت هذا الأمر العظيم ورأيت مراراً أن أطويه على غرة ، ولكن لم تزل وصيته رحمه الله تضطرنني إليه ، فراجعت فضيلة الأستاذ الجليل « أمين أحسن الإصلاحي » مستشيراً في ذلك وهو ثاني اثنين يتأدبان بآداب الإمام الفراهي بمدرسة الإصلاح ، وهو المرجع الوحيد بهذا العصر لأفكار الأستاذ الإمام وعلومه القرآنية ، فشجعتني على الوفاء بما عهد إلي شيخنا المغفور له ، ووعدني بكل إعانة أحتاج إليها ، فأرضيت بعد ذلك نفسي بهذا العمل العظيم ، مستعيذاً بالله من ظلمات النفس وغوايات الجهل ، .

هذا عن الوجه الأخلاقي لقصة هذا الكتاب .. أما الوجه العلمي فالذي يبدو أن الأستاذ بدر الدين رجع إلى مخطوطات الفراهي وأوراقه التي كان يكتبها ، وبطاقاته التي كان يمدتها ، فجمع منها ما يتصل بفكرة الكتاب : (نظام القرآن) ، ورتبها حسب الذي رآه مناسباً من ترتيبها .

ولعل الأستاذ الإصلاحي أحس أنه لا يقدم كتاباً على النحو الذي كان يعيش في ذهن صاحبه ، وأنه إنما يقدم مشروع ، كتاب بعضه من إعداد صاحبه ، وبعضه بما قدر أنه أقرب ما يكون خدمة لفكرة الكتاب وتحقيقاً لهدفه .. ومن هنا كان جدُّ أمين في إطلاق اسم (مجموع) على هذا الكتاب ، وملاحظة أن هذه الفقرات أو الصفحات التي اقتبسها من مخطوطات الشيخ إنما هي الأفكار الأولى التي كانت تتولد في ذهنه ، والتي كانت ستؤلف عنده مادة الكتاب إذ يعيد النظر فيها ، وإنه لا بد لها - لهذا كله - من أن يكون فيها شيء من الإجمال والإبهام . وفي ذلك يقول الأستاذ

بدر الدين في المقدمة : « واذ لم يكن أكثر هذا المجموع الا كإشارات التي يختزنها المصنفون لمصنفاتهم من غير تفصيل ، فلا غرو إن كان فيه شيء من الإجمال والإيهام ، فذلك ينبغي لمن درس هذا الكتاب أن لا يمر به كالريح العاصف أو البرق الخاطف ، بل يقف على كل سطر منه ويتهكر فيه عسى أن يجد فصلاً مستقلاً ، » .

ويظهر أن الأستاذ بدر الدين الإصلاحي هم أن يعيد النظر في هذه الأفكار التي جمعها ونسقها على هذا النحو ، ولكنه أثر ألا يمزج أفكاراً بأفكار وأسلوباً بأسلوب ، ولذلك ترك ما كان المعلم قد كتبه على حاله دون تغيير أو تبديل (المقدمة ص ٦) .

موضوع الكتاب « معرفة نظم القرآن في معاني الآيات والسور ، (ص ١٢) .

ومن المعروف أن العلماء قد انصرفوا إلى أشياء من ذلك قبل فصفوا في تناسب الآي والسور « ص ٧٤ » وأقام الجرجاني « عبد القاهر ... - ٥٤٧١ هـ » نظريته في إعجاز القرآن الكريم على أن هذا لإعجاز يتمثل في النظم وذلك عمله في كتابه (دلائل الإعجاز) .

ولكن الشيخ الفراهي يريد أن يجاوز ذلك ليجعل من الحديث عن النظام في القرآن علماً يسبق هو إليه : « وأما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه ، ص ٧٤ » .

ولقد اضطره ذلك إلى أن يفرق بين ما هو معروف من تصانيف حول تناسب الآي والسور (البقاعي في كتابه الذي لم يطبع : نظم الدرر في تناسب الآي والسور) وبين ما يريد أن يذهب إليه من التفريق بين الكلام في التناسب وبين الكلام في نظام القرآن .

وخلاصة ذلك عنده أن التناسب إنما هو جزء من النظام ، وأن النظام

يقتضي التناسب فهو أعم ، ولكن التناسب لا يكفي في الكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه . وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة فرما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً ، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها ، فإن الآية في الغالب ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها ٠٠ ص ٧٤

وإذن فالنظام الذي ينشده الأستاذ الفراهي ويتحدث عنه هو شيء يزيد على المناسبة وعلى ترتيب الأجزاء .. إنه يريد أن يرى القرآن كلاماً واحداً ، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر ، ص ٧٥ .

وقد أوضح ذلك على نحو آخر في الفصول العشرة الأولى التي كان رتبها فقال : « بيان النظام الكلي بحيث يعلم أن القرآن كله ، كما أنه مرتب الآيات فكذلك منظم السور ، فإن قدمت وأخرت ذهب طرف من الحكمة كما لو بدل ترتيب الآيات .. ص ١٢ » .

وكذلك نرى أن الفراهي أراد أن يجاوز في موضوع النظام في القرآن كل ما كان قبله في هذا الاتجاه :

أ - أراد أن يجاوز أن يكون النظام بلاغة .. « فالنظام فن مستقل عن البلاغة ، بل هو الذروة العليا منها ص ١١ » ، وعنده أننا نستدل بالقرآن على البلاغة ، ولا نستدل بالبلاغة على القرآن : « لم نطلع على حقيقة البلاغة ونهجهما لولا كشف القرآن القناع عن وجهها كما قد أوضحناه في كتاب جمهرة البلاغة ص ١١ » .

ب - أراد أن يجاوز أن يكون النظام الذي يريده هو التناسب الذي سبق إليه العلماء ، كما قدمنا .

ج - أراد أن يجاوز - فيما أقدر - نظرية الجرجاني في النظم ، وإن كان

لم يخض في ذلك ولم يشر إليه .. فلعله رأى أن غاية الجرجاني تفسير نظرية الإعجاز ، بينما كانت غايته هو فهم القرآن فيها مستقياً يجتمع المسلمون جميعاً عليه .. تلك غاية فنية وهذه غاية لا تقتصر على الجانب الفني وحده ولا تفسر الإعجاز ، وإنما تجمع بين ذلك وبين فهم القرآن على نحو جديد .

ماذا يعني النظم إذن بدقة ؟ وما مدى ما كان من أثر الكتاب في ذلك ..

هذان هما السؤالان الرئيسيان اللذان يلحان على القارئ ، وهو يقرأ كل صفحة أو كل فقرة من الكتاب .

وعندي - أقولها متنبهاً - أن الفكرة لم تأخذ كل أبعادها في ذهن الإمام المعلم أو لنقل في هذا الكتاب .. لقد قطع عليه الموت ما كان يريد أن يصل إليه ، أو ما كان يريد أن يوضحه .

وعندي كذلك أن الكتاب في هذا كتاب إثارة .. إنه قادر على أن يلفت القارئ وأن يستوقفه .. بل هو قادر على أن يوحى إليه وأن يلهمه .. إنه يطرح عليه كثيراً من الملاحظ والآراء ، منها ما هو مشير ومنها ما هو منير ، ومنها ما يبعث على تجديد النظر أو تحديده أو الدلالة على زاوية من زواياه .. ولكنها ، هذه الملاحظات والآراء التي يطرحها ، لا تكفي ولا تأتي منسقة على النحو الذي يجمل كلام المؤلف في النظام نظرية كاملة تقود القارئ إلى ما كان المؤلف يريد أن يقوده إليه .

قد يكون من الظلم أن نقول هذا في كتاب لم ينته صاحبه من تأليفه ، أو لعله لم ينته من التفكير فيه .. كانت يروده على شكل ملاحظات وأنظار .. وما أصعب أن يناقش كتاب ، أو تناقش فكرة ، كانت لا تزال تتوالد ... كانت لا تزال في طريقها بعد إلى الوضوح والتكامل واستيفاء الحجج والأمثلة .

الشيء المؤكد الذي يبقى في قلب القارئ وفي عقله إذ ينتهي من مطالعة الكتاب إنما هو إيمان الفراهي بما كان يدعو إليه . ، فما من شك في اقتناعه به ، وما من شك في دفاعه عنه ، وما من شك كذلك في أنه نوع الطرق في إيضاحه ، وفرع الأساليب في اللفت إليه والإقناع به ، وبما يجعل لهذه القناعة مكانها أن الأستاذ الفراهي - رحمه الله - كان يذهب في ذلك إلى بعيد . وكان يرى أن معرفة هذا النظام ليست أمراً علمياً فحسب ، ولكنها قضية تتصل بحركة الإصلاح التي استبدت بكثير من علماء المشرق الهندي وأنها ليست نظرية في نظم القرآن فحسب ، ولكنها طريقة في قيادة العلماء لأنفسهم ، وفي قيادتهم للمسلمين قيادة موحدة .

وقد عبر الفراهي عن ذلك في الفقرة التي شغلت الصفحة العاشرة وعنوانها : النظام لمن ؟ وفي ذلك يقول : « إن معرفة النظام من الضروريات لعلماء هذه الأمة حتى يعلموا الناس حسب ما فهموا ، فانهم إن لم يفهموه واختلفوا فيه كيف يرشدون الناس ؟ .. »

وهو على اعترافه بكل ما بذله العلماء المسلمون في فهم القرآن يرى - في كثير من التجوز - أن هذا لا يكتمل ولا يتوحد إلا إذا عرف النظام « فإن فهم الكلام لا يكون بدون معرفة النظام ، وإنه هو السبيل الوحيد إلى فهمه . »

يبقى بعد هذا كله أن تظل آراء الكتاب موضوع مداورة . . . وأزعم أن نشر المؤلفات الأخرى للفراهي أمر يساعد على هذه المداورة وبخاصة الكتاب الذي يشير إليه باسم (كتاب الأساليب) انظر ص ٥٥ . والآخرة الذي يسميه على وجه الورقة الأولى : (تفسير نظام القرآن) .

ويبقى كذلك أن معرفة المؤلفات الأخرى التي نشرت للمؤلف أمر لا بد منه في محاولة إلقاء الأضواء على رأيه في (النظام) الذي يذهب إليه .

ولعل باحثاً أو دارساً - في نطاق الدراسات العليا أو بعيداً عنها - يفرغ لهذه المؤلفات ، حتى تكون آراء الفراهي أكثر وضوحاً ، وحتى نكون في المشرق العربي على صلة نيرة بها وإفادة منها .

تلك خطوتان متكاملتان : طبع بقية آثار المؤلف ، ودراسة ذلك دراسة تستطيع أن تجد الكل الذي كان يقصد إليه .

وذلك ما أرجو أن يتم ، وذلك مانقرضه قراءة الكتاب .

ولا بد ، قبل وبعد ، من تحية طيبة للأستاذ الجامع بدر الدين الإصلاحي على ما كان من جهده ووفائه ، وما كان من هذه الإفادات الكثيرة التي ذيل بها صفحات كثيرة من صفحات الكتاب ، بغية التوضيح والافادة .

والشكر للدائرة الحميدة التي طبعت الكتاب ، والأمل بمتابعة طبع الكتب الأخرى .

دمشق

شكري فيصل

كلمات وأحاديث

بقلم علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار

صدر عن المكتب الإسلامي - بيروت

١٤٨ صفحة « من القطع الصغير »

الدكتور شكوي فيصل

يقدم المكتب الإسلامي لهذا الكتاب ، بعد البسملة والحمدلة ، بقوله :
« أما بعد ، فهذه مجموعة من آراء أستاذنا العالم المصلح الشيخ محمد بهجة البيطار
حفظه الله ورعاه وبارك فيه ، تقدمها للأمة لشعورنا بالحاجة إليها ، وقد مضى
على إنشائها مدة تزيد على ثلاثين سنة . »

وتضم هذه المجموعة جملة من المحاضرات التي كتبها أو أرتجلها الأستاذ
الجليل ، وطائفة من المكاتبات الثرية والمساجلات الشعرية ، وعدداً من
الأحاديث الإذاعية ، ووقفات عند بعض ما كتبه المستشرقون عن الإسلام
وأثاروه حوله ، رد عليها وأبان الحكمة في موقف الإسلام منها ، وبخاصة
قضية المرأة ، وأشياء أخرى متفرقات .

ولعل الدفاع عن الإسلام وإيضاح ما خفي من مواقفه وأحكامه هو
الحيط الذي ينتظم هذه المحاضرات والأحاديث والكلمات جميعاً .

فالمحاضرة الأولى هي المحاضرة القيمة التي كان ألقاها في المجمع العلمي
العربي « مجمع اللغة العربية الآن » ، والتي طبعت من قبل ، طبعتها مكتب
النشر العربي ، تحت عنوان : الثقافتان الصفراء والبيضاء . . . عاليج فيها
الأستاذ البيطار مشكلة القديم والحديث ، والقدماء والمحدثين ، والسبيل إلى
إقامه هذا الجسر بينها .

والمحاضرة الثانية التي أرتجلها في مدرج جامعة دمشق كانت إيضاحاً للأخلاق في الاسلام .

والمحاضرة الثالثة تلخيص لخطاب أرتجله في حفلة أقيمتها جمعية التمدن الاسلامي في بهو المجمع العلمي .

أما الأحاديث بعد ذلك فقد تناولت فكرة السلام في الاسلام ، وصيام رمضان ، والحج الأكبر .

وأما الفتاوى فقد كان منها جوابه لسائل بتحريم بيع العنب ليتخذ خمراً ، وقد نشرت الفتوى في مجلة التمدن الاسلامي .

وفي المساجلات الشعرية نجد هذه المساجلات بينه وبين زميله المرحوم الأستاذ التنوخي . . ومساجلة أخرى بينه وبين صديقه شاعر الحجاز الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي ، ونحية تقدير للمرحوم المجاهد الكبير الشيخ الابراهيمي يرد فيها للشيخ الابراهيمي ما كان من تحيته له وحديثه عنه في مجلة « البصائر » الجزائرية .

وقد خص الصفحات الأخيرة بالرد على كتاب الأستاذ « ألفريد غيوم » فيما قاله عن الرق في كتابه (الاسلام) الذي ترجم إلى العربية (ترجمه الدكتور محمد مصطفى هدارة والدكتور شوقي الياني السكري ونشرت الطبعة الأولى في القاهرة ١٩٥٨) .

وذيل ذلك كله بأحاديث مركزة تناولت مواقف الاسلام من المرأة : (حرمة المرأة المسلمة - شهادة المرأة - نصيب المرأة في الاسلام) .

وواضح أن هذه الأحاديث والمحاضرات والكلمات كانت نشرت من قبل ، وأنها قد ضللت بما كتب الأستاذ اليطار أو نشر أو أذاع . . ولكن أصحاب المكتب الإسلامي اختاروا هذا الذي اختاروه ، وجمعوا هذا الذي

جمعوه على هذا النحو الذي أشار إليه الأستاذ البيطار نفسه ووصفه بقوله :
 « إنها تناولت جوانب مشرقة من الدعوة الإسلامية ، ففيها الخلق الكريم
 والصراط المستقيم ، وفيها تفسير لآيات من القرآن العظيم . وفيها إيضاح
 لبعض المسائل التي يتذرع بها أصحاب الأهواء والفساد ليطعنوا في الدين .. »
 والحق أن ما كان من نشر هذه الآثار من قبل لا يضر هذا العمل
 الجديد في شيء .. فالموضوعات التي طرقها الأستاذ البيطار ليست من
 الموضوعات التي تذهب بذهاب مناسباتها ، وإنما هي قضايا من قضايا الفكر
 التي يتجدد الوقوف عندها ، ولذلك فإنه يجب أن يتجدد التفكير فيها
 والنتية عليها .

فإذا ذكرنا أن الأستاذ البيطار ينزل منزلة طلائع العلماء
 الذين يعنون بالدفاع عن الاسلام دفاعاً هو أقرب إلى الموضوعية ، وأدنى
 إلى الحقائق الصرف - أدركنا مدى ما يمكن أن تؤديه إعادة طبع هذه
 الأبحاث ونشرها مجموعة على هذا النحو من أثر كبير في أذهان الناس وعقولهم .

ولا أدري إذا كان الأستاذ البيطار قد استشير في طبع هذه المجموعة
 من الأبحاث على هذا النحو .. وأقدر أنه وجد نفسه - حين قدم الكتاب -
 أمام عمل مجموع مطبوع فآثر أن يعرف به على هذا النحو الذي فعل ..
 على حين كنا نتمنى على المكتب الاسلامي لو جمع طائفة أخرى مختارة
 من أحاديث الأستاذ ومقالاته ، وصنفها نوع تصنيف ، يساعد على تعريف
 الأجيال الجديدة بالآراء المعروضة معرفة أقرب إلى الدقة .. فالجيل الذي
 يقف في مقدمة الركب الثقافي اليوم يعرف الأستاذ البيطار - بل ويدرك
 له بالكثير - عضواً في الجمع ، ومحاضراً فيه ، ومشاركاً في مجلته ،
 وأستاذاً في كلية الآداب ، ومدرساً في عديد من مساجد دمشق ، ومنصرفاً
 إلى مجموعات من طلبته الأحرار ، يتنقى وقته وجهده في تثقيفهم ، وعالمياً

كبيراً منقطعاً للعلم ونشره .. ومن ينسى من طلاب كلية الآداب محاضراته في الدراسات القرآنية والحديثية ، ومن ينسى من سواد الناس دروسه في رمضان في المسجد الجامع ، مسجد بني أمية ، وبقعته فيه .. ثم من الذي لا يذكر أحاديثه الاذاعية الصباحية التي تنسم بالهدوء والعمق .

وددت لو أن مكتب النشر الاسلامي فعل هذا . وإنا نرجو أن يكون ه كلمات وأحاديث ، بداية لجمع كل ما كتبه الأستاذ ونشره في مجموعة كاملة يتولى هو تصديرها ، والحديث عن جوانب منها ، إحكاماً للتعريف بها والإفادة منها .

وبعد ، فقد تمنيت لو وقفت عند هذه المحاضرات والأحاديث وقفة أطول .. وحسي أن أشيد بأمرين اثنين ، يتميز بهما الأستاذ البيطار فيما يتميز : وضوح الفكرة ونصاعة الأسلوب .

وتفسير ذلك يسير .. فهو إنما يكتب في الأمور التي يعانها ويتدارسها حق الدراسة ، وقد عانى في الدفاع عن آرائه ما لم يعان إلا قلة من العلماء ، وسخر قواه كلها لرد الشبهات أكرم تسخير .. ومن أجل هذا أيضاً كان يكون أسلوبه على مثل وضوح فكره نصاعة وانسياباً ونفاذاً .

لو كان لي أن أملك لجعلت الكتاب في أيدي طلاب المدارس الإعدادية والثانوية ، تعميقاً لثقافتهم العربية والاسلامية ، وصقلًا لأسلوبهم .
أطال الله في عمر الاستاذ وضاعف من نشاطه ونفع به في كل ما يكتب وينشر .

شكري فيصل

آراء وأنباء

رد على تعقيب

الأستاذ عبد الله كنون

قرأت في الجزء الثاني من المجلد التاسع والأربعين من مجلتنا الزاهرة ،
تعقيباً للأستاذ علي حيدر النجاري على ما تشير لي بالجزء الرابع من المجلد
السابق ، من بحث وتقديم قصيدة الواعظ الأندلسي في مذاقب السيدة
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

والتعقيب يدور حول نسبة القصيدة التي يرى المعقب أنها للكamal ابن
القديم ، ويشكك في نسبتها للواعظ الأندلسي الذي نسبتها إليه اعتماداً على
جماعة من أفاضل أهل العلم . وحجة الأستاذ النجاري الوحيدة ، بقطع النظر
عن الاقتراضات والاحتمالات ، هي أنه وجدها بخط والده المرحوم (منسوبة)
لابن القديم . وقد وضعنا كلمة منسوبة بين قوسين لتراجع إليها بعد النظر
في هذه الحجة من أصلها .

فغير خاف أن هذه الحجة تعتبر من نوع الوجادة ، وهي إحدى
طرق الرواية والتحمل الثمان ، عند أصحاب هذا الشأن . وتأتي في آخر
القائمة ؛ إذ هي الثامنة من هذه الطرق ، وذلك دليل على أنها أضعفها .
قال الحافظ العراقي في ألفية الاصطلاح :

ثم الوجادة وتلك مصدر وجدته ، مؤثداً ليظهر
تخالف المعنى (١) وذلك أن تجيد بخط من عاصرت أو قبل عهد

(١) أي معنى وجد ، فإنها تطلق بإزاء معان مختلفة ، ولكل منها مصدر يكاد
يخصه لكثرة الاستعمال .

مالم 'مُحَمَّدُ ثَك' به ولم يُجِزْ' فقل يخطه وجدت' واحترز'
إن لم تتق بالخط ... الخ .

ثم يقول بعد ذلك : (وكله منقطع) فهذه حقيقة الوجادة وقيمتها في الحُجِّيَّة . وإذا أخذنا بها مقتصرين عليها ، ونظرنا فيما استند إليه الأستاذ النجاري حين نسب القصيدة إلى ابن العديم ، رأينا أنه هو هذه الوجادة الوحيدة الحديثة التي عثر عليها بخط والده ليس غير . فأنضَعُها في الميزان مع ما استندنا إليه حين نسبناها إلى الواعظ الأندلسي ، وذلك أربع وجادات كلها أقدم من وجادته : (الأولى) نسخة مكتبتنا الكنونية ، وقد قلنا إن تاريخها لا يتدثى عن القرن الثاني عشر ، وفي الحقيقة أننا تحرُّبنا كثيراً في هذا التقدير ، وإلا فمن المحتمل جداً أن تكون من مخطوطات القرن العاشر لما صاحبها من آثار للحافظ المقرئ صاحب نفع الطيب وغيره من أهل ذلك القرن .

(الثانية والثالثة) نسختان ضمن مجموعين مغربيين في المكتبة العامة بتطوان ، تنتميان إلى القرن الثاني عشر الهجري فيما قدرنا ، وقد تكونان أقدم من ذلك .

(الرابعة) نسخة كتاب هدايات الباري مخطوط المكتبة العامة بتطوان أيضاً ، وهي بخط مشرقى ويرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري .

فهذه أربع وجادات بما وقفنا عليه ، كلها تنسب القصيدة لمن نسبناها إليه ، وهو الواعظ أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي . تُضِيفُ إليها (نسخة خامسة) هي نسخة معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة العربية بمصر ، والتي رقمها ١ في الجزء الأول من فهرس المعهد ٦٥٧ وتاريخ نسخها كما ذكر في الفهرس هو سنة ١٠٢٨ وقال في نسبتها

واضع الفهرس الأستاذ المرحوم فؤاد السيد خير المخطوطات العربية :
 « نظم أبي عمران موسى بن محمد الأندلسي ، وهذه لم تقف عليها لِمَا
 ذكرنا عن مسؤول بالمعهد ، لكن دلالتها فيما نحن بصدده من نسبة القصيدة
 واضحة لا غبار عليها خصوصاً مع قول الفهرس : نظم ابن عمران ... » .

من هنا يظهر للقارئ « رُجْحَانُ » نسبة القصيدة إلى الواعظ الأندلسي
 بأربع وجادات على نسبتها لابن العديم بوجادة واحدة ، فضلاً عن أن تلك
 الوجادات الأربع كلها أقدم تاريخياً من هذه الوجادة الوحيدة ، فإنها حديثة
 إنما ترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بذكر « المعقَّبِ » نفسه ،
 يضاف إلى ذلك نسخة معهد المخطوطات التي ترقى إلى أوائل القرن الحادي
 عشر الهجري ، فالحقيقة أننا لأندري كيف ألغى الأستاذ النجاري هذه
 « المرجمات كلها » ، وتميُّك بما وجدته بخط والده ، إلا أن تكون عاطفة
 البُنىة وُبرور الوالدين طغَت عليه ، وهو شعور نَحترمه كل الاحترام ،
 وإن كان لا ينسبنا قول أرسطو : « أُحِبُّ الحق وأفلاطون ما اجتماعاً ، فإذا
 افترقا كان الحق أحب إلي . »

والترجيحُ بتعدد طرق الرواية وأقدمية الرواة ، وقربهم من زمن المروي
 عنه ، مما لا أظني في حاجة إلى إقامة البرهان عليه ، وجلب النصوص التي
 تشهد له ، فهو مذكور في غير ما مرجع ، على أنه معقول المعنى لا يحتاج
 إلى دليل .

ثم نرجع إلى نسبة القصيدة لابن العديم في وجادة المعقب ، فنجدتها
 غير قطعية الدلالة ، لأن نصها يقول : « وقد أنشد ... كمال الدين بن
 العديم ... في مدح الصديقة الكبرى ... فقال وأبدع بالمقال ، » . وعبارة
 أنشد لاتقيد النسبة قطعاً ، ولما شعر الأستاذ المعقب بذلك حملها معنى :
 نظم ، وقال إن عبارة فقال وأبدع بالمقال تعزُّز ذلك ، ولا يخفى ما فيه

من التمثل ، ولم لا يكون الضمير في قال وأبدع لناظم القصيدة الذي هو غير منشدها ؟ أو يكون في العبارة قصور ؟ . . ومعلوم أن ما احتمل واحتمل سقط به الاستدلال .

وهل تقاوم عبارة (وقد أشد ابن العديم) عبارة (ولأبي عمران) الواردة في الوجادات الأربع وعبارة (نظم أبي عمران) الواردة في نسخة معهد المخطوطات ، من حيث النص على النسبة والصراحة في ذلك ؟ اللهم لا . وهذا ما جعلنا نضع كلمة (منسوبة) بين قوسين عند الإشارة إلى وجادة المعقب في أول هذا الرد .

ومع هذا فليس اعتمادي على هذه الوجادات فحسب ، بل على السماع الثابت بالسند المتصل إلى ناظم القصيدة ، والذي تعرفت منه عصر الناظم ورحلته إلى مصر حيث شهر بنسبته إلى بلده وأخذت عنه قصيدته وأجيز عليها من وزير مصر ، وبه يعلم أن جهلنا للشيء ليس حجة لإنكارنا له ، فكما لم نكن نعلم لم وصف بالاندلسي وفي أي زمن عاش ، وما هي الظروف التي جعلته ينظم قصيدته في المنفعة عن السيدة عائشة ودفع كلام الخصوم من الشيعة فيها ، وهو ابن بيئة سنية ، إذ لم يكن في الأندلس تشيع ، حتى أوقفنا هذا السماع العظيم على الحقيقة المجهولة في كل ذلك فقد يكشف البحث عن معرفة ترجمته الكاملة ، وما يمكن أن يكون له من الآثار غير هذه القصيدة شعراً وثرأ ، الخ .

وقل لمن يدعي في العلم منزلة علمت شيئاً وغابت عنك أشياء

(وفوق كل ذي علم عليم) ، ومنتهى العلم إلى الله العظيم .

هذا ولا يخفى أن السماع هو أعلى طرق الرواية وأجلها عند العلماء ، فهو يأتي في الدرجة الأولى من أقسامها الثمانية التي أشرنا إلى أن الوجادة هي آخرها . وإلى هذا يشير الحافظ في الألفية بقوله :

أعلى وجوه الأخذ عند المعظم . وهي ثمان ، لفظ شيخ فاعلم
كتاباً أو حفظاً . . . الخ

وهذا السماع كما سنرى كان من كتاب فهو أوثق ، ثم إنه كان مقترناً
بالإجازة ، وهي الطريقة الثالثة من طرق التحمل ، ويزيد السماع بها توثيقاً ،
لأنها إذن في الرواية به ، وذلك أبعد من الكذب والادعاء . . .

وفي هذا السماع لطيفة أخرى من اللطائف التي يحرص عليها المحدثون ،
وهي أنه يشتمل على سدين اثنين للشيخ مرتضى : عالٍ ونازل ، وذلك
بما يزيده قوة . وعلى كل حال فالسماع بالسند المتصل ، مهما يكن حاله ،
أعلى وأرفع من الوجادة ، لأنه بمثابة الشهادة من جميع الرواة الذين
يشتمل عليهم ، وهم طائفة من أهل العلم والفضل ، على ثبوت ما رووه
وإسناده لقائه ، فلا يتطرق إليه شك ولا يتوجه عليه طعن ، وخصوصاً فيما نحن
منه بسبيل من النصوص الأدبية والأخبار التاريخية وما أشبه ذلك .

وهذا هو النص الكامل للسماع المذكور ، لم نر بداً من إirاده بعدما
كنا اكتفينا بالإشارة إليه في المقال السابق .

بسم الله الرحمن الرحيم ، حمداً لمن نزل براءة الصديقية في كتابه ،
وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وبعد فيقول أسير المساوي ،
عبد الوهاب بن محمد الطائي الحميدي الشافعي الشبراوي ، قد أنشدنا شيخنا
الامام الحنبل الهمام اللغوي الجيهنذ النثر الناظم الناقد المحدث المفسر الفقيه
الحنفي السيد الشريف محمد بن محمد بن محمد الشير بالموتضى الزبيدي الحسيني
نزيل مصر ، أمدنا الله من امداداته والمسلمين ، بجامع المرحوم شيخنا
العمري الناصري بخط صلية أحمد بن طولون ، قال : أنشدنا إياها شيخنا
الفقيه الصالح محمد بن مصطفى بن علي الأيسر القنوي الشافعي عن والده .
قال شيخنا السيد المذكور : وأعلى من ذلك أني رويتها عن شيخني السيد

محمد بن محمد حجاج الحسيني قال : أنشدنا أبو الفيض علي بن إبراهيم الزغلي البويتجي الشافعي نزيل قوّة . قال : أنشدنا إبراهيم بن محمد المأموني الشافعي عن الشمس الرملي الأنصاري عن شيخ الاسلام زكرياء الأنصاري عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بقراءته على أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك ، أنا أبو الحسن علي بن اسماعيل بن قريش الخزومي سمعاً سنة ٧٣٩ بسامعه على الحافظ رشيد الدين أبي الحسين يحيى بن علي القرشي قال أخبرنا والذي أبو الحسن علي بن عبد الله القرشي بحق قراءتي عليه غير مرة ، أخبرنا أبو طاهر عبد المنعم بن موهوب اليزني الراءظ إجازة ، أنشدنا أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الاندلسي لنفسه في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأجازه الأفضل وزير مصر الشني عليها بمائة دينار لما بلغته ، رضي الله عنها ورحم الله القائل .

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وعليها بخط السيد مرتضى ما نصه :

الحمد لله ، قد سمع مني هذه القصيدة بقراءتي كاتبها وصاحبها الشيخ الفاضل المفيد أبو الفضل عبد الوهاب بن محمد بن علي الشبراوي الشافعي حفظه الله ، وقد أجزت له ولبن سمع معه ، وهم نحو من ثلاثين نقساً ضبطت أسماءهم على ظهر نسخة الأصل عند مثبت الأسماء ، روايتها عني ، بارك الله فيهم ونفع بهم . وكتبه محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شعبان سنة ١١٨٦ بجامع المرحوم شيخو العمري حامداً لله ومصلياً ومسلماً .

وعليها أيضاً بخط الشيخ عبد الوهاب الشبراوي :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد سمع مني هذه المنظومة بقراءتي عليهم بحق أخذي لها عن شيخنا السيد الشهير بالمرتضى ، الحيز لنا بروايتها بسنده المتصل بنظامها الثابت في أثناء هذا الجزء ، وهم الشيخ العمدة الفاضل مصطفى بن المرحوم أحمد بن حسن الشافعي الشبراوي والسيد الشريف الأديب الكامل عثمان بن السيد الشريف أحمد بن أحمد سرور الجعفي-ري الشافعي الحسيني والجناب المكرم الشيخ مصطفى بن أحمد الشهير بالزيات الشبراوي . والله أسأل أن ينفعهم . وثبت وصح ثاني يوم من شوال سنة ١١٨٩ كته عبد الوهاب بن محمد بن علي بن منصور بن أحمد الحميدي الطائي الشافعي الشبراوي حامداً ومصلياً ومستغفراً . وجمعها مني أيضاً الأجلة العظام بحق روايتي لها بالسند المتصل بجامع الأزهر أولادنا الآتي ذكر أسمائهم فيه . أولهم العمدة الفاضل ، الأديب الكامل ، بعد فراغنا من قراءة درس التحرير لشيخ الاسلام أبي يحيى زكرياء الأنصاري الشافعي وكان الدرس إذ ذاك بباب النفل ، وهو الشيخ شمس الدين محمد الشنّواني الشافعي الأزهري ابن الشيخ عبد الله الشنّواني الشافعي ، والعمدة الفاضل الشيخ بهاء الدين عبده بن الشيخ الشهاوي البراوي ، والشيخ سالم بن حسين الانحاصي الشافعي ، والشيخ إسماعيل الشافعي بن أحمد الغرنوي المالكي ، بتاريخ يوم الأحد تاسع محرم الحرام سنة ١٢٠٢ كتبها لنفسه محمد أحمد المرصفي الشافعي الشاذلي التمرتاشي في ج ٢ سنة ١٢٥٥ .

وبعده بخط ناسخ المجموع كله ما يلي :

هذا ما وجدته من هذه الرسالة المشتعلة على الثلاثيات ، وعلى هذه القصيدة فنقلتها بما فيها من أصلها وما يتعلق بها من الأسانيد لأجل حصول البركة ، والله الموفق المعين . الفقير إليه مصطفى الحكيم خادم العلم بالأزهر ..

والمراد بالثلاثيات في كلامه كتاب هدايات الباري على ثلاثيات البخاري الذي ذكرناه في تقديم القصيدة .

بعد هذا السماع الذي في مثله يقال : قطعت جبهة قول كل خطيب ، لا نرى موجياً لتتبع ما أتى به المعقب من احتمالات وافتراضات حكم هو نفسه بضعف بعضها ، ولكن لا بأس أن نزيل بعض الالتباس في قوله : إن الشعر الأندلسي في الفترة التي هاجر فيها صاحبنا إلى المشرق بلغ أوجّه ، ممثلاً بابن زيدون وابن عمّار والمعتد بن عبّاد وابن اللبّانة وابن عبدون وابن خفاجة ، ونهج القصيدة وسبكها بعيدان عما قرأناه وأحسنا به في قصائد الشعراء المذكورين . . وقتاته أن ناظيها لا يعدّ في طبقة الشعراء ، وإنما هو واعظ خدم مقام أمّ المؤمنين بما ينظمه مثله ، من شعر له رؤاؤه والمعجبون به ، وليس عليه مأخذ من الناحية الفنية ، وحسبّه أنّه يؤثر فينا تأثيراً لا يقلّ عن تأثير أعظم الشعراء ، لأنّه يتناول موضوعاً لم يُعنَ به غيره ، وهو قضية إنسانية تتمثّل في دفاع حارة عن سيدة كريمة هوجمت في شرفها ، فلا مجال للمقارنة بينه وبين قصائد أولئك الشعراء ، وأحرى أن لا يجعل اختلافه عنها دليلاً على عدم صحة نسبته إلى صاحبه . ولو أخذنا بنظر المعقب وقارناً هذه القصيدة بشعر الكمال ابن العديم الذي أورده له مترجموه ، ولا سيما الأستاذ راغب الطباخ في تاريخ حلب ، لمّا وجدنا بينها مناسبة بأي وجه ، لافي الشكل ولا في المضمون ، كما يقولون .

ولم أدّر ما أراد الأستاذ المعقب بقوله : « ويستدل الأستاذ كنون على شخصية الشاعر الواعظ ، وعلى (الناحية) الزمنية للقصيدة (بأن مصر حينئذ كانت بحاجة إلى أمثال الشاعر ممن يقفون في وجه الدعوة الفاطمية ويرفعون علم السنة) وليس هذا بدليل حاسم فالتشيع كان أشد خطورة في كثير

من البلاد الإسلامية بعد زمن الفاطميين . فهل هذا بما يمنع واعظاً سنياً من القيام بواجبه في مقاومة الدعوة الشيعية بمصر ، وقد أقام فيها ، وفوجيء باتهاماتها لبعض الصحابة ، ومنهم عائشة الصديقة ؟ والغريب هو قوله أن التشيع كان أشد خطورة في كثير من البلاد الإسلامية بعد زمن الفاطميين ، فهل كان على صاحبنا أن ينتظر حتى ينتهي عهد الفاطميين ويشتد خطر التشيع في البلاد الإسلامية ، ليعلن بحاربته له ؟ ثم ماعلاقة هذا الكلام بنسبة القصيدة للواعظ الأندلسي ، وهو محور التعقيب ، ومدار المناقشة ؟ . في التعقيب غير هذا الاستطراد بما لم نر موجباً للتعليق عليه ، التزاماً بالموضوعية ولذلك فنحن نقف في ردنا عند هذا الحد ، وإذا كنا لم نجد في كلام الأستاذ التجاري حجة ولا شبهةً للتشكيك في نسبة القصيدة إلى الواعظ الأندلسي فإننا لانكر أنه اتحفنا بنسخة لها زائدة على النسخ التي عرفناها ، وهي تفيدنا في المقابلة واستخراج النسخة الكاملة من القصيدة ، وهو بذلك يستحق منا خالص الشكر وجزيل الثناء .

عبد الله كنون

﴿ تذنيب ﴾

بعد كتابة الرد أعلاه وارساله إلى المجلة اطلعت على ما نشر في الجزء الثالث بعنوان (نسخة سادسة من قصيدة الواعظ الأندلسي) بقلم صديقنا الأستاذ الكبير سعيد الافغاني ، وهو تعليق مفيد جداً في موضوع نسبة القصيدة إلى صاحبها .

ويذكر الأستاذ سعيد في هذا التعليق أنه سبق له نشر هذه القصيدة في كتابه عائشة والسياسة ، وأنا مع الأسف لم أطلع على كتابه هذا وإن كانت جل كتبه عندي إما قنية وإما هدية منه .

والمهم في الأمر هو أن نشره لهذه القصيدة كان من أصل عتيق يرجع تقديراً إلى القرن الثامن ، وأنه يبتدىء بسند يتصل بناظمها الواعظ الأندلسي ، ولكن بعض كلماته غير مقروءة لتطاول العهد ، إلا أنه يشتمل على اسم ناصر الدين الكردي والشرف الدمياطي ، مما ليس في السماع الذي نشرناه ، ويلتقي بعد ذلك برشيد الدين القرشي الذي يروي القصيدة في السماع عن والده عن الواعظ اليزني المصري عن صاحبها الواعظ الأندلسي . فهذا طريق أو سند ثالث يتعزز به السماع المشار إليه ، والذي يحتوي على مسندين اثنين للشيخ مرتضى الزبيدي ، في رواية القصيدة كما نهنا عليه .

وقابل الأستاذ الأفغاني نسخته بالنص الذي نشرناه محققاً على النسخ الأربعة التي وقفنا عليها فذكر الفروق الموجودة بينها ، وهي فروق قليلة ، ورجع بعضها ، وأنا معه في ذلك .

كما ذكر الاختلاف الواقع في ترتيب بعض الأبيات بين نسخته ونصنا وهو غير مهم بل إن الترتيب الذي اتفقت عليه النسخ الأربعة هو الذي يترجع عندي لكونه أكثر ارتباطاً في المعنى .

وتريد نسخة الأستاذ الأفغاني بيت يظهر لي أنه مقحم على القصيدة ..
وشكراً .

تعقيب على مقالين

الأستاذ علي النجدي ناصف

قرأت في مجلة الجمع : الجزء الثاني من المجلد التاسع والأربعين - مقالين كرتين ، أولهما للأستاذ عبد المعين الملوحي ، وعنوانه : أشعار اللصوص وأخبارهم ؛ والآخر للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وعنوانه : الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر .

وقد لحظت في المقالين شيئاً من هفوات يسيرة ، هذا بيانها :

في مقال الأستاذ عبد المعين الملوحي : يقول الأستاذ في شرح قول جعدة ابن طريف السعدي :

يا طول ليلي ما أنام كأنما في العين مني عائر مسجور :

والعائر من السهام والحجارة الذي لا يُدرى من رماه ، وهذا بلا خلاف من معاني العائر ، ولكني لأراه المعنى الذي أراده الشاعر ، ولا هو المعنى الذي يناسب المقام ، فالشاعر لم يكن في حرب يتراشق الرماة فيها بالسهام ، ولكنه كان مؤرقاً طال إليه ، وثقل همه . وقد مضت سنة الشعراء في هذا المقام أن يشبهوا حالهم - وقد جفاهم النوم - بحال من يكون في عينه عائر أو عوار ، وكلامهما بمعنى القذى . وما قيل في ذلك بيت امرئ القيس بن عانس :

وبات وباتت له ليلة كلية ذي العائر الأرمـد

وهيات لمن يبتلى بعائر أو عوار يستقر في عينه أن يذوق ليله
طعم النوم .

(٢) ويقول في شرح بيت سليمان بن عياش السعدي :

يقر بعيني أن أرى بين عصبة عراقية قد جُزَّ عنها كنانها

« الكتاب : الشمراخ ، والشمراخ فرع من النخيل يستعمل كالسوط ،

ولعل المعنى : عصبة من اللصوص تقطعت عنها السياط ، .

والذي رأيته فيما رجعت إليه من معاجم : الشمراخ : « العنقال

عليه البسر ، ويزيد في الإفصاح : « وأصله في العذق » . والعذق : جامع

الثمار يخ . فليس الشمراخ على هذا كما يقول الأستاذ : « فرع من النخيل ،

ولكنه فرع من العذق . ولم أفهم بعد ذلك كيف يستعمل كالسوط ،

وهو ليس خالصاً ولكنه ينظم البسر عليه ، ولم أتبين مشاكلة بينه وبين

السوط تسوغ أن يشبه به ، كذلك لم أهتم إلى معنى « عصبة من اللصوص

تقطعت عنها السياط » .

والذي يظهر لي أن الشاعر يفخر - على سبيل الفروسية - أن يكون من

هذه العصبة الشقية المحرومة ، لاجدة عندها ، ولا رجاء فيها ، كأنها

النخلة جزت شماريجها ، فإذا هي جذع وجريد ولا مزيد ، وإنما يراد النخل

أكثر ما يراد لثمره المعهود . وحسب هذه العصبة ما أوتيت من كريم الخصال

وشريف المواهب .

وفي مقال الأستاذ محمد عبد الغني حسن : (١) يقول عن إحدى

نسختي كتاب المنتثر : « وتضم ثمان وعشرين ترجمة » ، يمنع ثمان

من الصرف . ويقول الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك عن منع ثمان

من الصرف : « شذ منع صرف ثمان ، تشبيهاً لها بجوار ، نظراً لما فيه من

معنى الجمع ، وأن ألفه غير عوض في الحقيقة ... » ، وقد تكون الألف إنما

حذفت في الطبع .

(٢) ويقول الأستاذ ، وهو يعدد مآخذه على الكتاب : « ورد الفعل أشغل متعديا بالهمزة ، وهو لازم » . وأراه يريد : وهو مجرد ، مكان « وهو لازم » ، بدليل قوله بعد ذلك : « يقال : شغله » ، لكن القلم سبق أو السهو غلب .

أما أشغل فيقول عنها صاحب القاموس : « وأشغله لغة جيدة ، أو قليلة ، أو رديئة » ، فالكلمة في أسوأ أوصافها ليست خطأ .

وبعد ، فليس يغض ماقلت من قيمة المقالين ، أو ينزل بها عن مكانها ، كل في موضوعه الذي عرض له .

القاهرة

علي النجدي ناصف

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تدريب المعلمين أثناء الخدمة في العراق	ترجمة محمود مبارك القاسم	بغداد ١٩٧٤
تقسيمات خراسان الادارية	د. صالح أحمد العلي	١٩٧١ -
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة	د. د. د.	١٩٥٣ -
تنظيمات الرسول الادارية في المدينة	د. د. د.	١٩٦٩ -
شعراء من أمريكا الجنوبية	سعيد صائب	١٩٧٤ -
العطاء في الحجاز	د. صالح أحمد العلي	١٩٧٠ -
كتاب البلدان	عمرو بن بحر الجاحظ	١٩٧٠ -
محاضرات في تاريخ العرب	د. صالح أحمد العلي	١٩٦٠ -
المدائن في المصادر العربية «مستلة»	د. د. د.	
مصادر دراسة خطط بغداد	د. د. د.	١٩٦٧ -
المصرف الوطني العراقي (تقرير عن السياسة النقدية في العراق)	كارل أقرش	١٩٥٤ -
المطلع التقليدي في القصيدة العربية	عدنان عبد النبي البلداوي	١٩٧٤ -
منطقة الكوفة «مستلة»	د. صالح أحمد العلي	
منطقة واسط	د. د. د.	١٩٧٢ -

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
موظفو بلاد الشام في العهد الأموي	د. صالح أحمد العلي	مستلة من مجلة الأبحاث بيروت، آذار ١٩٦٦
حجة القراءات	ابن زنجية . تح . الأستاذ سعيد الأفغاني	بنغازي ١٩٧٤
الشابي شاعر الحب والحياة	الدكتور عمر فروخ	بيروت ١٩٧٤
قواعد فهرسة المخطوطات العربية	الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٧٣ =
مراقبي السعادات	حسن الشربلالي تحقيق محمد رياض المالح	١٩٧٣ =
مصادر عربية لدراسة سيبويه	الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٧٤ =
النباتات	الدينوري	١٩٧٤ =
الانتاج الفكري الجزائري في عشر سنوات	محمود بوعياذ وعائشة خمار	الجزائر ١٩٧٤
التاريخ بواسطة الشريط	محمود بوعياذ	١٩٧٤ =
مجرى السوابق	ابن حجة الحموي	١٩٧٢ =
شرح الملوكي في التصريف	ابن يعيش تح. الدكتور فخر الدين قباوة	حلب ١٩٧٣
الاقتصاد السوري الحديث	محيى عروودكي	دمشق ١٩٧٤
الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار	الدكتور جودة الركابي	١٩٧٤ =
تاريخ المسرح الحديث	الدكتور بدو الدين القاسم	١٩٧٤ =
تحفة الناظر وغنية الذاكر	محمد العقباني التلمساني	١٩٦٧ =
تشرين في مجلس الأمن	الدكتور عبد المنعم زنايلي	١٩٧٤ =

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
صفوان قسبي	السياسة المسلحة	دمشق ١٩٧٤
لوي ماركوريل . ترجمة صلاح دهني	السينما الجديدة	ـ
السعد التفتازاني . حققه كلود سلام	شرح العقائد النسفية	ـ
عادل أبو شنب	صفحات مجهولة من تاريخ القصة السورية	ـ
ميتشل ويلسن . ترجمة المهندس وجيه السمان	الطاقة	ـ
محبي الدين صبحي	عوالم من التخيل	ـ
الدكتور عبد الكريم اليافي	فصول في المجتمع والنفس	ـ
هيجل . ترجمة تيسير شيخ الأرض	مبادئ فلسفة الحق	ـ
ترجمة فذة من أساتذة الفيزياء في جامعة دمشق	محاضرات فابنن في الفيزياء الجزء الأول - القسم الأول الميكانيك	ـ
اللواء الركن مصطفى طلاس	مختارات	دمشق/الإدارة السياسية
حنّا مينه . د. نجاح عطار	من يذكر تلك الأيام (قصص)	دمشق ١٩٧٤
أوستن وأرين، رينيه ويليك	نظرية الأدب	ـ
ترجمة محبي الدين صبحي		١٩٧٢ =

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
ثابت ابن أبي ثابت	الفرق - مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - الرباط	فاس - ١٩٧٣
أحمد الأخضر غزال	في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي	الرباط
» » »	القضية اللغوية في حركة «راء» المشتركة	١٩٧٣ -
» » »	المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية	-
الدكتور سيد مقبول أحمد	العلاقات العربية الهندية	عليكرة ١٩٦٩
تعريب د. تقولا زيادة		
الدكتور محمد صابر سليم	العلوم البيولوجية في المرحلة الثانوية	عمان ١٩٧٣
ترجمة الدكتور محمد صابر سليم و. د. واصف عزيز	اتجاهات جديدة في تدريس علم الأحياء	القاهرة
جامعة عين شمس	التقرير العلمي (الجزء الأول)	١٩٧٣ -
الحسن الصغاني . تحقيق	التكملة والذيل والعلة (الجزء الثالث)	١٩٧٣ -
محمد أبو الفضل إبراهيم		
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	حافة تربية الموهوبين والمعوقين	١٩٧٤ -
= =	حلقة تعليم اللغات الأجنبية	١٩٧٤ -
= =	حلقة المدرسة الثانوية للتعليم العام والمهني في البلاد العربية	١٩٧٢ -
= =	حلقة النهوض بعلم الاجتماع في الوطن العربي	١٩٧٣ -

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
الدكتور السيد أبو النجا	دليل دور النشر في الوطن العربي	القاهرة ١٩٧٤
ود. شعبان عبدالعزيز خليفة	ديوان ابن الرومي - الجزء الأول	القاهرة ١٩٧٣
تحقيق الدكتور حسين نصار	عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب	= =
محمد الحازمي الهذاني. تع	المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم	=
الأستاذ عبد الله كنون	المؤتمر السادس للآثار	=
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	مؤتمر الوحدة والتنوع	=
= =	المعجمات العربية	=
= =	ملخصات الرسائل العلمية	١٩٧١ =
وجدي رزق غالي	نشرة الاحصاءات التربوية	١٩٧٢ =
د. سعد محمد الهجرسي	لبلاد العربية	١٩٧٣ =
= =	النشرة العربية للمطبوعات	=
= =	لعام ١٩٧٠	١٩٧٢ =
= =	النشرة العربية للمطبوعات	=
= =	لعام ١٩٧١	١٩٧٣ =
ولده أبو عبد الله محمد. تع	التعريف بالقاضي عياض	المغرب ١٩٧٣
الدكتور محمد بن شريفة	حضارة وادي درعة	=
محمد المنوني	تاج العروس (الجزء الثالث عشر)	١٩٧٣ =
الزبيدي	حياة النفس	الكويت ١٩٧٤
الشيخ أحمد الاحساني	خصائص الرسول	النجف
رياض طاهر		النجف

الفهارس العامة للمجلد التاسع والأربعين

١ - فهرس المواد

منسقة على حروف المعجم

١٥٥	تاريخ صيدنايا	(أ)	
٧١٦	تحرير المشتقات	٦٨٧	الاحتفال بمرور مائة عام
٢٠٤	تقرير الأمين العام	٥٥٠	اختلاف الصحابة والأئمة
	تقرير عن مؤتمر جمع اللغة العربية	٨٩٤	الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار
٤٤٤	في دورته الأربعين	٦٩٣	استدراكات على الجزء ٢ و ٣
٧٨٠	التعريف بابن زهر	٤٧٧	استدراك وتبیه
٤٥٣	تعقيب على مقال	٦٧٨	استفتاء
٩٣٠	تعقيب على مقالين		اسطورة الآيات الحسين في
	(ج)	٣٠٩	كتاب - يديه
٦٨٨	جائزة الثقافة العربية لأحسن كتاب	٥٩٥، ٣٦٢	أشعار اللصوص وأخبارهم
٨٧١	جمعية الآداب العربية في القدس		أعضاء جمع اللغة العربية في
	جوانب الدقة والغموض في	٢٣٧	سنة ١٩٧٣
٧٤	المصطلح العلمي العربي الحديث	٤٧٩	آفاق البحري
	(ح)	٤٦٧	انتخاب الدكتور عدنان الخطيب
٣٤	حيب بن مسلمة الفهري	٧٥٩	انتفاضات العرب القومية
١١٣	حضارة الإسلام	٢١	أنجم السياسة وقصائد أخرى
٢٥٤	حول رسالة الصاهل والشاحج	(ب)	
٤٣٦	حول شعر العكوك		البصير بصيرته «تأين الدكتور طه حسين» ١٩٥٠
١٨٢	حول شواهد (لما يهـ)	(ت)	
٤١٦	حول مقدمة كتاب «نصرة الثائر»	١٥٧	تاج العروس

٦٦٢	العريف : معجم في مصطلحات النحو العربي	٨٨٢	حول نسبة الأبيات في كتاب سيويه
	(ف)		(خ)
٨٢٩	فتة عبد الله بن الزبير	٦٠٩	خليل مردم بك الشاعر وديوانه
٨٩٢	فصول في المجتمع والنفس	١	خواطر عن الدكتور طه حسين
	فلسطين الثائرة مسرحية شعرية		(د)
٨٩٩	للشاعر عدنان مردم		الدر المنتثر في رجال القرن الثاني
	(ك)	٤٠٢	عشر والثالث عشر
	كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج	١٦٤	ديوان أبي الهندي وأخباره
٩٣	كتاب دلائل النظام للفراهمي	١٤٨	ديوان عمرو بن قميئة
٨٠٩	الكتب المهداة إلى مكتبة مجمع اللغة العربية ٢٤٥ ، ٤٧٣ ، ٦٨٩		(ذ)
	كلمات وأحاديث للشيخ بهجت	٦٥٢	ذيل طبقات انقراء
٩١٦	البيطار		(ر)
	(ل)	٢٤٩	رأيان متباعدان متقاربان
٦٥٩	لغة العامة	٩٢٠	رد على تعقيب
	ليس في كلام العرب - لابن خالويه		(ش)
٤٢٦		٨٩٦	شعراء من أمريكا الجنوبية
	(م)		(ص)
١٨٤	مؤتمر التعريب		صحيح البخاري في الدراسات المغربية
٤٦٤	المعجمات العربية	٥٠٠	
			(ط)
		١٣١	طرق تدريس اللغة العربية
			(ع)
			عرض وتقد لكتاب : كون الحيوان لأرسطوطاليس
		٦١٤	

معركة القراء الكبار على الطبقات	١٣٣	نظام الضرائب في صدر الاسلام ٢٩٢
والأعصار للذهبي	٣٥٣	نظرات في كتاب مختصر التاريخ ١٦٩
من أسرار القرآن		نظرات وملاحظات على الجزء
المنتخب من مخطوطات المدينة		الرابع من كتاب إنباه الرواة ٦٤٣
النورة	٥٨ - ٣٧٧	نظرة في معجم المصطلحات الطبية
(ن)		الكثير اللغات ٧٠٠،٤٨٤،٥
نسخة سادسة من قصيدة الواعظ		(و)
الأندلسي	٦٥٨	وفيات بعض المجمعين ٤٦٨،٢٠٠

ب - فهرس الأعلام - كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(أ)		(س)
أحمد راتب النفاخ	٩٣	سعيد الأفغاني ٦٥٨
أحمد الطرابلسي	٢٥٤	(ش)
أيفيت صوفان	٦٥٢	شفيق جبيري ١٣١،١،١٥٥،٢٤٩،
(ب)		٨٩٦،٨٩٤،٨٩٢،٦٩٥،٤٧٩
برهان صديقي	١٥٧	شكري فيصل ٩١٦،٩٠٨،٢٠٤،١٨٤
(ج)		(ص)
جميل صايبا	٨٩٩	صبحي البصام ١٦٩
(ح)		صفاء خلوصي ٦٦٢
حسام الصغير	٨٢٩	صلاح الدين المنجد ٥٧٩،٤١٦،١٣٣
حني سبع ٧٠٠،٤٨٤،١٩٥،٥		(ع)
(د)		عبد العزيز الدوري ٢٩٢
رمضان عبد التواب	٣٠٩	عبد اللطيف الطياوي ٨٧١
		عبد الله كنون ٩٢٠،١٨٣،٢١

٦٧٨	محمد العدناني	٥٩٥،٣٦٢	عبد المعين ملوحي
٨٨٢	محمد علي سلطان	٤٤٤	عدنان الخطيب
٦٠٩	محمد كامل عباد	٤٥٣	علي حيدر التجاري
٥٠٠	محمد المتوني	٩٣٠،٣٥٣	علي التجدي ناصف
٤٣٦،١٦٤	محمد يحيى زين الدين	٣٧٧،٥٨	عمر رضا كحالة
٣٤	محمود شيت خطاب	(ق)	
٧٨٠	ميشيل خوري	٦١٤	قاسم السامرائي
	(ن)	(م)	
١١٣	ناجي معروف	٤٢٦	مازن المبارك
	(و)	٧١٦	محمد بهجة الأثري
٤٦٤	وجدي رزق غالي	٧٥٩	محمد جميل بيهم
٧٤	وجيه السمان	٥٥٠	محمد صغير حسن المعصومي
		٦٤٣،٤٠٢	محمد عبد الغني حسن

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والأربعين

الصفحة	المقالات
٦٩٥	لغة العامة الأستاذ شفيق جبيري
٧٠٠	نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات الدكتور حسني مبيع
٧١٦	تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ الأستاذ محمديجة الأثري
٧٥٩	انتفاضات العرب القومية بين سقوط بغداد والملك فيصل في بلاد الشام الأستاذ محمد جميل بيهم
٧٨٠	التعريف بابن زهر الدكتور ميشيل خوري
٨٢٩	فتنة عبد الله بن الزبير « تعريب الأستاذ حسام الصغير » الدكتور رودلف زلمام
٨٧١	جمعية الآداب العربية في القدس الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي
٨٨٢	حول نسبة الأبيات في كتاب سيبويه الدكتور محمد علي سلطاني
	التعريف والنقد
٨٩٢	فصول في المجتمع والنفس للدكتور عبد الكريم اليافي الأستاذ شفيق جبيري
٨٩٤	الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار للدكتور جودة الركابي » » »
٨٩٦	شعراء أمريكا الجنوبية للأستاذ سعد صائب » » »
٨٩٩	فلسطين النائرة « مسرحية شعرية » للشاعر عدنان مردم الأستاذ جميل صليبا
٩٠٨	دلائل النظام تأليف المعلم عبد الحميد الفراهي الدكتور شكري فيصل
٩١٦	كلمات وأحاديث بقلم الأستاذ بهجة البيطار » » »
	آراء وأنباء
٧٢٠	رد على تعقيب الأستاذ عبد الله كنون
٩٣٠	تعقيب على مقالين الأستاذ علي التجدي ناصف
٩٣٣	الكتب المهداة إلى مكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من سنة ١٩٧٤
	* * *
٩٤٢	فهرس العدد الرابع من المجلد التاسع والأربعين
٩٣٨	الفهارس العامة - فهرس المواد
٩٤٠	» - فهرس الأعلام « كتاب المقالات »



Bibliotheca Alexandrina



0652691